



د. حسن حنفي

الأعمال الكاملة

المجلد الأول

من النقل إلى العقل

الجزء الأول

علوم القرآن

(من المدمول إلى الكامل)

هذا الكتاب يطل الوصي ربما
لأول مرة ليس باعتباره محمولا
ولكن باعتباره حاملا. فلا نفس
دون بدن. والحامل إما أن يكون
موضوعياً (التاريخ) مثل
المكان (المكي والمدني)
والبيئة الاجتماعية (أسباب النزول)
والزمان (الناسخ والمنسوخ). وإما
موضوعياً ذاتياً (الرواية) مثل الخبر
والقراءة والتدوين. وإما ذاتياً
(اللفظة) مثل اللفظ والمصنوع
وأساليب البلاغة والتفسير.

السعر

ISBN# 9789774486753



6 221149 031555

المكتبة الحضرية العامة للكتاب



د. حسن حنفي

الأعمال الكاملة

المجلد الأول

الأعمال الكاملة

رئيس مجلس الإدارة

ورئيس التحرير

د. أحمد مجاهد

مدير التحرير

جودة رفاهي

تصميم الغلاف

أحمد أغا

الأعمال الكاملة، سلسلة تعنى بنشر

الثقافة الأدبية الرفيعة لكبار مبدعينا

تصدر عن الهيئة المصرية العامة

للكتاب - وزارة الثقافة

التنفيذ والطباعة:

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر السلسلة وإنما تعبر عن رأي كاتبها

■ المراسلات باسم السيد رئيس التحرير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - كورنيش النيل - القاهرة

Email: info@gebo.gov.eg

ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ - ٢٥٧٧٥٢٢٨

حنفى، حسن.

الأعمال الكاملة/ حسن حنفى.. - القاهرة:

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.

مج ١: ٢٤ سم. - (الأعمال الكاملة)

المحتويات: ج١ من النقل إلى العقل. (القسم الأول)

علوم القرآن من المحمول إلى الحامل

تدمك ٣ ٦٧٥ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الإسلام - مجموعات.

أ - العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٣ / ٢٢٤٠٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 675 - 3

ديوى ٢١٠.٨

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

يحظر إعادة الطبع أو الاقتباس من المادة المنشورة دون إذن كتابى مسبق

د. حسن حنفي

الأعمال الكاملة

المجلد الأول

من النقل إلى العقل

الجزء الأول

علوم القرآن

من المحمول إلى الحامل



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٤

الإهداء..

إلى الذين لا يخشون النظر
في الحامل دون المحمول

حسن حنفى

٦ أكتوبر ٢٠٠٨

تصدير

نهاية المطاف للجبهة الأولى

«من النقل إلى العقل» هى محاولة لإعادة بناء العلوم النقلية الخمسة بعد أن تركها القدماء والمحدثون كما وضعها الأوائل مكتفين بوضعها تاركين للزمن تطويرها. وهى: علوم القرآن، علوم الحديث، علم التفسير، علم السيرة، علم الفقه بصرف النظر عن الترتيب. وهى العلوم السائدة فى الكليات الأزهرية والكليات الدينية التى تخشى كليات الآداب عامة وأقسام الفلسفة خاصة الاقتراب منها. وهى الأقدر على دراستها خاصة وأنها كليات الآداب والعلوم الإنسانية.

وهى أكثر العلوم تأثيرا فى الحياة العامة والخاصة استشهادا بحجة القول «قال الله» و«قال الرسول» القائم على منهج الانتقاء، والانتزاع من السياق والاختيار وفقا للأهواء اعتمادا على سلطة النص منفصلا عن سلطة العقل. فيتحول النص إلى مقدس، يدخل فى معارك التفسير والتأويل التى تصل إلى حد التكفير. وتقوى جذور السلفية منذ أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم ورشيد رضا وحسن البنا وسيد قطب.

والسؤال بالنسبة لنا: لماذا تبقى هذه العلوم نقلية خالصة ولا تنضم على الأقل إلى مجموعة العلوم النقلية العقلية مثل الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتصوف؟ لماذا لا يتم تحويلها إلى علوم إنسانية، فالقرآن علم النص، والحديث علم الرواية، والتفسير علم الهرمنيوطيقا، والسيرة علم التاريخ، والفقه علم القانون؟ إن العقل أساس النقل. ومن قدح فى العقل فقد قدح فى النقل. النقل دون عقل يبقى ظنيا خالصا فى حين أنه بتأسيسه على العقل يصبح أقرب إلى اليقين. ولماذا ندافع عن العقلانية ولا نقضى على جذور اللاعقلانية من تراثنا القديم أى من ثقافتنا الشعبية بعد أن تحولت أجزاء فيه إلى أمثال عامية؟ وهل تنجح المشاريع العربية المعاصرة مثل «نقد العقل العربى» فى إرساء قواعد العقلانية فى أرض ثقافتها نقلية؟ وهل تنجح عقلانية عربية مستمدة من العقلانية الغربية العلمية أو الرياضية ومقلدة لها والعقلية العربية مغروزة فى العلوم النقلية؟

ولماذا تظل العلوم الإسلامية القديمة ثابتة فى لحظة تاريخية واحدة، لا تتطور والزمن يتغير؟ إن العلوم جزء من الثقافة. والثقافة تتغير بتغير العصور والأزمان. العلوم مثل الفلسفات والفنون جزء من تصورات العالم التى تعبر عن تطور الوعى الإنسانى.

إن أخطر ما يهدد العلم نزعتان متناقضتان: القطعية والشك. الأولى تجزم باليقين المطلق الثابت الذى لا يتغير حتى لو عارضت اليقين العقلى أو اليقين الحسى. والثانية الشك فى كل شىء وعدم التسليم بشىء حتى لو كان البدهة العقلية أو الحسية. وهما النزعتان اللتان تؤديان إلى الإثبات المطلق أو الرفض المطلق. وقد تكون مرحلتين متتاليتين. البداية بالقطعية والنهاية أو البداية الثانية بالشك. هكذا كان الحال فى الغرب عندما بدأ بالقطعية عند بوسويه وليبنز، وكانت البداية الثانية بالشك عند ديكارت فى القرن السابع عشر. وكفينا نحن أن نتساءل دون إصدار حكم. ونترك إصدار الأحكام إلى الأجيال القادمة. والتساؤل جزء من ثقافتنا داخل فى قلب النص ويسألونك عن..... سياه ياسبرز الفلسفة «التساولية». وكانت الأسئلة قديما من وحى عصرها: المحيض، الإنفاق، الخمر والميسر، الأهله، الشهر الحرام، اليتامى، الجبال، الروح، ماذا ينفقون. ونسأل نحن فى هذا العصر عن الاستبداد، والقهر، وحقوق الإنسان، والفقر، والظلم، والاستعمار، والصهيونية، والعولة، والأحكام تتغير وتبدل فيها عرف باسم الناسخ والمنسوخ طبقا لتغير الأزمان. فالأحكام الشرعية تسير وفقا للمصالح العامة.

لقد آن الأوان أن نبدأ الإصلاح من الجذور بدلا من أن نبداه منذ قرنين من الزمان ويكبو جيلا وراء جيل حتى نحصل على ثورة دائمة بدلا من مجرد الطموح إليها ولا تأتى بل تكبو. إذ أنها تبدأ عاجزة. لذلك أصبح التقدم لدينا دائريا أو متجها إلى الخلف وليس متجها إلى الأمام. ونؤجل معركته خوفا من الصدام مع معوقاته. وفى نفس الوقت نعجب بمفهوم التقدم المستمر إلى الأمام فى الغرب الذى دخل معاركه وانتصر فيها.

لقد ظهر الجزء الأول من «النقل إلى العقل» عن «علوم القرآن»، والجزء الثانى عن «علم الحديث» فى بيروت ٢٠١٠ لما عرفت عنه من شجاعة فكرية وحرية رأى. ويبدو أنه لا عاصمة عربية تعلو على القاهرة التى احتضنت الأجزاء الخمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه كمقدمة للطبعة الثمانية لأحد مفكرها. تتلوها «من النص إلى الواقع» فى علم أصول الفقه ثم «من الفناء إلى البقاء» فى علوم التصوف ثم «محمد إقبال». وعسى أن يطول الأجل لإتمام باقى الأجزاء وآخرها الجبهة الثالثة «الموقف من الواقع» أو «نظرية التفسير». وتظل الهيئة العامة للكتاب الأمانة على حرية الرأى منذ بولاق حتى الضفة الأخرى كورنيش النيل. وحاضنة لمفكرها الأحرار بالرغم مما يبدو عليها من كبوات وقتية سرعان ما تنهض بعدها لتستأنف تاريخها.

حسن حنفى

مدينة نصر ٢٠١٣/٦/٣٠

مقدمة

١ - من «الفناء والبقاء» إلى «العقل والنقل»

البداية كالعادة نقد العمل السابق من أجل الاستعداد للعمل اللاحق بعد مزيد من الوعى بحدود العمل السابق والتي لا تظهر إلا بعد الاكتمال. فقد تم نقد «من العقيدة إلى الثورة» في بداية «من النقل إلى الإبداع». وتم نقد «من النقل إلى الإبداع» في بداية «من النص إلى الواقع». وتم نقد «من النص إلى الواقع» في بداية «من الفناء إلى البقاء». والآن يتم نقد «من الفناء إلى البقاء» في «من النقل إلى العقل»، «علوم القرآن»^(١)

أ- جاء «من الفناء إلى البقاء» في جزأين الأول «الوعى الموضوعى» والثانى «الوعى الذاتى». وهى نفس قسمة «من النص إلى الواقع» في جزأين: الأول «تكوين النص»، والثانى «بنية النص». ويبدو أن قصر الوقت بين العملين لم يتح الفرصة للتغير والنسيان والبداية الجذرية الجديدة. وربما أن «التكوين» و «البنية» قسمة منهجية صرفة لا شأن لها بعمل معين، أصول الفقه أو التصوف أو بطول المدة وقصرها بين العملين. فالأشياء إما متحولة أو ثابتة، تاريخاً أو بنية، والوحى كذلك يتطور من أول مرحلة حتى آخرها ثم يثبت في آخر مرحلة. وإذا كان ذلك ينطبق على العلوم العقلية التقليدية الأربعة، الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتصوف فإنه لا ينطبق على العلوم العقلية الخالصة. فلم

(١) من النقل إلى الإبداع مج ١، ج ١، التدوين، ص ٧-١٤.

من النص إلى الواقع ج ١، تكوين النص، ص ٩-١٧.

من الفناء إلى البقاء ج ١، الوعى الموضوعى، ص ٧-١٣.

تنقسم علوم القرآن هذه القسمة وإن بقت قسمة ثلاثية في الأبواب. ومع ذلك هناك تشابه غير مباشر بين القسمة إلى تكوين وبنية، وبين الموضوع والذات. فالتكوين هو الموضوع، والبنية هي الذات. وقد يمكن ذلك في القسمة الثلاثية في «علوم القرآن»: الحوامل الموضوعية، الحوامل الموضوعية الذاتية، الحوامل الذاتية.

ب- خرج «الوعى الموضوعى» استعراضاً وعرضاً وتحليلاً لأسماء كتب الصوفية مرتبة طبقاً لأشكالها الأدبية التى تعبر فى نفس الوقت عن أبعاد الوعى الموضوعى. أولاً: الوعى التاريخى، والوعى التاريخى الخالص، والوعى الموضوعى الخالص. ثانياً: الوعى النظرى: تطور الوعى النظرى من المعرفة إلى الوجود، تقنين المصطلح، مناهج التفسير، الأشكال الأدبية، تأثير البنية، الشروح، الملخصات. ثالثاً: الوعى العملى: العودة إلى التاريخ، العودة إلى علم الكلام، العودة إلى العلوم العقلية علوم الحديث والسيرة، الاغتراب فى المعجزة والخرافة، المناقب والكرامات، الطريق والطريقة والشيخ والمريد والمجتمع المثالى. رابعاً: الوعى العلمى وهو البعد الوحيد الذى تجاوز تصنيف الأعمال إلى تصنيف الموضوعات بداية بمقاييس التصنيف وعلوم الذوق وعلوم التصوف. ومع ذلك جاء العرض وكأنه أقرب إلى الفهارس العامة وشبكات المعلومات، خالياً من أى إبداع فى الأبعاد الثلاثة الأولى للوعى الموضوعى: الوعى التاريخى، والوعى النظرى، والوعى العملى. وهى نفس أبعاد الوعى فى «بنية النص» فى علم أصول الفقه^(١).

كان الهدف هو تفكيك النص الصوفى القديم، وضياح رهبته وقديسيته ببيان تركيبه كصناعة، وبنيته كروية لإفساح المجال لنص صوفى جديد، «من الفناء إلى البقاء». الهدف نبيل إلا أن الوسيلة كانت مدرسية مكتبية «أرشيفية» مما يصيب القارئ بالملل نظراً لغياب الرؤية الكلية التى فى عنوان الباب وأقسامه.

ومع ذلك كانت الفائدة جمة من أجل إعادة الوعى بالنص الصوفى، شكله الأدبى وتطوره. وإذا سقط نص هنا أو هناك فإنه لا ينفى الشكل الأدبى ومراحله نظراً لكثرة

(١) من النص إلى الواقع جـ ٢، بنية النص.

النصوص. فالنصوص وقائع متتالية، تاريخ يكشف عن بنية ممكن أن تستكمل التاريخ وتكتشف مواطن نقصه.

ج- وفي الجزء الثانى «الوعى الذاتى» يظهر نقد القدماء مبيّنًا أثناء العرض طبقًا لآليات التخفى. لم تكن هناك ضرورة لذلك نظرًا لأن التصوف ليس عقيدة. وهو نفسه متهم بالخروج عليها كما وجه إليه النقد في الحركات الإصلاحية خاصة محمد إقبال^(١). لذلك صعب التمييز بين الجديد والقديم بعد أن توارى الجديد في ثنايا القديم على نحو طبيعى. تكفى الولادة دون نمو الجنين حتى لا يترك الناس الأم ويجهضوا الجنين. فالأم هى الأساس. ويمكن أن تلد أكثر من مرة حتى لو تم إجهاض الجنين الأول.

كانت طريقة عرض مادة القدماء تركها تتحدث بنفسها عن نفسها من خلال التعريفات الكثيرة للتصوف وموضوعاته. أولاً التصوف الخلقى، الفقه والأخلاق، الفضائل والرزائل، وثانيًا التصوف النفسى، النفس وأنواعها، المقامات والأحوال والتوحيد ومستوياته، وثالثًا التصوف الفلسفى والإنسان الكامل والحقيقة المحمدية، النبوة والمعاد. ورابعًا التصوف العملى، الطريق والوحدة والطريقة. غلب فيها القديم على الجديد، والتعريفات القديمة على التأويلات الجديدة. فغاب الهدف من «تثوير» التصوف. ولم يتم التعرف على كيفية التحول من «الفناء» إلى «البقاء» كما يصرح العنوان. ولم يظهر إلا كحالين أو مقامين في فصل المقامات والأحوال في التصوف النفسى. ربما كان السبب بتقديس القديم وتعظيم القدماء والتواضع أمامهم أكثر من إبراز الجديد والاعتزاز به لدرجة الغرور عند بعض المجددين، وإبراز الذات على حساب الموضوع.

د- تاه الجديد فى الحضور الطاغى للقديم. وأصبح من الصعب العثور عليه إلا بعد تفتيش وتدقيق وقراءة ما بين السطور. ربما فرض ذلك طبيعة الدراسات التكوينية التى يهتمها رج القديم وهزه ونفضه من الغبار الذى تراكم عليه عبر السنين. وجلاء المرأة فى حد ذاته عمل جديد أفضل من صنع مرآة أخرى لا تعكس إلا صورها. ومن

(١) انظر كتابنا: محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، دار الأمير، بيروت، ٢٠٠٨.

كثرة ضغط القديم على الجديد، وضغط الرحم على الوليد حدث في النهاية ضيق شديد لدرجة الاختناق. كان الحل هو الانتظار حتى ينتهي «من الفناء إلى البقاء» دون العودة إلى طريقته في العرض، وأساليبه في التخفي. ربما كان السبب أن المؤلف نفسه من القدماء، خارجًا من بين القبور بالرغم مما يبدو عليه في مقاصده من التوجه نحو الجديد كما تدل عليه أجزاء مشروع «التراث والتجديد» وعناوينها «من.. إلى». فالأم هي الأصل. والوليد هو الفرع. ربما لأن المؤلف، باعتباره كائنًا تراثيًا، ماضوى الروح، سلفى النزعة كما يهتمه العلمانيون. ربما كانت روح الحضارة الإسلامية كلها مازالت متجهة إلى الماضي نظراً لأزمات العصر وانسداد التاريخ. ربما توقفه كلية وانقسام الأمة إلى غالبية سلفية وأقلية علمانية. وكلما زاد انسداد الحاضر وانعدام المستقبل اشتد التوجه نحو الماضي الذي تجد فيه الأمة هويتها وسبب انتصارها، والحافظ لها من الاندثار.

هـ- حدث نوع من التكرار نظرًا لعشرات التعريفات للموضوع الواحد وإيثار عرضها كلها. قصدها واحد وصياغاتها وفروعها متعددة. لم يُنسب كل قول لصاحبه إلا أحيانًا في الهوامش حتى يبقى الموضوع مستقلًا عن صاحبه. وأحيانًا يوضع التعريف بنصه وقصده. وأحيانًا تُعاد صياغته بعبارة شارحة أطول أو أقصر حتى يسهل توليد الجديد منها. فغلبت تعريفات القدماء وتكررت حتى أجهضت الموضوعات وغلفتها بعشرات من الصياغات. وفي نفس الوقت غابت التحليلات الذاتية، ووصف التجارب الشعورية. وهو منهج الصوفية، طريق الذوق. فبدأ التصوف نصوصًا وتعريفات وصياغات يفهمها القارئ بعقله ويتوه فيها لكثرتها أكثر منها تجارب وحقائق يشعر بها شعورًا مباشرًا ويدركها بحدسه.

العلم هو ما يخطر بالذهن، والخواطر جزء من تحليلات النفس عند الصوفية، ولكن ضاع في خضم المعلومات. كان الأولى الإبقاء على الخواطر ذاتها، والمعلومات معروفة، وإبراز الجديد وتواري القديم، ووضعه بصياغاته ونصوصه بين معقوفين في الهوامش فصلًا بين الجديد والقديم، الجديد أعلى الصفحة والقديم أسفلها. وبهذه الطريقة يُفصل الوليد عن الأم بعد ولادته في غرفتين منفصلتين أو يظهر الوليد بالتبني لغياب عملية الولادة.

حدث تكرار بين أبواب الجزأين. فأبواب الجزء الأول. ثلاثة: الوعى التاريخي، والوعى النظرى، والوعى العملى. وزاد رابعاً، الوعى العلمى. وأبواب الجزء الثانى: التصوف الخلقى، التصوف النفسى، التصوف الفلسفى، التصوف العملى. فالوعى التاريخى يقابل التصوف الخلقى لأن التصوف فى مرحلته الأولى كان علم أخلاق. والوعى النظرى يعادل التصوف الفلسفى. والوعى العملى يشبه التصوف العملى. ودخل التصوف النفسى فى الوعى النظرى. كما دخل الوعى العملى فى التصوف العملى. ويبدو أن تسلط البنية على الموضوع جعلتها تفرض نفسها عليه. وهو نوع من «الهيكلية» السائدة. نظراً لغلبة المنهج على الموضوع.

و- عنوان الجزأين واحد «الوعى»، مرة الوعى الموضوعى أى التصوف كتاريخ، ومرة الوعى الذاتى أى التصوف كتجربة. فالوعى أحد ركائز الإصلاح. ومشروع التراث والتجديد هو أحد مشاريع الإصلاح الثانى بعد نهاية الإصلاح الأول بأجياله الخمسة^(١).

الغاية إعادة بناء التراث القديم على بؤرة جديدة هى الوعى الفردى والجمعى تحولاً من «التيولوجيا» إلى «الانثربولوجيا» لبداية مرحلة جديدة فى الحضارة الإسلامية بعد مرحلتها السابقتين، عصر الازدهار فى القرون السبعة الأولى حتى ابن خلدون، والمرحلة الثانية مرحلة الشروح والملخصات والموسوعات فى القرون السبعة التالية لابن خلدون، وبداية المرحلة الثالثة فى القرن الخامس عشر لإكمال حركتى الإصلاح والنهضة فى القرنين الأخيرين. وتشبه بداية العصور الحديثة فى القرن السابع عشر فى الغرب عند ديكارت ويكون وما سبقها من إصلاح فى القرن الخامس عشر ونهضة فى القرن السادس عشر.

وقد تكرر أيضاً لفظ «النص» فى «من النص إلى الواقع» فى جزأيه. الأول «تكوين النص»، والثانى «بنية النص». وقد أمكن تلافى ذلك فى «من النقل إلى العقل» فى أجزائه

(١) انظر دراستنا السابقة، كبوة الإصلاح، دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٧٧-

الخمسـة «علوم القرآن»، «علوم الحديث»، «علوم التفسير»، «علوم السيرة»، «علم الفقه». بالرغم من أن كل جزء له هدف أيضًا وهو الانتقال من مرحلة إلى أخرى كما حدث في «علم الكلام» في «من العقيدة إلى الثورة». «فعلوم القرآن» «من المحمول إلى الحامل» أو من اللغة والبلاغة إلى العلوم الإنسانية، و«علوم الحديث» «من نقد السند إلى نقد المتن». و«علوم التفسير» «من التفسير الطولى إلى التفسير الموضوعى (العرضى)». و«علوم السيرة» «من الشخص إلى المبدأ» أو «من الرسول إلى الرسالة». و«علم الفقه» «من فقه العبادات إلى فقه المعاملات» أو «من الفقه الشرعى إلى الفقه الطبيعى» أو «من فقه الأحكام إلى فقه الوجود»^(١).

ز- استمر منهج تحليل المضمون المستخدم في «من النقل إلى الإبداع». كان الهدف هو معرفة اتجاه النص نحو النقل أم نحو الإبداع، نحو اليونان أم نحو القرآن عن طريق تحليل عناصره ومكوناته دحضًا لشبهة النقل عن اليونان^(٢). واستمر المنهج في «من الفناء إلى البقاء» لإثبات أن المصدر الأول في التصوف هو المصدر الداخلى للكتاب والسنة وباقى العلوم الإسلامية بالإضافة إلى ظروف العصر، وغياب المصدر الخارجى كلية باستثناء مرات نادرة يشار فيها إلى سقراط أو أفلاطون في النصوص المتأخرة. وقد لا يجب ذلك من لا يقدر المناهج الإحصائية مع أنها مناهج مضبوطة وأدلة حسية على صدق الافتراض النظرى. ويقى قليل منه في «من النص إلى الواقع» والأقل في «علوم القرآن» باستثناء المكونات العامة لمصنفاته الرئيسية مثل «البرهان» للزركشى و«الإتقان» للسيوطى. واستعاض عنه بمنهج إعادة قراءة النص القديم وإعادة بنائه طبقًا لظروف العصر وتحدياته الرئيسية.

ح- مازالت المحاولات تتسم بالضخامة في عدة أجزاء، على الأقل في جزأين وليس تسعة مثل «من النقل إلى الإبداع» أو «في خمسة مثل «من العقيدة إلى الثورة». أو

(١) انظر محاولتنا السابقة في علوم التفسير Thematic Interpretation وعلوم الحديث «من نقد السند إلى نقد المتن» وعلوم السيرة «الشخص أم المبدأ»، الدين والثورة في مصر ١٩٥٢ - ١٩٨١، ج٧، اليمين واليسار في الفكر الدينى، مدبولى، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٦٣ - ١٦٧.
(٢) من النقل إلى الإبداع، ج١ النقل، ج١ التدوين، ص ٤٥ - ٥٤.

في جزأين مثل «من النص إلى الواقع». كان من الصعب ضغط «من الفناء إلى البقاء» في أقل من جزأين. الأول «الوعى الموضوعى» عن التصوف التاريخي، والثاني «الوعى الذاتى» عن التصوف كطريق. الأول عن تاريخ النص الصوفي وأشكاله الأدبية والثاني عن التجربة الذوقية الصوفية.

وفي هذه المرة «من النقل إلى العقل»، بدأ المران على الضغط. فلم يعد في عمر الكاتب الكثير للكتابات المطولة. ولم يعد وقت القارئ الكثير ليقراً للمجلدات أمام ضغوط الحياة وسرعة الحصول على المعرفة من شبكات المعلومات والكتيبات الصغيرة والمجلات والصحف. فالنية ألا يتعدى كل علم من العلوم الخمسة جزءاً واحداً. حتى ولو كان ضخماً. فهو أفضل من جزأين أو خمسة أو تسعة. ومع ذلك مازال مشروع «التراث والتجديد» يغلب عليه الضخامة. فهذا الجزء «من النقل إلى العقل» في النهاية خمسة أجزاء. وما يشفع ذلك أن كل علم جزء واحد. وقد يكون السبب اللا شعورى في ذلك أن المؤلف من القدماء خارج من ثنايا القبور. يحمل عبق التاريخ.

٢- العلوم الثقيلة

بعد أن أعيد بناء العلوم الثقيلة العقلية الأربعة، علم الكلام في «من العقيدة إلى الثورة»، علوم الحكمة في «من النقل إلى الإبداع»، علم أصول الفقه في «من النص إلى الواقع»، علوم التصوف في «من الفناء إلى البقاء» جاء دور العلوم الثقيلة الخالصة. وهى خمسة: القرآن، والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. تركها القدماء دون إعمال العقل فيها لأنها كانت في مرحلة التجميع والرواية والتدوين. وضع القدماء أسسها بناء على معطيات عصرهم. ولم يطورها أحد بعدهم، قدماء أو محدثين باستثناء بعض الفرقعات الحديثة من بعض مدعى التجديد أثر مقالات بعض المستشرقين عن تاريخية القرآن، ووضع الحديث، وذاتية التفسير، والنيل من حياة الرسول الشخصية، والقطيعة من الشريعة والفقه القديم.

والعلوم الثقيلة هى أكثر العلوم أثراً في الثقافة الشعبية والموجودة بوفرة في المكتبات العامة والخاصة وفي المساجد والمعاهد الدينية، والمتوافرة بطبعات عدة في معظم العواصم العربية بأزهى الألوان، وأجل الإخراج، وأفخر أنواع التجليد، في عدة مجلدات.

وتكتب العنوان على مكعبات الأجزاء كلها بالخط المذهب. يوحى ذلك كله بدرجة التقديس لهذه العلوم والهالة التي تحيط بها. علم أصول الدين نخبوى. أحجمت العامة عنه لإبعادها عن المعتك السيسى كما فعل الغزالي في «إلجام العوام عن علم الكلام». وعلوم الحكمة علوم نخبوية متهمة في مصادرها اليونانية والفارسية، وفي مناهجها العقلية البرهانية، وفي نتائجها «إنكار وجود الله وخلق العالم وحشر الأجساد». وعلم أصول الفقه علم نخبوى للسادة الفقهاء. إنها علوم التصوف خاصة بمقاماتها وأحوالها وتحولها إلى أمثال عامية عن الصبر والرضا والقناعة والزهد والتوكل. تحولت إلى ثقافة شعبية للناس في حياتهم اليومية وفي حلقات الذكر والطرق الصوفية. أما العلوم النقلية فهي العلوم الشعبية التي يستمد منها الخطباء والوعاظ أحاديثهم. وهى التي يصعب إعمال العقل فيها. بل تحولت إلى علوم مقدسة موروثة لا يجوز للخلف أن يغير فيما وضعه السلف شيئاً.

والعنوان «من النقل إلى العقل» دال على مضمون الأجزاء الخمسة، إعمال العقل فيما تركه القدماء للنقل وحده، وجعل هذه العلوم الخمسة: القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه، علومًا واقعية خالصة كما تحولت العلوم العقلية النقلية الأربعة التي تمت إعادة بنائها من قبل إلى علوم عقلية واقعية خالصة أخذًا بالتدرج في مهام الأجيال حتى يتعود الناس على إعمال النظر فيها.

«من النقل إلى العقل» هو العنوان الجامع لهذه العلوم الخمسة. وكان من الصعب وضع عنوان آخر لكل جزء يدل على هذا المسار «من... إلى». كان يكفي «علوم القرآن»، «علم الحديث»، «علم التفسير»، «علم السيرة»، «علم الفقه». القرآن وحده هو «علوم» بالجمع لاعتماده على علوم اللغة والتفسير والفقه وأصول الفقه. في حين أن باقى العلوم «علم» واحد، الرواية في علم الحديث، وفهم القرآن في علم التفسير، وحياة الرسول في علم السيرة، والشرعية في علم الفقه. كما أن كسر الرتابة في العناوين أقرب إلى التجديد الداخلى وحتى لا يتساءل أحد القراء «تانى من... إلى». وبالتالي تنتهى النمطية من حيث الشكل وإن لم تنته الغاية والقصد. ومع ذلك فرض العنوان «من... إلى» نفسه على العلوم النقلية الخمسة كعناوين فرعية.

لم يبق في العمر الكثير، ستة عشر عامًا في «من العقيدة إلى الثورة»، وثلاثة عشر عامًا في «من النقل إلى الإبداع»، وأربعة أعوام في «من الفناء إلى البقاء»، وثلاثة أعوام في «من النص إلى الواقع» لأنه إعادة كتابة الرسالة الفرنسية الأولى «مناهج التأويل» التي استغرقت عشر سنوات بعد أربعين عامًا^(١).

أما هذه المرة فالنية معقودة على ألا يزيد كل جزء من الأجزاء الخمسة عن عام واحد، خاصة بعد التركيز على العلم دون المعلومات، وعلى خواطر النفس وخلجاتها دون التحليلات الكمية والإحصائية للعقل، وإبراز الحديد أكثر من تحليل القديم، وعلى الوليد أكثر من الأم^(٢). ونظرا للوضوح العلم والقصد فقد يستغرق أقل من ذلك. فمصنفات علوم القرآن وعلوم السيرة وعلوم الحديث محددة وإن كثرت تفاسير القرآن وتعدد فقه العبادات.

وتتمثل خطورة العلوم النقلية في أنها تعتمد على الحفظ والنقل. فالعلماء هم الحفاظ. والعالم هو الحافظ، السيوطي نموذجًا في كتابه «طبقات الحفاظ». فالمؤلف حافظ، والعلم حفظ بصرف النظر عن العلم والميدان^(٣). وهو العلم النبوي المنقول، ونموذجها العلوم

Méthodes d'Exégèse, essai sur les Fondement de la Compréhension, Ilm Usul al.Fiqh, Les (١)
le caire, Paris, ١٩٦٥.

(٢) وبالتالي ينتهي «من النقل إلى العقل» في غضون خمس سنوات (٢٠٠٨-٢٠١٢) ثم تبدأ الجبهة الثالثة «الموقف من الواقع» أو نظرية التفسير في (٢٠١٢-٢٠١٥) وأكون قد وصلت إلى سن الثمانين. أعود بعدها إلى الجبهة الثانية «موقفنا من التراث الغربي» وأضع في قلادة «مقدمة في علم الاستغراب» أحجار كريمة عشرة بدأتها بثلاثة: هوسرل في «تأويل الظاهريات وظاهريات التأويل»، وهي الرسالة الثانية التي كتبت منذ أكثر من أربعين عامًا: De l'Exégèse de la Phénoméologie à la Phénoménologie du l'Exégèse

وفشته في «فشته فيلسوف المقاومة»، وبرجسون فيلسوف الحياة، وبعدها ماكس شيلر والظاهريات الاجتماعية، نيتشه والعدمية المطلقة، ومونيه والشخصانية، وهيجل الفيلسوف المطلق واليسار الهيجل: باور وشترنر وفويرباخ، وشتراموس، وماركس الشاب، وكيركجارد فيلسوف الوجود، وشلنج فيلسوف الوحدة المطلقة. ويتم ذلك في خمسة أعوام أخرى إن أنسا الله في العمر كما يقول ابن سينا. وأكون بذلك قد بلغت الخامسة والثمانين (ولكل أجل كتاب) أبدأ في كتابة سيرتي الذاتية بالرغم من خطورتها على مشروع «التراث والتجديد» بجبهاته الثلاث إذ سيرك الناس المشروع يأخذون السيرة. ويقضون على موضوعية الفكر لصالح ذاتية التجربة.

(٣) الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ): طبقات الحفاظ، تحقيق على محمد عمر، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

النقلية الخمسة، القرآن والحديث، والتفسير، والسيرة، والفقه. طبقات الحفاظ مجرد أسماء أعلام لأسماء العلماء والأماكن والقبائل وأسماء الكتب مع قلة الشواهد النقلية، الآيات والأحاديث والأشعار. هي علوم الرواية وليست علوم الدراية. أقصى غايتها التوثيق والتضعيف والتصحيح والتجريح. وهو تلخيص لكتاب الذهبي «تذكرة الحفاظ» وتذييل عليه، حفظ حافظ عن حافظ، ونقل ناقل عن ناقل^(١).

ويقسم الحفاظ إلى طبقات طبقاً لمدى قربها من النبوة، الصحابة والتابعون، وتابعو التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ويقسم التابعون إلى طبقات كبرى ووسطى وصغرى طبقاً لقربهم من طبقة الصحابة. وتجمع الطبقة بين العلم والسلوك. وفيها تتفاضل الطبقات. تخلو حياة العلماء من حوادث دالة أثرت عليهم أو تجارب حية مروا بها وكأن الحفاظ مجرد آلات تسجيل أو أوعية للتخزين والحفظ. تفيد في التاريخ ومعرفة المؤلفين وأسماء مؤلفاتهم وتواريخ وفاتهم. وتدلل على احترام القدماء وضرورة الأخذ عنهم وربما تقليدهم.

والغاية التأسيس النظرى أكثر من إعطاء الأمثلة من الآيات والأحاديث حتى لا يتحول العلم إلى أمثلة تطبيقية كما يفعل الأزهريون. فالغاية تحويل العلوم النقلية إلى علوم عقلية يتم حولها الحوار، والعلوم النصية إلى علوم فلسفية.

٣- علوم القرآن

تعتمد علوم القرآن على الأدلة النقلية بمفردها دون الأدلة العقلية؛ لأنها علوم نقلية خالصة. لذلك كثرت الآيات استدعاء من الذاكرة في غياب المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن كما هو حادث هذه الأيام. وكانت تستعمل حبات الشعير لعد الآيات بالملئات والكلمات بالآلاف والحروف بعشرات الآلاف. وتكثر الأدلة النقلية لدرجة

(١) السابق، ص ١.

تحول الموضوع إلى مجرد إحصاء كمي ورصد للآيات والأحاديث^(١). هو نوع من المعجم المفهرس لآيات القرآن وأحاديث الرسول بناء على رؤوس موضوعات.

وتكثر الشواهد الشعرية بعد الآيات القرآنية. فالشعر ديوان العرب. والقرآن نزل بلغة العرب. وكثير من الاختلافات في التفسير يمكن حلها بالعودة إلى الشواهد الشعرية. ويمكن دراسة التعبيرات الشعرية في القرآن وبيان كيفية استعماله لها لأن الشعر أسبق. والمسافة بين القرآن والشعر ليست كبيرة. فالشعر قرآن لأنه من نفس النوع البلاغي. والقرآن شعر لأنه مُحمّل عليه. الإبداع الشعري مثل الإبداع القرآني إعجاز أدبي يثير الخيال. لذلك كان تفسير القرآن بالشعر ضمان لغوي. ولا يفسر الشعر بالقرآن لأن الشعر أسبق. الشعر حامل والقرآن محمول. لذلك عقدت فصول في الإعجاز لمقارنة أساليب البلاغة في القرآن والشعر.

وتعتمد علوم القرآن على مصدرين: الأول: الروايات الشفهية، والثانية: النصوص المدونة. وكلاهما مصدران نقليان.

وإذا ظهرت دلالة فقصيرة والأمثلة عليها كثيرة، الدلالة واحدة وتذكر عليها كل الأمثلة مما جعل علوم القرآن ثبتا بالآيات وإعادة تبويب لها طبقا لموضوعات العلم، أشبه بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن طبقا لكلماته، وفي وقت لم تكن دونت فيه المعاجم بعد.

وقد أعمل المتأخرون من القدماء بعض العقل في علوم القرآن وأكثرهم شهرة «البرهان» للزركشي (٧٩٤هـ). و«الإتقان» للسيوطي (٩١١هـ). وكانوا أكثر جرأة وشجاعة في تناول حوامل الوحي وليس فقط المحمول. والحوامل هي اللغوية والمكانية والزمانية والاجتماعية والتاريخية والثقافية. الحوامل هي الجسد، والمحمول هو الروح.

(١) ذلك واضح في النوع السادس والثلاثين «في معرفة غريبه» ٧٣٤ لفظا غريبًا بالإضافة إلى ٨٩ شامد شعري، الإتقان، ج٢/ ٣- ٨٨، والألفاظ التي في القرآن بلغة غير الحجاز ١٧٦ لفظًا، السابق ٨٩- ١٠٤، وبغير لغة العرب ١٢٠، السابق، ص ١٠٥- ١٢٠. في الإتقان للسيوطي قرابة ثمانية آلاف آية، ومثلها من الأحاديث وما يزيد على المائة من الشواهد الشعرية.

وعلوم القرآن هو التنظير التاريخي لكل موضوعات القرآن. لذلك جاءت متأخرة^(١).

وهناك قدرة على إبداع المصطلحات ووضع المناهج وتأسيس العلوم بعيدا عن الوافد. بعضها مستمد من علوم أخرى خاصة مثل علوم اللغة والبلاغة.

وقد تعرض بعض المحدثين لعلوم القرآن، منها الرصين العلمى، ومنها الفرقة الإعلامية. ومنها ما بدأ رصينا علميًا ثم تحول إلى زوبعة إعلامية. فعلوم القرآن للخاصة وليست للعامة، للجامعات ومراكز الأبحاث وليست للمصحف وقنوات الفضاء^(٢).

وعلوم القرآن هى علوم تجميعية من علوم اللغة والنحو والبلاغة. معظم أبوابها وفصولها فى اللغة. فاللغة هى الحامل الأول للوحى قبل الزمان والمكان. لذلك هى «علوم» بالجمع مثل «علوم» التصوف و«علوم» الحكمة وليست علماً بالمفرد مثل «علم أصول الدين» و«علم أصول الفقه». هى علوم موسوعية شاملة ظهرت فى عصر متأخر استطاعت تجميع العلوم السابقة عليها. وتعتمد على مئات من الاقتباسات مع علامة «انتهى».

ويتم الاعتماد على الحديث بطريقة أقل لأن الحديث لا يحكم على القرآن، وللقرآن أولوية عليه كما هو الحال فى تحليل الأصوليين للمصادر الشرعية الأربعة: القرآن والحديث والإجماع والقياس^(٣). ومع ذلك لا يعتمد على حل مشاكل التدوين والقراءات للنص القرآنى على الحديث لأن الأدنى لا يحكم على الأعلى فى ترتيب الأدلة الشرعية الأربعة. القرآن يحكم على الحديث، ولا يحكم الحديث على القرآن. والرسول مبلغ للقرآن وليس راوياً له فى حين أن المحدث راو للحديث. واحتمال خطأ التدوين فى القرآن أقل من احتمال خطأ الرواية فى الحديث.

(١) ويذكر السيوطى فى مقدمته عدة كتب أخرى مثل:

١- ابن الجوزى: فنون الأفتان فى علوم القرآن.

٢- علم الدين السخاوى: مجال القرآن.

٣- أبو شامة: المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز.

٤- شينذلة: البرهان فى مشكلات القرآن، الإيتان، جـ ١/ ١٨.

(٢) حسن حنفى: علوم التأويل بين الخاصة والعامة. قراءة فى بعض أعمال نصر حامد أبو زيد، حوار الأجيال، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٤٣٣- ٥١٢.

(٣) من النص إلى الواقع، جـ ٢، بنية النص، الفصل الأول، الوعى التاريخى، ص ٩٩- ٢٤٣.

والعلم الثالث هو علم أصول الفقه الذى يعتمد بدوره على علم الحديث فى الرواية وعلى علوم اللغة فى مباحث الألفاظ، وعلى الفقه فى المقاصد والأحكام. فعلم اللغة هو المصدر المشترك بين علم أصول الفقه وعلوم القرآن. ويدخل الفقه فى علوم القرآن فى معرفة الأحكام الشرعية.

ولا تعتمد علوم القرآن على علم السيرة لأن الرسول مجرد مبلغ للوحى وليس موضوعا بشخصه كما حدث فى علم السيرة، وفى الحقيقة المحمدية فى التصوف النظرى المتأخر ولدى الطرق الصوفية فى الدين الشعبى. ونادرا ما تظهر علوم التصوف أو علوم الحكمة لأن القرآن علم نقلى فى حين أن التصوف تجربة ذوقية. وعلوم الحكمة علوم عقلية.

ولما كانت علوم القرآن علوماً داخلية محضة لبيان حوامل الوحى اللغوية والأدبية والمكانية والزمانية والاجتماعية والثقافية فإن علوم الحكمة التى تعتمد على تفاعل الداخل والخارج لم تكن بذى فائدة ولو أنه تظهر إشارات بين الحين والآخر إلى إخوان الصفا أى إلى ممثلى علوم الحكمة فى الداخل وليس إلى سقراط أو أفلاطون أو أرسطو.

وعلوم القرآن ليست علوماً مقدسة بل تبين الحوامل اللغوية والثقافية والاجتماعية والزمانية والمكانية للوحى. الوحى المقدس هو العلم الإلهى وحده قبل التدوين. ومنذ تدوينه فى اللوح المحفوظ بصرف النظر عن لغته أصبح مدوناً فى اللغة والزمان والمكان، له حوامله المخلوقة، ومنذ نزول جبريل به فى ذهنه واللغة العربية التى تكلم بها وسمعها الرسول وقد تعين الوحى أكثر فأكثر حتى فهم الرسول له ثم فهم الناس من الرسول بعد سماعه منه. ففى كل مرحلة يزداد التعين، وتكثر الحوامل وتبتعد عن المحمول الأول وهو كلام الله فى العلم الإلهى.

علوم القرآن موضوع للدراسة وليست موضوعاً للتقديس. وكلما كثرت الحوامل زاد فهم المحمول. هى موضوع للبحث وليس من عقائد الإيمان كما حدث بعد ذلك بما يزيد على ألف عام فى الحضارة الغربية بتأسيسها علم «النقد التاريخى للكتاب المقدس» لإعادة النظر فى طرق النقل الشفاهى والنقل الكتابى^(١).

(١) ظاهريات التأويل، محاولة تفسير وجودى للكتاب المقدس، مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٥.

وعلوم القرآن تجعل القرآن موضوعاً للعلم. وتخضع الوحي إلى منطق للنزول ومعرفة حوامله اللغوية لأن اللغة كانت العلم الأول من القدماء مثل العلوم الإنسانية عند المحدثين. وهى مملوءة بالخلافات مثل علم الفقه بالرغم مما يوحى به موضوعها وهو القرآن من اتفاق المسلمين والإجماع عليه. وترجع الاختلافات إلى اختلاف الروايات والقراءات^(١). ولا يهم رصد الخلافات حول الحوامل اللغوية والمكانية والزمانية بل دلائلها على المضمون. وقد تكون خلافات غير مؤثرة. وذلك مثل الخلافات حول المكى والمدنى. فالمكى للتصور والمدنى للنظام، المكى للعقائد والمدنى للشرائع.

ودونت علوم القرآن فى عصر متأخر كانت الأشعرية فى العقائد والشافعية فى الفقه قد أصبحتا ثقافة شعبية عامة، للعامة والخاصة مما يفسر طغيان الغزالى والشافعى فى «البرهان» للزركشى.

وإذا كانت البداية تحليل القدماء فليس لنقله وعرضه بل لتأويله وتجاوزه. نقل القدماء عن بعضهم البعض نصاً. واقتبس المتأخرون عن المتقدمين نصوصاً بعلامة «انتهى» وزادوا عليها كما. والبداية هنا من مادة القدماء معنى وتقسيماً لتأويلها وإعادة بنائها. وقد استعملت طريقة النص الأم مثل الدولة - القاعدة فى السياسة ثم إضافة باقى النصوص قبله وبعده عليه بعد أن اكتملت بنيته ووضعت معالم العلم. والنص - العمدة فى علوم القرآن هو «الإتقان» للسيوطى. ويليه «البرهان» للزركشى. وهى نفس الطريقة التى اتبعت فى «من النص إلى الواقع» حيث كان النص النموذج «المستصفى» للغزالى. يليه «الموافقات» للشاطبى. فى حين اتبع فى «من الفناء إلى البقاء» تطور النصوص كلها من البداية إلى النهاية، منذ «الرسالة القشيرية» حتى «جامع الأصول» للنقشبندى.

٤ - تطور علوم القرآن

وقد استمرت موضوعات علوم القرآن متاثرة جزئية قبل اكتمالها فى «البرهان» والإتقان» وبعدها. وزاد التأليف فيها أكثر من علوم القرآن المكتملة ومازال حتى الآن لدرجة أنها أصبحت موضوعات أو حتى علومًا مستقلة بذاتها عن علوم القرآن.

(١) الإتقان، ص ٢٣.

ونشأت محاولات تجميعية كلية مثل «البرهان» و«الإتقان» في «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ) و«الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان» لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ). لقد نظرت علوم القرآن نفسها بنفسها، وبنت نفسها بنفسها بتطور العلم من المتقدمين إلى المتأخرين، من المشاركة إلى المغاربة، ومن المصاروة إلى الشوام.

أ- «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ) وهو مازال يتحسس الطريق حتى من حيث العنوان نحو علوم القرآن^(١). هو تصنيف يحتاج إليه أهل القرآن خاصة القراءات السبع، ثم كتابة في عهد الخلفاء والضبط^(٢). وعلم القراءات جزء من علوم القرآن دون أن يستقل عنه بعد.

وقد أقيم العلم على ستة موضوعات: كيفية نزول القرآن وتلاوته وذكر حفاظه وهي القراءة، جمع الصحابة وهو التدوين، معنى قول النبي نزول القرآن على سبعة أحرف وهو القراءة والتفسير، والقراءات السبع المشهورة، والفصل بين القراءة الصحيحة القوية والشاذة الضعيفة المروية، والإقبال على ما ينفع من علوم القرآن والعمل بها، وترك التعمق في تلاوة ألفاظه والغلو بسببها أى التحول من النظر إلى العمل، ومن الرواية إلى الفعل بتعبير المحدثين^(٣).

فالكتاب على وعى بالحوامل الموضوعية الذاتية أى الرواية والخبر والقراءة والتدوين دون الحوامل الموضوعية، المكان والزمان والوضع الاجتماعى أو الحوامل الذاتية وهى اللغة، اللفظ والمعنى، وأساليب البلاغة، والتفسير. ولا يقل فيه التحليل النظرى عن الشواهد النقلية مما يدل على قرب التحول إلى علوم القرآن.

(١) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة المقدسي: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، حققه طيار أكتى فولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

(٢) «فهذا تصنيف جليل يحتاج إليه أهل القرآن خصوصا من يعنى بعلم القراءات السبع ولا يعرف معنى هذه التسمية ولا ماذا نحاها الرسول.. ولا يدري ما كان الأمر عليه في قراءة القرآن وكتابه في حياة النبي إلى أن جمع بعده في خلافة أبى بكر ثم جمع في خلافة عثمان.. ولا يمتدى إلى ما فعله كل واحد منهما، وما الفرق بين جميعهما، وما الضابط الفارق بين القراءات الشواذ وغيرها»، السابق، ص ٦.

(٣) السابق، ص ٦ - ٧.

يعتمد على الآيات والأحاديث والأشعار وأعمال السابقين مثل الغزالي والاستشهاد بمقتطفات من أقواله. وتحلل بصياغات مختلفة لنفس الحديث مثل حديث نزول القرآن على سبعة أحرف بين الحديث الموضوعي والحديث الخيالي بتدخل جبريل للتخفيف على الأمة والتيسير عليها وكما هو الحال في الصياغات المتعددة لحديث الفرقة الناجية في علم أصول الدين^(١). ولا يعنى الحرف تغير الكلمة فهذا تدوين. إنما يعنى الصوت أو الفهم، اللفظ أو المعنى أو الشيء^(٢). وتساعد الفهارس التحليلية الأخيرة للآيات والأحاديث والأعلام والقبائل والجماعات والأماكن والبلدان والأيام (المواقع) على معرفة مكونات الكتاب^(٣).

ب- «الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان» لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)^(٤)

وهى محاولة لوضع علوم القرآن ككل ولكن غلب عليها البيان أى أساليب القول وفنون البلاغة وهى الحوامل الذاتية الخاصة باللغة وكما يتضح من العنوان وقرن علوم القرآن بعلوم البيان. فعلم القرآن فى إطار علوم اللغة^(٥).

ويظهر ذلك فى قسمة الكتاب إلى ثلاثة أقسام. الأول عن البديع، والثانى عن المعنى، والثالث عن اللفظ مع قلب الترتيب: اللفظ والمعنى والبديع^(٦). وأكبرها المعنى.

(١) السابق، ص ٩- ١٠ / ٢٣.

(٢) السابق، ص ١١٤.

(٣) الأحاديث (٦٤). الأعلام: عثمان بن عفان (٥٦)، زيد بن ثابت (٣٣)، ابن عباس، ابن مسعود (٣١)، أبو بكر، عمر (٣٠)، ابن أبى كعب، ابن سلام (٢٦).

(٤) الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى: المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).

(٥) وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة، وأجناس البلاغة، وأنواع الجزالة، وفنون البيان، وغوامض اللسان، وحسن الترتيب والتركيب، وعجيب السرد، وغريب الأسلوب، وممدوحة المساغ، وحسن البلاغ، وبهجة الرونق، وطلاوة المنطق، ما أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفضلاء، وألقى بلاغة البلغاء من العذب، وطاشت به حلومهم، وتلاشت دونه علومهم، وكلت ألسنتهم الذوية، واقتصرت خطبتهم المسبية، وقصائدهم المقربة، وأراجيزهم المعربة، وأسجاعهم المطربة... السابق، ص ٨.

(٦) البديع (٩٠)، المعنى (١٣٨)، اللفظ (٤٠).

ثم ينقسم كل قسم إلى أقسام^(١). وكلها على درجة عالية من التنظير اللغوي البلاغي مع القدرة على إيجاد مصطلحات البيان والبديع ومفاهيم البلاغة وفنون القول لدرجة وضع منطق لغة للبيان مع وفرة في التقسيمات وصعوبة العد والإحصاء والتعامل مع المفاهيم. فالفصاحة والبلاغة لها أقسام تضم الحقيقة والمجاز وتبادل الأسماء على المسميات^(٢). والمعاني لها أقسام تدل على الصلة بين الانفعالات والأشكال الأدبية كما هو واضح في فنون الخطابة والحوار بين المخاطبين^(٣). والبديع له أقسام تدل جميعها على حسن الخطابة والحوار بين المخاطبين^(٤). فهل هذا التحليل البياني كله استشهاد بالقرآن على اللغة أم استشهاد باللغة على القرآن؟ من يثبت ماذا؟ أين الدليل وأين المدلول؟ فإذا كان تطبيق أساليب البلاغة العربية على القرآن فأين الإعجاز؟

(١) البديع (٥٤)، المعنى (٨٤)، اللفظ (٢٤).

(٢) تنقسم الفصاحة والبلاغة إلى: حدما واشتقاقها والفرق بينهما، والحقيقة والمجاز وأقسام كل منها، إطلاق اسم السبب على السبب والمسبب على السبب واسم الفعل على الفاعل، واليعض على الكل والكل على البعض، والفعل على مقاربه، والشيء على ما كان عليه ويؤول إليه، والتوهم على المتحقق، والظن على الاعتقاد، كما يضم التضمين واللزوم والتجوز في الأسماء والأفعال والحروف والاستعارة والتشبيه والتمثيل والإيحاء والاختصار والتقديم والتأخير.

(٣) وتنقسم المعاني إلى: التناسب أو التشابه، التكميل، التقسيم، المزاخاة، الاعتراض والحشو، التفات، العمل على المعنى، الزيادة في البناء، الإطالة والإسهاب، التكرار، القسم، الاقتباس، التذليل، المغالطة، الإشارة، الكناية، التعريض، الاستطراد، التورية، الاحتجاج النظري، حسن المطالع والمبادئ، حسن المقطع، براعة الاستهلال، التخلص والانتقال من فن إلى فن، الاقتضاب، التطبيق، المقابلة، الاحتراس، الاختصاص، الاختراع، الهدم، الاستفهام، المزلزل، التعجب، السلب والإيجاب، الهزل الذي يراد به الجحد، التلميح، النسخ والسلف، المسخ، التعديد، الموجه، المحتمل الضدين، التجريد، الرجوع والاستدراك، السؤال والجواب، التوهم، التشعيب، الاستثناء، الغرابة والظرافة والسهولة، ما يوهم فسادا وليس بفساد، النادر والبارد، المساواة والتقصير، التصريح بعد الإيهام، التعقيب المصدري، النفي والإثبات، الضمائر وما ينطق بها، الفصل والوصل، عطف الجمل بالواو والفاء وثم، الوصف، تنسيق الصفات بغير حق نسق، حسن النسق، المدح والذم، الحمد والشكر، المدح بما يشبه الذم، المبالغة، الرثاء والتعزية، الشكائية، الحكائية، الاقتضاء، التذكير، الوعد والوعيد، العتاب والإنذار، الاعتبار، الاعتذار، تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل، الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية، لام التأكيد، الاقتضاء والإفراط والتفريط، الغزل، التشبيب، الاستدراج، خذلان المخاطب، التعليق والإدماج، الاستخدام، التصغير.

(٤) مثل: التهذيب، الانسجام، الاشتقاق، الجزالة والردالة، السهل المستع، الرشاقة والجهامة، الفك والسبك، الحل والعقد، الازدواج. تضمين المزدوج، التسجيع، الترصيع، التسميط، التجزئ، التوشيح، براعة المطلب وحسن التوصل، المخالفة، لزوم ما لا يلزم، التخويف، التطريز، ما يقرأ من الجهتين، رد العجز على الصدر، التسهيل، الاتفاق والاطراد، إعجاز القرآن.

ويعتمد الكتاب على الشعر الحديث^(١). أحيانا منسوباً لقائله وأحيانا يكون مرسلًا مجهولاً. ومرة يذكر الديوان لشهرته دون الشاعر مثل ديوان «الحماسة»^(٢). والرسول صاحب بلاغة، فقد أوفى جوامع الكلم، وهو من أفصح بلغاء العرب^(٣). ويتقدم المتنبي ثم امرؤ القيس وأبو تمام ثم البحترى ثم النابغة ثم زهير ثم أبو نواس. فالشعر مثل القرآن وعاء البلاغة. وذلك مثل أفية الرسول على مستوى المنطق^(٤).

ج- «مناهج العرفان في علوم القرآن» للزرقاني

ويكشف عن استمرار التأليف في علوم القرآن حتى الكتب المقررة في الجامعات والمعاهد الأزهرية بما تتسم به من وضوح وترتيب وعرض للمشاكل. المباحث أقل، سبعة عشر بحثاً. تصنف في جزأين: الأول أحد عشر بحثاً، والثاني ستة أبحاث^(٥). تجمع المادة العلمية القديمة دون ترتيب خاص. ولكل مبحث خاتمة للاستدكار. والعناوين مطبوعة بالمداد الأحمر من أجل الإبراز والإيضاح والتذكير والتركيز، كما يتسم بالموضوعية وعدم أخذ المواقف الجديدة في الخلافات القديمة. ومع ذلك يدافع عن القرآن. فكل خلاف شبهة. وعلوم القرآن جزء من الدعوة والإرشاد.. والكتاب على وعى بالمنهجين المتبعين: السرد التاريخي، والدفاعي الجليل. وأثر الكتاب المنهج الثاني دون التنازل عن الوضوح والترتيب والهدوء والغاية التعليمية^(٦). وهو الأسلوب الأزهرى الذى يعتمد على الدفاع ومخاطبة الطلاب والربط بين الإسلام والعلم الحديث، إنجاز العصر، وتعمق أسرار التشريع. تعريفات الموضوعات إيمانية أكثر منها عقلية

(١) الأشعار (٤٠٠)، الأحاديث (٥١).

(٢) الفوائد المشوقة، ص ٦٠ / ١١٣ / ٢٥٩.

(٣) السابق، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤) المتنبي (٢٥)، امرؤ القيس، أبو تمام (١٧)، البحترى (١١)، النابغة (٩)، زهير (٨)، أبو نواس (٥)، كثير عزة، أبو فراس، ابن المعتز، الحارث بن حلزة، الحريرى (٤)، الفرزدق، الأخطل (٣)، وعشرات آخرون.
(٥) حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهج العرفان في علوم القرآن، طبق ما قرره مجلس الأزهر الأعلى في دراسة تخصص الكليات الأزهرية. وهو مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بتخصص الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين سابقاً. خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، طبعة جديدة كاملة في مجلد واحد. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م - ١٤٢٤هـ.

(٦) السابق، ص ٣ - ١٣.

للخاصة والعامّة. يجيب على الشبهات. ويرقم انخج والأدلة للإثبات اعتمادا على تحليل التجارب الطبيعية كما يفعل المعاصرون. ويرد على الخلافات ويعتبرها شبهات وعبويًا أخلاقية. فأصبح الكتاب وكأنه ساحة حرب. كله دفاع. والخاصة في آخر كل بحث دفاع^(١). والعدو هو الغرب المادي^(٢). ويدخل في الثقافة الغربية القديمة والحديثة مثل الفيلسوف أفلاطون والشاعر موسى^(٣).

ويعتمد على مادة القدماء، متكلمين، وأصوليين، وفقهاء، ولغويين، ونحويين مع بعض العلوم المستحدثة مثل علم الأعداد. وتؤخذ منها اقتباسات تدل عليها العلامة «أ هـ»^(٤). يبدأ بتاريخ علوم القرآن المنشور والمخطوط والمفقود. ويتعرض بشجاعة إلى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ دون خوف من إبراز الحوامل المكانية والزمانية للوحي. والأدلة من القرآن ثم من الحديث ثم من الشعر. وأحيانًا يتم الاستطراد في إثبات الوحي أو المعجزات بالمعنى التقليدي، خرق قوانين الطبيعة، وليس بالمعنى الجديد، الإعجاز اللغوي والبلاغي والتشريعي^(٥).

وعلوم القرآن في شكلها النهائي الكامل من العلوم المتأخرة للغاية بالرغم من أن القرآن هو المعطى الأول للوحي، وسابق على نشأة كل العلوم. كان علم الكلام أسبق لحاجته في النزاع السياسي الذي نشأ حول الخلافة والإيمان^(٦). وكان التصوف سابقاً لأنه رد فعل على الاتجاه نحو العالم والصراع على الدنيا^(٧). ونشأ علم أصول الفقه مبكراً لحاجته في استنباط الأحكام «الأشبه بالأشبه والنظائر بالنظائر»^(٨). الفلسفة هي التي تأخرت إلى القرن الثالث إلى ما بعد الترجمة في القرن الثاني.

(١) السابق، ص ٢٦ / ١٦٠ / ١٧٥ / ٢١٨.

(٢) السابق، ص ٣ / ١٣.

(٣) السابق، ص ٤٥.

(٤) السابق، ص ٣٤.

(٥) السابق، ص ٢٧ - ٢٨.

(٦) من العقيدة إلى الثورة ج ١، المقدمات النظرية، ص ١٢١ - ١٢٦.

(٧) من الفناء إلى البقاء ج ١، الوعي الموضوعي.

(٨) هو قول مقتبس من رسالة عمر إلى الليث بن سعد، من النص إلى الواقع ج ١، تكوين النص، ص ٢٣ - ٢٤.

وأهم مؤلفين كاملين في علوم القرآن: «البرهان» للزرخشى (٧٩٤هـ) و«الإتقان» للسيوطى (٩١١هـ).

د- «البرهان» للزرخشى (٧٩٤هـ)

ونظرًا لأهمية علم التفسير كمادة أولى لعلوم القرآن يخصص «البرهان» الفصل الأول في المقدمة له^(١). ويحتاج إلى عدة علوم من علوم القرآن مثل اللغة والنحو والصرف والبيان وأصول الفقه والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ^(٢). وتتعدد مناهج التفسير كما بين مختصر ومبسوط، ومناهج، فكل تفسير يغلب عليه حكم أو اتجاه مثل «الغريب» لدى الزجاج والواحدى، والقصص لدى الثعلبى، والبيان عند الزمخشري والكلام وياقى العلوم العقلية عند فخر الدين الرازى^(٣). والدافع على علم التفسير كمال فضيلة المصنف وقدرته على إظهار المعانى الخفية، وبيان بعض مقدمات الأقيسة أو شروطها، وتوضيح معانى الألفاظ المجازية أو بالاشتراك^(٤).

وتشمل علوم القرآن علومًا عديدة^(٥). وقد يعنى تعدد العلوم تعدد التأويلات. فلكل كلمة ظاهر وباطن، حد ومصطلح. وقد تكون العلوم الثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام، التوحيد هو علم الكلام، والتذكير أقرب إلى التصوف، العود والتصفية، والأحكام أقرب إلى الفقه والتكاليف والمنافع والمضار^(٦). وهى متضمنة فى الفاتحة. وقد تكون العلوم الثلاثة التوحيد والنبوة والتكليف أى العقيدة والشريعة. وقد تكون العلوم أربعة: أمر ونهى وخبر واستخبار. وقد تكون ستة بإضافة الوعد والوعيد. وكلها منطق الألفاظ. وقد تتعدد العلوم إلى أربعين أى كل موضوعات القرآن، وصياغاتها

(١) البرهان ج١/ ١٣-١٦.

(٢) السابق، ص ١٣.

(٣) السابق ج١، ص ١٣.

(٤) السابق ج١، ص ١٤.

(٥) السابق ج١/ ١٦. خسون أو سبعة آلاف أو سبعون ألف علم على عدد أحكام القرآن وضروبه فى أربعة.

السابق، ص ١٧.

(٦) السابق، ص ١٧-٢١.

اللغوية، وأشكالها الأدبية. وقد تكون العلوم الأربعة: الإعراب وهو في الخبر، والنظم وهو في القصد، والتصريف في الكلمة، والاعتبار ويتضمن الاستنباط والاستدلال.

وطبقاً لأسماء الأعلام الواردة في «البرهان» يأتي الزخشرى أولاً مما يدل على أولوية علم التفسير ثم سيبويه وابن جنى مما يدل على أهمية علم اللغة بعد علم التفسير. ثم يأتي مؤسسو علوم القرآن مثل: أبو على الفارسي وأبو جعفر النحاس، والواحدى. ومن المحدثين أحمد بن حنبل ثم البخارى ثم الترمذى. ومن الفقهاء أبو حنيفة ثم ابن العربى ثم ابن عبد البر ثم الطرطوشى. ومن المتكلمين الجوينى ثم الأمدى. ومن الصحابة ابن عباس ثم ابن مالك ثم ابن مسعود. ومن الصوفية الأخلاقيين أبو الحسن البصرى ثم القشبرى. ومن الشعراء المتنبى ثم أبو تمام. ومن الخلفاء عثمان ثم عمر ثم أبو بكر. ومن الأنبياء محمد ثم موسى ثم عيسى ثم إبراهيم ثم يوسف ثم آدم^(١).

ومن الفرق يتقدم الصحابة مما يدل على ارتباط علوم القرآن بالمرويات ثم الكوفيون ثم البصريون أهم مدرستين في تكوين علوم اللغة، ثم اليهود والنصارى مقارنة بأصحاب الكتب المقدسة السابقين، ثم الأنصار^(٢). ومن الفرق الإسلامية المعتزلة أولاً أصحاب المدرسة العقلية المتميزة في العلوم الإسلامية ثم الإسماعيلية والصوفية. ومن القبائل تتقدم قريش ثم بنو تميم ثم ثقيف ثم هوازن ثم ربيعة ثم قيس ثم هذيل^(٣). ومن الأمم بنو إسرائيل أصحاب التدوين السابق^(٤).

(١) من المفسرين: الزخشرى (١٢١)، أبو حيان النحوى (١٩)، الجرجاني (١٣)، السجستاني (١١). ومن اللغويين: سيبويه (٩٤)، ابن جنى (٥٨)، الفراء (٤١)، المبرد (٣٥)، الزجاج (٢٨)، الكسائي (٢٧)، السكاكى، أبو البقاء (٢٤)، البطليوسى (١٠)، السرافى (٧). ومن علماء القرآن: أبو على الفارسي (٦٧)، أبو جعفر النحاس (٤٧)، الواحدى (٣١). ومن المحدثين: أحمد بن حنبل (٢)، البخارى (١٩)، الترمذى (١٠)، النووى (٧). ومن الفقهاء: أبو حنيفة (١٥)، ابن العربى (١٣)، ثم الماوردى (١٢)، ابن عبد البر (١١)، الطرطوسى (٦). ومن المتكلمين: الجوينى (١٢)، الأمدى (٤). ومن الصحابة: ابن عباس (٨٢)، ابن مالك (٥٧)، ابن مسعود (٥٦)، ابن أبى كعب (٢٩)، مجاهد (١٨)، زيد بن ثابت (١٤)، مقاتل بن سليمان (١٠). ومن الشعراء: المتنبى (٥)، أبو تمام (٤). ومن الصوفية: أبو الحسن البصرى (١٧)، القشبرى (٥). ومن الأنبياء: محمد (١٩٧)، موسى (٥٠)، عيسى (١٤)، إبراهيم (١٩)، يوسف (١١)، وآدم (٧). ومن الخلفاء: عثمان (٣٢)، عمر (٢٦)، أبو بكر (٢٣).

(٢) من الفرق: الصحابة (٢٩)، الكوفيون (٢٨)، البصريون (٢٤)، اليهود (٢٢)، النصارى (٦)، الأنصار (٤)، الحنفية (٢)، الإسماعيلية، الصوفية (١).

(٣) من القبائل: قريش (١٧)، بنو تميم (١٠)، ثقيف (٧)، هوازن، ربيعة (٤)، قيس (٣)، هذيل (٢).

(٤) من الأمم: بنو إسرائيل (٨).

ويعتمد «البرهان» على عديد من الكتب السابقة. يتقدمها «الكشاف» للزغشري ثم باقى كتب الزغشري الأخرى مثل «الكشاف القديم» و«المفصل» ثم تفسير الرازى ثم تفسير البغوى ثم الطبرى. ومن كتب اللغة يتقدم الكتاب لسيويه ثم «فقه اللغة» لابن فارس ثم «المحتسب» لابن جنى و«منهاج البلغاء» لحازم القرطاجنى، ثم الكامل للمبرد و«القد» لابن جنى. ومن كتب الحديث يتقدم صحيح البخارى ثم صحيح مسلم ثم مسند ابن حنبل ثم سنن أبى داود. ومن كتب علوم القرآن يتقدم إعجاز القرآن للباقلانى ثم فضائل القرآن لأبى عبيد ثم الانتصار للباقلانى. ومن كتب الكلام يظهر شعب الإييان للييهقى. ومن كتب الفقه الرسالة للشافعى والعمدة للطرطوشى. ومن كتب تصنيف العلوم مفتاح العلوم للسكاكى^(١).

ومن الأشعار فى «البرهان» تزيد الشواهد الشعرية على المائة. والإعجاز حوالى عشرة^(٢). ومن الشعراء يتقدم المتنبى وامرؤ القيس، ثم جرير وذو الرمة وطرفة، ثم أمية ابن أبى الصلت والفرزدق والمجنون ثم الكميت^(٣).

ويستشهد بالأشعرية والأشعرى على القول بامتناع كون القرآن سجعاً^(٤). كما يستشهد بالأشعرى بقوله إن القرآن مشتق من قرنت الشيء بالشيء لضم السور

(١) كتب التفسير: الكشاف للزغشري (٢٠٤)، الكشاف القديم للزغشري (٩)، تفسير الرازى، تفسير البغوى (٦)، المفصل للزغشري (٦)، تفسير الطبرى (٤). كتب اللغة: الكتاب لسيويه (٥٩)، فقه اللغة لابن فارس (١٣)، منهاج البلغاء لحازم الأندلسى (١٠)، الكامل للمبرد (٧)، المحتسب لابن جنى (٥)، الخاطريات لابن جنى (٤)، القد لأبى الفتح بن جنى (٥). كتب الحديث: صحيح البخارى (٣٢)، صحيح مسلم (٢٠)، المستدرك للحاكم (١٢)، المسند لابن حنبل (٧)، سنن أبى داود (٤). كتب أحكام القرآن: إعجاز القرآن للباقلانى (١٣)، فضائل القرآن لأبى عبيد، الانتصار للباقلانى (٨)، إعجاز القرآن للخطابى (٤)، أحكام القرآن لابن عربى (٢)، دلائل الإعجاز للجرجانى (٣). كتب الكلام: شعب الإييان للطرطوشى (٣). كتب تصنيف العلوم: مفتاح العلوم للسكاكى (٨).

(٢) عدد الشواهد الشعرية (١٠٩). الإعجاز (٩).

(٣) الشعراء: المتنبى، امرؤ القيس (١٠)، الفند الزمانى (٦)، جرير، طرفة (٥)، ذو الرمة، أمية ابن أبى الصلت، الفرزدق، المجنون (٤)، الكميت، ابن زبانة، عبد الله بن الزبير، النابغة الجعدى، العرنيس، القاضى التنوخى، أنيف بن خريط (٢).

(٤) البرهان ج١/ ٥٤.

والآيات والحروف كما يقال قران للجمع بين الحج والعمرة^(١). ونفى الأشعرى أن يكون في القرآن شيء أفضل من شيء^(٢). والأشعرى من القراء وجماعة أهل المعاني، أن معنى ﴿استوى﴾ أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه دون تعطيل وتشبيه^(٣). وكذلك وجود الله في السموات والأرض أى العلم. في حين أن الأشعرى يجعل اليد صفة وليست مجرد القدرة في آية ﴿لما خلقت بيدي﴾^(٤). وفي الإعجاز أقل ما يعجز عند الأشعرى السورة قصيرة أم طويلة^(٥). وكل سورة علم أنها معجزة يعجز البشر عنها. ويعلم الإعجاز ضرورة. وعند الأشعرى كل لام نسبها الله لنفسه فهي للعاقبة والصيرورة دون التعليل لاستحالة الغرض^(٦).

ويستشهد بقول الحسن البصري بأن علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال^(٧). ويستشهد بقوله في أسباب النزول أن الإباحة فيما سلف وليس فيما هو آت^(٨). وأن القرآن من أمر الله إذا شاء رفعه. ويستشهد بالحسن بأن ما في القرآن ﴿يا أيها الناس﴾ مكى، و﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ في المدينة^(٩). وعد حروف القرآن بالشعر فأجمع مع رفاق أن كلماته ٧٧،٤٣٩ كلمة وعدد حروفه ٣٠٠٢٣٠٠٠^(١٠). ويستشهد به في تفسير آية ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ أى ميقاتهم^(١١)، ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ أى عصمهم. ويستشهد به في القراءات العشر^(١٢). وفي قراءته آية ﴿ليريه﴾، ﴿يا حسرة

(١) السابق، ص ٢٧٨.

(٢) السابق، ٤٣٨ / ٤٤٠.

(٣) السابق ج ٢ / ٨٢ / ٨٣.

(٤) السابق، ص ٨٥.

(٥) السابق، ص ١٠٨ - ١١١.

(٦) السابق، ص ٣٤٦.

(٧) السابق ج ١ / ٧.

(٨) السابق، ص ٢٨، ج ٤ / ٤٥.

(٩) السابق، ص ١٩١.

(١٠) السابق، ص ٢٤٩.

(١١) السابق، ص ٢٩٤، ج ٣ / ٤٣٧.

(١٢) السابق، ص ٢٣٥، ج ٣ / ٣٢٢ / ٣٥٣.

على العباد». ويستشهد به في القراءات^(١). ويعتمد على الحسن للتوفيق بين آيتين^(٢). وأيضاً رده على تفسير أبي العالية «الذين هم عن صلاتهم ساهون» في الاختلاف في وجوه الإعجاز^(٣). وهو من التابعين الذين يؤخذ عنهم التفسير^(٤). وفي تفسير حديث الآية والظهر والبطن والحد والمطلع البحث عن الظاهر يؤدى إلى الباطن^(٥). ويعتمد عليه في إطلاق اسم الحال على المحل أى الرؤية في العين^(٦). ويستشهد به في قوله «لولا أنى مأذون لى في ذكر اسمه لرأت به عن مسلك الطعام والشراب». وهو الفهم^(٧). وفي الصفات يعتمد على الماتريدى في أن الصفة تأتى لازمة لا للتقييد جمعاً بين إثبات الصفات عند الأشاعرة ونفيها عند المعتزلة بين التشبيه والتنزيه^(٨). ويذكر قول النظام في وجه الإعجاز وهى نظرية أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدوراً لهم ولكن عاقهم أمر خارجى فصار كسائر المعجزات^(٩).

ومن الفرق تتقدم الأشعرية وقولهم بامتناع كون القرآن سجّاً نقلاً عن الباقلانى. وينقل حديث الرسول فيهم «هم منى وأنا منهم»^(١٠). وعن الأشاعرة تجسد العالم بخطاب «يكن». وعن الحنفية التكوين أزلى قائم بذات البارى، وهو تكوين لكل أجزاء العالم عند وجوده لأنه لا يوجد عنده كاف ونون. وجمع السرخسى بين الرأيين^(١١). ويذكر المعتزلة في نفي الشفاعة^(١٢). وكل سورة برأسها عن المعتزلة معجزة^(١٣). وينفى

(١) السابق، ص ٣٤٩.

(٢) السابق ج ٢ / ٤٥، هما (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة)، (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر).

(٣) السابق ج ٢ / ١٠٥.

(٤) السابق، ص ١٥٨.

(٥) السابق، ص ١٦٩.

(٦) السابق، ص ٢٨٢.

(٧) السابق ج ٣ / ١٤٥.

(٨) السابق ج ٢ / ٤٣٠. وذلك في تفسير آية (ولا طائر يطير بجناحين).

(٩) السابق ج ٢ / ٩٣ - ٩٤.

(١٠) السابق ج ١ / ٥٤. ج ٣ / ٣٠٢.

(١١) السابق، ص ٢٥٢.

(١٢) السابق ج ١ / ١٢٤.

(١٣) السابق ج ٢ / ١٠٨.

المعتزلة الرؤية في الدنيا والآخرة بناء على أداة النفي «لن» التي تفيد المستقبل في آية ﴿لن ترانى﴾^(١). كما يفضلون الملائكة على البشر^(٢).

ومن التصوف يذكر تفسير الجنيد لآية ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ أن الله لا يتعجب من شيء ولكن يوافق رسوله^(٣). ويستشهد بأبي عبد الرحمن السلمى بأن قراءة القرآن عن كتبة الوحي كانت توقيفية واحدة^(٤). وكذلك يستشهد بقول المحاسبى في كتاب فهم السنن أن كتابة القرآن ليست محدثة أى أنها كانت توقيفية^(٥). على عكس قول المعتزلة في خلق القرآن. ويستشهد بذى النون المصرى وقوله: «أبى الله عز وجل إلا أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن». ويستشهد بأبى الحسن الشاذلى في الجمع بين آيتي ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾، ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾^(٦). ويرفض تأويله الصوفى للنسخ بالولاية في آية ﴿فأت بخير منها أو مثلها﴾^(٧). ويستشهد بقول ذى النون: «أبى الله عز وجل أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن»^(٨). الاستشهاد بقول سفيان الثورى: «لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالخطام في قلب أبداً»^(٩). ويحال إليه في خواص القرآن في قضاء الحاجات. فقد كان سفيان الثورى يكتب للمطلقة رقعة تعلق على صدرها ﴿إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت﴾^(١٠). وفي تفسير آيات الاستواء بعضها بعض ﴿على العرش استوى﴾، ﴿ثم استوى إلى السماء﴾^(١١). ويذكر الثورى مجرد راو^(١٢). ويستشهد بالغزالي في اعتباره الحروف

(١) السابق، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(٢) السابق ج ٣ / ٢٦٩.

(٣) السابق ج ٢ / ٨٩.

(٤) السابق ج ١ / ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٥) السابق، ص ٧.

(٦) السابق ج ٢ / ٥٧.

(٧) السابق، ص ١٦٠.

(٨) السابق ج ١ / ٧.

(٩) السابق ج ١ / ٦.

(١٠) السابق ج ١ / ٤٣٤ - ٤٣٥.

(١١) السابق ج ٢ / ٧٨.

(١٢) السابق، ص ١٦٤.

التي في أوائل السور جعلها الله لحفظ القرآن من الزيادة والنقصان^(١). ويروى أن رجلاً في أصبهان أصابه عسر البول فكتب في رقية (ويست الجبال بسا فكانت غبار منبثاً)، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة). (دكا دكا) وألقى عليه الماء وشربه فيسر عليه البول، وألقى الحصى. وبنى الغزالي كتابه «جوهر القرآن» على أن كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره. وشرح الغزالي حديثه إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن «يس» التي تحتوي على الحشر والنشر. واستحسنه فخر الدين الرازي^(٢). ولدى الغزالي القراءة في المصحف من حفظه ظهراً عن قلب دون أن يتدبر في المعنى^(٣). وذكر الغزالي أن آيات الأحكام خمسمائة آية^(٤). ويشرح قول الغزالي معنى الاختلاف في آية ﴿لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ بأن المقصود ليس الاختلاف في ذات القرآن بل في فهمه^(٥). ويلجج العوام عن علم الكلام^(٦). ويفسر الغزالي آية ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ الصلاة بمعنى الرحمة^(٧).

وفي موضوع على كم لغة نزل القرآن والقراءات السبع يروى عن الصوفية أن القرآن يشتمل على سبعة أنواع من العبادات والمعاملات وهي الزهد والقناعة مع اليقين، والحزم والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والنصح والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة، والشوق مع المشاهدة. فقراءات الصوفية مقاماتهم وأحوالهم^(٨).

ويظهر التوحيد لغويًا يعتبر كسر الطاء مردولاً في السور الطوال^(٩). ويستشهد

(١) السابق جـ ١ / ٤٣٤ - ٤٣٩.

(٢) السابق، ص ٤٤٤.

(٣) السابق، ص ٤٦١.

(٤) السابق جـ ٢ / ٣.

(٥) السابق، ص ٤٦ - ٤٨.

(٦) السابق، ص ٧٩.

(٧) السابق، ص ٤٧٤.

(٨) السابق جـ ١ / ٢٢٦.

(٩) السابق جـ ١ / ٢٤٤.

به في الفهم المحسوس لآية «قائما بالقسط» أنه القيام بالحال^(١). ويستشهد به راوياً عن إعجاز القرآن في استحالة معرفة وجه الإعجاز إلا بالأثر النفسى. ويستشهد به في شرح لفظ «حلوبة»^(٢). وأكثر الاعتماد على «البصائر»^(٣).

وفخر الدين الرازى أحد الأئمة المفسرين^(٤). له تفسيره. وله كتاب في معرفة المناسبات بين الآيات. فقد صرح في تفسيره بأن أكثر لطائف القرآن مودوعة في الترتيب والروابط. كما صنف في علم التشابه «درة التأويل». ويذكر قوله بتفاوت الناس في أولوية الشفاعة والعدل. البعض يجعل الأولوية للشفاعة على العدل، والبعض الآخر للعدل على الشفاعة. وقال إنه لا يجوز رد كلام لعدم فهم الخلق له^(٥). وقوله هو قول أكثر المتكلمين في شرح الحروف في أوائل السور، التمييز بينها وبين السور. وعند الرازى «يا أيها الناس» مكي، و«يا أيها الذين آمنوا» مدني^(٦). واستحسن الرازى قول الغزالي مفسراً حديث «إن لكل شىء قلباً، وقلب القرآن يس» لأنها السورة الجامعة لصحة الإيمان بالحشر والنشر^(٧). ويرى الرازى أن المثل هو المساوى للشىء والمثل هو المساوى له في بعض الصفات الخارجية^(٨). ويرى أن إعجاز القرآن الفصاحة والأسلوب والسلامة من العيوب. وكل ذلك مقرونًا بالتحدى^(٩). ويستشهد باستشهاد الرازى بالشعر على العموم والخصوص^(١٠). وجعل الرازى البيت جميع الحرم وليس الكعبة في تفسير آية ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا﴾^(١١). وهو الإمام صاحب «نهاية الإيجاز» راوياً

(١) السابق، ص ٣٠٦.

(٢) السابق ج ٢ / ١٠٠.

(٣) السابق ج ٣ / ٣٦٣.

(٤) السابق ج ١ / ١٣ - ٣٥ / ٣٦ / ١١٢ / ٢٦.

(٥) السابق، ص ١٧٣ - ١٧٥.

(٦) السابق، ص ١٩١.

(٧) السابق، ص ٤٤٤.

(٨) السابق ج ١ / ٤٩١.

(٩) السابق ج ٢ / ٩٨.

(١٠) السابق، ص ٢٢٤.

(١١) السابق، ص ٢٦٦.

عن الشيخ عبد القاهر ما يتعلق بنفى العموم^(١). ويفسر الرازى (بدين) بيع الكالئ بالكالئ وهو موضوع فقهي خالص^(٢). ويميز الرازى بين نوعين من التقوى في آية ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾^(٣). ولا يوجد زائد أو مهممل في القرآن^(٤). وأنكر الرازى احتياج كلام الله إلى تقدير^(٥). ويفسر الرازى ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ أنه كامل في ذاته^(٦). وعند الرازى الاستعارة ليست بمجاز لعدم النقل بل تشبيه محذوف الأداة لفظاً وتقديراً^(٧). وفصاحة القرآن ليست رعاية التكلفات بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ^(٨). والرازى في مناقب الشافعي حكى أن معنى الآية العبرة في ﴿كن فيكون﴾ أفضل من «كان»^(٩). «يخرج الحى من الميت» في المضارع لأنه أول على التجدد. والمفرد المحلى بالألف واللام لا يعم^(١٠). ويرتب على التعلم حصول العلم^(١١). وفسر الآية ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا﴾. على الامتناع^(١٢).

ومن المذاهب الفقهية يتقدم الشافعية والمالكية موضوع القراءة الشاذة. فاشتراط شيخ الشافعية أن يكون المقروء به على تواتر نقله مثل القراءات السبع^(١٣). وصورة ابن حزم أنه الفقيه وليس المتكلم. ويحال إلى «المحلى»^(١٤). ويستشهد به كلغوى مفسر للقرآن في ضمير الآية ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾^(١٥).

(١) السابق، ص ٣٧٨.

(٢) السابق، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٣) السابق ج ٣ / ١٢.

(٤) السابق، ص ٢٢.

(٥) السابق، ص ١١٥.

(٦) السابق ج ٣ / ٢٧٧.

(٧) السابق، ص ٤٣٤.

(٨) السابق، ص ٤٥٢.

(٩) السابق ج ٤ / ٥٦ / ٧١.

(١٠) السابق، ص ٤٨٩.

(١١) السابق، ص ١٤١.

(١٢) السابق، ص ٣٦٦.

(١٣) السابق ج ١ / ٣٢٢.

(١٤) السابق ج ٢ / ١٢٨.

(١٥) السابق ج ٤ / ٣٩.

ومن أسماء الأمم والقبائل والفرق يتقدم الصحابة مما يدل على اعتماد علوم القرآن على النقل ثم الكوفيون والبصريون أهم مدرستين فكريتين، بين المنقول والمعقول. ثم يأتي «اليهود» باعتبارهم أصحاب تجربة سابقة مع الوحي. ثم تأتي قريش بداية تكوين المجتمع الإسلامي، ثم النصارى، المصدر الثانى. ثم من القبائل تظهر بنو تميم. ومن الفرق: الإسماعيلية، والشافعية، والصوفية، والمالكية^(١).

ومن أسماء الأماكن تتقدم مكة ثم المدينة مدينتا نزول الوحي ثم بدر أول موقعة، ثم البصرة والشام، ثم الكوفة، ثم العراق وبيت المقدس وبغداد ودمشق بانتقال الحكم من الجنوب إلى الشمال، ثم انتقال العلم إلى الشرق، مرة وأصفهان^(٢).

ومن الواقد لا يكاد يذكر إلا أرسطوطاليس مرة واحدة في كتاب الخطابة في كون الصفة خاصة بالموصوف، وبالتالي امتناع خرق الموصوف. وهو ما نص عليه سيويه في باب ترجمة «هذا باب مجارى أواخر الكلمة العربية» وكذلك نص عليه أرسطوطاليس في كتاب الخطابة^(٣). فالموروث أولاً ثم الواقد ثانياً. الواقد تأكيد للموروث وليس دليلاً بذاته.

ويقدم «البرهان في علوم القرآن» للزركشى سبعة وأربعين نوعاً يمكن ضمها في عدد أقل، عشرة فقط^(٤).

(١) الصحابة (٢٩)، الكوفيون (٢٨)، البصريون (٢٤)، اليهود (٢٢)، قريش (١٧)، النصارى (١١)، بنو تميم (١٠)، بنو إسرائيل (٨)، ثقيف (٧)، المعتزلة (٦)، الأنصار، هوازن، ربيعة (٤)، خزاعة، سعد بن بكر، قيس (٣)، الحنفية، هذيل، مضر، الأشعرية، عاد، الروم، العجم، فارس، آل فرعون، قوم نوح، أصحاب الأيكة، جشم بن بكر، بنو الحارث، بنو دارم، بنو زريق، كنانة، بنو مالك، بنو المصطفى، بنو المغيرة، المهاجرون، بنو نصر.

(٢) مكة (٣٨)، المدينة (٣١)، بدر (٩)، البصرة، الشام (٨)، الكوفة (٧)، العراق، الكعبة (٦)، بيت المقدس (٥)، مدين، مصر (٤)، بغداد، الحجاز، دمشق، الصفاء، الطائف (٣)، أصبهان، الحديبية، قباء، المروة، نجران (٢)..^(٢) إلخ.

(٣) البرهان ج٣/ ١٥٤.

(٤) وهى: ١- المكان: أسباب النزول، أول منازل، كم لغة نزل، كيفية إنزاله. ٢- الزمان: المكي والمدني، الناسخ والمنسوخ. ٣- التدوين: المناسبة بين الآيات، الفواصل، أسرار القوابع، خواتم السور، تقسيمه، أسماؤه، الخط، التواتر، تضيد السنة للكتاب. ٤- الفهم: التشابه، التشابهات في الصفات، الحقيقة والمجاز. ٥- النقل الشفاهى: جمعه وحفظه، الوقف، آداب التلاوة. ٦- اللغة: ما وقع فيه من غير لغة الحجاز، من غير

ويمكن تجميعها في عدد أقل، تسعة أنواع مقسمة إلى ثلاثة^(١). ومن حيث الكم أكبر الموضوعات في «أساليب القرآن وفنونه البليغة» ثم «المفردات من الأدوات» ثم «تفسيره وتأويله» ثم «أقسام معنى الكلام» ثم «مرسوم الخط» ثم «الفواصل ورؤوس الآي» ثم «الحقيقة والمجاز والتشابه وأدب التلاوة، وتحليل الخطاب، والإعجاز، والوقف والابتداء، وتقسيمه سور أو آيات.. إلخ. الأهم هو اللغة كحامل للوحى وأداة لتعبيره^(٢). ونظرًا لأن أهم عمليين في علوم القرآن جاءا متأخرين «البرهان» للزركشى

لغة العرب، غريبه، التصريف. ٧- الأحكام: توجيه القرآن. ٨- البلاغة: فصاحة التركيب، أمثاله، جده، الإعجاز، وجوه المخاطبات، الكنايات والتعريض، معنى أقسام، أساليبه، أدواته. ٩- الفضائل: خواصه، أفضل شيء. ١٠- استعماله في الخطب والرسائل. ١١- التفسير. البرهان، ص ١١-١٣.

(١) ١- الواقع

أ- المكان: أ. المكي والمدني، وما نزل بمكة وما نزل بالمدينة وترتيب ذلك. ب. الزمان: ٣٤ ناسخة ومنسوخة. ج. الموقف: ١. أسباب النزول.

٢- النص

أ- الرواية ١٣- جمعه وحفظه من الصحابة. ب- القراءة ١١- على كم لغة نزل. ٢٣- توجيه القراءات ووجه ما ذهب إليه كل قارئ. ٣٤- الوقف والابتداء. ج- التدوين ٢- المناسبات بين الآيات. ٣- الفواصل ورؤوس الآي. ١٠- أول وآخر ما نزل. ١٢- كيفية إنزاله. ١٤- تقسيمه بحسب سوره وترتيب الآيات والسور وعددها، أساؤه واشتقاقاتها. ٢٥- مرسوم الخط ٣٩- تواتره. ٤٠- معاضدة السنة للقرآن. ٣- اللغة.

أ- الألفاظ والمعاني. ١٦- ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز وقبائل العرب. ١٧- ما فيه من غير لغة العرب. ١٨- غريبه. ١٩- التصريف. ٢٠- الأحكام من حيث الأفراد والتركيب. ٣٢- أحكامه. ٣٣- جده. ٣٦- الحكم والمتشابه. ٣٧- كلمة الآيات المتشابهة الواردة في الصفات. ٤٢- وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن. ٤٣- حقيقته ومجازه. ٤٧- المفردات من الأدوات.

ب- أساليب البلاغة. ٢١- كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح. ٢٢- اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل لفظ. ٣١- أمثاله. ٣٨- الإعجاز. ٤٤- الكتابة والتعريض. ٤٥- أقسام معنى الكلام. ٤٦- أساليب القرآن وفنونه البليغة.

ج- التفسير. ٣٥- الموهوم والمختلف. ٤١- تفسيره وتأويله.

(٢) النوع السادس والأربعون «في أساليب القرآن وفنونه البليغة» (٦٠٢ ص)، النوع السابع والأربعون «المفردات من الأدوات» (٢٧٧)، النوع الواحد والأربعون «تفسيره وتأويله» (٧١)، النوع الخامس والأربعون «أقسام معنى الكلام» (٦٦)، النوع الخامس والعشرون «مرسوم الخط» (٥٦)، النوع الثالث «الفواصل ورؤوس الآي» (٤٩)، النوع الثالث والأربعون «حقيقته ومجازه» (٤٥)، النوع الخامس «المتشابه» (٤٤)، النوع التاسع والعشرون «في آداب تلاوته وكيفيتها» (٤٢)، النوع الثاني والأربعون «وجوه الخطابات والخطاب في القرآن» (٣٨)، النوع الثامن والثلاثون «إعجازه» (٣٥)، النوع الرابع والعشرون «الوقف والابتداء» (٣٤)، النوع الرابع عشر «تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات

(٧٩٤هـ)، و«الإتقان» للسيوطي (٩١١هـ) جاءت المقدمتان مملوءتان بالسجع^(١).

هـ- «الإتقان» للسيوطي (٩١١هـ)

يضم مادة تجميعية، يعتمد فيها اللاحق على السابق ولها الأولوية على باقي العلوم مثل التفسير، وعلوم اللغة والبلاغة، وعلم الحديث، والفقه وأصوله، والعقائد، والتاريخ والنصوص، وتصنيف العلوم^(٢). وتتعدد المؤلفات في «أحكام القرآن» وأخلاق حملة

وعدها (٢٩)، النوع الثاني والعشرون «زيادة الألفاظ أو نقصها أو تبديلها»، النوع الثاني والثلاثون «أحكامه» (٢١)، النوع التاسع «المكي والمدني» (١٩)، النوع الثاني «المناسبات بين الآيات»، والسابع «أسرار فواتح السور»، والحادى عشر «على كم لغة نزل» (١٨)، النوع الرابع والثلاثون «الناسخ والمنسوخ»، النوع الأربعون «معاوضة السنة للقرآن» (١٧)، النوع الرابع والأربعون «الكتانية والتعريض» (٢٦)، النوع السابع والثلاثون «الآيات المتشابهة» (١٣)، وتتوالى الأنواع الباقية من ص ٢- ص ١١. البرهان ج١/ ٣- ١٢.

(٢) منها: فضائل القرآن لأبى عبيد (٣١)، المصاحف لابن أشته (٢٠)، مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (١٨)، البرهان في علوم القرآن. للزركشى، الغرائب والعجائب للكرمانى (١٧)، بدائع القرآن لابن أبى الأصبع (١٦)، النشر في القراءات العشر (١٥)، جمال القراء للسكاوي (١٤)، البرهان في مشكلات القرآن لأبى المعالى عزيزى بن عبد الملك المعروف بشيذة (١٢)، الكشف لمكى في القراءات، المصاحف لأبى داود، المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبى شامة (١١)، أحكام القرآن لعبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي المعروف بابن القرس (٩)، إملاء ما من به الرحمن (التيان الانتصار لأبى بكر الباقلائي)، فضائل القرآن لابن الضريس، الإرشاد في القراءات العشر للواسطي (٨)، التنبيه على فضل علوم القرآن للحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، الرد على من خالف مصحف عثمان لابن الأنباري، رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات لأبى الليث (٧)، مواقع العلوم من مواقع النجوم لجلال الدين البلقيني، الناسخ والمنسوخ لمكى (٦)، أحكام القرآن لابن العربي، أسباب النزول للواحدي، إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلائي، إعجاز القرآن للروحاني أبى الحسن، إعجاز القرآن للخطابي (المسمى بيان إعجاز القرآن)، أمالى الرافعي على الفاتحة، شرح المذهب للنووي، الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس (٥)، أسباب النزول للسيوطي، إعجاز القرآن للزملكاني (التيان إعجاز لابن سراقه)، بستان العارفين لأبى الليث السمرقندي (٤)، التبيان في آداب حملة القرآن للإمام محى الدين النووي، التبيان في إعراب القرآن لأبى البقاء الكبري، جواهر القرآن للغزالي، فنون الأفنان لابن الجوزي، لغات القرآن لأبى القاسم اللالكاني، الناسخ والمنسوخ لأبى داود السجستاني، الناسخ والمنسوخ لأبى. بركات السعيدى، الوقف والابتداء لابن الأنباري (٤)، أقسام القرآن لابن القيم، التبيان الأقصى القريب للتنوفى، أمثال القرآن لعل بن محمد بن حبيب الماوردي، البرهان في إعجاز القرآن لمحمد بن على كمال الدين الشافعي المعروف بابن الزملكاني، التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، من الأساء والأعلام لأبى القاسم السهيلي، الخواطر السوانح في أسرار الفواتح لابن أبى الأصبع، ذات الرشد في العدد لأبى عبد الله الموصلى (٩)، شرح ذات الرشد (٩)، غريب القرآن للعزيزي، فضائل القرآن لابن أبى شيبة، المدخل للبيهقي معترك الأقران في مشبه القرآن للسيوطي، الناسخ والمنسوخ لابن عربى، الوقف والابتداء للرازي، الوقف والابتداء للسجاردى، الوقف والابتداء لابن النكزاي (٣).

القرآن وأسرار التنزيل وأدلة الأحكام والتشابه وتناسب السور، والقراءة^(١). وتأتي

(١) أحكام الرأي في أحكام الآي لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الصائغ الحنبلي، أحكام القرآن لابن الجصاص، أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحق الأزدي، أحكام القرآن لبكر بن العلاء، أحكام القرآن لابن خويهدار، أحكام القرآن لعلي بن محمد المعروف بالكنيا الهراسي، أخلاق حملة القرآن لأبي بكر الأجرى، أسرار التنزيل للسيوطي، أسرار التنزيل للشرف البارزى، الأمان في أدلة الإحكام للعز بن عبد السلام، البرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر بن الزيد، التمهيد لابن عبد البر (٢)، تناسب الدرر في تناسب السور للسيوطي، درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازى، روض الأفهام في أقسام الاستفهام لابن الصائغ، فضائل القرآن للمشائى، قرّة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين لابن الفاصح، مجاز القرآن للعز بن عبد السلام، مجمع البحرين ومطلع البدرين للسيوطي، المحتسب في توجيه القراءات الشاذة لابن جنى، مشكل القرآن لابن قتيبة، المقنع لأبي عمرو الداني، المنهاج للحليمي، الوجوه والنظائر للنيسابورى، الوقف والابتداء للداني، الوقف والابتداء للنعماني، الوقف والابتداء للنحاسي (٢)، الآداب لجعفر بن شمس الخلافة، أسباب النزول لابن حجر، أسباب النزول لعلي بن المديني، أسماء من نزل فيهم القرآن لإسماعيل الضير، إعجاز القرآن للباقلاني، إعجاز القرآن للرزاي، إعراب القرآن لشهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسحّين، إعراب القرآن للفناحي (المجيد في إعراب القرآن المجيد)، إعراب القرآن للعكبري (التيان في إعراب القرآن لمتجب الدين)، الاقتضاء في معرفة الوقف والابتداء للنكزاي، الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، أنوار التحصيل في أسرار التنزيل للشريف البارزى، الإيجاز في المجاز لابن القيم، البرهان في إعجاز القرآن لابن أبي الأصبح المصري، البرهان في مناسبة سور القرآن، السيط إلى بيان الضمائر في القرآن، تحرير التعبير لابن أبي الأصبح المصري (٢)، تحفة الأقربان فيما قرء بالتثنية من حروف القرآن لأحمد بن يوسف الرعي، تذكرة بدر الدين ابن الصاحب (٢)، التذكرة لابن حيان (٢)، تذكرة السبكي (٢)، التسهيل (٢)، التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري، تقريب المأمول في ترتيب النزول لبرهان الدين الجعفري، التكميل والإتمام لابن عساكر (٢)، الترميمات على التبيان لأبي المطرف ابن عميرة، الجمان في تشبيهات القرآن لابن نافية، الجنى الداني في حروف المعاني لابن أبي القاسم، الحجة لأبي على الفارسي (٢)، جدل القرآن لنجم الدين الطوفى، حواشى الكشاف للقطب الرازى، خاتل الزهر في فضائل السور للسيوطي، خواص القرآن للتيمي، خواص القرآن للغزالي، خواص القرآن لليافعي، الدر النظيم في منافع القرآن العظيم، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ذيل التعريف والإعلام لابن عساكر البطائحي، الشافعي للقراب، شرح المصباح للمراكشي، شرح المنهاج لتقى الدين السبكي (٢)، شرح المنهاج لابن حجر، عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل، العواصم والقواصم لابن العربي، غرور البيان لمبهمات القرآن لابن جماعة، غريب القرآن لابن الأنبارى، غريب القرآن لأبي حيان، غريب القرآن لابن دريد، غريب القرآن لأبي عبيدة، غريب القرآن لأبي عمر الزاهد، فضائل القرآن لأبي ذر الهروي، فواصل الآيات للطوفى، فوائد أبي بكر العربي في رحلته، فوائد الحرجي، قانون التأويل لابن عربي، القراءات لأبي عبيد، القواعد للعز بن عبد السلام، الكافي لابن شريح في القراءات، كشف المعاني عن مشابه المعاني لابن جماعة، الكفيل بما في التنزيل للجهاد الكندي، مجمع البحرين للصاغاني، المجيد في إعراب المعاني المجيد لإبراهيم بن محمد السفاقي، المجيد وهو مختصر كتاب البرهان في إعجاز القرآن لابن الزمكاني، المحبر لابن حبيب (٢)، مختصر أسباب النزول للواحدى، مختصر البريطي، مختصر الروضة لإسماعيل بن المعري، المستوفى للفرغاني (٢)، المصباح للشهرزورى (٢)،

علوم الحديث في المرتبة الثانية^(١).

ويدل تكرار المصادر المحال إليها على أولوية علم التفسير كمادة لعلوم القرآن،
النظم لابن حجر، نظم الدرر في نفائس الآي والصور للبقاعي، النفيس لابن الجوزي..
إلخ^(٢).

معاني القرآن للأقفش، معاني القرآن لابن الأنباري، معاني القرآن للزجاج، معاني القرآن للفرأ، معجم
ما استعجم للبكري، المغيث لأبي موسى (٢)، المفتاح لأبي منصور بن خيرون (٣)، المفصل للزخشي،
المقتضب في فوائد تكرار القصص، ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير، المنهج المفيد في أحكام التوكيد
للزملكاني، المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، الناسخ والمنسوخ للتميمي، الناسخ والمنسوخ
لأبي عبيد، نهاية التأصيل في أسرار التنزيل لابن الزملكاني، الهادي في القراءات لمحمد بن سفيان، الهداية
للمهدوي في القراءات، الواحد والجمع في القرآن للأخفش، الوجود والنظائر لابن الجوزي، الوجوه
والنظائر لابن الداماني، الوجوه والنظائر لمقافل بن سليمان، الوجوه والنظائر للنيسابوري، اليواقيت لأبي
عمر الزاهد (٤)، الياقوتة لأبي حفص محمد بن أحمد النسفي (٥).

(١) البخاري (٤٨)، الترمذي (٤٦)، مسند ابن حنبل (٣٤)، مسلم (٣٠)، سنن النسائي (١٩)، مسند البزاز
(١٨)، سنن سعيد بن منصور (١٦)، سنن أبي داود (١٢)، شرح البخاري لابن حجر (المسمى بفتح
الباري)، مسند ابن مردويه، المعجم الكبير للطبراني (٥)، السنن لأبي القاسم اللالكاني، الأذكار لمحي
الدين النووي (٩)، زوائد المسند لعبد الله بن أحمد بن حنبل، سنن ابن ماجه (٤)، صحاح الجوهري، مسند
ابن السني، المعجم الأوسط للطبري، شرح التسهيل لأبي حيان (٣)، شرح السنة للبخوي، الطيوريات
للسفي (٩)، فهم السنن للمحاسبي، مسند ابن راهويه، مسند ابن السني، مسند الطيالسي، مسند عبد بن
حميد، المعجم الصغير للطبري (٢)، الإرشاد أبي حيان (٩)، الإرشاد للخليل (٩)، أمالي المرتضي (غرود
الفوائد ودرر القلائد للإمام أبي عبيد)، الجامع للحلواني (٩)، الجامع للقرافي (٩)، جامع الفوائد لابن
شبيب الحنبلي (٩)، الروضة للظلمكي، الروضة للنووي، الزاهر لابن الأنباري، زوائد الروضة السبعة
لابن مجاهد، سراج المريدين لابن العربي، سنن البيهقي، شرح البخاري لابن حجر المسمى فتح الباري،
شرح البخاري للمهازري، شرح مسلم للنووي، صحيح ابن حبان الجامع صحيح الصناعتين، صحيح ابن
حيان، الصناعتين للعسكري (٩)، غريب الحديث للحري، فوائد الخلمي، الفوائد للدير عاقولي (٩)، فوائد
المحامي (٩)، فوائد ابن أخى ميمي (٩)، مسند الفردوس، المذهب للإمام النووي، موطأ مالك، موطأ ابن
وهبة، المير لقطي.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧٥)، تفسير الطبري (٤٢)، تفسير ابن مردويه (٢٧)، تفسير الحاكم (وهو جزء من
تفسير المستدرک) (٢١)، تفسير أبي الشيخ ابن حبان (١٨)، المستدرک للحاكم (١٥)، تفسير الغريابي (١٠)،
تفسير ابن عطية، الكشف للزخشي (٨)، تفسير الأصبهاني، قواعد في التفسير لابن تيمية (٧)، تفسير
الحوفي (البرهان في تفسير أبي حيان)، تفسير الحوفي، تفسير عبد الرزاق، تفسير ابن كثير، حاشية الطيبي
على الكشف (٦)، تفسير القرطبي (٥)، التميز في علوم التفسير للسيوطي، تفسير عبد بن حميد، تفسير
الفخر الرازي، تفسير بن المنذر، مقدمة تفسير ابن النقيب (٤)، تفسير ابن فروك، تفسير المرسى (٣)،
تفسير الواحدي، تقريب النشر لابن الجزري (٩)، التيسير للداني (٣)، أمالي ابن الحاجب، البرهان في

والعلم الثاني هو علم التفسير. لذلك يتصدر «الزخشرى» في الإحالات. فالقرآن للإفهام. وعلم التفسير سابق على علوم القرآن. فالعقل هو الحامل الثاني للوحى لأنه موجه إليه. و«الإتقان» للسيوطى هو مقدمة لكتابه عن التفسير «مجمع البحرين ومطلع البدرين» يجمع فيه بين تحرير الرواية وتقرير الدراية^(١). ثم تأتى علوم اللغة والبلاغة^(٢). ثم تأتى الفتاوى في علوم الفقه وعلم أصول الفقه^(٣). ثم تأتى كتب العقائد مثل

تفسير القرآن لعلى بن إبراهيم بن سعيد الحوفى، تفسير إمام الحرمين، تفسير بن برجان، تفسير ابن الجوزى، تفسير جوير، تفسير سعيد بن منصور (وهو جزء من سنته)، تفسير سليم الرازى، تفسير الكواشى، تفسير الماوردى، تفسير مقاتل، تفسير ابن المثير، تفسير النسفى، تفسير النيسابورى، تفسير ابن بزرقة، تفسير البيضاوى، تفسير الثعلبى، تفسير ابن رزين، تفسير الرمانى، تفسير أبى روف، تفسير السدى، تفسير سنيد، تفسير أبى طالب الطنترى، تفسير عطاء بن دينار، تفسير ابن عقيل، تفسير النيسابورى، تفسير القشبرى، تفسير أبى الليث (١).

(١) الإتقان ج١ / ١٤.

(٢) المغنى لابن هشام (١٣)، عروس الأفراح لبهاء الدين بن السبكي (١٢)، المغرب للجو اليقني (١١)، التبيان في المعانى والبيان لحسين بن محمد الطيب (٦)، الكامل للهللى (٥)، تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى (٤)، الكتاب لسيويه (٣)، الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض (٢)، الاختصاص في الفرق بين المحصر والاختصاص، الإيضاح للقزوينى، التلخيص للقزوينى، ذا القد لابن جنى، الرينة لأبى حاتم (٤)، العمدة لابن رشيقي العيد، العمدة للطروشى، فقه اللغة للثعلبى، ليس في كلام العرب لابن خالويه، اللوائح لأبى الفضل الرازى (٤)، المثل السائر لابن الأثير، المصباح لبدر الدين بن مالك، المعيار للزنجاني، المقدمة في سر الألفاظ المقدمة لشمس الدين بن الصائغ، منهاج البلقاء لحازم القرطاجنى، أرجوزة على بن محمد الغالى في القرائن والأخوات، الاستبصار لابن الفصاح (٤)، الأفراد والجمع (الواحد والجمع والأفراد) لابن فارس، الإفصاح في غوامض الإيضاح لإبراهيم بن أحمد الجزرى، الأفعال للسرقسطى، أفعال لابن طريف، الأفعال لابن القطاع، الإقناع لأحمد بن على بن باديس (٤)، البارع للفارابى (٤)، بدائع الفوائد لابن القيم (٤)، البديع لابن المعتز، بديعية ابن حجة، التبيان في علم البيان لعبد الواحد ابن عبد الكريم المعروف بان الزملكاني، تعليق ابن القرطاج على المرزوقى (٤)، تهذيب اللغة للأزهري، الخطاطيات لابن جنى، الخصائص لابن جنى، سر الفصاحة للخفاجى، شرح أبيات الإيضاح لابن عصفور، شرح بديعية ابن حجة، شرح الرائية لابن جبار، شرح الرائية للسخاوى، شرح المتصل لابن الحاجب (٤)، شرح الرائية للسخاوى، طريق الفصاحة، فقه اللغة لابن فارس، الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبى الحديد، قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادي، الكامل للمبرد، الكتابات للجرجاني، كنز البراعة لابن الأثير (٤)، كنز الفوائد للعر بن عبد السلام (٤)، المحكم لابن سيده، مقامات الحريري، نديم الفريد لمسكويه، نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير، نقد الشعر لقدماء.

(٣) فتاوى ابن الصلاح (٢)، مسائل نافع بن الأزرق (٤)، البرهان لإمام الحرمين، الرسالة للشافعى، الشاطبية (٢)، الشافى للجرجاني، شرح الشاطبية (٤)، شرح الكافية لابن مالك (٤)، شرح منظومة جمع الجوامع، الشفا للقاضى عياض (٤)، الشواذ لابن غليون (٤)، الفروق للقرافي، فوائد ابن الصلاح، المحلى لابن

الإيمان^(١). ثم تأتى علوم التاريخ^(٢). ثم تأتى علوم التصوف^(٣). ثم تأتى كتب تصنيف العلوم^(٤).

وبالرغم من أن «الإتقان» من الأعمال المتأخرة إلا أنه يعتمد على المؤلفات السابقة مما يوحى بوعى تاريخى بتطور العلم. وأن اللاحق يعتمد على السابق^(٥). بل إنه فى كل نوع من الأنواع الثمانين يبدأ بذكر الأدبيات السابقة فى الموضوع.

وتصنف الكتب السابقة فى مجموعات من العلوم هى حوامل الوحي^(٦). ومنها الكتب النقلية وتعنى كتب المصاحف مما يدل على الوعى بأن علوم القرآن من العلوم النقلية. وتؤخذ اقتباسات من الأعمال السابقة تدل عليها علامة «انتهى». ويعتمد على آراء المتكلمين نادراً سلباً أم إيجاباً. فيرفض رأيهم فى قراءة النص القرآنى عن طريق الاجتهاد إن وافق العربية وإن لم ينقل عن النبى. فعلم القرآن نقلية خالصة لا دخل

حزم، منع الموانع لابن السبكي (٢)، نكت ابن الصيف على التبيين (٩)، النكت للماوردى، النوادر لأبى زيد.

(١) شعب الإيمان لليهقى (١٧)، دلائل النبوة لليهقى (١٣)، دلائل النبوة لأبى نعيم (٢)، الأسماء والصفات لليهقى، شرح آيات الصفات لابن اللبان، شرح العقائد النسفية، العقائد النسفية لنجم الدين عمر بن محمد، المحصول للرازي.

(٢) طبقات ابن سعد (٧)، تاريخ ابن عساكر (٥)، تاريخ أصبهان لأبى نعيم، تاريخ أحمد بن حنبل، تاريخ الحاكم، تاريخ الضعفاء لابن حبان، تاريخ القراء، تاريخ ابن كثير، تاريخ المظفرى، التبصرة لمكى، طبقات الشافعية، طبقات الشافعية لابن السبكي، مغازى موسى بن عقبة.

(٣) الحلية لأبى نعيم الأصفهاني (٤)، لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري، المرشد لأبى نصر القشيري.

(٤) مفاتيح العلوم للسكاكي (٤).

(٥) يذكر منها: ابن الجوزي: فنون الأفتان فى علوم القرآن، على الدين السخاوي: جمال القراء، أبو شامة: المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز، أبو العالى عزيزى بن عبد الملك المعروف بشيذلة: البرهان فى مشكلات القرآن. ويذكر السيوطى كتاب عمى الدين الكافيجي وكتاب علم الدين البلقيني، وكتاب أخيه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»، الإتقان ج١ / ٤ - ٥. الإتقان ص ١٨.

(٦) وهى: ١- الكتب النقلية. ٢- جوامع الحديث والمسانيد. ٣- كتب القراءات وتعلقات الأداء. ٤- كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب. ٥- كتب الأحكام وتعلقاتها. ٦- الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة. ٧- كتب الرسم. ٨- كتب التفسير للقدماء والمحدثين. ٩- الكتب الجامعة. ١٠- كتب علوم القرآن. الإتقان، ص ١٨ - ٢٠.

للعقل فيها^(١). كما لا يعتمد على نقل بعض الفقهاء، لأنهم أيضاً يعتمدون على الاجتهاد مثل المتكلمين. فقد أنكر المالكية وغيرهم بناء على هذا الأصل البسمة لأنها لم تتواتر في أوائل السور. وما لم يتواتر فليس بقرآن اعتزازاً بالتواتر. وربما التواتر عند قوم ليس تواتراً عند آخرين. يكفى في التواتر النقل الكتابي في مصاحف الصحاب والتابعين بخط المصحف دون أسماء السور ولفظ التوكيد «آمين». وهناك عشرات أخرى من الأدلة تثبت أن البسمة جزء من السور يعرف بها الرسول نهاية سورة وبداية أخرى^(٢). وهى إكمال للسبع المثاني.

ولدى المؤلف إحساس قوى بحس التأليف القوى البنية المنطقى الترتيب الفريد بين المؤلفات، جمعها بين المنقول والمعقول، والقديم والجديد^(٣). والعيب عيب الزمان الحسد واللوم وحب الرياسة، والاستكبار والتزوير والعمى والصمم عن الحق والجهل^(٤).

(١) «وقال قوم من المتكلمين أنه يسوغ إعمال رأى والاجتهاد في إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صواباً في العربية وإن لم يثبت أن النبی قرأ بها»، الإتيان ج١ / ٢١٧.

(٢) السابق ج١ / ٢١٧-٢١٩.

(٣) «وقد من الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال، المنيع المثال، الفائت بحس نظامه على عقود اللآل، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصور الخوال. أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل. وبينت فيه مصاعد يرتقى فيها للإشراف على مقاصده ويتواصل، وأركزت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل. فيه لباب العقول، وعباب المنقول، وصواب كل قول مقول، محصت فيه كتب العلم على تنوعها، وأخذت زبدتها ودررها، ومررت على رياض التفسير وكثرة عددها، واقتطعت ثمرها وزهرها، وغصت بحار فنون القرآن، فاستخرجت جواهرها ودررها، وقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها، وسبكت فقرها. فلهذا تحصل فيه من البدائع ما ثبت عنده الأعناق بناء، وتجمع في كل نوع منه ما تفرق في مؤلفات شتى، على أنى لأبيعه بشرط البراءة من كل عيب، ولا ادعى أنه جمع سلامة والبشر على النقص بلا ريب»، السابق ج٤ / ٢٥٨.

(٤) هذا وإننى في زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد، وغلب عليهم اللوم حتى جرى فيهم مجرى الدم من الجسد:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حסود
لولا اشتعال النار فيها جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

قوم غلب عليهم الدهر وطحاهم. وأعماهم حب الرياسة وأصمهم. قد نكبوا عن الشريعة ونسوه، وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه، يريد الإنسان منهم أن يتقدم، ويأبى الله أن يزيده تأخراً. ويغنى الفرد لا علم عنده فلا يجد له ولها ولا نصيراً. ومع ذلك لا ترى إلا أنوفاً مشمرة، وقلوباً من الحق مستكبرة، وأقوالاً تصدر عنهم مزورة. كلما هديتهم إلى الحق كان أصماً وأعمى لهم كأن الله لم يوكل بهم الحافظين، يضبطون

والبنية لها قواعد ثنائية أو ثلاثية أو رباعية أو خماسية أو أكثر. وكل قسمة لها دلالاتها. الثنائية جدل مانوى. والثلاثية جدل هيجلى، والرباعية تضعيف للثنائية، والخماسية بنية مستقلة أقيمت عليها أسفار موسى والأصابع. والسداسية تضعيف للثنائية والثلاثية. والسباعية بنية مستقلة أقيمت عليها السموات والأرض والأيام. والثمانية تضعيف للثنائية. والتساعية تضعيف للثلاثية. والعشرية تضعيف للخماسية وعليها أقيمت المقولات العشر^(١). فهل يمكن إقامة علوم القرآن عليها؟ فالمكان أسباب النزول، والزمان الناسخ والمنسوخ، والإضافة لغة العرب وغريبها، وأن يفعل فضله، وأن ينفع تفسيره، والحركة النقل الشفاهى، والسكون التدوين، والكيف فهمه، والكم عدد سوره وآياته.

وعلوم القرآن في حاجة إلى إعادة تأسيس البنية وضم هذه التفصيلات المتكررة الدلالة في أساس واحد. في «الإتقان» ثمانون نوعاً يمكن إعادة تصنيفها في أنواع أقل إذا ما أخذت الدلالة في الاعتبار مثل المكان والزمان الكونى أو الذاتى^(٢). وقد

أقوالهم وأعمالهم. فالعالم بينهم مرحوم يتلاعب به الجهال والصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان. وأيم الله أن هذا هو الزمان الذى يلزم فيه السكوت والمصير خلصاً من أخلاص البيوت، ورد العلم إلى العمل لولا ما ورد في صحيح الأخبار «من علم علماً فكتمه ألجمه الله بلجام من نار»
 أداب على جمع الفضائل جامها / وأدب لها تعب القرىحة والجسد
 واقصد بها وجه الإله ونفع من / بلغته من جدد فيها واجتهد
 واترك كلام الحاسدين وبغيتهم / هملا فبعد الموت ينقطع الحسد
 الإتقان جـ ٤ / ٢٥٨ - ٢٥٩.

- (١) الزمان والمكان، الجهة، الإضافة أو الكمية، أن يفعل، أن ينفع، الحركة والسكون، الكيف والكم.
- (٢) ١- المكان: المكي والمدنى، الحضرى والسفرى، الأرضى والسماوى.
- ٢- الزمان: النهارى والليلى، الصيفى والشتائى، الفراشى والنومى، الناسخ والمنسوخ.
- ٣- النزول: الأسباب، أول ما نزل، آخر ما نزل، ما نزل على لسان الصحابة، ما تكرر نزوله، ما تأخر حكمه على نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه، ما نزل مفرداً وما نزل مجمعاً، ما نزل مشيعاً وما نزل مفرداً، ما أنزل على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد من قبل في كيفية إنزاله، من نزل فيه.
- ٤- النقل الشفاهى: الحفاظ والرواة، المتواتر والمشهور والآحاد والموضوع والمبدع.
- ٥- القراءات: الوقف والابتداء، الموصول لفظاً المفصول معنى، الإمالة والفتح، الإدغام والإظهار، الإخفاء والإقلاب، المد والقصر، تخفيف الهمزة، كيفية تحمله آداب التلاوة.
- ٦- التدوين: فواصل الآى، فواتح السور، خواتم السور، مناسبة الآيات والسور، رسوم الخط، آداب كتابته.
- ٧- الأسماء والجمع والترتيب والعدد للسور والآيات والكلمات والحروف.

يكون السماء خيالًا ليلة الإسراء والمعراج لأن القرآن لا ينزل إلا في سبب، وإجابة على سؤال. والموقف يشكل كل ما يتعلق بأسباب النزول وأوله وآخره، وما نزل على لسان الصحابة، وأسماء السور وجمعها وعدد الآيات والكلمات والحروف، والنقل الشفاهي، والقراءات، واللغة وهي أكبرها. وتدخل فيها المباحث اللغوية في علم أصول الفقه والآية هي أيضًا من اللغة. ويدخل أنواع الخطاب، أساليب البيان وعلوم البلاغة من بيان وبديع وذروتها الإعجاز. والتدوين والتفسير والعلوم الداخلة فيه وفضائلها.

وهناك إحساس عام عند القدماء بأنه يمكن إجمال علوم القرآن وإضغامها في مجموعات أقل أو أكثر^(١). وفي كل منها مصنفات حتى ولو بلغت الثلاثمائة. لذلك سمى السيوطي كتابه «الإتقان». أدمج الثلاثمائة موضوع في ثمانية كما أمكن من دمج الثمانين في عشرة تقريبًا. وقد أمكن تخفيض هذه الأبواب الثمانين في خمسين، والخمسين في ستة أنواع: النزول، والسند، والأداء، والألفاظ، والأحكام، والمعاني، وهنا أنواع لا تدخل تحت حصر مثل: الأسماء والكنى والألقاب والمبهات^(٢). وفي «التحجير في علوم

٨- اللغة: الغريب، وما وقع بلغة الحجاز وبلغة غير العرب، والوجوه والنظائر، الإعراب، المحكم والتشابه، المقدم والمؤخر، الخاص والعام، المجلد والمبين، المشكل والموهم، الاختلاف والتناقض، المطلق والمقيد، المنطوق والمفهوم، وجوه المخاطبات، الحقيقة والمجاز، التشبيه والاستعارة، الكناية والتعريض، الحصر والاختصاص، الإيجاز والإطناب، بدائع القرآن، الآيات المتشابهات، والمبهات، إعجاز القرآن.

٩- التفسير: أدواته، وقواعده، تأويله وشرط الحاجة إليه، شروط المفسر وآدابه، غرائب التفسير، طبقاته.

١٠- العلوم: العلوم المستنبطة من الأمثال، الأقسام، الجدل، الأسماء والكنى والألقاب.

١١- الفضائل: أفضله وقاضله، مفرداته وخواصه.

(١) «فهذه ثمانون نوعًا على سبيل الإدماج. ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة. وغالب

هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة. وقفت على كثير منها»، الإتقان، ص ١٧-١٨.

(٢) ١- النزول: موطنه، وأوقاته، وأسبابه، ووقائعه: المكى، المدنى، السفرى، الحضرى، الليلى، الصيفى، الشتائى، الفرائى، أول ما نزل، وآخر ما نزل (١٢).

٢- السند: المتواتر، الأحاد، الشاذ، قراءات النبى، الرواة والحفاظ (٦).

٣- الأداء: الوقف، الابتداء، الإحالة، المد وتخفيف المعزة، الإدغام (٦).

٤- الألفاظ: الغريب، العربى، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه (٧).

٥- معانى الأحكام: العام، العام المخصوص، العام الذى أريد به خصوص، خصوص الكتاب بالسنة، خصوص السنة بالكتاب، المجلد، المبين، المأول، المفهوم، المطلق المقيد، الناسخ، المنسوخ، نوع الناسخ والمنسوخ وهو ما عمل به فى مدة أو أحد من المكلفين (١٤).

٦- معانى الألفاظ: الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر (٥). الإتقان، ص ٥-٦ / ١٤-١٧.

التفسير» جعل السيوطى الأنواع مائة وأربعين يمكن إجمالها أيضًا في عشرة^(١).

ولا يوجد القصص كشكل أدبى. بالرغم من قسمة الكتب إلى أبواب أو فصول أو أنواع إلا أنه يتم الربط بين الموضوعات داخل كل قسم بالفاظ تنبيه مثل «تنبيه»، «فائدة»^(٢).

-
- (١) ١-الزمان: المكى والمدنى، الحضرى والسفرى، النهارى والليل، الصيفى والشتائى، الفراشى والنومى، الناسخ والمنسوخ، ما عمل به واحد ثم نسخ، ما كان واجبا على واحد (١٣).
 - ٢-التزول: (المكان، الموقف)، أسبابه، أول ما نزل، آخر ما نزل، ما عرف وقت نزوله، ما أنزل فيه وما لم ينزل على أحد من الأنبياء، ما أنزل منه على الأنبياء، ما تكرر نزوله، ما نزل مفرقا، ما نزل جميعا، كيفية إنزاله (١٠).
 - ٣-النقل المدون (السند): المتواتر الآحاد، الشاذ، قراءات النبى، الرواة والحفاظ، العالى والتازل، المسلسل، أسماء (الأداء) من نزل فيه القرآن (٧).
 - ٤-القراءة (النقل الشفاهى) الابتداء، الوقف، الإحالة، المد، تخفيف الهمزة، الإدغام، الإقلاب، مخارج الحروف، آداب القارئ (١٠).
 - ٥-اللغة (الألفاظ): الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، المحكم والمتشابه، المشكل، المجمل والمبين، الاستعارة، التشبيه، الكناية والتعريض، العام الباقى على مجموعه، العام المخصوص، العام الذى أريد به الخصوص، ما خص فيه الكتاب والسنة، ما خصت فيه السنة والكتاب، المأول، المفهوم، المطلق والمقيد (٢٠).
 - ٦-البلاغة (البيان والبيدع): الإيجاز والسلوك، الأشباه، الفصل والوصل، القصر، الاحتباك، القول الموجب، المطابقة والمناسبة والمجانسة، التورية والاستخدام، اللف والنشر، المبهات (١٠).
 - ٧-التدوين: الالتفاف، الفواصل والغايات، كتابة القرآن، شبه السور، ترتيب الآى والسور، الأساء والكنى والألقاب، التاريخ (٧).
 - ٨-الفضل: أفضل القرآن وفاضله ومفضوله (٢).
 - ٩-الموضوعات (الأساليب): الأمثال، المقررات (٢).
 - ١٠-التفسير: آداب المفسر، من يقبل تفسيره ومن يرد، غرائب التفسير، معرفة المفسرين (٤). السابق جـ ١ / ١٠-٧
- (٢) السابق جـ ١ / ٨٧.

الباب الأول

الحوامل الموضوعية (التاريخ)

الفصل الأول المكان

١- المكان كحامل موضوعي

وتعني الحوامل الموضوعية كل ما هو خارج الوحي، كل ما يستند عليه الوحي للنزول، وإظهار نفسه قبل تمثل الذات له، رواية وقراءة وتدوينا أو فهمها وتذوقا وتفسيرا. هي الحوامل التاريخية مثل المكان والبنية الاجتماعية والزمان. ومن ثم تكون مقولة التاريخ هي الأنسب للتعبير عنها. فالتاريخ حامل موضوعي. ويضم الجغرافيا. فتاريخ المدن مثل مكة والمدينة أو تاريخ شبه الجزيرة العربية الممتدة من صحراء الشام إلى جبال اليمن لا ينفصل عن جغرافيتها.

الوحي بهذا المعنى ظاهرة تاريخية. يظهر في التاريخ ويتجلى فيه. والتاريخ هو الواقع والمكان والزمان والمجتمع والبشر. فلا محمول بلا حامل، ولا وحي بلا جسد يتحقق فيه الوحي. الوحي ليس طائرا في الهواء بل يهبط على الأرض ليستقر فيها كما يستقر الماء فتهتز وتربو وتنتج من كل زوج بهيج. الماء محمول والأرض حامل. وماء بلا أرض يتبخر ويعود إلى السماء من جديد، لا ينبت ولا يسقى ولا يروى.

ونظرا لاستعمال مقولة «الواقع» من قبل في «من النص إلى الواقع» فإن مقولة «التاريخ» هذه المرة تكون البديل الدال عن «الواقع» حتى تتعدد المفاهيم من حقل دلالي واحد أو حقول دلالية مختلفة.

ويصعب التمييز بين الحوامل الموضوعية، والحوامل الموضوعية الذاتية والحوامل الذاتية. فالحوامل الموضوعية المكان والزمان والبيئة الاجتماعية. وهي لا تنفصل عن الحوامل الموضوعية الذاتية في الرواية، الخبر والقراءة والكتابة. وهي لا تنفصل أيضا

عن الحوامل الذاتية في اللغة: الألفاظ والمعاني، والبلاغة، والتفسير. الموضوع والذات واجهتان لعملية واحدة، بُعدان لقصد واحد. الموضوع بلا ذات وجود مصمت، مجرد شيء، مادة بلا حياة. والذات بلا موضوع فراغ أجوف. الأول بدن بلا نفس. والثاني نفس بلا بدن.

ويعنى المكان التجمع البشرى قبيلة أو رهطا أو لقوم أو لشعب أو لمدينة. وكلها مفاهيم قرآنية. فالوحي في حاجة إلى مخاطب. ينزل إلى أناس. الوحي رسالة في حاجة إلى مرسل إليهم مثل الخطاب مرسل ومرسل إليه، منه وإليه. الوحي موضوع في حاجة إلى ذات لإدراكه. الوحي محمول والذات حامل.

ولما كانت المدن قد تشكلت، وعرفت المدن القديمة في شبه الجزيرة العربية وعلى امتدادها شمالا وجنوبا كانت مكة والمدينة في الحجاز في وسطها كطرق للتجارة. وكانت قريش في مكة القبيلة المقيمة^(١).

هبط الوحي في مكة لوجود تجمع سكاني، وقبيلة متضامنة، ولهجة متداولة، وقيم معروفة، وصدارة اجتماعية. فيها الكعبة، كعبة إبراهيم، وعليها المعلقات السبع. وبها أسواق عكاظ للإلقاء الشعري، أقرب إلى الحضرة منها إلى البدو بتعبيرات ابن خلدون^(٢).

والمكان ليس هو المكان المتخيل بليلة الإسراء والمعراج، القدس أو السماء. فالوحي ينزل في المكان والزمان للناس على الأرض بناء على سؤال وليس مجرد وحي طائر في السماء. المكان المثالي يعطى الرواية حضورا أكثر، ويجعل لها تأثيرا نفسيا أعظم. المكان هو الواقع والتاريخ والبشر والحياة الدنيا. المكان المتخيل هو المكان الشعري كأسلوب في التعبير، مجازا لا حقيقة. هو التضحية بالموضوع من أجل الذات، تصغيرا له وابتلاعه داخل الذات، التضحية بالحس لصالح الخيال^(٣).

(١) وقد ألفت فيه من قبل مكي، والعز الديري، الاتقان جـ ٢٢.

(٢) وقد كتبت عدة دراسات عن هذه الحوامل التاريخية الجغرافية مثل «سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، للدكتور محمود إسماعيل (عشرة أجزاء).

(٣) الاتقان جـ ٦٧/١.

والأراضي والسماء تقابل نظري. فالأرض مكان والسماء ليست مكانا. الأرض يسير عليها الإنسان تحته بالأرجل والأقدام، والسماء يتخيلها الإنسان فوقه بالأعين والأذهان. لم يكن القدماء قد عرفوا الفضاء وأنه مكان بلا جاذبية للأرض. والمعراج عند البعض كان بالروح وليس بالبدن، بالخيال وليس بالجسم^(١).

٢ - التمييز بين المكي والمدني

نزل القرآن على امتداد ثمانية عشر عاما، ثمانية بمكة وعشرة بالمدينة. فالنظم والتشريعات أطول من التصورات والعقائد. فالنص لا يحتاج إلى زمان طويل، عقود وقرون ودهور. يحتاج فقط إلى وقت الازدهار بتعبير اليونان القدماء حوالى الأربعين عاما. وهو الوقت الذى هبط فيه الوحي حتى وفاة الرسول وهو فى الثالثة والستين. احتاج الوحي إلى عقدين من الزمان فى عمر واحد، عمر الرسول. فالدين له جانبان: اللحظة المركزة، والديمومة المتصلة. فزمان الوحي لحظة مركزة فى التاريخ. واستمراره فى الديمومة المتصلة بعد وفاة الرسول عبر الأجيال^(٢).

وهناك سور مكية، وأخرى مدنية بوضوح، وثالثة عليها خلاف. فالمكي والمدني تحديدان إنسانيان وليسا نبويين، اجتهدان علميان وليسا وحيين. وبالرغم من إمكانية التمييز بينهما على وجه العموم إلا أن بعض السور تند عن الفروق بينهما. والمدني أقل من المكي لذلك يمكن حصره^(٣). فالتشريعات أسهل من العقائد، والنظم أيسر من التصورات. وآيات التشريع حوالى خمسمائة آية فى مقابل آلاف من آيات التصورات. ويمكن التمييز بينهما بعدة سمات عامة أهمها:

أ- كل سورة فيها من القصص فهى مكية^(٤). فالقصص ترويح عن النفس. هو

(١) السابق ص ٦٧. وهو من أصغر الأنواع (صفحة واحد).

(٢) وفى رأى آخر أنه نزل على امتداد عشرين عاما. الواحدى: أسباب النزول ص ٣.

(٣) المدني: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، القتال، الفتح، الحجرات، الحديد إلى آخر التحريم، ولم يكن، والنصر، والفلق، والناس. وفى القاتمة، والرعد، والحج، والصف، والإنسان، والإخلاص خلاف. والباقي مكي، ابن البارزى: ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه ص ٦٢.

(٤) السابق ص ٦٢.

تحقق ضدق العقائد فى التاريخ عن طريق وصف المراحل السابقة للوحى لدى الأمم السالفة لأخذ العظة والعبرة. فالوحى واقع وتاريخ. صدقه تحققه. وتحققه صدقه. اكتمال الوحى مرتبط بتطوره. وبنيته تحقق لتكوينه. فالحقيقة بنت التاريخ. والاكتمال تحقق الماضى فى الحاضر. وظيفة القصص هو إظهار البعد التاريخى فى الوحى من أجل بلورة الوعى التاريخى فى الوعى الإنسانى. ليست وظيفة القصص التحول من الحاضر إلى الماضى، ومن الواقع إلى المتخيل بل العكس، التحول من الماضى إلى الحاضر، ومن المتخيل إلى الواقع من أجل العظة والعبرة والتعلم. فالوعى التاريخى بُعد من أبعاد الوعى الذاتى. وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس باستثناء البقرة فهى مكية. فهى نموذج القصة الخيالية التى تصور نشأة الخلق والتحدى بين الإنسان وأعدائه، وتسليح الإنسان بالوحى حتى يقوى به فى معركته. هى قصة الغواية واتباع الأهواء التى قد تؤدى بالإنسان إلى التهلكة، واعترافه بالخطأ، وتوبته، وبداية حياته من جديد صفحة بيضاء بعد تعلمه من التجربة السابقة^(١).

ب- كل سورة افتتحت بالحروف سوى البقرة وآل عمران فهى مكية. وفى «الرعد» خلاف. فوظيفة الحروف التنبيه والإيقاظ والتأثير فى النفس. وهى وظائف التصورات وليست التشريعات التى تقوم على رعاية المصالح. الحروف خاضعة للتأويل. والتأويل فهم وتصوير. وهو من جانب العقائد. فى حين أن النظم أنساق موضوعية تحقق المصالح العامة^(٢).

ج- كل سورة فيها «كلا» فهى مكية. وهى حرف تشبيه ونفى. وهى من أساليب البلاغة وفنون القول. الغاية منها التأثير فى النفوس، وليس تحقيق المصالح العامة. هما حرفا تنبيه وإيقاظ من أجل إثارة الانتباه لمعان وأفكار، وليس لنظم وتشريعات^(٣).

د- تبدأ السور المكية ببناء: (يا أيها الناس) (وليس) (يا أيها الذين آمنوا). فهو خطاب للناس جميعا بصرف النظر عن معتقداتهم وإيمانهم. الأول خطاب عام، والثانى خاص.

(١) السابق ص ٦٢.

(٢) السابق ص ٦٢.

(٣) السابق ص ٦١.

الأول للبشر من حيث هم بشر، والثاني للبشر من حيث هم مؤمنون. فالوحي يخاطب الناس جميعا بصرف النظر عن إيمانهم أو عدم إيمانهم. يتوجه إلى إنسانيتهم من حيث هم بشر. فالإنسانية تسبق الإيانية، والبشرية تسبق العقائدية^(١).

٣- التداخل بين المكي والمدني

ولا يعنى المكي والمدني الفصل التام بين الزمان بل قد يتداخل الزمان في المكان. فالمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها. وقد يتجاوز الخطاب المكان والزمان معا فيصبح المكي خطاب أهل مكة والمدني خطاب أهل المدينة بصرف النظر عن المكان والزمان. فالخطاب مرتبط بالبشر.

ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ. فالمنسوخ ما أتى سابقا والناسخ ما أتى لاحقا. والتصورات لا تنسخ بل النسخ في الأحكام. ولما كانت الأحكام في المدني فالمدني اللاحق ينسخ المدني السابق. يعرض المكي والمدني من خلال النسخ والمنسوخ. فبالرغم من أن الناسخ متأخر في نزوله عن المنسوخ إلا أنه في التأليف قد يكون متقدما عليه. لذلك قد يتأخر المكي عن المدني في السور. ويكون الناسخ مدنيا ناسخا لمكي أو لمدني من قبله^(٢).

ويعرفان سماعا وقياسا. سماعا بالتوقيف، وقياسا بالتمييز بين السابق واللاحق. ولا يعنى المكي والمدني أى تغيير في ماهية الوحي أو طبيعته كما يدعى بعض المستشرقين أو مدعو التجديد التصورى والتشريعى^(٣).

ولا يهم عدد السور والآيات المكية والمدنية إلا من حيث دلالاتها. فالكم له دلالاته على الكيف. ولا يهم الحصر بل يكفى الدلالة. فالمكي أكبر من المدني أى أن التصور له الأولوية على النظام. والمكي أكثر من المدني لأن المهم تصور العالم قبل النظام، والعقيدة قبل الشريعة. العقيدة ثابتة والشريعة متغيرة طبقا للمصالح. ولا يهم تحديد السور

(١) السابق ص ٦٢، ابن حجر العسقلاني: العجايب في بيان الأسباب ص ٢٥-٢٦.

(٢) ابن البارزى: تاريخ القرآن العزيز ومنسوخه ص ٦١.

(٣) الإتقان ج١/ ٢٣، البرهان ج١/ ١٨٧-٢٠٥.

المختلف عليها. فالقضية ليست تاريخية بل دلالية خالصة. بل قد تساعد الدلالة في ترجيح الخلاف التاريخي. فالفاتحة مكية لأنها تتضمن التصور لا النظام. ولا يهم رصد أقوال السابقين فالمشكلة تاريخية صرفة لم تعد لها دلالة اليوم^(١).

وقد لا تكون السورة كلها مكية بل تتداخلها آيات مدنية. وقد لا تكون السورة كلها مدنية بل تتداخلها آيات مكية وذلك لتداخل التصور والنظام. فالنظام ينبثق من التصور والتصور أساس النظام. فالتمييز بين المكي والمدني ليس حاسما قاطعا فاصلا نظرا للوحدة الموضوعية للوحي^(٢).

بعض الآيات نزلت بمكة وحكمها مدني. والبعض الآخر نزل بالمدينة وحكمه مكي. وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل في المدينة في أهل مكة^(٣). فالمعيار ليس المكان بل ما ينزل في المكان، عقيدة أم شريعة، تصورا أم نظاما.

أما وضع المكي داخل المدني أو المدني داخل المكي فذاك أدخل في ترتيب الآيات والسور إذا كان الترتيب توقيفيا^(٤). وربما للدلالة على أنه لا تمييز فاصل بينهما. فالتصور أساس النظام، والنظام يقوم على التصور. تتجلى العقيدة في الشريعة. وتستند الشريعة إلى العقيدة:

ولا تهم الأمكنة الفرعية الأخرى، الطائف، الطريق بين مكة والمدينة، الحديبية، وما حمل من المدينة إلى الحبشة. فهذه أماكن فرعية. فمكة والمدينة ليسا شرطى الوحي بل مجرد وعائين له. ينزل الوحي طبقا للحاجة. ومكة والمدينة هما المكانان الرئيسيان أى البيئة الاجتماعية. والطريق من مكة إلى المدينة ساعة الهجرة طريق مؤقت. وطريق العودة من المدينة إلى مكة عام الفتح طريق مؤقت كذلك. والحديبية مكان مؤقت للقاء المسلمين بالكفار لعقد صلح بينهما وليس مكانا دائما. والأماكن العرضية ليست تجمعات عمرانية لها مشاكل اجتماعية تحتاج إلى نزول الوحي،

(١) الإنقان ص ٢٨-٢٩، يقال أن المدني عشرون سورة، والمختلف فيه اثنا عشرة سورة، والباقي مكي أى

قراءة ٨٢ سورة مكية.

(٢) السابق ص ٣٠-٣٧.

(٣) السابق ص ٣٨.

(٤) السابق ص ٤٧-٥٠.

ويشير الحضري والسفري إلى المكان ليس كمدينة ثابتة بل كسكون وحركة في المكان في الحضر أو السفر أى إلى الطريق من مكة إلى المدينة أو من المدينة إلى مكة. وقد يعنى الاستعجال وعدم انتظار الوحي حتى الوصول، ولا داعي للعجلة في عصر كانت المواصلات بطيئة قد تستغرق أشهرًا. والآن السفر قصير. وقد يعنى حدوث واقعة في السفر تستدعي النظر أو مشكلة تتطلب الحل^(١).

٤ - من الحامل إلى المقدس

ونزول الوحي بمكة والمدينة لا يجعلانها مدينتين مقدستين، محطتين للزيارة، والتبرك والمجاورة فيها. فالمقدس هو المحمول وليس الحامل. والزيارة ليست للمكان بل لاستعادة الذاكرة ولتفعيل الوحي في القلوب. زيارة المكان سياحة وتجارة وتأثيرات دخول وتحكم للنظم السياسية وللدول في المكان. تقديس المكان عود إلى الوثنية القديمة وإلى الكعبة عندما كانت مكانًا للآلهة وتجمعًا للأصنام. تماما مثل تقديس المصحف ورقا وحبرا وتجليدا وقטיפه مذهب وليس الكلام المدون فيه. ومثل تقديس سجادة الصلاة والسبحة والجلباب والذقن والطاقيّة، وليس شعائر الصلاة والاستفادة منها في الحفاظ على الوقت وتأدية الواجبات في أوقاتها على الفور وليس على التراخي، أداء وليس قضاء.

أهمية مكة تاريخيا أنها أول مدينة وضع فيها أول بيت لله، البيت الحرام، أقام فيها إبراهيم القواعد، وأصبحت مركزا للحجيج وطرقا للتجارة ومكانا مقدسا قبل الإسلام وبعده. وفيها كانت تلتقى القبائل بصرف النظر عن ديانتها، يهودية أو نصرانية أو صابئة أو مجوسية أو عبادة الأصنام. وليست أهميتها أن بها منازل الصحابة ودورهم وأماكن لقائهم. فكثير منها اندثر. وما بقى أصبح تجارة وسياحة. وكثير من الزوار يأتون تجارة للربح أو للتهادى بملابس مباركة من مدينة الرسول وزمزميات مملوءة بمياه زمزم لشفاء المرضى ببركة إبراهيم.

(١) السابق ص ٥١-٥٧.

وأهمية المدينة تاريخيًا. ففيها تحول الوحي من عقيدة إلى تشريع، ومن تصور إلى نظام، ومن دعوة إلى دولة، ومن نبوة إلى حكم. وفيها أعلن «ميثاق المدينة» لبيان تعددية الأمة. فكل أصحاب دين أمة لها استقلالها الذاتى. تحكم بشريعتها. وتتساوى الأمم جميعا داخل الأمة الإسلامية فى الحقوق والواجبات. وهو ما سُمى فيما بعد أثناء الدولة العثمانية «نظام الملة» والذي انحدر فى الدولة الحديثة إلى نظام الطائفة ضد المواطنة والمساواة فى الحقوق والواجبات. وهو المقصود من نظام الملة القديم.

ليست أهميتها أن بها قبر الرسول «بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة». فلا تجوز زيارة القبور (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) وكما وضحت الوهابية، كبرى الحركات الإصلاحية الحديثة. ليست أهمية مكة والمدينة أنها تجعل الدولة الحديثة تحتضنها دولة خلافة كما كانت دمشق وبغداد والقاهرة واسطامبول قبل إلغاء النظام. ولا تجعل لهذه الدولة أى ميزة بالنسبة للعقيدة أو الشريعة فى الفهم بالتوجيه. ولا تجعل فى علمها الوطنى به شعار التوحيد أو سيف. فقد انقضى عصر السيوف التى أصبحت رمزا للقوة والعنف والقتل والإرهاب، بتعبير أعداد المسلمين. والأعلام الوطنية رموز بألوانها الأحمر والأزرق والأبيض والأسود، وبرسومها ورقة شجرة أو شجرة أرز أو بنجمة أو هلال أو بمطرقة ومنجل رمزين للعامل والفلاح. ولا تشرعان ألقابا لرؤساء دولها مثل «خادم الحرمين الشريفين». فكل سلوك بشرى من قمار وتبذير وانحراف وتسلط وتبعية للأجنبى يُحسب على السلوك الدينى. ويتساءل الناس حول التناقض بين المثال والواقع، بين القول والعمل.

وإذا كانت مكة والمدينة مكانين لظهور الحق والإعلان عن العدل فالمدن كثيرة اليوم التى يضيع فيها الحق ويتهلك فيها العدل مثل دارفور وكردفان ومقديشو وكيسايو. وكل مدينة مهمشة مملوءة بالعشوائيات. يكتنفها الفقر والضعف والبطالة وتجارة المخدرات والجنس مثل سكان المقابر والنجوع وأكواخ الصفيح. وهى كل مدينة يموت سكانها من الجوع والعطش أو يغرقون تحت مياه الفيضان أو يغتالون فى الحروب الأهلية بين أمراء الحروب. فى النزاع على السلطة.

ما يظنه الناس مقدسًا فى سلوكهم الشعبى هو الدنس مثل المدن المقدسة وما يظنه

الناس دنسها هو المقدس، الجوع والعطش والمرض والجهل والبطالة وتجارة الجنس لمقاومة الفقر والحفاظ على الحياة. أحبار اليهود وكهنتهم ليسوا مقدسين بل مريم المجدلية هي المقدسة «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر». التجار في المعبد ليسوا مقدسين بل هم الذين حولوا بيت الله إلى متجر. أشراف مكة وسدنة قريش ليسوا مقدسين بل هم العبيد والمستضعفون. ليس أغنياء اليهود والكتبة هم المقدسون بل المرضى والبرصى والصم والعمى الذين شفاهم المسيح.

المكان، مكة والمدينة، ليس قسماً كبيراً في علوم القرآن. بل هو أصغر الأقسام. ومع ذلك هو حامل موضوعي للوحي مع البيئة الاجتماعية والزمان. والثلاثة أبعاد للتاريخ.

الفصل الثانى

البيئة الاجتماعية

أولاً - كيفية النزول:

وتعنى كيفية النزول أول وآخر وزمن النزول، والتنجيم، والقصاص والتوجيه السياسى، والنزول بالمعنى والحرف، وتكرار النزول وتأخره عن الحكم، والأنبياء من يتم عليهم النزول. وتعنى البيئة الاجتماعية المجتمع الصغير أو الكبير الذى نزلت فيه الآية لحل مشاكله والردود على أسئلته، والاستجابة إلى مطالبه. وقد تعدد المصطلحات بين البيئة الاجتماعية، والمجتمع والجماعة، والوضع الاجتماعى، والظروف الاجتماعية. وكلها تشير إلى شىء واحد وهى البيئة الاجتماعية التى نزلت فيها الآية. وقد يسمى أيضاً الموقف. وهو مصطلح فى العلوم الأخلاقية فيما يسمى بأخلاق المواقف^(١). ويعنى الموقف كل ما يتعلق بالنزول وفى مقدمته أسباب النزول، وأول وآخر ما نزل، وعلى من نزل، وتكرار النزول، وما يتضمنه من أحكام، وما نزل مفرقاً أو مجمعاً، مفرداً أو مشيعاً، وما نزل على محمد، وما نزل على الأنبياء السابقين، وكيفية إنزاله.. إلخ. وهو موقف لأن النزول كان فى موقف إنسانى. والزمان والمكان ما هما إلا ركيزتان ودعامتان للموقف. والكل يشير إلى الواقع. النزول من السماء إلى الأرض، من الوحي إلى الواقع.

١ - أدبيات الموضوع

وقد ألف فيه كثيرون. وأهم هذه التأليف^(٢).

(١) أخلاق المواقف Situational Ethics

(٢) وقد ألف فيه على بن المدنى شيخ البخارى والواحدى بالرغم مما فيه من نقائص واختصار الجعبرى له بحذف الأسانيد وعدم زيادة شىء، وأبو الفضل بن حجر توفى وهو مازال مسودة. وألف فيه السيوطى «الباب المنقول فى أسباب النزول». الإتيقان جـ ١/ ٨٢. البرهان جـ ١/ ٢٢ - ٣٤.

أ- «أسباب النزول» للواحدي (٤٦٨هـ)^(١)

هو تقريباً أشهر نص في الموضوع. يضع بعض المقدمات العامة أولاً مثل حول نزول القرآن منهجاً على ثمانية عشر عامًا، ثمان بمكة وعشر بالمدينة، وأول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه، وشهر النزول وهو رمضان، وآية التسمية ونزولها ثم الفاتحة^(٢). ثم يبدأ عرض السور سورة سورة، وآية آية لبيان سبب نزولها حتى لو تعددت الروايات^(٣). وتختلف أسباب النزول طولاً وقصرًا. ولا تقتصر فقط على الأحكام بل تشمل أيضًا الأفكار. وليست فقط في الحاضر بل تصحيح الأسباب التي ذكرها السابقون. وهو من أوضح الكتب وأكثرها دلالة على الموضوع. ويعتبر نصًا نموذجيًا لتحليل الصلة بين النص والواقع^(٤).

ب- «التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» للسهيلى (٥٨١هـ)^(٥).

وتبين الحوامل التاريخية والمناسبات والأشخاص والأماكن والبيئة التي نزل فيها الوحي. وهو ما أسماه الأصوليون «عموم الحكم وخصوص السبب». وتأتي هذه المعلومات إما من الروايات في كتب التاريخ والتفسير أو من الشعر العربى أو من الإسرائيليات إذا كان الموضوع قد تم تناوله من قبل في التوراة^(٦). والاعتداد على الذاكرة والحفظ والروايات الشفهية عرضة للخطأ^(٧).

(١) أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى: أسباب النزول، مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

(٢) السابق، ص ٣-١١.

(٣) السابق، ١١-٢٦٤.

(٤) وقد اعتمدنا عليه من قبل في دراسة «النص والواقع» دراسة في أسباب النزول، هموم الفكر والوطن ج١، التراث والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٧-٥٦. وقد دخلت بعض فقرات هذه الدراسة في هذا الفصل.

(٥) عبد الرحمن السهيلى: التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من أسماء الأعلام، دراسة وتحقيق عبد الله محمد على النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، السلسلة التراثية (١٠)، طرابلس، الجماهيرية الليبية.

(٦) الشعر العربى، السابق، ص ١٧.

(٧) وهى المدرسة التوراتية فى القدس التى أسسها الأب لاجرانج.

L'École biblique de jerusalem. le père lagrange: la méthode historique

والسؤال هو: ما أهمية هذه الحوامل التاريخية بالنسبة للوحي؟ هي مجرد حوامل لا محمولات. لا تدل بأشخاصها بل بدلالاتها. ليس المقصود تحديد الأشخاص التاريخية بأعيانها بل بدلالاتها. بل إن أسماء الأنبياء لا تهم بل رسالتهم. ولا تعنى آية (وعلم آدم الأسماء كلها) أسماء من نزل فيهم القرآن وأشخاص الأنبياء بل مبادئ اللغات وطرق الكلام ووسائل المخاطبة وأسماء الأشياء لأنه لم يوجد بشر ساعة الخلق الأول.

كما تحول هذه الحوامل التاريخية الوحي إلى مجرد تاريخ. وتقضى على عمومته. وتجعله أقرب إلى الحوادث الماضية^(١). تسيطر عليه النزعة التاريخية التي سادت في القرن التاسع عشر في الغرب في النقد التاريخي للكتب المقدسة بالمنهج التاريخي وإثبات صحة الإنجيل بمدى التطابق بين الوصف التاريخي في النص، الزمان والمكان والأسماء، مع الواقع في الناصرة والقدس والجليل وتحويل التاريخ إلى جغرافيا.

كما أنه يربط الوحي بالتاريخ، والعموم بالخصوص. وهو النقد الذي يوجهه المحافظون الحاليون لأصحاب «تاريخية النص» أو «تاريخية القرآن» أو «تاريخية الوحي». ويجعله حوادث ماضية لا تمتد إلى الحاضر أو إلى المستقبل. وتشبه ظروف الوحي وتاريخيته الكتب المقدسة الأخرى التوراة والإنجيل. ويتم استعراض ذلك سورة سورة، وآية آية أسوة بالتفسير الطولي للقرآن دون ترتيب موضوعي أو بنية نظرية تجمع الأسماء كلها في نظرية عامة للتسمية^(٢).

جـ- «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر العسقلاني (٨٥١هـ)^(٣)

وهو في أسباب النزول مع إبداء الدهشة والعجب أى عظم المقارنة بين الآية

(١) الأعلام المذكورة: الطبري (٣٣)، النقاش (١٨)، ابن قتيبة (١٦)، المطلبي (١٥)، ابن عباس (١٤)، ابن عبد البر، المسعودي الدار قطنى (٧)، الترمذى، البكرى، البخارى، ابن هشام (٦)، ابن أبى الدنيا، المقرئ (٥)، مجاهد النحاس، الحارث بن أسامة، وهب بن منبه (٣)، ابن العربى، عكرمة، عمر بن مالك، الزجاج، الهروى، الأشبيل، القشيري، السرقسطى، ابن جنى، الخدرى، الفرزدق، ابن فورك، كعب الأحبار، معاوية، مقاتل، النابغة الذبياني، أبو نواس (١) وآخرون.

(٢) وهو ما يسمى في فلسفة اللغة المعاصرة في الغرب Names and Naming. عدد الآيات المذكورة (٣٧٨)، الأحاديث (٨٨)، الأشعار (٢٢)، الأمثال (٣).

(٣) الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن حجر العسقلاني: العجاب في بيان الأسباب، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ.

وسبب نزولها لمعرفة روح الإسلام وطبيعة الوحي. يتتبع الأسباب سورة سورة وآية آية. وهو غير كامل، فقط من الفاتحة حتى النساء. ويخلو من أى مقدمة نظرية، ربما لانتهاه النظريات. يضم مجرد رصد لأسباب نزول الآيات. ثلاثمائة وتسع عشرة آية. ولا ضير من التدوين مرة ثانية حرصاً على التراث من الضياع بعد الغارات على العالم الإسلامى من الشرق والغرب، من التار والمغول شرقاً وسقوط بغداد، ومن الصليبية غرباً بعد سقوط غرناطة. يفسر القرآن بالقرآن. ويعتمد على كتب التفسير السابقة التى ذكرت أسباب النزول. فالعلم نقل عن السابقين، وحفظ للتراث. والسؤال هو: ما مصادر كتب التفسير فى أسباب النزول؟ كما يعتمد على الروايات والأسانيد. والتفسير بالقرآن يتجاوز التفسير بالحديث. ويغيب الشعر لبعد الموضوع عن البلاغة وفنون القول. وتغيب الدلالات العامة لأسباب النزول وتجميعها فى حقول دلالية حتى يتنظم الكل لأجزاء الوحي بالرغم من صعوبة وضع أسباب نزول ثلاثمائة وتسع عشرة آية فى رؤية واحدة. ويذكر أكثر من سبب للآية الواحدة. لذلك تبرز أهمية التوفيق بين الروايات أو اختيار أنسبها. يساعد على ذلك روح الإسلام وطبيعة الوحي. وقد يظهر بعض نقد روايات أسباب النزول السابقة فخصوص السبب وعموم الحكم ليس من أسباب النزول^(١). وقد يكون النسخ أحد أسباب النزول^(٢).

د- «الإكليل فى استنباط التنزيل» للسيوطى (٩١١هـ)

وهو الحافظ الجامع لمواد السابقين^(٣). ويتراوح بين التنزيل والتأويل، عرضاً طولياً، سورة سورة، وآية آية على نحو انتقائى. والترتيب الزمانى أو الموضوعى أفضل بدلاً من تناثر الموضوعات وتجزئتها عبر السور، دون أى مقدمة نظرية توضح الالتباس. فالتأويل لا يستقرئ بل يستنبط من النص أو من الشعور. فى حين أن التنزيل يستقرئ

(١) السابق، ص ٢١٦.

(٢) السابق، ص ٢٣٣.

(٣) الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى: الإكليل فى استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب خريج جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ.

من الواقع ولا يستنبط من الذهن. الاستنباط للعقائد والأخلاق والشرائع. كل شيء من الآيات. ولا يركز الكتاب على الأحكام وحدها فالقرآن هو كل شيء. يعنى الاستنباط هنا المعنى العام أى الفهم وليس المعنى المنطقي الخاص أى الاستدلال. الهدف فهم النص وليس استنباط الأحكام أو تأويل النص. طبقاً لعنوان الكتاب يدخل فى «أسباب النزول» ولكنه ليس كذلك. إذ يستخرج الموضوعات من الآيات مع بعض التأويل. فلا غنى للتزليل عن التأويل. وتذكر «أسباب النزول» و«الناسخ والمنسوخ» مع استنباط التزليل. وهو أقرب إلى التفسير.

يعتمد على أقوال السابقين خاصة المفسرين مثل الغزالي وابن عربى والبيضاوى. هو نوع من التفسير الشامل وإن صغر حجمه. يفسر القرآن بالقرآن أكثر من القرآن بالحديث أو الشعر. والحديث نفسه تفسير للقرآن وتناص معه. كما تفسر الآية بالتعيين، وربط العموم بالخصوص، وتحويل المعنى إلى علامة. ولا يخلو من الجدل العقائدى. فنذكر المعتزلة والدهرية والقدرية مع نزعة سلفية واضحة، وجعل الوحي متضمناً لكل الحقائق، والدخول فى جدل القياس بين الإثبات والإنكار^(١).

هـ- «لباب المنقول فى أسباب النزول» للسيوطى (٩١١هـ)

وهو كتاب تجميعى كما يدل على ذلك العنوان. يعتمد على كتب تفسير السابقين وعلى آراء الفقهاء السابقين خاصة ابن تيمية^(٢)، بالرغم من التنبيه على طرق الرواية المسند منها إلى الصحابة أو إلى المفسرين أو «أسباب النزول» للواحد أشهر الكتب فى الموضوع. ويتميز «لباب المنقول» عنه بالاختصار والجمع الكثير وتخريج الأحاديث، وتمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود، والجمع بين الروايات المتعددة، وتنحية ما ليس من أسباب النزول^(٣). وطريقها الرواية والسماع لمن شاهدوا التنزيل^(٤). وتتفق الروايات وتختلف، المهم إيجاد دلالاتها على بنية الوحي وروح الإسلام.

(١) نقد المعتزلة، السابق ص ١٢٤، نقد القدرية ص ١٥٢ / ٢٧٩ / ٢٨٢، الرد على الدهرية ص ٢٣٥، جدل القياس ص ١٤٨.

(٢) لباب المنقول ص ٣.

(٣) لخصته من جوامع الحديث والأصول، وحررته من تفاسير أهل القول، السابق ص ٣.

(٤) السابق ص ٣-٤.

ولأسباب النزول فوائد كثيرة بالرغم من أنها تبدو أقرب إلى التاريخ مثل الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال^(١). تستعرض سورة سورة وآية آية على نحو طولى. ويصحح بعض مواقف السابقين. وتبدو الاتجاهات الكبرى في أسباب النزول مثل تصحيح مواقف النبى، والإجابة نيابة عنه، وبعض المسائل العملية الخاصة مثل أحوال الأسرة والعامة مثل قضايا الحرب والسلام، والموقف من بعض الجماعات المعادية مثل اليهود، وظهور بعض الجوانب الخيالية مثل كلام الشيطان والرد عليه وتدخل جبريل. وتبدو بعض المسائل وقد انقضت بفضل الزمن مثل صيد الكلاب^(٢).

٢- أول وآخر وزمان النزول

أول ما نزل (اقرأ) أى العلم. ليست القراءة الأبجدية بل القراءة العلمية أى المعرفة والفهم وليست «الفاثحة» أو «المدثر» أو «المزمل»^(٣). ولا تعنى القراءة فعل الأمر القراءة والكتابة للحروف الهجائية بل العلم والتدبر والمعرفة. فالقراءة وسيلة وليست غاية، أداة وليست قصداً^(٤). أول ما نزل هو الإعلان الأول، اللحن الأول فى السيمفونية مثل ضربات القدر فى السيمفونية الخامسة لبيتهوفن. هو «ترومبيت» اليقظة للجند فى الصباح، وجرس الطابور المدرسى، ودقات الساعة، ودقات خشبة المسرح إعلانا عن بداية المسرحية. هو الإعلان عن البداية قبل النهاية، الكشف عن المنبع قبل المصب، والإمكان قبل التحقق. هو الإعلان عن بداية الوعى، معرفة وعلمًا وقراءة وكتابة، قبل القيام للإنذار والارتعاش والإحساس بالبرودة من تلقى المعرفة الجديدة. ولا يهم مكان النزول، مكة أو المدينة بل مضمون النزول، القراءة والمعرفة. ولا يهم أول ما نزل فى موضوع معين مثل القتال أو الخمر بل البداية على الإطلاق، البداية الكلية^(٥).

وآخر ما نزل مرتبط بأوله أى التحقق بعد الإمكان، والمصب بعد المنبع، والنهاية

(١) السابق ص ٧٥ / ٧٧ / ٨٧.

(٢) السابق ص ٧٦.

(٣) البرهان ج١ / ٢٠٦ - ٢١٠.

(٤) الواحدى: أسباب النزول، ص ٥ - ٧.

(٥) الإتيان ج١، ص ٦ - ٧٦. لذلك تسبق آية (اقرأ) آيتى (يا أيها المدثر) و(يا أيها المزمل) (وسورة الفاتحة).

بعد البداية، والإعلان عن الكمال والتمام والرضا، واستقلال العقل وحرية الإرادة. ليست النهاية موضوعاً معيناً، حكماً شرعياً أو إحالة إلى الرسول أو إشارة إلى اليوم الآخر والاستحقاق بل الإعلان عن الكمال والتمام^(١). وآخر ما نزل ليست أموراً تشريعية مثل الكلاله أو الحرب، ولا أموراً عقائدية أخروية أو شخصية تتعلق بالرسول بل الآيات التي تدل على النهاية، وتحقيق الرسالة، وانتهاء المهمة^(٢).

وقد نزل القرآن في شهر رمضان. بل نزلت الكتب المقدسة السابقة في نفس الشهر في أيام مختلفة^(٣). ثم تحول شهر رمضان في الدين الشعبي إلى شهر مبارك. ويتم الاحتفال بنزول القرآن وبليلة القدر وبالإسراء والمعراج فيه. وتم التعبير عن ذلك في الأغاني الشعبية^(٤).

فإن قيل نزل في شهر رمضان فلفضله على باقى الشهور. وإن قيل في ليلة القدر فلفضلها على باقى الليالى. وهو دور، نزول القرآن في ليلة القدر وفضل ليلة القدر لنزول القرآن. ولا تتحدد ليلة القدر بليلة معينة، السابع والعشرون أو بفترة معينة، العشر الأواخر من رمضان. والتخصيص بليلة البدر نوع من التفضيم والتعظيم. فالبدر أعظم من التريبع، والتريبع أفضل من الهلال، والهلال يُرى وليس السواد الحالك. وتؤكد الأمثال العامة على أفضلية البدر بتشبيه وجه الحبيبة به. بل يتم التفصيل في مواعيد نزول الكتب المقدسة السابقة، التوراة في السادس من رمضان، والإنجيل في الثالث عشر، والزبور في الثامن عشر، والقرآن في الرابع والعشرين في حديث. وهو ما يتفق مع بعثة الرسول في شهر ربيع^(٥).

(١) الإتقان ج١، ص ٧٧-٨١.

(٢) التشريعية مثل ﴿اللَّهُ يُفَتِّتُكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ أو في الحرب آخر سورة «براءة» والأخروية مثل ﴿وَأَنقُذُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، والشخصية التي تتعلق بالرسول مثل ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾. وآيات النهاية مثل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ أو ﴿وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، الواحدى: أسباب النزول، ص ٨-٩.

(٣) صحف إبراهيم في الأول من رمضان، والتوراة في السادس، والإنجيل في الثالث عشر، والزبور في الثامن عشر، والقرآن في الرابع والعشرين، السابق، ص ٩.

(٤) أشهرها أغنية عبد المطلب التي تذاغ ليلة رمضان كل عام «رمضان جانا وفرحتا له».

(٥) الإتقان ج١/ ١١٦-١٢٠.

وقد تحولت الليلة إلى احتفال رسمي وشعبي. تعطى فيها جوائز حفظ القرآن للصبية، مصريين وعرب ومسلمين. ينتظرها الناس كما ينتظرون الفرج للدعاء وتحقيق المطالب والسؤال. مع أن زمن الوحي قد انتهى. وترك الإنسان لعقله وإرادته لتحقيق ما يريد.

٣- التنجيم

والغاية من أسباب النزول هو تنزيل القرآن وتفريقه طبقاً للحوادث وهو «التنجيم». فالقرآن مواكب للحوادث. والآية جدل بين النص والواقع. وكلاهما واجهتان لعملية واحدة. يتقدم الواقع النص أحياناً ويتقدم النص الواقع أحياناً أخرى^(١). وكانت أمنية أهل الكتاب أن ينزل القرآن جملة واحدة مثل باقى الكتب المقدسة، وبالتالي ينتهى التفاعل بين النص والواقع^(٢).

«التنجيم» هو ما نزل من القرآن مفرقاً طبقاً لأسباب النزول أى استدعاء الواقع للوحي، واستجابة الوحي لنداء الواقع. وقد يكون ما نزل آية وسورة. ونموذجها السور القصار. وما نزل جمعاً كان فى الأصل مفرقاً ثم جمع توقيفاً من الرسول ربها طبقاً للموضوع أو استكمال الرؤية أو الحكم. ونموذج ذلك السور الطوال^(٣).

وقد يكون سبب التنجيم تثبيت الفؤاد وحفظ الذكر فالنزول دفعة واحدة عرضة للنسيان. فالحفظ فى الموقف أسرع من الحفظ خارج الزمان والمكان^(٤). إلا أن السبب الرئيسى فى التنجيم أن القرآن كان ينزل حسب الحاجة، وتحقيقاً لمطالب، وإجابة على سؤال. والواقع تتنوع أسئلته، وتتجدد مطالبه. ولا يوجد سؤال واحد لكل العصور ولكافة المجتمعات^(٥). نزل القرآن منجماً أى مفرقاً على ثلاث وعشرين سنة طبقاً

(١) «وَقَدْ كُنَّا قَوْمًا لِّقِرَآنِهِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا».

(٢) «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً».

(٣) الإتيان ج١/ ١٠٧-١٠٨.

(٤) السابق ج١/ ١٢١-١٢٤.

(٥) «الذى استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرًا وأكثر وأقل...»، السابق، ص ١٢٤.

للحاجة. ولا فائدة من نزوله جملة واحدة إلى السماء الدنيا وبقائه دون نفع مادام لم ينزل على الأرض. في حين نزلت التوراة جملة واحدة. فالوصايا العشر مبادئ أخلاقية عامة، لا مناسبات ظرفية لها. هي ما ينبغي أن يكون وليست ما هو كائن. ولا فائدة من نزوله إلى السماء الدنيا في عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة، في كل ليلة نزول سنة. فهذا تصور إنساني للبيع بالجملة أو القطاعي أو التاجر الوسيط بينها. والأقرب إلى الصواب نزوله منجماً في أوقات مختلفة طبقاً للحاجة. بصرف النظر عن اختزانه قبل ذلك في السماء الدنيا أو في ليلة القدر.

ونزوله من اللوح المحفوظ جملة واحدة ثم نجمته الحفظة على جبريل في عشرين ليلة ثم نجمه جبريل على محمد في عشرين سنة تدخل الخيال في الواقع وإدخال موضوعات متعالية كاللوح المحفوظ وجبريل والحفظة في موضوع واقعي خالص وهو نزول الوحي في موقف. وتحويل الحفظة إلى السفارة الكرام الكاتبين تفصيلات لا براهين عليها^(١). ويتدخل الخيال للتعظيم والتفخيم بإعلام سكان السموات السبع بأن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل^(٢).

لا تتعلق كيفية الإنزال بالمحور الرأسى للوحي بل بالمحور الأفقى، علاقة المرسل بالرسول بل علاقة الرسول بالمرسل إليهم. وهو أدخل في نظرية النبوة في علم أصول الدين، ونظرية الاتصال في علوم الحكمة ونظرية الولاية في علوم التصوف^(٣). وكلها موضوعات متعالية تخرج عن نطاق الحس والعقل. ولا تعتمد إلا على الرواية. والرواية ظنية. والدليل النقلي دون دليل عقلى ظنى. ولا أهمية له في أى وقت نزل من السنوات أو الشهور أو الأيام ومن أى مكان نزل من السماء على العموم أو السماء السابعة وعن أى جانب في جبريل، عقله أم قلبه أم لسانه، وبأى لغة نزل قبل أن يبلغ به محمد. وتعدد الآراء والروايات مما يدل على أنها كلها ظنية. ويصعب معرفة الموضوعات المتعالية التى

(١) السابق ج١/ ١١٦-١١٩.

(٢) «السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه، وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا الكتاب آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم قد قربناه إليهم لتزله عليهم»، الإقتان ج١/ ١١٩.

(٣) السابق ج١/ ١١٦-١٤٢، البرهان ج١/ ٢٢٨-٢٣٣.

تخرج من نطاق الحس والعقل ووسائل المعرفة الإنسانية المباشرة وليست الروايات والأخبار^(١). كيفية نزول موضوعات متعالية لا دليل عليها^(٢). ومنها كيفيات يعتمد عليها في تبليغ الوحي مثل حضور الملك في النوم حاملاً الوحي^(٣).

والنزول على أربعة مستويات أو مراحل طبقاً للروايات: الأول من العلم الإلهي إلى اللوح المحفوظ، والثاني من اللوح المحفوظ إلى جبريل، ذهنه وقلبه ولسانه، والثالث من جبريل إلى الرسول وبأى لغة، والرابع من الرسول إلى المرسل إليهم. لا يتعرض القدماء للمستوى الأول. وهو الخروج من العلم الإلهي إلى اللوح المحفوظ لأنه صعب. ويعتمد على الخيال وليس على الحس أو العقل أو حتى الرواية. إنما يتحدث القدماء عن نزول الوحي من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وهو ما يعادل العقل العاشر عند الحكماء الذي يتصل به عقل الفيلسوف للنيل من فيضه. ثم ينزل من السماء الدنيا طبقاً للحاجة^(٤).

٤- القصص والتوجيه السياسي

ليست أسباب النزول في قصص الأنبياء الذي يصف التاريخ الماضي الذي انقضى مثل سفينة نوح أو هبوط آدم إلى الأرض وطوافه حول العرش^(٥). فتلك قصة. الغاية

(١) هناك ثلاثة أقوال: أ- نزل القرآن إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين طبقاً لمدة إقامة الرسول بمكة بعد النبوة.

ب- نزل القرآن إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ثم نزل بعد على الرسول منجماً.

ج- ابتداء النزول في ليلة القدر ثم نزل منجماً بعد ذلك حسب الأوقات. البرهان جـ ١ / ٢٢٨.

(٢) الإتيان جـ ١ / ١٢٨ - ١٣٠. مثل صلصلة الجرس، النفث في الروح، صورة رجل، الملك في النوم.

(٣) السابق جـ ١ / ١١٦ - ١١٩.

(٤) «أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفزقاً حسب المصالح»، «فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه. ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجديد العهد به وما معه من الرسالة الواردة»، البرهان جـ ١ / ١٣١.

(٥) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُرْهَانَكَ فَاتَّخَذْتَهُمْ قَالِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا تَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤: ٢). (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد. ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب إليم) (الحج: ٢٥).

منها العظة والعبرة وليس استنباط الأحكام. وليس سبب نزول الآيات الرد على أهل النار وإمكانية الخروج منها فهذا تصوير فني، الغاية منه التأثير في النفس ودفعها نحو التقوى وتجنبها هذا المصير^(١).

وإذا قرر المسلمون أخذ فداء للأسرى وهم أقرباؤهم تدخل جبريل طالبا من محمد الخيار بين القتل أو الفداء وهو أقسى مما اقترحه المسلمون. وعادة ما يكون الوحي أرحم. وعادة ما يتدخل الصحابة بالرأى والمشورة. ويأتى الوحي مرجحا أحد الآراء^(٢).

القصص ليس من أسباب النزول لأنها تتعلق بأمور الحاضر وليس الماضي، بأمور الواقع وليس بأمور العبرة^(٣). تتعلق بحكم خاص وليس بفكرة عامة. تتعلق بالأحكام وليس بالأخبار^(٤). وكما أن النسخ لا يكون إلا في الأحكام وليس في القصص أو الأخبار كذلك أسباب النزول لا تكون إلا في الأحكام وليس في القصص أو الأخبار.

ولا تخلو أسباب النزول من التوجيه السياسى وتصويب الآيات نحو جماعات المعارضة مثل الخوارج. وقد نشأت بعد اكتمال الوحي ووفاء الرسول. فمن ينقض عهد الله ويفسد في الأرض ليسوا الخوارج أو «الحرورية» الذين نزلوا بأرض حاروراء. فالواقعة حدثت بعد اكتمال الوحي^(٥). وقد كان الخوارج الخصوم السياسيين للأمويين

(١) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ فَتَنَّبَرَّأْنَاهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِنَّ اللَّهُ أَفْعَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (١٦٧:٢).

(٢) ﴿أَوَلَمْ أَصْغِبْكُمْ مِصْبِيَّةً قَدْ أَصْبَحْتُمْ مَفْزَحِينَ قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا أَقْلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٥:٣).

(٣) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَوَظُّيْنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِنْ لَطَمْتُمُ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْمَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦:٢). وهذا ليس من أسباب النزول التي يكثر السؤال عنها ويبنى عليها الأحكام أهل الكلام حيث يكون حكما عاما أو يختص بها من نزلت بسببه. وإنما هو من ذكر أسباب ما وقع في الأمم الماضية...، العجائب، ص ٢١٦.

(٤) والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدى في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الأخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وبناء البيت ونحو ذلك. فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى، لباب المنقول، ص ٤.

(٥) ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٢٧:٢).

وقت التدوين من مؤرخى السلطة وكتاب السلطان. وكذلك تنبؤ الرسول بالقتال بين على ومعاوية^(١). والسياق مختلف تفضيل الرسل. وهى قراءة الحاضر فى الماضى. فالتدوين لم يخل من توجهات سياسية.

٥- النزول المعنى والحرف

ولا يعنى الإنزال المعنى الحرفى، الهبوط من أعلى إلى أسفل وهو المعنى الاشتقاقى أى الإنزال المكانى بل قد يعنى الإظهار والكشف والبيان والإعلان والإبلاغ والإلهام والتلقى. إنما هو التصور الشعبى للصلة بين السماء والأرض، والملاك والرسول، والله والعالم^(٢).

والإنزال باللفظ والمعنى وهو ما يميز الوحى القرآنى عن باقى الكتب المقدسة. فلم يحفظ الإنجيل باللغة الأصلية وهى الآرامية، بل باللغة اليونانية ثم ترجم إلى اللاتينية. وكذلك لم تدون كتب بنى إسرائيل منذ ساعة إعلانها بل بعد ذلك بسبعة قرون تقريباً. كما حدث فى أسفار موسى الخمسة التى دونت فى القرن السابع قبل الميلاد وأثناء الأسر البابلى، فى حين عاش موسى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد يكون الإنزال بالمعنى دون اللفظ، بالروح وليس بالبدن، ويختار النبى اللغة من عنده، العربية، واللهجة من عنده، لهجة قريش. وهو نفس المعنى الإنجيلى والتوراتى.

وقسمة القرآن قسمين، طلب الله جبريل بالإنزال وطلب جبريل محمد بالإنزال لا يفيد فى شىء إلا فى الإغراق فى البعد الرأسى على حساب البعد الأفقى. وسواء انخلع جبريل من صورة الملائكة إلى الصورة البشرية أو انخلع الرسول من الصورة البشرية إلى الصورة الملائكية فهما ظنان خياليان^(٣).

(١) ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَمَا تَدْرِيْنَ أَيْنَ مَرْجِعُ الْبَٰئِنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَٰئِنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَيَنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يُفَعِّلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢: ٢٥٣).

(٢) الإنقان ج١/ ١٢٥.

(٣) الإنقان ج١/ ١٢٦-١٢٧، البرهان ج١/ ٢٢٨-٢٣٢.

النزول باللغة العربية. نزل من السماء بالعربية ثم ترجمه كل نبي لقومه بلغته. والحقيقة أن الوحي في العلم الإلهي بالمعنى وليس باللفظ. فالعلم الإلهي ليس في حاجة إلى وسائل للتعبير والإيصال. القضية هي تدوين العلم الإلهي في اللوح المحفوظ بأى لغة؟ قد يكون حفظاً بالمعنى دون الحرف وهو ما يناقض مفهوم اللوح والقلم. وجبريل يأخذ الوحي من اللوح المحفوظ بلغته. قادر على فهم كل اللغات. وإذا أخذه بمعناه فبأى لغة يبلغ؟ وإذا بلغ بالعبرية لأنبياء بنى إسرائيل، وبالأرامية لعيسى، وبالعربية لمحمد فبأى لغة بلغ باقي الأنبياء لباقي الأقوام؟ الأغلب هو نزول جبريل بالقرآن بالعربية، وقراءة الرسول له بالعربية لفظاً ومعنى^(١).

والنزول لفظ خاص بالقرآن دون السنة. فالسنة لم تنزل بل هي شرح وتعليق شخصي من الرسول بحسه الفطري وذوقه الطبيعي وعاداته العربية لبعض تفصيلات القرآن وأوجه بيانه^(٢). السنة صعود وليست نزولاً، إدراك مباشر، تعبير فطري، وسلوك بدوي.

٦- تكرار النزول وتأخر الحكم

وقد يتكرر نزول القرآن للتثبيت والتأكيد والتذكير والموعظة والتعظيم لشأنه. ويروى أن جبريل كان يراجع مع الرسول القرآن كل سنة مرة لتدارك السهو والنسيان. والغرض من التكرار هنا الحفظ والمراجعة. وهو افتراض لا يمكن التثبيت من صحته. كما يخشى من التكرار أن تثبت الآية مرتين بسبب المراجعة. والظن أنها نزول آخر. وقد ينفي التكرار لأنه لا فائدة منه حرصاً على تفرد الآية^(٣).

وقد ينزل الوحي بما نزل به من قبل في المراحل السابقة تأكيداً لوحدة الوحي واستمرار الرسالة. وهو ما دفع بعض المستشرقين إلى الحكم بأن الوحي الإسلامي مستمد من الوحي اليهودي والمسيحي من خلال روايات شبه الجزيرة العربية. من

(١) السابق ج١/ ١٣٠-١٣١.

(٢) السابق، ص ١٢٨.

(٣) السابق، ص ١٠٢-١٠٣، البرهان ج١/ ٢٩-٣٢.

اليهودية العربية أو المسيحية العربية. وقد ينزل الوحي لأول مرة تأكيداً على الجديد فيه الخاص بآخر مرحلة^(١). ولا يهم أى آية من هذا النوع أو ذاك بقدر ما تهتم الدلالة. إلا إذا كان الهدف معرفة جدل التواصل والانقطاع، ومدى شمولية الوحي وخصوصيته. فالقصاص مفروض في اليهودية. والرحمة والمغفرة منصوص عليها في المسيحية^(٢). والوصايا العشر منصوص عليها في التوراة. والموعظة على الجبل موجودة في الإنجيل^(٣). ويذكر سبب نزول آية التوراة وتكرارها مرة ثانية^(٤).

وقد يتأخر الحكم عن النزول. وفي هذه الحالة يكون المقصود من الآية المعرفة وليس السلوك، العلم وليس العمل، الإيماء وليس الفعل مثل نزول آية في الزكاة قبل إقرارها حكماً^(٥). نزلت في مكة كعقائد قبل نزولها في المدينة كأحكام^(٦). ومثل آية في مكة تصف قبل فرض القتال وكان الأمر بالصلاة في مكة قبل تشريعه في المدينة وقد تم الإعلان عن الأذان في مكة قبل تشريعه في المدينة مع أن الآية قد تعنى مجرد الدعاء وليس الأذان^(٧). ونزلت آية الوضوء في مكة قبل التشريع للصلاة في المدينة. فالطهارة حسنة في ذاتها بصرف النظر عن كونها شرطاً للصلاة^(٨).

ويدل تأخر النزول عن الحكم على أن الفعل طبعى قبل نزول الوحي به، وأن الوحي يأتى متفقاً مع الطبيعة، وتشريعاً للممارسة. فقد كان الوضوء شرطاً للصلاة

(١) السابق ج١ / ١١٢ - ١١٥.

(٢) من آيات الاتصال ﴿قُلْ قَالُوا أَتُؤْمِنُ بِمَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفٌّ عَنِ الْفِتَنِ وَلَوْ أَنَّ لَكَ بِهَا مِثْرُ النُّجُومِ لَذَرَيْتَهَا خَلَا لَهَا خَالِدًا فِيهَا وَلَوْ أَنَّ لَكَ بِهَا مِثْرُ النُّجُومِ لَذَرَيْتَهَا خَلَا لَهَا خَالِدًا فِيهَا وَلَوْ أَنَّ لَكَ بِهَا مِثْرُ النُّجُومِ لَذَرَيْتَهَا خَلَا لَهَا خَالِدًا فِيهَا﴾.

(٣) الوصايا العشر وهي: التوحيد، النهي عن الشرك، واليمين الكاذب، والعقوق، والقتل، والسرقه، والزنا، والزور، ومد العين إلى ما في يد الغير، والأمر بتعظيم السبت.

(٤) مثل ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾. و﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، و﴿وَكُتِبَ اللَّهُ فِي الْآلُوفِ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ مَوْعِظَةٌ﴾، و﴿لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

(٥) الإنفاق ج١ / ١٠٤ - ١٠٦.

(٦) مثل آية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰ ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾، و﴿وَمَا تَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾، و﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، و﴿مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

(٧) وهي آية ﴿سَبِّحْ لِلْحَمْدِ وَتُؤْمِنُ بِالْذِّكْرِ﴾، وآية ﴿جُنْدٌ مَا هَئِلَتْ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْرَابِ﴾.

(٨) وهي آيات مثل ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ إِنَّا بُدِّلْنَا بِهِ لَعَنًا﴾، و﴿جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، و﴿وَمَا لَكُمْ لِمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلَ إِنَّا بُدِّلْنَا بِهِ لَعَنًا﴾.

في مكة قبل أن يُشرع في المدينة. وكانت الصدقات تعطى في مكة قبل أن تفرض في المدينة^(١).

فإذا كان النزول سابقاً على الحكم. فإن ذلك يعنى استنباط الأحكام^(٢). ويقوم سبب النزول في هذه الحالة بوظيفة العلة في استنباط الحكم من الأصل. وتعنى أسباب النزول حيثئذ التخصيص. فاللفظ عام والسبب خاص.

وعند القدماء معرفة أسباب النزول ضرورية ولا خطورة منها على القول بتاريخية النص. إذ تساعد على معرفة وجه الحكم الشرعى والباعث عليه. كما تساعد على تعميمه إذا كان خاصاً أو تخصيصه إذا كان عاماً. قد يكون الحكم عاماً والسبب خاصاً كما يقول الأصوليون، سواء على مستوى الألفاظ أو مستوى المعانى. فقد يتوهم الحصر والعبرة بعموم اللفظ وخصوص السبب على حد سواء.

٧- على من ينزل الوحي؟

أ- نزول الوحي على الأنبياء

ولا ينزل الوحي إلا على الأنبياء. وقد يرد ذلك على لسان النبي فتأتى الآية مصدقة لقوله مما جعل بعض المستشرقين يدعى أن القرآن كله من عند النبي^(٣). ويأتى ذلك معنى لا لفظاً في معرض رد الرسول على اتهامه بأن ما يأتى به من وحي من عنده وليس من عند الله. فالوحي هنا يعبر عما في نفس الرسول ويؤكد عليه. وخطورة ذلك التعميم على كل آية يتحدث فيها الرسول عن نفسه.

وإذا نزل على الصحابة فإنها يصعد من قلوبهم بالفطرة والطبيعة. فلا فرق بين

(١) وهى آيات ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمَوْلَى فُلُوهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْفَرَمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، الإتيان ج ١ / ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) البرهان ج ١ / ٢٣ / ٣٢.

(٣) مثل إنكار الرسول أن يكون الوحي من عنده بقوله ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِبَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾. الإتيان ج ١ / ١٠١.

النزول والصعود، بين ما ينزل من وحى بناء على استدعاء الواقع وما يصعد من الواقع كوحى طبيعى. ثم يؤكد الوحي كنزول مؤكدا الوحي كصعود. ويحدث ذلك لفظا ومعنى. ففى الموقف يعبر الإنسان بطبيعته عن شيء يأخذه الوحي وينزله مرة ثانية بعد إعادة صياغته. وهو فى الواقع قول بشرى^(١). وعادة ما كان يحدث ذلك لعمر. لذلك جاء حديث «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه». الحق الوحي، والقلب المعنى، واللسان اللفظ^(٢). وقد وافق عمر الوحي فى ثلاث^(٣).

وحدث ذلك مع غير عمر، وإن كان عمر هو النموذج. مع سعد بن معاذ، ومصعب ابن عمير حامل اللواء^(٤). وقد يحدث ذلك مع امرأة عادية. فتأتى آية مؤكدة لقولها معنى وليس لفظا^(٥). وقد يحدث ذلك على لسان أحد العباد بفطرته البشرية، وليس الإنسان المتميز صاحب الفطرة الفائقة^(٦).

ب- أسماء وكنى وألقاب الأنبياء

وبالرغم من أن القرآن مجموعة من الأفكار والآراء والمعانى والدلالات إلا أنها

(١) الإتقان ج١/ ٩٩-١٠١.

(٢) قال عمر «وافقت ربي فى ثلاث: فى الحجاب، وفى أسارى بدر، وفى مقام إبراهيم»، وفى قول آخر «وافقت ربي أو وافقتى ربي فى أربع قال مجاهد» كان عمر يرى رأى فيتزل به القرآن.

(٣) قال عمر «يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى» فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. وقال عمر «يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البار والفاجر فلو أمرتهن أن يتحجبن» فنزلت آية الحجاب. ولما اجتمع نساء الرسول عليه فى الغيرة قال عمر لهن «عسى ربي أن يطلقن أن يبده أزواجهن خيراً منكن» فنزلت آية لفظا ومعنى. ولما نزلت آية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُكُلَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ قال عمر (فتبارك الله أحسن الخالقين) فنزلت آية لفظا ومعنى. ولما لقي عمر يهوديا يقول «إن جبريل الذى يذكر صاحبكم عدو لنا» قال له عمر (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) نزلت لفظا ومعنى.

(٤) حدث مع سعد بن معاذ عندما سمع بحديث الإفك فقال (سبحانك هذا بهتان عظيم) فنزلت آية. وربما حدث مع زيد بن حارثة وأبى أيوب. وحدث ذلك أيضا عندما حل بن عمر اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى وأخذ اللواء بيده اليسرى وهو ينشد (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل. أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فنزلت آية. وكرر ذلك عندما قطعت يده اليسرى فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره. ثم قتل فسقط اللواء. الإتقان، ص ١٠٠-١٠١.

(٥) ولما أبطل على النساء الخبر فى أحد خرجن يستخبرن فسألت امرأة رجلين مقبلين على بعير: ما فعل رسول الله؟ قال: حى قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، فنزلت آية ﴿وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، معنى لا لفظا. الإتقان، ص ١٠٠.

(٦) مثل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرِثَاكَ نَسِيتُ﴾، السابق، ص ١٠١.

محمولة على وقائع وأسماء. فالعام يُحمل على الخاص. المواقع مثل «أسباب النزول» والأسماء والكنى والألقاب للأنبياء^(١). وهم خمسة وعشرون^(٢). ولكل صفته. آدم أبو البشر، وإدريس أول من أعطى النبوة. وهو أخنوخ. رفعه الله حماية له من ظلم البشر، وسنه ثلاثمائة وخمسون عاما وهو إدريس ذو الكفل. ولقب إليسع يوشع وزكريا بما يدل على الاجتهادات الإنسانية. وقد يختلف على شخص النبي واسمه مثل ذو الكفل ابن أيوب أو إلياس أو يوشع بن نون أو زكريا أو إليسع^(٣). ويوسف ابن الكريم ابن الكريم. وألقى في الجب وهو ابن الاثنى عشر عامًا. ولقى أباه بعد الثمانين وكان هو رجلا، وشعيب خطيب الأنبياء كثير السلالة. وكان هارون فصيحًا. وداود أعبد البشر. وجمع داود بين النبوة والملك. وكان سليمان ملكًا وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وابتلى أيوب في سن السبعين، ثلاثة عشر أو سبع أو ثلاث سنين. ولبث يونس في بطن الحوت أربعين يومًا أو سبعة أيام. وقتل يحيى ظلمًا. حكم الأرض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمرود ونبوخذ نصر. وعيسى بلا أب. كانت مدة حمله ساعة أو ثلاث أو ستة أشهر أو ثمانين أو تسع وعمر أمه عشر سنين أو خمس عشرة. ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة. ونزل ويقتل الدجال. ويتزوج ويولد له ويحج ويحكم في الأرض سبع سنين ويدفن مع النبي.

ومن الكنى والألقاب فليس في القرآن إلا أبو لهب واسمه عبد العزى. أما الألقاب فمنها «إسرائيل» لقب يعقوب ومعناه عبد الله، صفوة الله، سرى الله. صرع الملك فسمى إسرائيل أي «انتصر الله». استعمله القرآن بكثرة في نداء (يا بني إسرائيل) وليس «يا بني يعقوب». والمسيح يعنى الصديق أو الذى لا يمسح به ذى عاهة إلا برئ أو الذى يمسح في الأرض أى الذى يقطعها. ونوح عبد الغفار، لكثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه. وذو القرنين هو الأسكندر، عبد الله بن الضحاك أو المنذر بن ماء السماء أو الصعب بن قرين، واللقب لأنه بلغ قرنى الأرض المشرق والمغرب أو لأنه ملك الفرس والروم أو لأنه كان

(١) السابق جـ ٤ / ٥٨ - ٧٨.

(٢) وهم: آدم، نوح، إدريس، إبراهيم، إسماعيل، إسحق، يعقوب، يوسف، لوط، هود، صالح، شعيب، موسى، هارون، داود، سليمان، أيوب، ذو الكفل، يونس، إلياس، إليسع، زكريا، يحيى، عيسى، محمد، السابق، ص ٥٨ - ٦٧.

(٣) السابق، ص ٦٥ - ٦٦.

يصنع قرنين على رأسه من شعر أو من ذهب. وفرعون هو الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس أو أبو مرة أو لقب كل حاكم في مصر. وقد يكون فارسيا من اصطخر. وتبع هو أسعد بن ملكي مكرب. وسمى كذلك لكثرة من تبعه. وربما هو لقب ملوك اليمن لأن كل واحد كان يتبع صاحبه ويخلف غيره^(١).

ولكل اسم اشتقاقه اللغوي من السيريانية أو العبرية. وكل الأسماء أعجمية إلا آدم وصالح وشعيب ومحمد. آدم من الأدمة. خلق من أديم الأرض من السيريانية أو من العبرانية بمعنى التراب. ونوح بالسيريانية الساكن. وسمى نوحا لكثرة بكائه على نفسه. واسمه أيضا عبد الغفار. وإدريس لفظ سرياني يعني أنه درس الحكمة. وإبراهيم بالسيريانية يعني الأب الرحيم. وربما اشتق من البرهمة وهي شدة النظر. وموسى من السيريانية لأنه ألقى بين الشجر والماء. فالماء بالقبطية «م» والشجر «سا». واسحق من الضحك بالعبرانية. ويعني هارون بالعبرانية «المحب».

وذو الكفل لأنه تكفل بالدعاء إلى التوحيد. فالاسم مشتق من العمل. استخلف إيسع فتكفل له أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ويصلي كل يوم مائة ركعة. وقد يكون يونس من الأنس أو الأسف. وإيسع من وسع. ويحيى لأن الله أحياه بالإيمان أو لأنه حي رحم أمه أو لأنه حي مثل الشهداء. وعيسى ومحمد وحدهما لها اسمان مثل أحمد ومحمد. وخمسة من الأسماء سموا قبل أن يكونوا: محمد ويحيى وعيسى وإسحق ويعقوب.

ويوصف جسد النبي مع بعض صفاته النفسية والخلقية ولون البشرة، وطوله، وضخامته وعرضه وشعره وعينييه وصدره^(٢). كان لوط أشبه الناس بآدم. وكان صالح أحر الفاتح، أسبط الشعر، لبث يدعو قومه أربعين عامًا. وكان موسى آدم طويل جعد. وكان هارون أطول من موسى. نصف لحيته بيضاء والنصف الآخر سوداء يصل طولها إلى الصرة. وعمى شعيب في آخر عمره. وكان داود أحر الوجه سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية وفيها جعودة، حسن الصوت والخلق. وكان سليمان أبيض وسميًا وضيئًا جميلاً خاشعًا متواضعًا. يشاوره أبوه لرجاحة عقله.

(١) السابق، ص ٧٦-٧٨.

(٢) كان إدريس أبيض طويلا، ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، إحدى عينييه أعظم من الأخرى، في صدره بياض من غير برص. الإتيقان جـ ٤ / ٥٩.

ويحدد وقت البعثة. فبعث نوح في سن الأربعين. ومدتها تسعمائة وخمسون عامًا. وعاش بعد الطوفان ستين عامًا حتى تكاثر الناس. وبعث صالح إلى قومه حين راهق الحلم. ودعى صالح قومه عشرين عامًا. وكان سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وبدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين.

ولكل نبي عمر. أطولهم آدم ونوح وإدريس. إذ عاش كل منهم ألف سنة. ثم يصغر السن تدريجيًا. وإبراهيم مائتي عام، أو مائة وثمانين عامًا، ويعقوب مائة وسبعا وأربعين عامًا، ويوسف وموسى مائة وعشرين عامًا، داود مائة سنة، وأيوب ثلاثًا وتسعين، وذو الكفل خمسًا وسبعين، وصالح ثمانية وخمسين، وسليمان ثلاثًا وخمسين.

وتحدد قبيلة النبي. فقد كان قوم صالح عربًا بين الحجاز والشام. وأرسل شعيب إلى مدين وأصحاب الأيكة. وقد يتم تحديد مدة ظهور النبي بتاريخ الشعوب المجاورة مثل فارس. وكان يونس في زمن ملوك الطوائف في فارس.

ويحدد مكان وفاة النبي. فقد توفي صالح في مكة. كما يتحدد مكان ظهوره. فقد ظهر ذو الكفل في الشام.

وتحدد علاقة الأنبياء بعضهم البعض عن طريق النبوة والأخوة أو علاقة الزمان، القبل والبعد. آدم ثم نوح ثم إدريس. وربما إدريس ثم نوح. فإدريس جد نوح وإبراهيم ابن آزر. وإسماعيل أكبر أولاد إبراهيم. له بعده إسحق بأربع عشرة سنة. ويوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم. ولوط ابن إسحق، لوط بن هارون ابن آزر أو ابن أخى إبراهيم.

ويحدد طول الفترات بين الأنبياء. فبين آدم ونوح عشرون قرنًا. وتصغر المدة إلى مائة وستة وعشرين عامًا، وما بين نوح وإدريس ألف عام. وولد إبراهيم بعد آدم بألفي عام. وكان بين نوح وإبراهيم هود وصالح. كان ثمود بعد عاد، وعاد بعد نوح. وموسى ابن عمران. وأيوب بن إسحق. كان قبل موسى وبعد شعيب وسليمان. وهارون شقيق موسى لأمه وأبيه أو لأبيه أو للثنتين. ومات قبله وولد قبله بعام. وكان لداود اثنا عشر ابنًا. منهم سليمان. وذو الكفل ابن أيوب. ويونس بن متى. وإلياس بن إسحق أو ابن

هارون أخى موسى. وزكريا من ذرية سليمان وداود. وولد يحيى قبل عيسى بستة أشهر. وعيسى بن مريم بنت عمران.

ج- هل للملائكة دور؟

وقد يروى أن ذلك قد يحدث مع جبريل وهو ما لا يمكن التيقن منه^(١). وخطورة ذلك التعميم على كل آية يتحدث فيها جبريل عن نفسه. وقد يعمم الحدث على كل الملائكة^(٢). وخطورة تعميم ذلك على كل قول يتحدث فيه الملائكة عن أنفسهم. بل ويتم تحديد أسماء الملائكة^(٣). وإذا كان منها بعض أسماء الأعلام مثل جبريل وميكائيل وهاروت وماروت فإن البعض الآخر تشخيص لمظاهر الطبيعة مثل الرعد والبرق. ومنها تشخيص الموجودات المتعالية مثل الروح. ومنها تشخيص الأفعال مثل قعيد. ومنها وصف البدن مثل ذى القرنين. ويتراوح بين الشخصية التاريخية والنبى والملاك لكثرة تعظيمه. ومنها وظائف مثل مالك خازن النار. ومنها العواطف مثل أحوال النفس والسكينة.

ليس القرآن شخصا حتى ينزل مشيعا بل هو فكر والفكر لفظ ومعنى. وقد تم تصور عظمة النزول بالتشيع كما هو الحال في بطانة الملك وركبه. فمن القرآن ما نزل في صحبة سبعين ألف أو ثمانين ألف ملك طبقا للأهمية^(٤). ويصعب التمييز بين ما نزل مفردا وما نزل مشيعا، وبأى مقياس^(٥). وهو ما يؤدي إلى تفضيل القرآن بعضه على بعض. وكل قرآن لا فضل فيه لسورة على سورة أو آية على آية. وكلها روايات ظنية.

ومن أسماء الجن أبوهم إبليس لأن الله أبلسه من الخير أى أيسه منه. وكان اسمه السابق عزرائيل أو الحارث. وهو تشخيص للشر الذى لا يبغي الخير للإنسان. والوحي خير للإنسان وشرك لإبليس^(٦).

(١) مثل نزول آية ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ على لسان جبريل. الإتيان جـ/ ١ / ١٠١.

(٢) مثل نزول آية ﴿وَمَا يَكُنْ لَهُمْ مَقَامٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ ﴿وَلَا يَكُنْ لَهُمْ مَقَامٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ السابق، ص ١٠١.

(٣) السابق جـ/ ٤٨ - ٦٩. مثل: جبريل، ميكائيل، هاروت، ماروت، الرعد، البرق، مالك، السجل، قعيد، ذو القرنين، السكينة.

(٤) شيع سورة الأنعام سبعون ألف ملك، والفاتحة ثمانون ألف، وآية الكرسي وآية يس ثلاثون ألف، وآية ﴿وَسَمِعْنَا مِنْ أَوْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ عشرون ألف.

(٥) السابق جـ/ ١٠٩ - ١١١.

(٦) السابق جـ/ ٧١.

د- هل من نزل فيهم القرآن بأشخاصهم؟

ولا يهم أسماء من نزل فيهم القرآن. فهم المناسبات الخاصة. والقصد هو المعنى أو الحكم أو الجواب. بالرغم من تأليف القدماء فيهم^(١). لا يهم السائل بل السؤال، ولا الرسول بل الرسالة. لا يهم الشخص الذي نزل بمناسبة القرآن ولا اسم السائل. فليس القصد والشخص بعينه. فهذه تاريخية ساذجة بل المقصود دلالة السؤال ووعي السائل^(٢).

ويتم تحديد أسماء الصحابة. وهم ليسوا مقصودين بذواتهم بل ضمن مكونات أسباب النزول^(٣). ويتم أيضًا تحديد أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل مثل عمران أبى مريم وأبى موسى وعزير وتبع ولقمان^(٤).

ويذكر بعض أسماء النساء مثل مريم، وربما «بعل» كان اسم امرأة تُعبد^(٥). ومن أسماء الكفار قارون وجالوت وهامان وبشرى وأزر أبو إبراهيم وهو تاريخ والنسب^(٦). ومن أسماء القبائل يأجوج ومأجوج، وعاد وثمود، ومعين وقريش والروم^(٧). ومن أسماء الأقوام بالإضافة قوم نوح وقوم لوط وقوم تبع، وقوم إبراهيم، وأصحاب الأيكة، وربما هم أهل مدين، وأصحاب الرس، بقية من ثمود أو أصحاب يس أو أصحاب الأخدود^(٨).

وأسماء الأصنام كانت في الأصل أسماء لأناس ثم تم تخليدها مثل لاؤتزي وبوذا وتحويلها إلى آلهة مثل ود، وسواع، ويغوث، ونسر، أصنام قوم نوح. وقد يكونون أولاد

(١) السابق ج٤ / ص ١٠١.

(٢) السابق، في أسماء من نزل فيهم القرآن، ص ١٠١ / ٨٤ - ٨٥.

(٣) السابق، وذلك مثل السجل وزيد بن حارثة، ص ٦٩.

(٤) الإتقان ج٤ / ٦٩ - ٧٠.

(٥) السابق، ص ٧٠.

(٦) السابق، ص ٧٠ - ٧١.

(٧) السابق، ص ٧٠.

(٨) السابق، ص ٧١ - ٧٢.

من صلب آدم. ويفوث ويعوق أفعال متضادة^(١). واللات والعزى ومناة والرجز والجبت والطاغوت أصنام قريش. وقد تحول البعض منها إلى أسماء دالة مثل الطاغوت من الطغيان. ورشاد اسم فضيلة. ويعل صنم قوم الياس. وآزر صنم.

ومن أسماء البلاد والأماكن والبقاع والجبال بكة أى مكة من الجذب. جذب العظم للمخ. وجذب ما فى القرع من لبن، وجذب مكة سكان البلاد حتى أصبحت مركزا للحج أو لأنها تملك الذنوب أى تذهبها أو لتملكها من الماء بالوديان بعد قتلته، وربما من «تبك» أى إخضاع الأعناق أو من التباك وهو الازدحام. وتسمى أيضا مكة الحرم ومكة المسجد ومكة البلد ومكة البيت موضع الطواف. والمدينة هى يثرب اسمها قبل الإسلام إما اشتقاقا من اسم أرض أو نسبة إلى يثرب بن وائل بن نوح أو من دخلها أو من الاسم الخبيث، فالثرب هو الفساد أو التثريب وهو التوبيخ^(٢).

ومن أسماء الكواكب الشمس والقمر والطارق والشعري^(٣). ومن أسماء الطير عشرة أجناس^(٤). وكيف تعرف أسماء الأماكن الأخرى وكلها خارج الحس وأقرب إلى الرموز والصور الفنية؟^(٥). وقد تحول البعض منها إلى استعمالات دنيوية دون معرفة أيها

(١) «روى البخارى عن ابن عباس: ود وسواع ويفوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم. ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتسخ العلم عتدت»، الإتيان ج٤/ ص ٧٢. وأيضا «كان اللات رجلا يلبث سوق الحاج».

(٢) ومنها «بدر» ما بين مكة والمدينة، «أحد»، «حنين» قرب الطائف، «جمع» وهى مزدلفة، «المشعر الحرام» جبل بها، «نقع» ما بين عرفات والمزدلفة، «نصر»، «بابل» بواد العراق، «الأيكة» بلوقوع نصيب الرمل بين عمان وحضرموت أو جبل الشام، «طور سيناء» الذى نودى منه موسى، «الجودى» جبل بالجزيرة، «طوى» اسم وادى بفلسطين، «الكهف» بيت منقور فى الجبل، «الرقيم» القرية التى خرجوا منها أو وادى بفلسطين، «العرم» وادى، «حر» أو اسم قرية، «الصريم» أرض باليمن أو جبل يحيط بالأرض، «الجزر» اسم أرض، «الطاغية» البقعة التى هلك بها نمرود. السابق ج٤/ ٧٢-٧٤.

(٣) السابق، ص ٧٦.

(٤) وهى عشرة أجناس فى القرآن: السلوى، البعوض، الذباب، النحل، العنكبوت، الجراد، الهدهد، الغراب، أبابيل، النمل، السابق، ص ٧٦.

(٥) ذلك مثل: «الفردوس» أعلى مكان فى الجنة، «عليون» أعلى مكان فيها، «الكوثر» نهر فى الجنة، «سلسيل» وتسمى عينان فى الجنة، سجين مكان أرواح الكفار، «صعود» جبل فى جهنم، «وغى»، «أنام»، «سويق»، «السعير»، «وسائل»، «سحق» أودية فى جهنم، «يحموم» دخان أسود، «عبرى» النادر، «السامرى» نسبة إلى أرض سامرون أو سامرة، «العربى» من عربية باحة دار إساعيل. السابق ج٤/ ٧٥-٧٦.

الأصل وأياها الفرع. أيها الحقيقة وأياها المجاز مثل «الفردوس»، «الكوثر»، «سلسيل»، «عبرى»، «عليون» إيجاباً أو «سعير» أى النار سلباً.

ثانياً - الوحي والواقع:

١- السؤال والجواب

والسؤال هو عن النزول ابتداء دون سبب. الوحي يتكلم قبل أن يطلب الواقع، ويحجب دون سؤال. وهو ضد واقعة أسباب النزول^(١). لا نزول بلا سبب. فالوحي نداء للواقع، واستجابة له. فى لحظة يكون الواقع كالرحم المفتوح. يستدعى القضيبي والإنزال.

تعنى أسباب النزول أولوية الواقع على الفكر، وتقدم السؤال على الجواب. الواقع يسأل والوحي يجيب^(٢). ولا هم معرفة سبب آية كسبب تاريخي فى حد ذاته بل الدلالة العامة لأسباب النزول^(٣). فقد يختلف فيها الرواة. ولا هم تعدد الأسباب بل السبب أى ارتباط الفكر بالواقع. ليس السبب العلمى المعروف فى البحوث التجريبية بل السببية أى ارتباط الظواهر بعضها ببعض. والأسباب لفظ قرآنى. ولا هم تكرار السبب إذ يكفى مرة واحدة. التكرار للتأكيد والحفظ. ليس المهم عدد الآيات والأسباب بل علاقة الآية بالسبب. وقد تنزل آيات عدة على سبب واحد أو آية واحدة.

وفى القرآن سؤال وجواب^(٤). والأصل المطابقة بين الاثنين. وأحياناً تتحول الإجابة إلى وجهة أخرى تقتضى إعادة وضع السؤال. فنصف الإجابة فى طريقة وضع السؤال، من أجل التوجه من النظر إلى العمل أو عدم الدخول فى مسائل نظرية لا نفع فيها^(٥). وقد يكون الدافع الزيادة أو التبديل أو حذف السؤال وعدم

(١) الإتيان جـ ١/ ص ٨٢-٨٥.

(٢) انظر دراستنا «الوحي والواقع»، دراسة فى أسباب النزول، هموم الفكر والوطن، ج١ التراث والعصر والحداثة، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٧-٥٦.

(٣) الإتيان، ص ٨٩-٩٨.

(٤) الإتيان جـ ٢/ ٣١٠-٣١٦، البرهان جـ ٤/ ٤٢-٥٤.

(٥) فلسفة السؤال، هموم الفكر والوطن جـ ٢، الفكر العربى المعاصر، ص ٧-٣٠، والأصل فى الجواب أن يكون مشاكلاً للسؤال من حيث الصياغة اللغوية، الاسم بالاسم، والفعل بالفعل. وهو ليس ضرورياً. فالصياغة بنت وقتها.

الإجابة كلية أو لإزالة اللبس. والسؤال عن الواقع والإجابة من الوحي. وقد يجيء الجواب أعم من السؤال. وقد يجيء الجواب أخص من السؤال. وقد يُعدل عن السؤال إذا كان خارج نطاق المعرفة الإنسانية أو كان القصد منه التعتُّ (١).

وأقل الأمم سؤالاً أمة محمد لأن كثرة الأسئلة تتطلب كثرة الأجوبة، والأجوبة أحكام، والأحكام قيد، على عكس بنى إسرائيل. إذ أن كثرة الأسئلة تقضى عن السلوك الفطرى البديهي بناء على البراءة الأصلية. وتقلل من مساحة الوجود الطبيعى خارج السؤال كما هو الحال فى السماح أو العفو (٢). وكل سؤال نظرى له إجابة عملية (٣). والأسئلة خارج إطار المنظور الإنسانى وإمكانات المعرفة الإنسانية لا يجاب عليها. توضع موضوعاتها بين قوسين. فهى موضوعات متعالية خارج نطاق التجربة الإنسانية مثل السؤال عن الروح (٤).

كان الرسول يبحث عن قبلة ويتوجه إلى السماء فتزلت آية تحدد القبلة (٥). ولولا بحث الرسول لما نزلت الآية. فالسؤال ليس ضرورة باللغة وبالعبارة وبالخطاب وبالطلب بل يكون بعقد النية والتوجه استجابة لطلب النبى بشد الوطء على الكفار. نزلت آية عزاء ببلوى المسلمين ببعض الخوف والجوع ونقص الأموال والثمرات مع البشارة للصابرين (٦). الآية تشريع لواقع إجابة على سؤال ماذا يأكل الناس إذا ما ندر الطعام؟ (٧). وقد أجاز الرسول للجيش أكل سمك ميت لفظه البحر باعتباره رزقا من

(١) مثل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (١٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (١٣) ﴿إِنْ رَبُّكَ مُنْتَهَاهَا﴾.

(٢) البرهان ج ٤ / ٥٢ - ٥٤. ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ آيَاتِنَا إِذَا نُنَزِّلُ عَلَيْكَ مَقَالًا كَثِيرًا سَاقِطًا فِي أَعْيُنِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١٠١) ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾.

(٣) مثل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلْهِلَةِ قُلْ هِيَ مَوْفِيقٌ لِلنَّاسِ وَالْعَجَجِ﴾. وعندما سُئِلَ الرسول متى الساعة؟ قال: فاستبعد لها.

(٤) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٥) ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلُفٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَقَوْلَاسِكَ قِيلَ تَرَضَّيْهَا﴾ (٢: ١٤٤).

(٦) ﴿وَلَنُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْغُثِّ وَالْخُثِّ وَأَنْتُمْ مِنْ الْأُمُودِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَائِبِ وَبَشِيرِ الْغَابِرِينَ﴾ (٢: ١٥٥).

(٧) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَ بِهِ لَغْيَرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَارٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢: ١٧٣).

الله. والاختصاص على الأرض واقع تنزل له آية حلّه من طريق العدل وعدم أكل أموال الناس بالباطل أو الفساد مع الحكام^(١).

وفى الوحى إجابة على سؤال يطرحه الواقع مثل السؤال عن الأهلة بناء على دفع اليهود للمسلمين للسؤال عنها لتشويش عقيدتهم^(٢). وقد سأل أحد المسلمين الرسول عن البر. فأنت الإجابة بنزول آية أن البر ليس الصلاة قبل الشرق والغرب ولكن البر إيمان وعمل يتجلى فى التصديق على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين والأسرى، وإيتاء الزكاة، والبأس والوفاء بالعهود، والصبر حين اليأس. وهذا هو سلوك الصدق والإخلاص^(٣). ولما سأل أحد الصحابة أرناربتنا. لم تجب الآية بالمكان الخارجى بل بالحضور القلبى والحوار الداخلى والإيمان الباطنى^(٤). وإجابة على سؤال الإنفاق نزلت الإجابة أنه على الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين وأولاد السبيل^(٥). وعندما سئل الرسول عن أعظم شهادة فى كتاب الله نزل الوحى بأنها شهادة «لا إله إلا الله» والقيام بالقسط أى تمتنى الشهادة. وحقها هو العدل فى الدنيا^(٦). وعندما سئل الرسول الله أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته نزلت آية تجعل قيادة الأمم طبقاً لقوانين التاريخ^(٧). وعندما كان السؤال عن الطاعة على الإطلاق كانت

(۱) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخُلُوا بِهَا إِلَى الْمَكْسَرِ لِتَأْكُلُوا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (۲: ۱۸۸).

(٢) ﴿تَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّمُ﴾ (٢: ١٨٩).

[illegible]

(٤) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَشْكُرُونَ﴾ (١٨٦:٢).

(٥) ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُعْطُوا قُلْ مَا أُفْقَظُهُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِلسَّتِّ وَالسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢١٥).

(٦) ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالنُّسْخِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمُبِينُ الْعَكْمُ ﴾ (١٨: ٣).

(٧) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْهِكُ الْعَبِيدُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦:٣).

A7

والأعراف. ولما سأل رجل عن نصيب المهاجرين نزلت آية تجعل الأنصبة طبقاً لمبدأ العدل^(١). فالوحي يقرر المبدأ ويترك التفصيل للاجتهاد البشري. ورد مفاتيح الكعبة إلى عثمان ورد الأمانات إلى أهلها بناء على طلب، ومنعاً من الظلم^(٢). وكانت الأصوات تعلقو والنبى يقرأ القرآن فنزلت آية تؤكد على أن الأدب الفطرى والسلوك الطبيعى هو الاستماع إلى قراءة القرآن^(٣).

٢- كلام الله وكلام البشر

إن عظمة الوحي أنه قريب من الناس. لغته لغة البشر. لا يستكف أن يستعمل بعضها، ويعيد صياغة أسئلتها والرد عليها. فالجواب من جنس السؤال. فالمسافة بين كلام الله وكلام البشر ليست كبيرة بل قريبة. وهو أحد دلائل الإعجاز. يستعيد الوحي كلام الرسول ويعيد صياغته فى القرآن. فقد استعاد الوحي إجابة الرسول ردا على سؤال اليهود عن مضمون إيمانه، وهى إيمانه بما أنزل على الأنبياء السابقين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى دون التفريق بينهم^(٤). ويعيد صياغته مثل حديث «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا» بل قولوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» نزلت الآية لتعيد صياغة الحديث بالفاظه. وهو من دلائل الإعجاز^(٥). وعندما قالت عائشة: «فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة» نزلت الآية مستعيرة نفس الألفاظ، ومقرة على الاقتراح^(٦).

- (١) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا دَرُّوْا وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَّصْنَعْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيْمًا﴾ (٤: ٤٠).
- (٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تَقُولُوا الْأَمْسَلْتُ إِلَٰهَ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نَبَّاهٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥٨: ٤).
- (٣) ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾، لباب المنقول، ص ٩٣.
- (٤) لما سأل اليهود الرسول عما يؤمن به قال: «أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وما أوتى موسى وعيسى»، فنزلت آية ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٦٢: ٢). العجائب، ص ٨٩.
- (٥) لباب المنقول، ص ٣٩.
- (٦) فنزلت آية ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (٢: ١٥٨).

وقد يكون كلام البشر هو كلام الصحابة إذ طلب عمر اتخاذ مقام إبراهيم مصلى فنزلت الآية تعيد صياغة الطلب^(١). ولما رأى الناس الرسول مهموما قيل «مالك يا رسول الله لا تهتم فإن رؤياك فتنة لهم» فنزلت الآية لتعيد الصياغة وتؤكد على الرؤى^(٢). لا تكتفى الآية بالشكل الأدبي بل أيضاً تأخذ المضمون الفكري. فعندما لقي أعرابي عليا وأصحابه وهم في طلب أبي سفيان فقال لهم: «إن القوم قد جمعوا لكم فاخشوهم» فقالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فنزلت الآية تأخذ هذا القول، تعيد صياغته، تؤكد عليه^(٣). الوحي تأكيد للواقع قولاً ومضموناً. وقد يعيد الوحي صياغة كلام الجماعات المناهضة مثل اليهود عندما سألوا: «ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟» فنزلت الآية لترد على السؤال بعد أن تكرر مثل الإجابة^(٤). وكذلك عندما قال الكفار: «إلهنا واحد إن هذا لشيء عجاب» تعيد الآية نفس التساؤل وتهكم عليه، وأنه لا غرابة في جعل الآلهة المتعددة إلهاً واحداً^(٥). وعندما قال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعنا من بعد تحذير الرسول فنزلت الآية تستعيد سب أبي لهب في أدب وترد عليه^(٦).

٣- العبادات الفطرية

ويتناول الوحي حياة الناس وسلوكهم العمل، العبادات والمعاملات. ويدخل في حوار مع الجماعات التحتية الخارجية كالكفار والمشركين أو الخارجية الداخلية مثل أهل الكتاب، اليهود والنصارى أو الداخلية مثل المنافقين^(٧). ولا يقرر الوحي فقط ما

(١) كان الرسول يطوف بالبيت فقال: «هذا مقام أبينا إبراهيم» فقال عمر «أفلا تتخذه مصلى؟» فنزلت آية ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ مَّقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مَوْصَلٍ﴾، وفي رواية قال عمر: «يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»،

العجاب ص ٨٦. لباب المنقول ص ١٨.

(٢) ﴿وَمَا جَعَلْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَلِيًّا أَوْ ذِيَّكَ إِلَّا فَتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، السابق ص ١٢٤.

(٣) ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾،

لباب المنقول ص ٥٠.

(٤) ﴿سَيَقُولُ الشُّعْرَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِيلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا عَلَيْنَا قُلْ يَوْمَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢: ٢)، أسباب النزول، ص ٢١-٢٣.

(٥) ﴿اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجْتَبٍ﴾، المنقول ص ١٦٧-١٦٨.

(٦) ﴿تَبَّتْ يُدَىٰ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، السابق، ص ٢١٩.

(٧) الجماعات التحتية Sub-groups، والجماعات الخارجية Out-groups، والجماعات الداخلية In-groups and In-groups.

هو موجود ويستجيب لمطالب الواقع بل أحياناً يناهضها ويعارضها ويغيرها ويأتي بالبديل.

فعلى مستوى العبادات ليس الله عرضة للإيمان في مواقف نسبية تتغير فيها الأحكام مثل الخصام بين الناس. وهو موقف طارئ على المصالحة والوئام. فالإيمان مبدأ لا يتغير بتغير المصالح وتبدل الظروف^(١). والقرض الحسن هو استبدال خير الآخرة بخير الدنيا ليس بنية التجارة بل بقصد الإيثار والتفضيل^(٢).

وتواصل الوحي مع الشعائر السابقة، الصفا والمروة والطواف، لإعادة توظيفها لصالح الدين الجديد. ربطاً بين الماضي والحاضر، بين التراث والتجديد^(٣). وتواصل في القصاص مع اليهودية^(٤). وقد كانت عادة متبعة أيضاً عند العرب. والقصاص سنة بشرية دون إسراف في القتل وإن رفض ولى القتل العفو عن القاتل^(٥). وكذلك فرض الصيام تواصلًا مع الأمم السابقة^(٦). فالدين الجديد تواصل مع الدين القديم وتجاوز له كما قال المسيح عن شريعة موسى «ما جئت لألغى الناموس بل جئت لأكمله».

ولما كانت صلاة العصر تتم في المهاجرة فقد نزلت التوصية بالحفاظ عليها^(٧). وبناء على طلب أحد المسلمين عن كيفية العمرة نزلت آية تفصيلية لشرحها. وهو تشريع لا يلحق الأذى بالرووس. ويعوض غير القادر بالصيام^(٨). ثم نزلت آية ضد الجدال في

(١) ﴿وَلَا تَحْمِلُوا اللَّهَ عَرَضًا ۖ إِنَّمَنِكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَقُولُوا وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٢٤).

(٢) ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢: ٢٤٥).

(٣) ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَمِنَ سَعَادَاتِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٢: ١٥٨).

(٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۚ لَكُمْ لِمَنْ قُتِلَ وَالْمَرْءُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ بِالْمَرْءِ ۚ فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْلَغْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَا إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ۚ ذَلِكَ خَفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَعْتَدَى بِكَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢: ١٧٨).

(٥) ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢: ١٧٩).

(٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢: ١٨٣).

(٧) ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢: ٢٣٨).

(٨) ﴿وَأَتَيْنَا الْفَجَّ وَالْمَرْةَ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا لَهُ وَسَكْرًا يَتْلُو الْهَدْيَ بِحَلَةٍ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ

الحج والرفث والفسوق^(١). ونزلت آية أخرى ضد المتوكلين الذين لا يتزودون. وتوالى نزول الوحي ضد من يسقط فريضة الحج^(٢). وضد الإفاضة من أماكن غير مألوفة تكون الإفاضة من حيث يفيض الناس^(٣). ولا تفاخر ولا تناسب في الحج^(٤). فالكل سواء في الخلق. ولا طلب لرزق خاص من مال أو إبل بل تجرد وعود إلى الطبيعة. ويأتى التنزيل لنقد ما نهى الزكاة وحثهم على أن يعطوا عما أعطاهم الله من فضله^(٥).

والسؤال عن الخمر والميسر ليست الإجابة بالتحريم بل بالإقناع أن الإثم منها أكبر من النفع^(٦). إذ لما نزلت آية الخمر والميسر وأن إثمهما أكبر من نفعهما أراد بعض المنافقين استعمالها لمنافعها فنزلت آية عدم الاقتراب من الصلاة أثناء السكر. لتصحيح الموقف واستكمال السعى نحو الكمال^(٧).

٤ - المعاملات الطبيعية

وفصل الوحي العلاقات الشخصية بين الرجل والمرأة منذ عقد النكاح والمعاشرة والمحيض والخصومة والميراث واستثمار أموال المرأة والطلاق وحقوق المرأة وحق المرأة في الغزو والمساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات. نكاح المؤمنة خير

بِوَأَدَىٰ مِنْ رَأْيِهِ. فَفَذِيَّةٌ مِنْ صِيَارٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ نُكْلِي فَإِذَا أَيْتُمُ مِنْ تَمَتَّعَ بِالْمَعْرَةِ إِلَىٰ الْفَجْرِ مَا اسْتَخَرْنَا مِنَ الْفَتْنَىٰ قَدْ لَمْ يَحْدِ قَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْفَجْرِ وَسَبْعِينَ يَوْمًا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِئِنْ لَمْ يَكُنْ أَمَلُهُمْ حَاضِرِي السَّجْدِ الْمُرَارِءِ وَأَتَقَرَّا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢: ١٩٦﴾.

(١) ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَزَقَ فِيهِمْ الْفَجْرَ فَلَا رَفَثَ وَلَا سُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعَهُ اللَّهُ وَكَذَرُوا فَلَمَّا خَبَرَ الزَّادِ الْقَوِيُّ وَأَتَقَرُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢: ١٩٧﴾.

(٢) ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَزْوَرَةٍ فَإِذَا كُفِّرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قِبَلِهِ مِنَ الْفَسَادِ لَيْسَ ﴿٢: ١٩٨﴾.

(٣) ﴿ثُمَّ أَيْبَسُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢: ١٩٩﴾.

(٤) ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ الْنَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِ مِنْ خَلْقِي ﴿٢: ٢٠٠﴾.

(٥) ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِيسًا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُمْ رِيسٌ لَّهُمْ سَيُلَوِّقُونَ مَا بَحَبَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ يَسْمَعُونَ خَيْرٌ ﴿٣: ١٨٠﴾.

(٦) ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴿٢: ٢١٩﴾.

(٧) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْجِينَ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَتْكُمْ أُحْذَرَةٌ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تَمْسَسُوا الْإِنْسَانَ فَلَمْ يَحْدُوا مَا فَتَيْسَمُوا صَوْبًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤: ٤٣﴾.

من المشركة طمعاً في نسبها. والأمة المؤمنة خير من الحرة المشركة^(١). فالوحي هنا يغير الواقع ويفضل الاتفاق في المشارب والأهداف بين الرجل والمرأة على الحسب والنسب. وجماع النساء مستقلقيات وغير مستقلقيات وليس كما يدعى اليهود مستقلقيات فقط^(٢). فالوحي هنا يعارض تضيق اليهود رحمة الله. ولا يحل نكاح ما نكح الآباء احتراماً لعاطفة الأبوة^(٣). هذا بالإضافة إلى فارق السن بين الابن وامرأة الأب. ولا يجوز نكاح نساء الأبناء من الأصلاب. ولا يجوز نكاح الأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت والأمهات والأخوات في الرضاة وأمهات النساء والجمع بين الأختين^(٤). وهي إحساسات طبيعية ليست في حاجة إلى تشريع. فالنكاح للقرابة. ومن ثم فلا نكاح للأقرباء. ولا يجوز نكاح الأخت من الأب^(٥). النكاح للمخصصات من النساء وما ملكت الأيمان. سبايا الحرب. وهو ما لم يعد موجوداً الآن باسم القوانين الدولية^(٦). والاستمتاع بالنساء يتطلب إتيان أجورهن. وهو تصور تبادلي^(٧).

والمحيز ليس سبة يقتضي عزلة النساء كلياً كما كان يفعل اليهود بل هو أذى عند الجماع فقط^(٨). فالوحي هنا يغير الواقع والعادات والأعراف. ولا تكتم المرأة ما خلق

(١) ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيِّنَ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢١: ٢٢١).

(٢) ﴿وَيَسْأَلُكُمْ رَبُّ لَكُمْ فَأَقْرُبُوا مِنْكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ وَفَرَمْتُمْ لِأَهْلِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢: ٢٢٣).

(٣) ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٤: ٢٢).

(٤) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلْفٍ أَرْضَمْتُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُكُمْ بِسَابِقِكُمْ وَرَبِّبَتْكُمْ أَلْفٍ فِي حُجُورِكُمْ مِنْ بَنَاتِكُمْ أَلْفٍ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمْ أَلْفٍ مِنْ بَنَاتِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ عَفْوَاً رَحِيماً﴾ (٤: ٢٣).

(٥) ﴿وَرُبِّدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّهْيَ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً﴾ (٤: ٢٧).

(٦) ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (٤: ٢٤).

(٧) ﴿فَمَا اسْتَفْتِمُوهُنَّ فَمَا تَوْهُنَ أَجُورُهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (٤: ٢٤).

(٨) ﴿وَسَمِعْنَاكَ مِنَ الْمُحْجِزِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا عَنْهُ فِي الْمَحْجِزِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرَنَّ فَإِذَا ظَهَرَنَّ فَأَوْفُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَحُبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (٢: ٢٢٢).

الله في رحمها لتنسبه إلى رجل آخر^(١). فالوحي هنا يغير عادة جاهلية للتخصيب الجماعي غير الفردي حفاظًا على النسب خارج قرارات الأفراد.

وللنساء نصيب في الميراث^(٢). بل إن أولى القربى واليتامى والمساكين لهم نصيبهم رزقًا وقولًا معروفًا. فالعشرة مشاركة. والحياة المشتركة لها ثمنها. ولا يستثمر أموال المرأة زوجًا سفيهاً تبذيراً لأموالها^(٣). ولتصور الرجل أن أولاده الضعفاء في نفس الموقف طبقاً للمثل العربي «عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به»^(٤). ولا يحل لأحد وراثة النساء كرهاً أو غصبا لمن لأخذ بعض أموالهن^(٥). وهو ما كان يفعله قريب المتوفى في إلقاء ثوبه على زوجته. والإيلاء ليس طلاقاً بل مدته أربعة أشهر^(٦). والمطلقات يتظرن ثلاثة قروء قبل الزواج من جديد^(٧). ولا يجوز رد المطلقة قبل أن تنقضي عدتها^(٨). ولا يؤخذ منها ما أعطى لها إلا إذا أرادت الانفصال بمحض إرادتها أو ما يسمى بالخلع حفاظاً على حقوق المرأة. وإن طلقت المرأة ثلاثاً فلا يحل لها الرجوع إلى الطليق الأول إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره. حتى لا يتشجع الرجل على طلاق زوجته مرة أخرى ولبث

(١) ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَكُنَّ مَخْلُوقَةً فِي أَنْعَامِهِمْ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُمْ كَذِبُونَ﴾ (٢: ٢٢٨).

(٢) ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُومًا﴾ (٤: ٧). ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَنْزِلُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٤: ٨).

(٣) ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَاءَ اللَّهُ بِكُمْ فِيهَا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٤: ٥).

(٤) ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُفْسِدُوا فِيهَا أُولَئِكَ ثِقَالٌ﴾ (٤: ٩).

(٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَتَّبِعُوا سُنَّةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ مِنْ بَعْضِ مَا اتَّبَعْتُمْ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ بِدْعَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ (٤: ١٩).

(٦) ﴿لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نِكَاحًا إِذَا قَامَ عَلَيْهِمْ فَرَجٌ مِّنْهُنَّ أَنْ يُفْرِجُوا فِيهِنَّ مَتَاعًا وَالْيَسَارَ﴾ (٢: ٢٢٦).

(٧) ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٢: ٢٢٨).

(٨) ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِنْسَاكَ مَعْرِفٍ أَوْ تَسْوِغٍ بِأَعْسَنَ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنِّيَ إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعْصِيَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَدْهِمُوا مِنْ بَعْدِ حُدُودِ اللَّهِ فَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٢٩). ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُفِنْ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرِفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرِفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ بِضْرًا لَّيْسَ بَدَلُ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا مَالِ اللَّهِ هُزُولًا وَأَذْكُرُوا بِمَا آتَيْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَالْحِكْمَةِ يَعْطُرُكُم بِهِ وَأَتَوْا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكْفِي عَنْهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٢: ٢٣١).

الغيرة في قلبه^(١). ويجوز رجوع المرأة إلى زوجها الأول. ولا يجوز منعها^(٢). فالحيب هو الحبيب الأول. والعشرة لها ثقلها. والتاريخ المشترك له وزنه. ولا يجوز أخذ الرجل المريض عهدا من امرأته ألا تنكح زوجها غيره فيعضلها^(٣). فالواقع أقوى من الإرادة، والحاجة أقوى من العهد. ويجوز للمرأة المتوفى زوجها أن تبقى بعد العدة سبعة أشهر أخرى للدخول في الوصية^(٤). فلها جزء من الميراث نظرا للجهد المشترك والعيشة المشتركة بينهما. وفي حالة الطلاق يكون الزوج كريها قدر وسعه. فخسارة الزوج لا تعادلهما خسارة. وإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان^(٥). وتؤتى المرأة صداقها وليس لولي أمرها^(٦). فلا وصايا في الأموال. وعندما قالت المرأة يغزو الرجال ولا تغزو النساء ولهن نصف الميراث نزلت آية تساوى بينهما في الفضل^(٧). ولما حكم الرسول على الذي لطم زوجته بالقصاص منه وهو أقرب إلى العدل المجرد نزلت آية القوامة ربما يبعد نظر أكثر^(٨). ولا فرق بين الذكر والأنثى في الحقوق والواجبات الدينية بعد اعتراض النساء

(١) ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَيْثُ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَرَاجَعَا إِنْ طَلَّأَا أَنْ يَمْسَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٣٠).

(٢) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ يَحِلَّ لَكُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ زَوْجَهُنَّ إِذَا تَرَائَعَا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ رَكِبٌ أَنْتُمْ لَكُمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٣٢).

(٣) ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّسْتُمْ بِهِ مِنْ خُلَاقِ النِّسَاءِ أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ يِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَقْرَبُوا عَهْدَ الزَّيْجِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٣٥).

(٤) ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَصَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢: ٢٣٤). ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢: ٢٤٠).

(٥) ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمِمَّا هُنَّ عَلَى التَّرْبِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢: ٢٣٦).

(٦) ﴿وَأَمَّا النِّسَاءُ سِدْقَتَيْنِ يَلْزَمُهُنَّ فَإِنْ طَلَّقَ لَكُمْ عَنْ حَيْثُ وَنْتُهُ فَسَادَ كَلَامُهُمَا كَمَا تَرَى﴾ (٤: ٤).

(٧) ﴿وَلَا تَنْكَحُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ (٤: ٣٢).

(٨) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ قَالَ لَوْلَا ذَلِكَ فَنُفِيتُ حَقِيقَتِي لِلغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّذِي عَاقَبُونَ نِسَاءَهُمْ فَوْطَرَهُمْ وَأَهْجَرُواهُنَّ فِي النَّصَائِجِ وَأَضَرُّوهُنَّ فَإِنْ أَلْفَعْتُمْ فَلَا تَبْعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (٤: ٣٤).

على الخطاب الذكورى للوحى^(١). فالوحى يأخذ اعتراض النساء بعين الاعتبار.

وإذا كان السؤال عن اليتامى فالجواب إصلاح وخير لهم ومخالطتهم لأنهم إخوة^(٢). ولا يستولى على أموال اليتامى^(٣). فأكل مال اليتيم ظلم مثل أكل النار^(٤). والخوف من عدم العدل مع اليتامى أحد أسباب تعدد الزوجات فالوصى يرغب فى مالها وجهالها. ويرفض تزويجها خارج منزله^(٥). واستثمار أموال اليتيم حتى يكبر وتدفع له أمواله^(٦). والغنى يستعفف، ويدبر أموال اليتامى بلا أجر. والفقير يأكل بالمعروف^(٧).

وكان البخلاء يأمررون الناس بالبخل وعدم الإنفاق فتزلت آية مضادة بالإنفاق. وردا على من طالب بالإمسك عن الإنفاق الجواب بالإنفاق^(٨). والسؤال عن الإنفاق الرد عليه هو العفو أى متروك لحرية الاختيار فى كل ما زاد عن الحاجة^(٩). وقد تنزل الآية تأييدا لسلوك طيعى فى الإنفاق فى سبيل الله^(١٠). وصدقة السر أفضل من صدقة

(١) ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ حَمْلَ عَمَلِكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفِقَ بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِّنْ دِينِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَا تُكْفِرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تَعْلَنَّهُمْ جَنَّتْ جَمْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تُحْمَازُوا مِنِّي عَنِ الْبَنَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ مِّمَّ خَيْرٍ وَإِنْ عَمِلْتُمْ هُمْ فَلَا لَظْمَ لَهُمْ فَايْخُوتُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٢٠: ٢).

(٢) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَنِيفًا عَلَىٰ النَّفْسِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ بِالْكِبَرِ وَلَا تَكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّ أَمْوَالَكُمْ لِلَّهِ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٢: ٤).

(٣) ﴿وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (١٠: ٤).

(٤) ﴿وَرَأَىٰ غَنَمٌ إِلَّا تَفْسِطُوا فِي الْبَنَىٰ فَاتَّكُمُوهَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْبَنَىٰ شَقِيٌّ وَكَذَلِكَ وَرَدَّ عَنْهُمُ إِلَّا تَقُولُوا فَرِيدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَمُ إِلَّا تَقُولُوا﴾ (٣: ٤).

(٥) ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ سَبِيلَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ مَا تَنَزَّجُوا مِنْهُمْ رِشَاءً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (٦: ٤).

(٦) ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٦: ٤).

(٧) ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْلُوا بَاطِلًا إِلَىٰ الْبَلَاةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥: ٢).

(٨) ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمُتَّبِعٌ لِلثَّانِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّهْيِهِمَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١٩: ٢).

(٩) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢: ٢٦٢). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طِبْعَتِكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الطَّبْعَ مِنْهُ تُؤْفِقُونَ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ بِغَيْرِ إِثْمٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ﴾ (٢: ٢٦٧).

العلن وكما أوصى المسيح من قبل^(١). وقبول الصدقات حتى ولو كان من المشركين الأنساب^(٢). والصدقات واجبة للفقراء المتعفين عن السؤال^(٣). والإنفاق سرا وعلانية، ليلا ونهارا^(٤).

والربا كسب بلا جهد لمجرد امتلاك الثروة. وهو ليس كالبيع^(٥). تتعدد أشكاله والجوهر واحد^(٦). والأفضل استرداد الأموال بلا فوائد^(٧). والأتقى التصديق بالفوائد^(٨). ومن يتنازل عن الربا له الجنة^(٩).

ويشرع الوحي للواقع حتى بلا سؤال مثل كتابة الدين والشهادة عليه حفظا للحقوق والواجبات للطرفين دون الاعتماد على الذاكرة أو الوجود الشفهية. والشهادة لرجل أو امرأتين نظرا لوضع المرأة قديما. أما إذا كانت التجارة حاضرة بالتبادل فلا حاجة إلى الكتابة^(١٠). وإن كان البيع والشهادة في الأسفار فالرهن أو الأمانة والشهادة

(١) ﴿إِنْ بُشِدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَسِمًا هِيَ وَلَنْ تُغْفَرُوا وَتُؤْتَوَا الْفَقْرَةَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢: ٢٧١).

(٢) ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ مَذْمُومٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُغْفَرُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُسْئِرُكُمْ وَمَا تُغْفَرُونَ إِلَّا أَنْبِيَاءَهُ وَجِئُوا اللَّهَ وَمَا تُغْفَرُوا مِنْ خَيْرٍ يَوْمَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٧٢).

(٣) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّمَنُّفِ فَسِرُّهُمْ بِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُغْفَرُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٧٣).

(٤) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّمَنُّفِ فَسِرُّهُمْ بِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُغْفَرُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٧٤).

(٥) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْهَوَىٰ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢: ٢٧٥).

(٦) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَرَوِّا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢: ٢٧٧).

(٧) ﴿إِنْ لَمْ تَقْتُلُوا قَاتِلًا يُعَذِّبُ مِنَ اللَّهِ وَدُسْرُوهٗ وَإِنْ تَبَتُّمْ فَلَكُمْ وَهْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٧٩).

(٨) ﴿وَلَنْ كَانَ دُرُسُهُمْ فَتَنْظَرُ إِلَىٰ مَسَرَّةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢: ٢٨٠).

(٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣: ١٣٠).

(١٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ أَجَلُكُمْ فَاسْتَشِيرُوا وَكُتِبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ وَالْعَدْلُ وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَ اللَّهُ فَلْيَكُتِبْ وَلْيَسْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِيلَ هُوَ فَلْيَسْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمَا قُتْلُكَ

وليس الإيمان بالقول بل بالعمل، بالإفساد بل في الإصلاح، بالإضرار بل بتحقيق المنافع^(٢). وهو حال كل فاسق ومنافق^(٣).

والشهادة مطلب إنساني، التضحية في سبيل الحق^(٤). تتطلب الجهد والتعب والنصب^(٥). وفي نفس الوقت القتال شديد على النفس^(٦). والشهداء أحياء. عند ربهم يرزقون^(٧). واللجنة امتحان واختبار في الدنيا لمعرفة المجاهد والصابر^(٨). القتال لمن يقاتل ويبدأ بالعدوان^(٩). ولا قتال في الشهر الحرام إلا إذا كان هناك عدوان^(١٠). والسؤال عن القتال في الشهر الحرام والرد بالإيجاب في حالة العدوان وقد بوأ الرسول المسلمين يوم أحد مقاعد للقتال ولكنهم عصوه^(١١). ومن يعص الرسول في الحرب ولا يثبت

- بَعْدَ هَٰذَا الْأَمْرِ وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَحْشَرُوا أَنْ تَكُونُوا مَخْبِرًا أَوْ كَذِبًا لِلَّهِ أَجْلِيهِ دَالِكُمْ أَنْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ وَأَذِّنْهُ إِلَّا تَرَكَاوُا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِحَضْرَةٍ جَائِزَةٍ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُونُوا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ مُسَوِّفٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢:٢﴾.
- (١) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُورَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِيَ مِنْهُ أَمْنَتُهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكُونُوا الشُّكَّاءَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ فِي اللَّهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣:٢﴾.
- (٢) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ. وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤:٢﴾.
- (٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ بِالْيَهَادِ ﴿٢٠٦:٢﴾.
- (٤) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاصِينَ ﴿٢٠٧:٢﴾.
- (٥) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ سَاءَ مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْهُنَّ بِرَأْسَاءِ الْعُتْرَةِ وَلَوْلَا حَقُّ يَقُولُ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ أَسْمَأُؤُا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُهُ أَفَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤:٢﴾.
- (٦) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦:٢﴾.
- (٧) ﴿وَيَرْجِدُ مِنْكُمْ شُهَدَاءٌ ﴿١٤٠:٣﴾. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩:٣﴾.
- (٨) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ هَلْ تُعَذِّبُونَ ﴿١٤٢:٣﴾. ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقُولُوا فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣:٣﴾.
- (٩) ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونََكُمْ وَلَا تَسُدُّوا إِلَيْكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَسَدِّدِينَ ﴿١٩٠:٢﴾.
- (١٠) ﴿النَّهْرُ لِلْكَافِرِينَ وَاللَّيْلُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرُ فِي فَضْلٍ مِمَّنْ أَعْتَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا عَظِيمًا وَالْمُؤْمِنُ فِي فَضْلٍ مِمَّنْ أَعْتَدَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَقْنَعًا وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩٤:٢﴾.
- (١١) ﴿وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أَمْلِكُ ثُبُورِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْنَعًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١:٣﴾.

مكانه ويتوجه إلى الغنائم قبل النصر فإنه يكون سبب الهزيمة^(١). والتعلم من التجربة يذهب الحزن ويتجاوز الندم على ما فات^(٢). وفي حالة اليأس يأتي التنزيل للتشجيع^(٣). وإن قتل النبي في الحرب فالرسالة باقية^(٤). ويشجع التنزيل على النصر^(٥). ويقذف الله الرعب في قلوب الذين كفروا^(٦). وبعد الغم ينزل الأمن^(٧). وفي الأزمات يتميز الخبيث من الطيب^(٨). أما الذين يفرون من المعركة فإنهم تعلموا من الخزي وغفر الله لهم^(٩). ومن يستجيب للرسول بعد ما أصابهم من القرع هم الأبطال^(١٠). والنبي لا

- (١) ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٢: ٣).
- (٢) ﴿هَؤُلَاءِ ضَالُّونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ لِيَكْتَلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٣: ٣).
- (٣) ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩: ٣). ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَفَالِكِ الْآيَاتِ نَذَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَجِدَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٠: ٣).
- (٤) ﴿وَمَا تَحْزَنُوا لِرَسُولٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤: ٣).
- (٥) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفَكُمُ اللَّهُ لِيَبْتَلِيَكُمْ فَمَا تَقُولُوا وَاللَّهُ لَمَلِكٌ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٣: ٣). ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكُنِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَيْبَكُمْ يَلْتَذِئُ النَّاسُ مِنَ الْمَلِكِ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٤: ٣).
- (٦) ﴿سَتُعْلِقُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ﴾ (١٥١: ٣).
- (٧) ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً مُلَاسًا يَنْفُسُ طَائِفَتٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانِ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُبُورِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاهِيهِمْ وَلَيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلَيُمَصِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٥٤: ٣).
- (٨) ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَوَلَّوْا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ أَنْتُمْ تَوَلَّوْا فَلَكُمْ أَعْرَ عَظِيمٌ﴾ (١٧٩: ٣). ﴿وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَيْدٌ لِيُخْذَ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٨٠: ٣). ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهُ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا يَجْعَلْ لَهُمْ حَقًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦: ٣).
- (٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَمُعَانٍ إِنَّمَا أَسْرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ يَتَّبِعُونَ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٥٥: ٣).

- (١٠) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٢: ٣). ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣: ٣). ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى الْقَرْعِ وَتَوَلَّى وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (١٧٣: ٣).

يتنقم من أصحابه ولا من أعدائه^(١). وأذل شيء للنفس هو التخلف عن القتال مثل المنافقين^(٢).

٥- المجموعات الخارجية

ويمكن تجميع أسباب النزول في عدة مواضع للبيئة الاجتماعية ولأنواع التجمعات الدينية ومشاكل البيئة الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالمرأة واليتامى أو الاقتصاد وفيما يتعلق بالربا أو الأخلاق فيما يتعلق بالصدقات أو بالحروب فيما يتعلق بالعدوان. والمجموعات العقائدية هم اليهود والنصارى أو أهل الكتاب. وهم أيضا الكافرون والمشركون وعبداء الأصنام في الجاهلية. وهناك مجموعات داخلية مثل المنافقين.

ولا تنفصل هذه المجموعات عن بعضها البعض. فقد تنزل آيات متاليات في عدة مجموعات مختلفة من المؤمنين من المهاجرين والأنصار والكافرين والمنافقين وفي المؤمنين من أهل الكتاب في آن واحد^(٣). وقد تكون مجموعتان، الكفار والمنافقون، سببا في النزول. يفسدان ويدعيان الإصلاح^(٤). وقد تتوجه آيات إلى الكافرين وحدهم ولا ينفع الكافرين إنذار^(٥).

ولا يُسأل عن مصير الكفار في الجحيم سواء كانوا من آل الرسول خاصة أم الكفار عامة^(٦). وردا على أن الشهداء قد ماتوا وفقدوا نعيم الدنيا. نزلت آية خلود الشهداء^(٧). ولما طلب الكفار من الرسول أن ينسب لهم الله نزلت آية التنزيه^(٨). ولما

(٣: ١٧٤). ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنُغْفِرُ لَهُمْ إِنْ يَصُدُّوا عَنْهُ رَبُّكَ يَخْلَقْ لَهُمْ خَلْقًا فِي

الْآخِرَةِ وَلَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣: ١٧٦).

(١) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَ وَمَنْ يَفْزَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَلَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣: ١٦١).

(٢) ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَقَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْعُوا قَالُوا لَوْ شَاءَ لَأَتَيْنَكُم مِّنْ لَّدُنْكُمْ وَلَكِنْ كَفَرُوا وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ مَا نَعْبُدُ الْإِثْمَانِ يَقُولُونَ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَانَّهُ عُلِّمَ مَا يَكْتُمُونَ﴾ (٣: ١٦٧).

(٣) مثل أول آيات سورة البقرة، السابق ص ٢٢.

(٤) ﴿وَإِنَّا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَصْلِحُكُمْ﴾ (٢: ١١).

(٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢: ٦).

(٦) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (٢: ١١٩).

(٧) ﴿وَلَا تَعْمَلُوا لِمَنْ تُفْسِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالٌ بَلْ تُحْيَا وَلَكِنَّ الْكُفْرَوتَ﴾ (٢: ١٥٤).

(٨) ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢: ١٦٣).

واتهم المشركون الرسول بتبديل الوحى. يأمر بما ينهى، وينهى بما يأمر^(٥). وظنوا أنه سيعود إلى الشرك كما عاد إلى القبلة. وظنوا أن الله أنداد^(٦). والمشرك هو المرتد الذى يؤمن ثم يرتد عن إيمانه^(٧). ولا يغتر أحد بأثرىاء المشركين^(٨). وما فائدة دعاء الرسول على المشركين؟^(٩). والله يغفر كل شئ إلا الشرك به^(١٠).

وهم أهل الكتاب اليهود والنصارى. فهم مجموعات خارجية لأنها من غير المسلمين، وداخلية لأن المسلمين استثناف لهم، والمقصود من أهل الكتاب نظرا اليهود والنصارى ولكن عملا قد يكون المقصود اليهود. فالنصرانية أتت من داخل اليهودية وإصلاح لها.

- 99

لا يود أهل الكتب ولا المشركين أن ينزل الله الوحي على أحد سواهم^(١). ولا يود أهل الكتاب أن ينزل الوحي على غيرهم. ومن كذب بالرسالة من المشركين والنصارى واليهود ماتوا وهم كفار^(٢). ولماذا ينكر اليهود والنصارى الإسلام وهو موجود عندهم في التوراة والإنجيل؟^(٣). ولا فائدة من المحاجة، واللجوء إلى الفطرة أفضل^(٤). ولا تكون الموالاتة لغير المؤمنين، من اليهود أو النصارى^(٥). وبالرغم من عداوة اليهود والنصارى للمؤمنين إلا أنهم أعداء لبعضهم البعض. كل منهم ينكر دين الآخر^(٦). ولن ترضى اليهود ولا النصارى عن المسلمين حتى يصبخوا مثلهم. وفرق بين الهوى والعلم^(٧). وقد ادعى اليهود أن عزيز ابن الله. كما ادعى النصارى أن المسيح ابن الله^(٨). وقد طالب اليهود النصارى بالمعجزات. وطالب مثلهم نفس الطلب ولا معجزة بعد القرآن^(٩). وإن كان اليهود يحبون الله فإنهم أولى باتباعه^(١٠). ولا يعنى الاتباع العبادة بل الطاعة^(١١).

- (١) ﴿مَّا يَؤُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ ذِيكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١٠٥: ٢).
- (٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١: ٢).
- (٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَدَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولَئِكَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ إِلَّا مِنْ بَيْنِهِمْ أُمَّةٌ قَدِمَا يَنْهَوُ عَنْ يَدِهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَأْتِ اللَّهَ فَاكِرًا اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩: ٣).
- (٤) ﴿فَإِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ هُوَ قَالُوا نَحْنُ أَتَّبِعُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْتُمْ قُلُوبُهُمْ فَقَدْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا رَبِّمْ تَوَلَّوْا فَمَا لَكُمْ عَلَيْكَ أَنْتُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ إِلَيْكُمْ﴾ (٢٠: ٣).
- (٥) ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُم مَنًى وَتُحْمَرُكُمْ اللَّهُ فَتَسْخَهُ وَإِلَّا فَهُوَ الْعَصِيرُ﴾ (٢٨: ٣).
- (٦) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَأْتِيهِمْ الْيَقِينَةُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَ﴾ (١١٣: ٢).
- (٧) ﴿وَلَنْ يَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْخَيْرُ وَلَوْ كُنْتُمْ أَهْلَاءَ هُمْ بَدَأُوا بَدَأَ اللَّهُ مِنَ الْعَالَمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٢٠: ٢).
- (٨) ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَدْرُ نَوْءٍ﴾ (١١٦: ٢).
- (٩) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهْتُمْ بِأُولَئِكَ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١١٨: ٢).
- (١٠) ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١: ٣).
- (١١) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٢: ٣).

وبعد ظهور الإسلام تنتهى الدعوة إلى اليهودية والنصرانية^(١). رفض اليهود الإيمان بالإسلام لأنه ليس فى التوراة. ورفض النصارى أيضا لأنه يجعل المسيح مثل باقى الأنبياء^(٢). والأنبياء ليسوا هودا أو نصارى بل هم مسلمون^(٣). وبدلا من إنكار اليهود دين النصارى وإنكار النصارى دين اليهود وإنكار اليهود والنصارى الإسلام فمن الأفضل المباشرة، عبادة إله واحد يتساوى أمامه الجميع^(٤).

يخرف أهل الكتاب الكلم عن مواضعه^(٥). يشتركون الضلالة بالهدى. واليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ويلوون الستهم بالكلام يقصدون غير ما ينطقون به^(٦).

وليس كل أهل الكتاب معادين للمسلمين^(٧). فالنجاشى كان أعلم النصارى.

وقد اختصم أهل الكتاب، كل يتمسك بدينه، والدين كله لله^(٨). ويرجع كل دين إلى إبراهيم^(٩). والإسلام يؤمن بجميع الأنبياء السابقين دون تفرقة بين أحد منهم^(١٠).

- (١) ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢: ١٣٥).
- (٢) ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا فَلَنْ تُؤَلَّوْا فَاِنَّهُمْ فِي شِقَاقٍ فَكَفَيْكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّعِيدُ الْمَكِيمُ﴾ (٢: ١٣٧).
- (٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَتَسْتَأْذِنُ مِنْ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ غَافِلُونَ﴾ (٢: ١٤٠).
- (٤) ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَتَّلُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوِيَّةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَقُودَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣: ٦٤).
- (٥) ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقٌ يَلْعَنُونَ أَلَيْسَتْ لَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُمْ مِنَ الْكَذِبِ وَمَا هُمْ بِمِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُمُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣: ٧٨).
- (٦) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الْفُسْلَةَ وَرُبُّونَ أَنْ تَقِيلُوا السَّيْلَ ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ۖ﴾ (٥: ١٠) الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنشَأَ غَيْرُ مُسْمِعٍ وَرَدَعْنَا لَنَا بِآيَاتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنشَأَ لَكُنَّا خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِنْ لَمَنَّهُمْ اللَّهُ بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤: ٤٤-٤٦).
- (٧) ﴿أَلَيْسَ مَا تَحْتَمِلُهُمُ الْكِتَابُ بِثُلُوثِهِ حَقٌّ وَلَا يَوَدُّهُ أَوْلِيَاكَ يُوْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢: ١٢١).
- (٨) ﴿أَفَمَنْ دِينُ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَهُ يُرْجَعُونَ﴾ (٣: ٨٣).
- (٩) ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣: ٨٤).
- (١٠) ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣: ٨٥).

اليهود والنصارى مرتدون آمنوا باليهودية والنصرانية ثم رفضوا الإيمان بالإسلام^(١).
تفرقوا بعد ما جاءتهم البينات^(٢). كان فريق من أهل الكتاب يؤمن بمحمد قبل أن يبعث.
فلما بُعث كفروا به^(٣). وقد أخذ الله من قبل من الذين أوتوا الكتاب ميثاقا لبيان التنزيل
للناس. فنبدوه واشتروا ثمننا قليلا^(٤). ويقول اليهود إن موسى آية. ويقول النصارى إن
عيسى آية. والآية في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار أى في مظاهر
الطبيعة وليس في أشخاص الأنبياء^(٥).

والهجوم الأعنف على اليهود خاصة. وتتوجه إليهم معظم الآيات. يتصورون الله
خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع. والله لا يمسّه تعب ولا ينام ولا يصلى
ولا يصبغ وكأنه بشر^(٦). وقد أسقط اليهود تصورهم الأنانى المادى على الله وتصوره
فقيرا وهم أغنياء عندما نزلت آية يدعو الله الناس فيها ليقرضوه قرصًا حسنًا^(٧).

ويدعون العداوة لجبريل لأنه ينزل الأمر بالحرب والقتال على عكس ميكائيل^(٨).
ويتخذون الملائكة والنبين أربابا من دون الله مثل عيسى وعزير^(٩). ولم تدع النبوة إلى
عبادة غير الله من الأنبياء والمرسلين^(١٠). وإيمان اليهود بالإسلام طبعى لأنه تصديق

- (١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَهُمْ وَأَوَّلَتْكَ هُمْ الضَّالُّونَ﴾ (٣: ٩٠).
- (٢) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوَّلَتْكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣: ١٠٥).
- (٣) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَلَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣: ١٠٦).
- (٤) ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُ بَعْدَهُ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِمُ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (٣: ١٨٧).
- (٥) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَالتَّخْلُفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٣: ١٩٠).
- (٦) ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢: ٢٥٥).
- (٧) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَلْبِيَّةَ بِمِثْرٍ حَتَّى وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٣: ١٨١).
- (٨) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢: ٩٧-٩٨).
- (٩) ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣: ٨٠).
- (١٠) ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبِيَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَيْنِ يَمَا كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ نَقُصُّونَ﴾ (٣: ٧٩).

لما بين أيديهم من الرسالات السابقة^(١). أنكر اليهود الرسول بالرغم من إعلامهم بأنه على ملة أبيهم إبراهيم^(٢). والمسلمون أولى بإبراهيم من اليهود لأن المسلمين هم الذين يتبعونه^(٣). يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون^(٤). ونزلت آيات أخرى في اليهود الذين أنكروا عدم نزول شيء بعد موسى^(٥). يرفضون الإيمان بالرسول كما آمن السفهاء به^(٦). ولا يؤمنون بما يصدق ما بين أيديهم. والوحي كل واحد^(٧). ولا يستجيبون إلا لما لهم فيه مصلحة. ويعترضون على تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة^(٨).

وقد حبروا كلام الأنبياء من قبل وبدلوا رسالة موسى وهم على علم بذلك^(٩). وكانوا يطلبون الهدى فلما جاءهم مصداق لما بين أيديهم كفروا به^(١٠). وينكرون كل البينات التي أتاهم بها الرسول^(١١). وينكرون القرآن مع أنه مصدق للتوراة^(١٢). وهم

- (١) ﴿مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (٢) ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنَاتُ عَلَىٰ الْبَنَاتِ بِرَافِقٍ﴾ (١١: ١٢).
- (٣) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (٤) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (٥) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (٦) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (٧) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (٨) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (٩) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (١٠) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (١١) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).
- (١٢) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ عَبْدٌ كَرِيمٌ﴾ (١١: ١٢).

بمثابة الصم العمى البكم الذين لا يعقلون^(١). ويدعون أن النبوة قاصرة على يعقوب وذريته ولم يكونوا حاضرين^(٢). ويكتمون الحق وهم يعلمون^(٣). أخفوا آية الرجم^(٤).

وينكرون الإيمان بما نزل مصداقاً لما بين أيديهم^(٥).

ولا إكراه في الدين. ولا يجوز تعيين دين الطفل قبل أن يولد لا في اليهودية ولا في النصرانية^(٦).

وقد تحجج بعض اليهود بعد الإيمان بالقرآن للحروف في أول بعض السور^(٧).

وخشى اليهود أن يحل بهم ما حل بقريش يوم بدر فحذرهم الوحي من نفس المصير^(٨). ليست القضية يهوداً أم نصارى بل قضية إيمان وعمل صالح. وإذا كان الرسول قد حكم ضيقاً بهم أنهم في النار فصصح الوحي الحكم^(٩). وهو لا يتعارض مع كون الإسلام آخر الأديان^(١٠). ويعتدرون بأن قلوبهم غلف^(١١). وادعوا بأن يعقوب

(١) ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقِي بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَهْدَاهُ صُمٌّ بَكْمٌ عُمْى فهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢: ١٧١).

(٢) ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ آبَائِهِمْ وَلَسْتُمْ بِهِمْ وَالْمَوْتُ إِلَهُكُمْ وَإِنَّمَا تَكْفُرُونَ﴾ (٢: ١٣٣).

(٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْرُوهُ وَيَسْتَكْتِبُونَ أُولَئِكَ أُولُوكُمْ قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا أَنْثَارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤: ٢).

(٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْرُوهُ وَيَسْتَكْتِبُونَ أُولَئِكَ أُولُوكُمْ قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا أَنْثَارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤: ٢).

(٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا أَنزَلْنَا مِصْرًا قَالُوا مَا مَعَكُمْ﴾ (٤: ٤٧).

(٦) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢: ٢٥٦).

(٧) ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ بَيِّنَاتٌ لِّمَنْ حُكِمَ عَنْهُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَنْحُرٌ مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَصْلَحُ لَهُمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالْغَايِبُونَ فِي الْأَعْيُنِ يَقُولُونَ أَمْثَلًا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧: ٣).

(٨) ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ وَنَحْسُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَيقَسَّ السَّيْهَادُ﴾ (١٢: ٣).

(٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢: ٦٢).

(١٠) وذلك في آية ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣: ٨٥).

(١١) ﴿وَقَالُوا أَفَلَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢: ٨٨).

أوصاهم بالثبات على اليهودية^(١). ورفضوا الإسلام تقليدا لدين الآباء^(٢). ولا يريدون أن يؤمنوا إلا بمن تبع دينهم والهدى هدى الله^(٣). رؤساء اليهود يشترطون بعهد الله ثمنا قليلا^(٤). ويريدون الاحتكام إلى اليهودية لأن بها الرشوة وليس للإسلام لأنه خال منها^(٥). ويريدون الاحتكام إلى الكاهن^(٦).

ويقولون إنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودات^(٧). ويتصورون أن الأنبياء شفعاء لهم^(٨). ويدعون أنهم أحباء الله وأنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودات^(٩). وظنوا أنهم لا يموتون وأن الجنة لهم^(١٠).

وهم أحرص الناس على الحياة^(١١). وقالوا لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى^(١٢). ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وانكروا الكسب^(١٣). يزكون أنفسهم عند الله وبأنهم

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَا هُمْ يَتَّبِعُونَ هَدْيَ اللَّهِ ۚ سُبُلَهُمْ مُمْتَلِئَةٌ لَكُمْ سُبُلَ الْغَيِّ ۚ﴾ (٢: ١٤١).

(٢) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(٣) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(٤) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(٥) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(٦) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(٧) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(٨) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(٩) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(١٠) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(١١) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(١٢) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

(١٣) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آمَنَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ الْوَحْيَ قَوْلًا فَيَكُونُ سُبُلًا ۚ﴾ (٢: ١٧٠).

لا ذنوب لهم^(١). ويدعون أنهم خير أمة أخرجت للناس فتزل الوحى لتكذيبهم^(٢). ويجادلون المسلمين ليردوهم عن إيمانهم^(٣). ويؤججون العداوة بين المؤمنين، ويتصرون لفريق ضد فريق^(٤). وقد شتموا في المسلمين بعد واقعة أحد^(٥). وكانوا يؤذون النبى فيأتى التنزيل بالصبر^(٦). وكيف يؤمنون بالطاغوت وهم يتلون الكتاب ويؤيدون الذين كفروا على الذين آمنوا؟^(٧). وقد حاول فريق الإيقاع بين الأوس والخزرج لإرجاعهم إلى الجاهلية الأولى^(٨). ويصدون عن سبيل الله من أراد الإيثار^(٩). وعادوا لإخوانهم الذين آمنوا بالإسلام^(١٠). واتهموهم بأنهم شرارهم. ويحسدون الناس على ما أتاهاهم الله من فضله^(١١). وهم منافقون يريدون الإيثار بالإسلام أول النهار والكفر به آخره^(١٢).

- (١) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِلِلَّهِ يُرْسِي مَن يَنَازَعُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَبِيلًا﴾ (٤: ٤٩).
- (٢) ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَذُووْنَ أَلْهَامٍ أَلَّهِ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣: ١١٠).
- (٣) ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ﴾ (٣: ٦٩).
- (٤) ﴿فَمَا أَشَمُّ هَؤُلَاءِ تَقَالُوبًا أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْيَانَكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَطْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالْعَدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُكْرَىٰ تُنَادُوهُمْ وَهُوَ مَكْرَهُمْ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْزَقُومُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (٨٥: ٢).
- (٥) ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (٢: ١٠٩).
- (٦) ﴿تَتَّبِعُونَكَ فِي أَنْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَرَبِّكَ أَشْرَكًا أَذَىٰ كَبِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٣: ١٨٦).
- (٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّافُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ (٤: ٥١).
- (٨) ﴿قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥) ﴿قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَقْسُدُونَ عَلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ ءَمَانٍ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٦) ﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طُفِعُوا آتِفًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا﴾ (٧) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣: ٩٨-١٠١).
- (٩) ﴿قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣: ٩٩).
- (١٠) ﴿أَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُضْلِكُوكُمْ يُلَاقِوكُمُ اللَّهُ لَا يُضَرُّوكُمْ﴾ (٣: ١١١)، ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (٣: ١١٣).
- (١١) ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٤: ٥٤).
- (١٢) ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَايَةُ الْبَرِّ أَنْ يُرِلَّ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآخِرُهَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٢: ٣).

ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم^(١). وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا. وإذا خلا بعضهم إلى بعض تأمروا على المؤمنين ورفضوا الاعتراف بما لديهم تصديقا بما عند المؤمنين^(٢).

امتحنوا الرسول عما يؤمن به فلما أخبرهم بالإيمان بالرسول بما فيهم عيسى أنكروه^(٣).

أراد اليهود الإيمان بالإسلام دون شرائعه والإبقاء على شريعة موسى^(٤). وشرط الإيمان قبول حكم الرسول^(٥). يقتلون الأنبياء^(٦). وهم جاحدون بنعم الله لا يوفون بالعهود ولا يخافون الله^(٧). ولا يتكلمون في الكتاب إلا بأصلهم^(٨). ويدلون الكتاب بأيديهم^(٩). وينقضون العهود^(١٠). ويتبعون ما تتلوا الشياطين^(١١). يلوكون بألسنتهم كلاما مزدوجا يفهم منه المدح في الظاهر، والذم في الباطن^(١٢). وقد سألوا موسى

(١) ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ إِلَّا نَجَاسٌ﴾ (٢: ٤٤)، السابق ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢: ٧٦).

(٣) ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٢: ١٣٦).

(٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢: ٢٠٨).

(٥) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤: ٦٥).

(٦) ﴿إِذَا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَيَّانَتْ أَلْوَانُهُمْ يَتَذَلَّلُونَ وَهُمْ يُقْتَلُونَ﴾ (٣: ٢١).

(٧) ﴿يَتَّبِعُ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ عَمَلًا شَدِيدًا﴾ (٢: ٤٠)، السابق ص ٢٨ - ٢٩.

(٨) ﴿وَمِنْهُمْ أَتُومِنُونَ لَا يَتْلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَنْظُرُونَ﴾ (٢: ٧٨).

(٩) ﴿قَوْلِيلَ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِيلَ لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَوَقِيلَ لَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (٢: ٧٩).

(١٠) ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَنْهُمْ قَلِيلًا وَمَا كُنْتُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (٢: ١٠٠).

(١١) ﴿وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مَلَكٍ مُسْمِنٍ﴾ (٢: ١٠٢).

(١٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَيْتُمْ وَفُلَانًا أَنْظَرْنَا وَأَسْمَأُ وَكَافِرٍ وَعَدَابُ إِلَهِ﴾ (٢: ١٠٤).

المستحيل رؤية الله^(١). ورفضوا الإيمان إلا أن ينزل الله قربانا تأكله النار. وقد أرسل لهم الله من قبل البيئات ولكنهم كفروا بها^(٢). حرموا على أنفسهم قبل أن تحرم التوراة ما حرموا. زaidوا ثم كفروا بما طلبوه. لذلك أصبح الحلال هو الأصل في الإسلام وليس الحرام^(٣). ومقياس التقوى الإنفاق مما تحبه النفس أى المجاهدة^(٤). وكفرة اليهود لن تغنى عنهم أولادهم ولا أولادهم من الله شيئاً^(٥). يعصون الشريعة أن أمرتهم بقتل النفس أو الخروج من الديار^(٦).

- (۱) ﴿ثُمَّ يَدْعُوا أَنْ تَدْعُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَبَّلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (۱۰۸: ۲).
- (۲) ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا تَقُومَ﴾ (رَسُولٌ حَقٌّ يَأْتِينَا بِفُرْقَانٍ تَأْكُلُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَالِئِنْ سَبَّوْا بِالَّذِي نَقَلْتُمْ فَلَيْدَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (۱۸۳: ۳).
- (۳) ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَإِنِّي لَأَتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (۹۳: ۳).
- (۴) ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَنِ انْفَقَا مِنْ مَعْرُوفٍ فَإِنَّ اللَّهَ يُوَسِّعُ لِعَمَلِهِ﴾ (۹۲: ۳).
- (۵) ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿۱۳﴾﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (۱۱۷-۱۱۶: ۳).
- (۶) ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَانٌ عَلَيْهِمْ أَوْ أَتَلَّوْا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبَيُّنًا ﴿۸﴾ وَإِنَّا لَا تَتَّبِعُهُمْ مِنْ دُونِ آبَائِهِمْ أَوْ عَاطِلًا ﴿۱۳﴾ وَلَهُدَّ بِهِمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (۴: ۸-۶).
- (۷) ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَانْجِبُوا لَنَا رَبَّنَا وَإِنَّ إِلَهَنَا لَعَلَّهِ الْغَاشِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (۱۴۲: ۲).
- (۸) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَتَى اللَّهُ الْكَافِرِينَ وَاللَّيْسَ لَهُمْ شُرَكَاءُ فِي شَيْءٍ وَإِنَّ كَيْدَ الْكَافِرِينَ لَفِي ضَلَالٍ﴾ (۱۱۵: ۲).
- (۹) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَتُكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا إِذَا هُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ (۱۴۳: ۲).
- (۱۰) ﴿وَلَمَّا أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ مَاءٍ مَا يَتَّبِعُوا فَمَنْ تَتَّبِعُوا وَمَا أَتَى النَّاسَ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ وَإِنْ أَتَى النَّاسَ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ وَإِنْ أَتَى النَّاسَ مِنْكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ﴾ (۱۴۵: ۲).

وقد أنزلت التوراة والإنجيل من بعده. لم يكن إبراهيم يهوديا أو نصرانيا بل كان حنيفا مسلما^(١).

ومع ذلك، من النصارى مثل النجاشى من يعرف الحق^(٢).

٧- المجموعات الداخلية

ونزلت آيات عدة في المنافقين الذين يدعون بالإيمان باللسان دون القلوب^(٣). إذا لقوا المؤمنين ادعوا الإيمان وإذا خلوا إلى أنفسهم استهزؤا به^(٤). وهم مثل الذى أوقد نارا فلما أضاءت ذهب النور، وظلوا فى ظلمات^(٥). ويشتم المنافقون فى الشهداء بأنهم لقوا حتفهم ولو أنهم كانوا منافقين لعاشوا^(٦). ويحبوا أن يحمدا بها لم يفعلوا^(٧). ويبطنون فى تنفيذ الأحكام فإن وقعت مصيبة لم يشهدوا عليها^(٨). ويحذر التنزيل من أخذهم أولياء^(٩). وفى ساعة الأزمة لو كان الرسول فظا غليظ القلب لانفض الناس من حوله. لذلك يشيرهم الرسول. ويعزم الأمر^(١٠).

- (١) ﴿يَتَّخِذُ الْكُفَّارُ يَوْمَ تُمْسَقُ بِالنَّجَاشِ الْأَنْزِلَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥)
هَٰذَا نُمَّاكُم مِّمَّنْ خَلَقْنَا يَوْمَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ فَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ بِمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَسْتَعِذُّ عَنْ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ (٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣: ٦٥-٦٧﴾.
- (٢) ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْكُفَّارَ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْفَعُونَ فِي الْكُفَّارِ إِنَّ اللَّهَ فَتَنَ الْقُلُوبَ إِنَّكُمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٣: ١٩٩).
- (٣) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢: ٨)، السابق ص ٢٣.
- (٤) ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا عَنَّا مُشْرِكُوتٌ﴾ (٢: ١٤)، السابق ص ٢٤.

- (٥) ﴿مَقَالَهُمْ كَشَلِّ النَّارِ الَّتِي أُسْتَفِدَّتْ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ (٢: ١٧)، السابق ص ٢٥.
- (٦) ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا كَافِرًا لَا تَكْفُرُوا كَافِرِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لَاخُونَهُمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى أَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا تَدْعُونَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ الْوَدَّاعِينَ وَمَا تَعْمَلُونَ بِنَبِيِّكُمْ﴾ (٣: ١٥٦).
- (٧) ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُغُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازٍ مِنَ الْعَذَابِ لَكِهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣: ١٨٨).
- (٨) ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ لِيُغْلِبَنَّ أَنْ يَكُونَ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذَا لَرَأَىٰ أَنْ تَكُونَ مُصِيبَةً﴾ (٤: ٧٢).
- (٩) ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا كَافِرًا لَا تَكْفُرُوا بِطَانَةِ اللَّهِ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَافَ لَا وَدَّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ مُعْتِلِينَ﴾ (٣: ١١٨).
- (١٠) ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فظا غليظ القلب لَا تُفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٣: ١٥٩).

ويرفض الوحي الترهيب وتحريم نعم الله على النفس^(١).

وبالنسبة للمذنبين بدلا من كتابة ما يشين المذنب على بابه وإحراجة إجتماعيا كما كان الحال عند بنى إسرائيل يأتي التنزيل بالمغفرة^(٢). والذنب بعد التوبة مغفور^(٣). وبالنسبة للمؤمنين بدلا من الشقاق بين المؤمنين الاعتصام بحبل الله^(٤). والمؤمنون المخلصون هم الذين يقاتلون في سبيل الله. يشترطون الحياة الدنيا بالآخرة^(٥).

يقاتلون في سبيل المستضعفين^(٦). وهم غير المسلمين الذين قبلوا الصلاة والزكاة وتخرجوا من قبول القتال^(٧). وهم غير المنافقين الذين يدعون أن المسلمين الذين استشهدوا يوم أحد لو لم يخرجوا للقتال لعاشوا^(٨).

-
- (١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن ثَمَرِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ حُلَاكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢: ١٦٨).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ٨٧).
- (٢) ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣: ١٣٣).
- (٣) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمَنْ يُغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣: ١٣٥).
- (٤) ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣: ١٠٣).
- (٥) ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَمْوِتْ يُؤْتِ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤: ٧٤).
- (٦) ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن دُونِهَا وَلَدًا وَاجْعَل لَّنَا مِن دُونِكَ نَصِيرًا﴾ (٤: ٧٥).
- (٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ أَنَّا خَرْنَا لَمَّا كُنَّا لَمَاجِئًا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٤: ٧٧).
- (٨) ﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسْتَكِدٍّ وَإِن تُنصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذَا مِن عِندِ اللَّهِ وَإِن تُنصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذَا مِن عِندِ اللَّهِ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَإِنَّ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَتَذَكَّرُونَ يَفْقَهُونَ حَيْثُ مَا كُنُوا﴾ (٤: ٧٨).

الفصل الثالث

الزمان

أولا - الناسخ والمنسوخ:

ويعنى الزمان «الناسخ والمنسوخ»، إلغاء الحكم السابق بحكم لاحق بعد فترة زمنية من أجل تعديل الحكم وإعادة تكييفه طبقا لتجربة التطبيق الأولى تخفيفا وهو الغالب أو تشديدا وهو الأقل. فمنهج الوحي منهج تجريبي، وأحكامه واقعية. وهو درس في التجريب والتعديل طبقا للظروف المتغيرة. ولا يضر الوحي أن تتغير أحكامه طبقا لتغير الظروف. فالتغير سنة الكون. وهو العنصر الثابت في الحياة.

ويأتى «الناسخ والمنسوخ» بعد أسباب النزول «وإن كان علم أصول الفقه قد أعطى الأولوية المطلقة للنسخ على النزول»^(١). فالوحي ينزل أولا ثم يتطور ثانيا. ومن ثم كان العلم بأسباب النزول يسبق العلم بالناسخ والمنسوخ. الأول أصل، والثاني فرع^(٢). وتبدأ السورة ببيان ظرفها المكانى، مكىة أو مدنية قبل أن تعرض في بعضها أسباب نزولها. والنسخ مرتبط بأسباب النزول التى تبين ظروف الحكم الأول وتغيرها الذى اقتضى تغييره، وذلك مثل الطلاق ثم الرد ثم تحديد مرات الطلاق بثلاث^(٣). انتقالا من القسوة إلى العشرة المطلقة ثم إلى العشرة المشروطة وبث الغيرة^(٤).

(١) من النص إلى الواقع ج-٢ بنية النص ص ١١٨-١٣٦.

(٢) ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص ٤-٥/٥٣/٥٥-٨٢/٨٤-٨٨/٩١-١٠٣/١٠٤.

(٣) الأولى فى (والطلقات يترصدن بأنفسهن ثلاثة قروء). والثانية (ويعولتهن أحق بردهن). والثالثة (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)، والرابعة (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)، ابن سلامة ص ٢٥.

(٤) السابق ص ٢٩.

ولا يعنى الزمان النسخ الزمانى الكونى مثل النهارى والليلى فى تعاقب الليل والنهار، والصيفى والشتائى باعتبارهما من الفصول الأربعة وكلاهما فى الزمان الكونى، والفراشى والنومى وهو الزمان الذاتى، اليقظة والنوم. والنهارى والليلى زمن تعاقب الليل والنهار. وفيما الاستعجال لنزول الوحي ليلا والناس نيام ولم تحدث مشاكل تستدعى نزول الوحي؟^(١). قد يكون الحدث شخصيا والنبى قلق ليلا مثل البحث عن قبلة ولكن دلالاته اجتماعية للناس بعد الاستيقاظ. فالوحي ليس فقط علاقة رأسية بين النبى ومصدره بل أفقية بين النبى والناس. وإن كان حدثا خاصا بينه وبين أزواجه فدلالته للمسلمين جميعا^(٢). والصيفى والشتائى الزمان الكونى، زمان الفصول الأربعة. وقد يعنى ذلك وقوع الحرب أيام الحر أو البرد. ومع ذلك الدلالة حقيقية باستثناء مراعاة الوحي للزمان الجغرافى وليس فقط الزمان الإنسانى^(٣). ويدل الفراشى والنومى على الزمان الشعورى فى اليقظة والنوم. ويظل السؤال قائما ما وجه العجلة وقت الاسترخاء والراحة والإنسان على الفراش وقد انعزل عن الناس أو وقت النوم ولا تقع حوادث ولا مشاكل بل الحظر فى اعتبار الأحلام وقائعا؟ إنها يعنى زمان الأحكام أى زمان الفعل كما هو الحال فى علم أصول الفقه^(٤).

١- أدبيات الموضوع:

وقد كتبت فى الموضوع عدة محاولات قبل أن تدخل فى التصور الكلى لعلوم القرآن فى «البرهان» و«الإتقان».

أ- «الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله تعالى» لقتادة (١١٧هـ)^(٥)

وقد كتب فى الناسخ والمنسوخ منذ القرن الأول مما يدل على أهميته وبروزه كموضوع

(١) الإتقان ص ٥٨-٦٢.

(٢) السابق ص ٦٣-٦٤.

(٣) الإتقان ص ٦٥-٦٦.

(٤) من النص إلى الواقع ج ٢ بنية النص ص ٣٠٩-٣١٦.

(٥) أربعة كتب فى الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب - جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ص ٣٥-٥٦.

مستقل قبل تكوين علوم القرآن. يكتفى بالرصد والتسجيل والتدوين والإحصاء سورة سورة دون أى مقدمة نظرية فى الموضوع ودون رصد أى دلالة للنسخ وتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان، ودون تحويل للرصد الطولى لسور القرآن إلى التحليل البنىوى.

لا يعتمد إلا على الرواية حتى مع اختلاف الروايات. يضيف فقط إذا كانت السورة مكية أو مدنية دون التطرق إلى دلالة النسخ فى المدنى أى فى التشريعات والنظم وليس فى المكى أى فى التصورات والعقائد^(١). ولا يقع النسخ فى كل السور مما يدل على إمكانية ثبات بعض التشريعات الخلقية العامة تعبيرا عن الطبيعة الإنسانية والفطرة البشرية بالرغم من تغيير الظروف الاجتماعية^(٢).

ب- «الناسخ والمنسوخ للزهرى» (١٢٤هـ)

واستمر التأليف فى الناسخ والمنسوخ فى القرن الثانى. واستقر العنوان بهذه الصيغة المزدوجة «الناسخ والمنسوخ» وليس بصيغة أكثر تجريدا مثل النسخ. وهو مجرد رصد وتسجيل دون تحليل نظرى باستثناء تحديد السورة مكية أو مدنية^(٣). فلمكان تابع للزمان. ولا يعتمد إلا على الرواية.

ج- «الناسخ والمنسوخ فى الكتاب والسنّة» لابن سلام (٢٢٤هـ)^(٤)

وهو أول كتاب فى الموضوع. يعتمد على الرواية. فالعلم سند بل تعدد الروايات للمتنب الواحد إذا كان نقلا بالمعنى وليس باللفظ^(٥). ويعنى النسخ المعنى العام بحيث يشمل التخصيص والبيان. ويشمل النسخ بصرف النظر عن أنواع الناسخ قرآنا أو حديثا. ولا خير أن ينسخ الحديث القرآن. والقرآن الحديث. لذلك تم ترتيب أنواع النسخ طبقا لدرجة الناسخ فيما بعد فى علم أصول الفقه.

(١) السابق ص ٥٥-٥٦.

(٢) يذكر النسخ فى سبع عشرة سورة فقط: وخصصت له مؤلفات أخرى لأبى داود والسجستانى وأبى جعفر النحاس وابن الأبارى ومكى وابن العربى وآخرون، الإتيان ج ٣/ ٥٩. البرهان ج ٢/ ٢٨.

(٣) أربعة كتب فى الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ص ١٣-٣٤.

(٤) ابن سلام (أبو عبيد القاسم): الناسخ والمنسوخ فى الكتاب والسنّة، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

(٥) السابق ص ١٧.

والأهم هو ترتيب النسخ ليس طبقا لسورة سورة وآية آية كما هي العادة فيما بعد بل طبقا للموضوعات الفقهية. والفقه هو علم السلوك والأحكام الشرعية. وهو ما يتطلب استنباطها من آخر آيات نزلت من الناسخ وليس من المنسوخ^(١). أكبرها العبادات ثم الأحوال الشخصية ثم الحج والجهاد والشهادات ثم الطعام والشراب ثم الحدود ثم الموارث والوصية واليتامى ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم بعض الموضوعات الأخلاقية مثل الاستئذان والتوبة والإكراه في الدين وإخفاء النفوس وقيام الليل والنجوى والاستغفار^(٢).

د- «الناسخ والمنسوخ» لأبي القاسم هبة الله بن سلامة (٤١٠هـ)^(٣)

يعقد مقدمة نظرية عن أهم موضوعات النسخ مثل معنى النسخ لغة واصطلاحاً وأنواعه بالنسبة للخط والحكم، وتوزيع الناسخ والمنسوخ على السور، ودخول النسخ على الأمر والنهي، والرد على الملحدّين والمنافقين الذين يستخفون بالنسخ^(٤). ويعد ذلك يتم رصد الناسخ والمنسوخ، سورة سورة، وآية آية من البقرة حتى الناس^(٥). وهو من أفضل النصوص ترتيباً وشمولاً ووضوحاً وبيانا للدلالة النسخ.

هـ- «الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم» للقاضي بن العربي (٥٤٣هـ)

ويعرض لموضوع النسخ، سورة سورة وآية آية على نحو طولي وليس عرضياً، مجرد رصد دون تنظيم من أجل العثور على منطق النسخ أو دلالاته. والسور نفسها غير مرتبة

(١) لذلك وضع الناشر أو المحقق عنواناً فرعياً للدلالة على ذلك «أول كتاب مصنف في الناسخ والمنسوخ ومرتب على أبواب الفقه».

(٢) العبادات (الصلاة، الزكاة، الصيام، المناسك) (٦٢)، الأحوال الشخصية (النكاح، الطلاق) (٤٠)، الشهادات (مع شهادة أهل الكتاب) (١٥)، الجهاد (الأسارى، الغنائم) (١٥)، الطعام والشراب (السكر)، الحدود (٩)، الأخلاق (ما يخص النفوس، الإكراه، الاستغفار للمشرّكين) (٧)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧)، الوصية واليتامى (٦)، التوبة (٥)، الاستئذان (٤)، النجوى والتقوى (٣)، الحكم بين أهل الذمة (١).

(٣) أبو القاسم هبة الله بن سلامة: الناسخ والمنسوخ، مصطفى البابي الحلبي، مصر ط ١٣٨٧/٢هـ-١٩٦٧م.

(٤) السابق ص ١٠٠-١٠٥.

(٥) السابق ص ١١-١٠٦.

ترتيا زمانيا بل توقيفيا مما يصعب معه رصد مسار النسخ ومنطقه^(١). تفصيلات عديدة دون نظرة كلية عامة باستثناء المقدمة التي تتضمن بنية نظرية تتعلق بشرائط النسخ. وهي ستة: أن يكون النسخ شرعيا لا عقليا، منفصلا غير متصل، وأن يختلف حكم الناسخ عن المنسوخ، واستحالة الجمع بين الحكمين أن يكون النسخ في الحمل والعمل، ومعرفة المتقدم والمتأخر^(٢).

والبدل ليس شرطا. وإذا كان ضروريا يكون متعدد الأوجه مثل نسخ قدر الكم، وطريقة العمل، والتخير بالإلزام، والقبلة بالقبلة، والتحرير بالإباحة، طبقا لقاعدة نسخ الأثقل بالأخف. ولا يكون النسخ إلا بمثله مثل نسخ الكتاب بالكتاب. والسنة بالسنة أو ما هو أعلى مثل نسخ السنة بالكتاب وليس بما هو أدنى، نسخ الكتاب بالسنة أو الإجماع أو الاجتهاد. ولا تعتبر الزيادة أو النقصان نسخا. ومعظم النسخ في المدني وليس في المكي. ففي المدني الشرائع، وفي المكي العقائد. وفي المكي التصور، وفي المدني النظام.

يعتمد على الروايات. والغاية عملية فقهية وليست نظرية منطقية تروى ظروف كل نسخ مما يدل على ارتباطه بأسباب النزول. ويجعل ذلك باب النسخ في علم أصول الفقه أكثر تنظيرا ودلالة^(٣). لذلك كان «الناسخ والمنسوخ» للواحدى أفضل لأنه مادة خام يمكن تحويلها إلى منطق للنسخ برصد النسخ المتشابه والمختلف. ويستعمل الشعر وآراء الفقهاء دون الدخول في جدل مع المتكلمين.

و- «المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ» لابن الجوزى (٥٩٧هـ)^(٤)

استمر التأليف في الناسخ والمنسوخ حتى القرن السادس قبل تشكل علوم القرآن

(١) القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي المعافى المالكي: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ووضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

(٢) السابق ص ١١-١٥.

(٣) من النص إلى الواقع ج ٢ بنية النص ص ١١٨-١٣٦.

(٤) أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ص ١١-٥٥.

في صيغتها الكاملة في «البرهان» و«الإتقان». وقد يغلف العنوان بصيغة أدبية تقوم على السجع كما هي العادة في عناوين القدماء. ويتحول إلى علم مستقل. وبالإضافة إلى الرصد والتسجيل، سورة سورة^(١). تبدأ محاولات وضع أسس نظرية للنسخ في فصول^(٢).

ز- «نواسخ القرآن» لابن الجوزي (٥٩٧هـ)^(٣)

ويبدل العنوان بهذه الصياغة الجديدة على أن التركيز على النواسخ جمع «ناسخ» وليس على «المنسوخ» أى على اللاحق وليس على السابق، على الإثبات وليس على الرفع والإزالة. لذلك جاءت أقسام الباب الثامن، وهي تقريبا كل الكتاب، في صيغة «ذكر الآيات التي ادعى عليهن النسخ في سورة كذا» سورة سورة، من البقرة حتى الكافرون، تسعا وخمسين سورة. مما يوحي بأن النسخ ادعاء، وأنه لا شيء منسوخا في القرآن كما هو الحال عند منكري النسخ من اليهود لإثبات شريعتهم التي لم تنسخها شريعة المسيح أو شريعة الإسلام^(٤).

وهو تصنيف ابن الجوزي وهو ما يعنى تأليف بلغة العصر. يبدأ بعقد نظرية في سبعة أبواب قبل أن يبدأ التطبيق في الباب الثامن^(٥). الأول عن جواز النسخ والفرق بينه وبين الباء. والثاني وقوع النسخ في القرآن. والثالث حقيقة النسخ. والرابع والخامس شروط النسخ المتفق عليها والمختلف فيها. والسادس فضيلة علم الناسخ والمنسوخ وضرورة تعلمه. والسابع أقسام المنسوخ.

(١) حوالى ٤٨ سورة، من البقرة حتى الكافرون.

(٢) المصنفى ص ١١-١٣.

(٣) الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي: نواسخ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت.).

(٤) «ثم أتيت بالآيات المدعى عليها النسخ على ترتيب القرآن إلا أنني أعرضت عن ذكر آيات ادعى عليها النسخ من حكاية لا تحصل إلا تضييع الزمان أفحش تضييع... لا أدرى أى الأخطا الغالبة حملته على هذا التخليط. فلما كان مثل هذا ظاهر الفساد، وريت عنه غيره على الزمان أن يضيع، وإن كنت قد ذكرت مما يقاربه طرفا لأني بمذكوره على مقفلة»، السابق ص ١٢-١٣.

(٥) الأبواب السبعة الأولى (٢٥)، والثامن (٢١٣).

والنسخ موضوع مشترك بين علم أصول الفقه في المصدر الأول لاستنباط الأحكام، القرآن وفي أحكام التكليف الخمسة^(١). ويظهر أيضا في علم أصول الدين في تطور النبوة وهو أيضا في علم القرآن، حامل الزمان في الحوامل الموضوعية. أما علوم الحكمة وعلوم التصوف فإنهما يتعاملان مع الحقائق الثابتة الخالدة دون أخذ التطور والزمان بعين الاعتبار. فالحقيقة عند الحكماء واحدة. والدين عند الصوفية واحد.

وامتد الخطأ في التفسير كما هو الحال في كتاب هبة الله المفسر وهو ابن سلامة العزيز صاحب «الناسخ والمنسوخ» إلى الخطأ في الناسخ والمنسوخ وجعل غير المنسوخ منسوخا وكما هو الحال في كتاب الناسخ والمنسوخ للسدي^(٢). وقد انعكس ذلك على التفسير فدخلت آراء المفسرين الفاسدة. واعتمدوا على أحاديث باطلة مما دفع المؤلف إلى كتابة مقدمات في علم التفسير للتنبيه على ذلك مثل «المغنى في التفسير»، «زاد المسير»، «تفسير التبيان في علم القرآن» واختصاره في «تذكرة الأريب في تفسير الغريب»^(٣).

وفي المقدمة يظهر وعي المؤلف النظري بضرورة تحويل العلم من النقل إلى العقل، ومن الرواية إلى الدراية، ومن التقليد إلى التجديد^(٤). ووضع مقدمة بمثابة القواعد

(١) السابق ص ٢٠-٢٢.

(٢) ثم إنني رأيت الذين وقع منهم التفسير صحيحا قد صدر عنهم ما هو أقطع فآلتني وهو الكلام في الناسخ والمنسوخ. فانهم أقدموا على هذا العلم فتكلموا فيه وصنفوه. وقالوا بنسخ ما ليس بمنسوخ، ومعلوم أن نسخ الشيء رفع حكمه وإطلاق القول برفع حكم آية لم يرفع جراحة عظيمة. ومن نظر في كتاب الناسخ والمنسوخ للسدي رأى من التخليط العجائب، ومن قرأ في كتاب هبة الله المفسر رأى العظائم. وقد تداوله الناس باختصاره. ولم يفهموا دقائق أسرارته. فرأيت كشف هذه الغمة عن الأمة ببيان إيضاح التصحيح، وهتك ستر القبيح، متعينا على من أنعم الله عليه بالرسوخ في العلم وأطلعته على أسرار النقل، واستلب زمامه من أيدي التقليد خلصة إلى يد الدليل. فلا يهول له قول منظم فكيف بكلام جاهل برسم، السابق ص ١٢.

(٣) «وإنني رأيت كثيرا من المتقدمين على كتاب الله عز وجل بآرائهم الفاسدة وقد دسوا في تصانيفهم للتفسير أحاديث باطلة. وتبعهم على ذلك مقلدوهم. فشاع ذلك وانتشر. فرأيت العناية بهتذيب علم الأغاليط من اللازم... وأرجو أن تغني هذه المجموعات عن كتب التفسير مع كونها مهذبة عن خللها، سليمة عن زلها»، السابق ص ١١.

(٤) «فإن نفع العلم بدرايته لا بورائته، وبمعرفة أغواره لا بروائته. وأصل الفساد الداخل على عموم تقليد سابقهم، وتسليم الأمر إلى معظمهم من غير بحث عما صنفوه، ولا طلب للدليل عما ألفوه»، السابق ص ١١.

والأصول واختيار الشكل الأدبي الأمثل من حيث الطول والقصر^(١).

ح- «ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه» لابن البارزى (٧٣٨هـ)^(٢)

وسيتمر التأليف في الناسخ والمنسوخ في القرن الثامن، وقت تشكيل علوم القرآن في «البرهان» للزركشى. ويضاف إلى العنوان التقليدي «القرآن العزيز» لبيان أن الموضوع يتعلق بالقرآن وجزء من علوم القرآن. ويمتاز الكتاب بمقدمة نظرية في أنواع النسخ وبخاتمة أيضا حول أهم قضية في النسخ العملى وهى آية السيف والقتال.

تبدأ المقدمة النظرية بتصريف النسخ في اللغة بمعنى الرفع. وقد ورد في القرآن بمعنيين. الأول نقل الكتابة أو تدوين الأعمال في سجلات، والثانى رفع حكم ثابت بحكم ثابت آخر^(٣). كما تضم ضروب النسخ الثلاثة، الأول رفع الحكم والخط. والثانى رفع الخط وبقاء الحكم، والثالث رفع الحكم وبقاء الخط. كما تتضمن مستويات الناسخ والمنسوخ الأربعة، نسخ الكتاب بالكتاب، والسنة بالكتاب، والسنة بالسنة وليس الكتاب بالسنة^(٤).

كما تتضمن وقوع النسخ في الأوامر والنواهي وليس في الأخبار. ثم تعطى بعض الإحصائيات في النسخ مثل أول ما وقع فيه النسخ^(٥). وليس في كل السور ناسخ ومنسوخ. وبعضها به ناسخ دون منسوخ، والبعض الآخر به منسوخ دون ناسخ^(٦).

(١) «ولما رأيت المصنفين في هذا العلم قد تباينوا. فممنهم من أطال بها لا حاجة بمثل هذا التصنيف إليه. ومنهم من قلد القائلين ولم يحكم على الاختلاف ببيان الصواب. ومنهم من نقص بحذف ما يحتاج إليه أثبتك بهذا الكتاب متوسطا. وحذفت كثيرا من الأسانيد والطرق خوف الملل»، السابق ص ١٣.

(٢) أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، كلية الآداب جامعة بغداد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ص ١٩-٥٩.

(٣) نقل الكتابة في آية (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)، السابق ص ١٩-٢٠.

(٤) هو جائز عند أبى حنيفة ممتنع عند الشافعى، السابق ص ٢١.

(٥) وذلك مثل الصلاة الأولى، القبة الأولى، الصوم الأول، الزكاة الأولى، الإعراض عن المشركين، الموارنة، العفو والصفح عن أهل الكتاب، المخالطة في الحج، والعهد مع المشركين، المصطفى ص ٢٢.

(٦) السور التى بها ناسخ ومنسوخ ٣١ سورة. والسور الخالية منها ٤٣ سورة. والسور التى بها منسوخ دون ناسخ ٣٤، والسور التى بها ناسخ دون منسوخ ٦، السابق ص ٢٢.

وآية السيف ناسخة لمائة وأربعة عشر موضوعا في اثنين وخمسين سورة^(١). تم نسخ بعضها. كما نسخ عمومها في آخرها^(٢). ونسخت آية القتال ثمانية مواضع في سبعة سور^(٣). وتستمر الإحصائيات كرصود دون إيجاد دلائلها^(٤). وقد نسخت آية بآيات وآيات بآية. فالنسخ كيف لا كم.

وتضم الخاتمة بعض المسائل النظرية^(٥). مثل إطلاق بعض المتقدمين النسخ على التخصيص والاستثناء والأحوال المشكلة مثل الأمر بالقتال بعد الأمر بالصبر والصفح لاشتراك الجميع في رفع الحكم المتقدم. على عكس المتأخرين الذي يفرقون بينهما. وهذا هو سبب في جعل المتقدمين آية السيف ناسخة لمائة وأربع عشرة آية على عكس المتأخرين. فلا ينسخ بآية القتال إلا ما فيه نهي عن القتال. كما تذكر الخاتمة ضرورة تأخر الناسخ عن المنسوخ بفترة زمنية تسمح بتنزيل الحكم المنسوخ.

وقد استمر التأليف في الناسخ والمنسوخ من القرن الأول حتى اليوم سواء من القدماء أو من المحدثين في التراث أو في الرسائل الجامعية. الف فيه المتكلمون من المعتزلة مثل أبي الحسين البصري أو المفسرون مثل مقاتل بن سليمان أو من الخنابلة مثل أحمد بن حنبل أو من الصوفية مثل الحلاج أو من الفقهاء من أهل الظاهر مثل ابن حزم أو من النحاة مثل السيرافي أو من الأشاعرة مثل عبد القاهر البغدادي أو من الشيعة مثل القمي.

(١) وهي آية ﴿فَإِذَا نَسَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ﴾.
(٢) والناسخ آية ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُفْهُ مَأْمَنَةً﴾. وناسخ العموم ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، السابق ص ٢٢-٢٣.
(٣) وهي آية ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، نسخت ثمانية مواضع في سبع سور، السابق ص ٢٣.

(٤) مثل: الآيات المنسوخ عمومها بالاستثناء أو ما في معناها بعدها ثلاثة وعشرون موضعا في إحدى عشرة سورة. والآيات المنسوخة على النظم مائة وثلاثة مواضع في ثلاثين سورة. جملة المواضع المنسوخة ٢٤٩ موضعا. الآيات الناسخة ١٠٨ موضع في ٣٧ سورة.

(٥) السابق ص ٦١-٦٢.

٢- النسخ لغة واصطلاحاً:

والنسخ لغة يعنى إما الرفع والإزالة أو تصوير المکتوب^(١). والنسخ اصطلاحاً يعنى المعنى الأول. والسؤال هو: ما الفرق بين النسخ والنسيان، والمثل الأخير فى الآية الشهيرة ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾؟ خير منها أى أكثر واقعية وطبيعية. مثلها فى الحكم مع اختلاف الصياغة الأدبية من الناحية البلاغية^(٢). وقد يكون الحكمان، المنسوخ والناسخ، خيارين إنسانيين مثل الإعراض عن اللغو أو عدم مجالسة من يقوم به^(٣).

ليس «الناسخ والمنسوخ» من أبحاث الألفاظ أو المعانى بل من أبحاث الزمان أى الحوامل الواقعية أو التاريخية مثل المكان والموقف أى النزول.

وفى الترتيب يسبق المنسوخ الناسخ عادة. ولا يتغير الترتيب إلا استثناء^(٤). فالناسخ تال على المنسوخ بالضرورة فى الزمان، والمنسوخ متقدم عليه. فالحاضر ينسخ الماضى لأن التقدم خطى من الماضى إلى الحاضر. وأقصى مدة بين الناسخ والمنسوخ ست عشرة سنة أى نصف جيل إذا كان الجيل فى الثقافة القديمة أربعين عاماً، ولا يزيد على ذلك إلا مرة واحدة^(٥).

ولا يجوز نسخ الحكم قبل العمل به وإلا كان تحصيل حاصل، لا فائدة منه. لذلك هناك فترة زمنية بين الناسخ والمنسوخ حتى يظهر عدم التطابق بين الحكم الشرعى والواقع المتغير الجديد^(٦).

(١) الأول فى آية ﴿فَنَسَخَ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ﴾. والثانى فى آية ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَسْنِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ٢٠ ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص ٥.

(٢) السابق ص ٩-١٠.

(٣) ﴿وَإِذَا زَايَتْ الَّذِينَ يُحْمِلُونَ فِي بُيُوتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يُخْرِجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، والثانى ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يُخْرِجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، السابق ص ٤٥.

(٤) الإنشقاق ج ٣/ ٦٩-٧١.

(٥) البرهان ج ٢/ ٤٠-٤١ وهى آية ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعَافِينَ الرَّسْلِ وَمَا أُنْذِرُ مَا يَقْعُدُونِ وَلَا يَكْرَهُ﴾ نسختها أول سورة الفتح.

(٦) ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ٢٥-٢٨.

والعلم بالناسخ والمنسوخ فضيلة لأنه علم بالتغير والتطور بأولوية الواقع على النص^(١). وفضل هذا العلم كبير إذ به يعرف تطور أحكام الشريعة ومطابقتها للواقع المتغير والقدرة. فالأحكام تتجدد بتجدد الواقع وإلا تحجرت أحكام وتطور الواقع فيحدث تمايز بين شدة الحكم وضرورة تغييره. وينشأ الصراع بين السلفين المدافعين عن الحكم والتحديثيين المدافعين عن تغيير الأحكام بتغيير الواقع كما هو الحال في تاريخ الحركات الإصلاحية الحديثة. ويشدد الأمر فيصبح صراعا بين الأصوليين المتشددين بالإبقاء على ثبوت الأحكام والعلمانيين المطالبين بالتشريع المدني. وتنقسم الأمة إلى فريقين متنازعين. وقد يصل الأمر إلى حد القتال والحروب الأهلية تحت دعوى «تطبيق الشريعة الإسلامية»^(٢).

والسؤال هو: هل يجوز إذا ما تغيرت الظروف إلى سواء العودة إلى حكم المنسوخ دون الناسخ مثل بعض المجتمعات التي استشرى فيها شرب الخمر ويصعب اقتلاعه عن طريق التحريم. هنا يمكن العودة إلى المراحل الأولى التدريجية للتحريم مثل (فيهما... إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما) ثم عدم الشرب أثناء الصلاة؟ وإذا كان للنسخ طريقان، من الأخف إلى الأثقل مثل تحريم الخمر أو من الأثقل إلى الأخف مثل محاسبة أفعال النفس الداخلية والخارجية ثم الاقتصار على الخارجية فقط فهل يمكن طبقا للظروف المتجددة الأخذ بأحد الطريقتين؟ هل المنسوخ يبطل الحكم نهائيا أم وقتيا، بحيث يمكن العودة إليه إذا ما تغيرت الظروف؟ هل الزمان في تقدم مستمر أم أنه قد يتقهقر أيضا؟^(٣).

٣- وقوع النسخ شرعا وجوازه عقلا:

ومن المؤلفين من أنكر النسخ مثل أبي على محمد بن أحمد الجنيدي (٣٨١هـ) في كتابه

(١) السابق ص ٢٨-٣٢.

(٢) المصنف ص ١٢-١٣.

(٣) والأمثلة على ذلك كثيرة: فرض الإنفاق في الأموال غير الزكاة، نكاح المتعة في الحروب والهجرة، شرب قليل من الخمر بدواعي الصلابة خاصة بين النخبة... الخ.

«الفسخ على من أجاز النسخ»^(١). وهم قلة لا تمثل التيار الغالب. تسقط الزمان من الحساب، والتطور من الوحي. إنكار النسخ إنكار للتغيير، والتغيير سنة الكون^(٢). وهو دفاع عن القرآن جهلا بالواقع ظنا أن التغيير عيب ونقص. وهو من مظاهر الكمال (كل يوم هو في شأن).

وأول مقدمة نظرية في إثبات النسخ على منكريه من اليهود وكما هو الحال في علم أصول الفقه بدعوى عدم جواز البدء على الله أى الحكم بشيء ثم يبدو الأمر على خلاف ذلك^(٣). وعلم الله ثابت لا يتغير. والحقيقة أن الأمر لا يتعلق بعلم الله في ذاته. فهذا هو موضوع علم الكلام، الصفة الأولى في الثلاثي، العلم والقدرة والحياة^(٤). وهو درس في تبعية العلم الإلهي لتطور الزمان وتغير المكان^(٥). وفرق بين النسخ والبدء أن النسخ تغيير حكم التكليف بناء على مصلحة المكلف في حين أن البدء تغيير علم نظري ثابت بلا سبب. والنسخ لا يعنى فساد الحكم السابق بل تجاوز الواقع له في حين أن البدء يعنى فساد العلم الأول. وإنكار النسخ خلط بين العلم الإلهي والواقع الإنساني. فالنسخ ليس تجويزا للبدء على الله كما تقول اليهود، فعلم الله في ذاته كصفة للذات ثابت وتعيينه الأول في اللوح المحفوظ متغير لأنه مخلوق^(٦).

والأصل النظري الأول حول الجواز والوقوع عقلا وشرعا. والاختيارات ثلاثة: الأول عدم الجواز عقلا ولا شرعا لأن النسخ يعنى البدء. والثاني الجواز عقلا والامتناع شرعا لأن شريعة موسى لا تنسخ. والثالث الجواز شرعا لا عقلا حرصا على صورة شرائع الأنبياء. ويغيب الرابع وهو الجواز عقلا وشرعا وواقعا^(٧). هو جائز عقلا لأن التكليف يقوم على المصلحة، والمصالح متغيرة وبالتالي كان شكل التكليف ودرجته

(١) أربعة كتب في النسخ والمنسوخ ص ١٨-١١٩.

(٢) «وقد قال قوم لا يعدون خلافا ليس في القرآن ناسخ ومنسوخ. وهؤلاء قوم عن الحق صدوا، وبأنفسكم عن الله ردودا» ابن سلامة: النسخ والمنسوخ ص ٩.

(٣) ابن الجوزي: المصنف ص ١١-١٢ «من النص إلى الواقع» ج ٢ بنية النص ص ١٢١-١٢٤.

(٤) من العقيدة إلى الثورة ج ٢ التوحيد ص ٤٢٧-٤٣٥.

(٥) الإتيان ج ٣ / ٥٩-٦٠.

(٦) البرهان ج ٢ / ٣٠.

(٧) السابق ص ١٤-١٦.

متغيرين أيضا. وهو واقع شرعا نظرا لتغيير التكليف من نكاح المحرمات إلى تحريمه، ومن العمل يوم السبت إلى تحريمه، ومن أكل لحم الخنزير إلى تحريمه.

والنسخ واقع شرعا ونصا في آية النسخ الشهيرة (وما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها). وفيها تميز بين النسخ والنسيان. النسخ رفع وإزالة فعل إرادى. أما النسيان فهو ما يتجاوزه الزمن مثل الإماء والعبيد والغنائم والصيد وربما وضع المرأة ككل. والبديل أفضل من الأول أو مثله. أفضل أى أوسع وأرحب، ومثله فى الصياغة والإقناع. الأول بالإرادة، والثانى بالطبيعة^(١). وليس النسخ فقط جائز عقلا بل هو واقع شرعا سواء النسخ الكلى، نسخ شريعة بشرية أو النسخ الجزئى، نسخ حكم بحكم آخر داخل الشريعة الواحدة^(٢).

والنسخ ممكن عقلا وشرعا لأن الواقع يتغير والوحى يتطور بتطوره. ويعد درسا فى التجريب، وألوية الواقع على الوحى، ودخول عنصر الزمان فى تطور الأحكام. فهى متغيرة بتغيره، ومتطورة بتطوره.

وهناك فرق بين النسخ الكلى لمرحلة سابقة من مرحلة لاحقة مثل نسخ الإنجيل للتوراة، ونسخ القرآن للإنجيل، فهذا النسخ هو مجرد التبديل والتحويل وليس الإلغاء. ويتم عن طريق النسيان للمثل (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، فالفضل هو النسخ أو النسيان والنتيجة الإتيان بناسخ أفضل من المنسوخ أو مثله، أفضل فى الواقعية، ومثله فى المثالية. شريعة موسى تُنسخ بشريعة عيسى. وشريعة عيسى تنسخ بشريعة الإسلام^(٣).

ولا يثبت جواز النسخ بحجج صورية عقائدية بل بحجج علمية سلوكية. فكون الأمر يفعل بأمره ما يشاء حجة عقائدية كلامية. إنما الحجة هى تغيير الواقع والظروف،

(١) السابق ص ١٧-١٩.

(٢) من العقيدة إلى الثورة جـ النبوة- المعاد ص ١٠٤-١٣٩. ويذكر أنه كان يجوز فى شريعة آدم وطائفة من أولاده نكاح الأخوات وذوات المحارم والعمل يوم السبت ثم نسخ ذلك فى شريعة موسى، المصنف ص ١٢.

(٣) لا يقول ابن الراندى بنسخ شريعة موسى: ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ١٥.

وبالتالى ضرورة إعادة صياغة الأحكام طبقا للواقع المتجدد^(١). فالرؤية العامة للتشريع هى أولوية الواقع على النص^(٢). فالأحكام الشرعية تجريبية فى جدل مستمر بين المثال والواقع طبقا لقدرات المكلفين وقاعدة عدم جواز تكليف ما لا يطاق^(٣).

٤- النسخ فى الأحكام:

ولا يقع النسخ إلا فى التكليف، الأوامر والنواهي، اقتضاء الفعل أو الترك. وهو على ثلاثة مستويات: الأول الفرض أو الواجب أو الإلزام ويكون نسخه من الوجوب إلى المنع، مثل تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام. وقد يكون النسخ من الوجوب إلى الاستحباب أى المندوب مثل نسخ وجوب الوضوء عند كل صلاة وجعله فقط مستحبا. وقد يكون النسخ من الوجوب إلى الإباحة مثل نسخ وجوب الوضوء عما غيرت النار إلى الجواز. والثانى الاستحباب أو المندوب ويكون نسخه إما بالتحويل إلى الوجوب أو إلى المنع والتحریم وإما إلى الإباحة مثل نسخ استحباب الوصية للوالدين إلى الإباحة. والثالث المباح. ولما كان المباح ليس حكما شرعيا خارجيا بل شرعيته فى طبيعته فهو مأذون فيه غير مأمور به. ونسخه إلى وجه واحد هو التحريم مثل نسخ إباحة الخمر إلى التحريم. ولا يوجد نسخ الإباحة إلى الكراهة. ونسخ المباح إلى واجب ليس نسخا لأن إيجاب المباح إبقاء تكليف وليس نسخا. والنهى مستويان. الأول التحريم. وقد ينسخ بالإباحة مثل تحريم الأكل على الصائم فى الليل بعد النوم والجماع، والثانى الكراهة^(٤).

وينقسم النسخ من حيث الأحكام الشرعية الخمسة. نسخ الفرض بالفرض ولا يجوز العمل به، وفرض نسخ فرضا ويجوز العمل به، وفرض نسخ ندبا للتشديد، وندب نسخ فرضا للتخفيف^(٥).

(١) المصنفى ص ١١.

(٢) وهو ما ثبت فى «من النص إلى الواقع» محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه (جزءان) جـ ٢ تكوين النص

جـ ٢ بنية النص، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٥، دار المدار بيروت ٢٠٠٥.

(٣) السابق جـ ٢، بنية النص ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٤) ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ٢٠-٢١.

(٥) الإبتقان جـ ٣/ ٦٢ من النص إلى الواقع جـ ٢ بنية النص ٥٧١-٥٨٣.

يدخل النسخ على الأمر والنهي فقط أو الأخبار التي تفيد الأمر^(١). وهو ثلاثة أقسام: الأول ما يقع قبل الامتثال فقد تطور الزمان قبل الحكم، وتغير النظر قبل العمل. وهو غير معقول ولا مفهوم. فالغاية تجريب الأحكام. دون تجريب أى تحقق في الواقع لا يقع نسخ^(٢). والثاني نسخ شرع من قبلنا هو النسخ الكلى وليس النسخ الجزئى، نسخ المراحل في تطور الوحي وليس نسخ الأحكام^(٣). والثالث الحكم لسبب ثم زوال السبب، فالحكم يدور مع العلة وجودا وعدما مثل آية السيف، وآيات التخفيف والتثقيل.

لا يقع النسخ إلا في الأوامر والنواهي أى في الأحكام وليس في العقائد كتصورات أو في الأخبار، أو في القصص والأمثال^(٤). الأحكام تتغير بتغير الزمان والمكان. أما القصص فحكايات أدبية مثل الأدب العالمى. والأمثال حكم الشعوب. نسخ الأخبار يعنى كذبها. النسخ في الأحكام وليس في العقائد. والأحكام تتعلق بالحوادث والسلوك البشرى والنظم الاجتماعية والسياسية. إلا يكون النسخ في اللوح المحفوظ. فهذا تعين أول للعلم الإلهى بل يكون فقط في أحكام البشر^(٥).

ولا يقع النسخ في الأخبار لأن الخبر علم نظرى يتوقف على صدق الرواية أو كذبها بمطابقتها أو مخالفتها للواقع أو على صدق الراوى أو كذبه إراديا أم لا إراديا. الواقع رؤية، والخبر رواية. والخبر نوعان. إما الإعلان عن حقيقة شرعية مثل (لا يمسه إلا المطهرون) أو الخبر الخالص أى الصادق فالنسخ فيه تكذيبه^(٦).

ولا يعنى النسخ تصحيح قراءة الرسول للقرآن بعد أن تدخل الشيطان وألقى إليه ما ليس منه. وهى قصة الآيات الشيطانية الشهيرة. وبصرف النظر عن إخراجها وروايتها إلا أنه ليس من المعقول أن يكون للشيطان قوة جبريل في النفث في روع الرسول بل هو أقوى منه لأنه استطاع التدخل والتغيير والتدليس على جبريل والرسول. وتصحيح

(١) ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص ٨-٩.

(٢) الإتيان ج ٣/ ٦١. البرهان ج ٢/ ٤١-٤٣.

(٣) من العقيدة إلى الثورة ج ٤ النبوة والمعاد ص ١٠٤-١٣٩.

(٤) المصنفى ص ١٢.

(٥) البرهان ج ٢/ ٣٠/ ٣٣.

(٦) ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ٢١-٢٢.

جبريل ليس نسخا لأن النسخ لا يكون إلا في الأمر والنهي أى في الأحكام، ولا يكون إلا بعد التنفيذ. والآيات الشيطانية في العقائد وقبل التنفيذ. ولا يكون النسخ إلا بقرآن لقرآن أو بحديث لحديث أو لحديث بقرآن للتصحيح وليس لحديث الشيطان بقرآن. والنسخ هنا المذكور في القرآن في روايته يعنى مجرد الرفع والإزالة^(١). وإذا كان الشيطان يعنى تأويلا هو اجس النفس ودوافعها السلبية فقد تكون الآيات الشيطانية تعبيرا عن رغبة الرسول في حلول وسط مع المشركين وأهنتهم مؤقتا. وقد لاحظت عائشة من قبل أن الله يوافق على هوى الرسول.

والناسخ والمنسوخ في القرآن أربعة أقسام: قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ. وقسم فيه ناسخ ومنسوخ، وقسم فيه ناسخ فقط دون منسوخ، وقسم به منسوخ فقط دون ناسخ^(٢). ويدل الأول على أن الثبات أكثر من التحول، ويدل الرابع على أن التحول بلا ثبات. ويدل الثاني على جدل الثبات والتحول في حين يدل الثالث على الثبات دون المتحول وهو الأقل. وليس كل السور بها ناسخ ومنسوخ. بعض السور ليس بها ناسخ ولا منسوخ لأنها خالية من الأمر والنهي^(٣). وهناك سور بها ناسخ وليس بها منسوخ^(٤). وهناك سور بها منسوخ وليس بها ناسخ^(٥). وهناك سور بها ناسخ ومنسوخ^(٦). وبعض السور بها ناسخ فقط أو منسوخ فقط أو بها كلاهما أو خالية من كليهما^(٧). والأغلب هي السور الخالية من كليهما مما يدل على أولوية الثبات على التغيير. ثم تأتي السور بها منسوخ دون ناسخ والتي تعنى أولوية التغيير على الثبات وقدرة الواقع على تجاوز الأحكام. والسور التي بها ناسخ ومنسوخ تعنى تعادل الاثنين. وأقلها السور التي بها ناسخ دون منسوخ. فلا شيء نهائي في الحكم. والواقع لا نهاية له.

(١) لذلك لا تعتبر ﴿وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ناسخا لكلام الشيطان، أو ﴿لَا تَحْزَنْهُ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّورَةَ﴾، أو ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنسَى﴾، ابن سلامة ص ٦٣-٦٤/٦٦/٩٧/١٠٠.

(٢) الإتيان ج ٢٢/٣، الأول (٤٣ سورة)، الثاني (٢٥)، الثالث (٦)، الرابع (٤٠)، البرهان ج ٢/٣٣-٣٥.

(٣) وعددها ثلاثة وأربعون، السابق ص ٦.

(٤) وعددها ستة.

(٥) وعددها أربعون.

(٦) وعددها خمس وعشرون.

(٧) السور التي بها ناسخ ومنسوخ (٢٥). والسور التي بها منسوخ دون ناسخ (٤٠). والسور التي بها ناسخ دون منسوخ (٦). والسور الخالية من كليهما (٤٣). ابن الجوزي: نواسخ القرآن ص ٣٩-٤٠.

٥- الفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء:

النسخ ليس التخصيص. النسخ من مباحث الزمان في حين أن التخصيص من مباحث الألفاظ^(١). فالاضطرار استثناء من القاعدة، رخصة من العزيمة^(٢). وتوالى آيات الوصية ليس نسخا بل تخصيصا للأقربين بالأولاد والوالدين^(٣). وفرض الصيام على الأمم جميعا ثم على الأمة الإسلامية عام يتبعه خاص^(٤). وتعميم حكم الميراث على الأقربين ليس منسوخا بتخصيص الأولاد^(٥). بل هو تخصيص طبقا لعادة العرب ووضع المرأة في الصدر الأول مما قد يدفع البعض بتخصيص آخر، المساواة في الميراث، بعد تغيير وضع المرأة اليوم عما كان في السابق، وشدة الهجوم على الشريعة بأنها لم تحقق المساواة بين الجنسين، والعصر هو عصر تمكين المرأة، ودراسات المرأة، وجمعيات المرأة، وقضايا المرأة.

وفرق بين النسخ والتخصيص. النسخ رفع حكم عام بحكم عام آخر في حين أن التخصيص إبقاء الحكم العام مع مراعاة ظروف خاصة في بعض الحالات لبعض الأفراد^(٦). قد يكون الحكم العام هو تقوى الأوصياء في مال اليتامى ثم يتم تخصيص بالصلح بينهم وبين الموحي عليهم في حالة الجور^(٧). وعدم دخول البيوت حتى

(١) من النص إلى الواقع جـ ٢ ص ٣١٦-٣٤٨.

(٢) لذلك آية ﴿وَمَا أَمِلْ يَوْمَ يَلْعَنُ اللَّهُ﴾، ليست منسوخة بآية ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ابن سلامة ص ١٥.

(٣) لذلك ليست آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ يَأْمُرُوهَا حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾. وهو ما يؤكد حديث «ومن لم يوحى بقرابته فقد ختم عمله بمعصية». وهو أيضا رأى الحسن البصري وطاوس والعلاء بن زيد ومسلمة بن يسار، السابق ص ١٦.

(٤) وذلك في آية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، السابق ص ١٦-١٨.

(٥) آية (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ)، ليست منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، بل خصصة بها، السابق ص ٣١. وكذلك آية (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) ليست منسوخة بل خصصة بآية (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى)، السابق ص ٣١-٣٢.

(٦) المصنف ص ١٢.

(٧) الحكم العام في آية (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)، والخاص في (فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جُنُفًا أَوْ إِنِئِي فَاصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ)، ابن سلامة ص ٣٢.

الاستئذان والسلام على أهلها عام ثم خصص بالبيوت المسكونة دون الخالية^(١). والغرض من البصر عند رؤية النساء حكم عام يخصص بإمكانية ذلك للعجائز^(٢). والاستئذان للدخول على النساء ليس ممن ملكت الأيوان ولا ممن لم يبلغوا الحلم أما الغرباء والذين بلغوا الحلم فليستأذنوا قبل الدخول^(٣). وتسييح الملائكة بحمد ربهم واستغفارهم لمن في الأرض حكم عام واستغفارهم للذين آمنوا حكم خاص. فليس كل من في الأرض بمؤمنين^(٤). ومن أصابهم البغي متصرون حكم عام. ومن صبر وغفر كان ذلك من عزم الأمر حكم خاص^(٥).

والنسخ غير الاستثناء. النسخ من مباحث الزمان. والاستثناء من مباحث اللغة^(٦). ويعرف الاستثناء بحروفه مثل «إلا». وقد يكون الاستثناء في العمل السابق بعد أن يتم تغييره مثل نكاح زوجات الأب. وكذلك الأمر في الجمع بين الأختين^(٧). الله يغفر كل شيء إلا الشرك وقتل النفس جهنم إلا بعد التوبة. وجزاء المنافقين في الدرك الأسفل من النار إلا التائبين والمصلحين والمعتصمين بحبل الله والمخلصين للدين^(٨). وكل إنسان

(١) الآية العامة في (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا)، والخاصة (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ)، السابق ص ٦٩-٧٠.
(٢) العام (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)، والخاص (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ)، السابق ص ٧٠.

(٣) العام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)، والخاص (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، السابق ص ٧٠.
(٤) وآية (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) خاص، ابن سلامة ص ٧٩.
(٥) الأولى (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)، والثانية (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)، السابق ص ٨٠.

(٦) لذلك ليست آية (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى... وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) منسوخة باستثناء (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا) ابن سلامة ص ١٤. وآية (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ شَيْئًا) باستثناء آية (إِلَّا أَنْ يَخَافُوا أَلَّا يَقْبِضُوا حُدُودَ اللَّهِ)، السابق ص ٢٥. وآية (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) عكس. أما آية (إِلَّا أَنْ تَقْتُلُوا مِنْهُمْ تَقَاتًا)، فإنها استثناء وليست منسوخة بآية السيف، السابق ص ٢٩.
(٧) وهي آية (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)، وهي آية (وَأَنْ تَحْمَمُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)، السابق ص ٣٥.

(٨) (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ)، (وَيُخْلِدُ فِيهِ مَهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ)، (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ... إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِيْنَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)، السابق ص ٣٩-٤٠.

وارد النار إلا الذين اتقوا^(١).

وفرق بين النسخ والاستثناء. فالنسخ إلغاء حكم عام بحكم عام آخر في حين أن الاستثناء إبقاء حكم عام واستثناء حكم خاص منه^(٢).

فالنسخ رفع كلي والاستثناء رفع جزئي. وهو نفس الفرق بين النسخ والتخصيص^(٣). الاستثناء ليس نسخا بل هو أقرب إلى تخصيص العام وتقييد المطلق، مثل سؤال الرسول أجرا على رسالته إلا المودة في القربى^(٤). والإنسان في خسر إلا من آمن وعمل صالحا^(٥).

ويستثنى من قتال من يجارب الله ورسوله من تاب^(٦). ومغفرة كل شيء من ظلم الناس إلا الشرك بالله^(٧). ويستثنى الإكراه على الكفر والقلب مطمئن بالإيمان^(٨). ويضيع الخلف آثار السلف إلا من تاب وآمن وعمل صالحا^(٩). والناس وأهنتهم في جهنم إلا الذين سبق لهم من الله الحسنى. والنسخ هنا بمعنى تصحيح فهم اللغة وعدم التفرقة بين «ما» لغير العاقل «ومن للعاقل»^(١٠). ورمى المحصنات دون أربعة شهداء لجلدهن إلا الذين تابوا بعد ذلك^(١١). ومن يدعو مع الله إلها آخر يخلد في النار مهانا إلا من تاب

(١) رَانَ مِنْكُمْ إِلَّا وَاِرْدَعَا، (ثُمَّ تَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا)، السابق ص ٦٢.

(٢) المصنفى ص ١٢.

(٣) ابن الجوزي: نواسخ القرآن ص ٢٢.

(٤) وهي آية (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، ابن سلامة ص ٨٠-٨١.

(٥) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، السابق ص ١٠٣.

(٦) (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ)، ابن سلامة ص ٤١.

(٧) الْمُنْسُوخَ (وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ) وَالنَّاسِخَ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)، السابق ص ٥٧.

(٨) الْمُنْسُوخَ (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ) وَالنَّاسِخَ (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) وَأَيْضًا (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ)، السابق ص ٥٩.

(٩) (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا)، وَأَيْضًا (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)، السابق ص ٦٢.

(١٠) (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى)، ابن سلامة ص ٦٥.

(١١) (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْخِصَصَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً)، السابق ص ٦٧.

وأمن وعمل صالحا فإن سيئاتهم تبدل حسنات^(١). والشعراء يتبعهم الغاؤون لأنهم يهيمون في كل واد ويقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله وانتصروا أى كان شعرهم ملتزما^(٢).

وقد يكون مسار النسخ من المطلق إلى المقيد، ومن الحكم على كل الأعراب باعتبار الإنفاق في سبيل الله عزما وأنهم أشد كفرا ونفاقا إلى تقييد الحكم ببعض الأعراب الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر^(٣). والاستدراك على اعتراض لا يعد نسخا. فبعد أن نزلت آية تعطى الأولوية في الترتيب للزانية على الزانى في حين أن الترتيب في السرقه للشارق على السارقة نزلت آية أخرى تعطى الأولوية للصالحين على الصالحات، وللأيامى على الإمام^(٤).

٦- شروط النسخ وأحكامه:

وللنسخ شروط:

أ- وقوع تناقض بين حكمين شرعيين ولا يمكن الجمع بينهما في سلوك واحد، فيكون أحدهما ناسخا والآخر منسوخا.

ب- ثبوت حكم المنسوخ قبل ثبوت حكم الناسخ حتى يحدث الرفع أو الإزالة.

ج- ثبوت حكم المنسوخ بالشرع لا بالعادة والعرف. فالعرف لا يشرع بل يتغير.

د- معرفة حكم الناسخ بالنقل ليس بالعقل أو القياس. فهو أمر شرعى خالص وليس بالإجماع. فالإجماع اجتهاد جماعى.

(١) الآية الأولى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ)، (وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا)، والثانية (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)، السابق ص ٧١.

(٢) الآية الأولى (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ...)، والثانية (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا)، السابق ص ٧١-٧٢.

(٣) المطلق (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا)، (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا)، والمقيد (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، ابن سلامة ص ٥٢.

(٤) الآية الأولى (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ)، والثانية (وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَلِمَا بَيْنَكُمْ)، ابن سلامة ص ٦٧-٦٨.

هـ- ثبوت الناسخ مثل ثبات المنسوخ من حيث القوة والدلالة، نسخ قرآن بقرآن أو سنة بسنة أو سنة بقرآن وليس نسخ قرآن بسنة، معرفة الناسخ والمنسوخ إذن شرط في معرفة الأحكام^(١).

والمنسوخ على أنواع بناء على التمييز بين الرسم والحكم أى بين القراءة والتشريع، بين النظر والعمل.

أ- ما نسخ رسمه وحكمه فلم يعد الحكم صالحا لا من حيث الصياغة النظرية ولا من حيث التشريع العملي.

ب- ما نسخ رسمه وبقي حكمه كآية الرجم. فقد نسخت الصياغة الأدبية إلى صياغة أكثر بلاغة في حين بقي الحكم، فالتشريع ليس مجرد أوامر ونواهٍ صورية بل هى إحياءات وإحياءات وإقناعات حتى يتم تطبيقها عمليا على نحو تلقائى.

ج- ما نسخ حكمه وبقي رسمه، وهو معظم ما هو موجود فى القرآن. ألقت له كتب «الناسخ والمنسوخ». فهو جزء من تاريخ التشريع وتطور الوحي للتعليم والتدبر والعظة.

أما ما بقى حكمه ورسمه فليس ناسخا ولا منسوخا وإن كان مفترضا طبقا للقسمة الرباعية^(٢).

وينقسم النسخ بالنسبة إلى علاقة الحكم بالتلاوة إلى ثلاثة أقسام^(٣). ما نسخ حكمه وتلاوته^(٤). وما نسخ حكمه دون تلاوته^(٥). وما نسخت تلاوته دون حكمه^(٦). الأول

(١) المصنفى ص ١٢ ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ٢٣-٢٤.

(٢) المصنفى ص ١٣ ابن الجوزى: نواسخ القرآن ص ٣٣-٣٨.

(٣) الإتيان ج ٣/ ٦٢-٧٧، البرهان ج ٢/ ٣٠-٤١.

(٤) مثل آية «عشر رضعات معلومات» ونسخها بآية «خمس معلومات» وكانت الآيتان تقرأان أيام الرسول، السابق ص ٦٢-٦٣.

(٥) مثل آية: (وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقُونَ) وَ(أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) وهما منسوختان بآية الزكاة، السابق ص ٦٣.

(٦) مثل (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) نسخ منها وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى. لذلك حذفها عثمان من المصاحف، وآية (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ)، ونسخت بقيتها «لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه، سأل ثانيا. وإن سأل ثانيا فأعطيه سأل ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب. إن ذات الدين عند الله الحنيفة غير اليهودية ولا النصرانية. ومن يعمل خيرا فلن يكفره». وقد نزلت سورة براءة ثم نسخت «إن

معقول ومفهوم، ولكن الثانى والثالث فى حاجة إلى توضيح وتقليل. فما نسخ حكمه وبقت تلاوته سلوك فى الحاضر وعيش فى الماضى، الحكم عملى، والتلاوة نظرية. وما نسخت تلاوته دون حكمه تعديل فى الصياغة الأدبية وأساليب البلاغة وهو ما يجعل القرآن يتفاضل فى الصياغة، وافترض آيات أقل بلاغة من الأخرى وهو غير معقول ولا مفهوم. والتلاوة بلا حكم ليست مجرد تذكير بالماضى وإلا حدث انفصال بين الماضى والحاضر، بين النظر والعمل^(١).

هذه القسمة الثلاثية الشهيرة عن نسخ التلاوة والحكم، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ الحكم دون التلاوة قسمة منطقية أما أثناء التلاوة والحكم فليس نسخا. نسخ التلاوة والحكم وارد لأن نسخ الحكم يقتضى نسخ التلاوة، ونسخ التلاوة يتضمن نسخ الحكم^(٢). إنها السؤال هو: لماذا تبقى التلاوة وينسخ الحكم، ولماذا ينسخ التلاوة ويبقى الحكم؟ تبقى التلاوة وينسخ الحكم كنوع من إدخال التطور فى البناء لمعرفة مسار التغير وقدره بين الظروف الأولى التى اقتضت الحكم الأول والظروف الثانية التى اقتضت الحكم الثانى^(٣). وتنسخ التلاوة ويبقى الحكم لتغيير فى الصياغة الأدبية وأساليب البلاغة واختيار القول الإنسانى بدلا من الأمرى للإيجاء أو القول الخبرى بدلا من الإنشائى للكشف عن الواجب^(٤). ولا يتم النسخ بمعجزة، محو الآية من

الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم. ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب» وكذلك أنسيت آية «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة». وكان الصحابة يقرءون «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»، وكذلك «إن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة» وأيضا «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون» والذين آوهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وأيضا «أن يلقوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا»، السابق ص ٧٣-٧٥.

(١) مثل «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»، السابق ص ٧٦.

(٢) مثل «ولو أن لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا. ولو أن له ثالثا لابتغى إليه رابعا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»، ابن سلامة: الناسخ والمنسوخ ص ٥.

(٣) السابق ص ٥.

(٤) وذلك فى ثلاث وستين سورة مثل الصلاة إلى بيت المقدس، والصيام الأول، والصفح عن المشرى، والإعراض عن الجاهلين، السابق ص ٤.

الصفحة تلقائيا. فلا يحدث شيء إلا بفعل فاعل^(١).

وقد يكون النسخ في المعاني لا في الألفاظ . وهي تفرقة دقيقة تضاف إلى القسمة الرباعية بين الحكم والتلاوة. والمثال على ذلك أيضا غير دقيق. فإن الدعاء للوالدين جائز للمؤمنين والكافرين لأن احترام الوالدين تجربة إنسانية عامة وفطرة بشرية مطردة^(٢). وقد يصبح المؤمن مشركا والمشرك مؤمنا. فالإيمان والشرك متغير في حين أن احترام الوالدين ثابت لا يتغير.

٧- مستويات النسخ:

ويجوز نسخ القرآن بالقرآن، والسنة بالسنة، والسنة بالقرآن. ولا يجوز نسخ القرآن بالسنة حتى ولو كانت متواترة مثله. والأولى عدم جواز النسخ بخبر الأحاد. ويجوز النسخ بنطق الخطاب وليس بدليل الخطاب. فالنسخ منطوق وليس استدلالا. لا ينسخ القرآن إلا بقرآن مثله، والسنة إلا بسنة مثله. ولا تنسخ السنة القرآن لأنها في هذه الحالة تخصيص. ولا ينسخ القرآن السنة لأنها في هذه الحالة تربية وتدريب وتعليم^(٣). لا ينسخ القرآن إلا القرآن وليس الحديث نظرا لاختلاف المستويين^(٤). السنة تخصص وتفصل وتبين ولا تنسخ^(٥). وذلك مثل تفصيل التوبة للذين يعملون السوء بجهالة^(٦). والتفصيل بالتوبة بعد الذنب بعام أو بنصف عام أو شهر أو بأسبوع أو يوم أو بساعة أو وقت الحشرجة. كل ذلك قبل الموت. ولا يعنى سوء النية والانتظار حتى آخر

(١) مثل «لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم». الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله، والله عزيز حكيم»، السابق ص ٦.

(٢) لذلك «وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِيْمَا كَمَا رَحِمْتَنِيْمَا صَغِيرًا وَكَبِيرًا» نعم المؤمن والمشرک. وكذلك «فَلَا تَقُلْ لِّهِنَّ آفٌ وَلَا تَنْهَزْنَهُمَا وَقُلْ لِّهِنَّ قَوْلًا كَرِيْمًا»، وايضا «وَاخْفِضْ لِّهِنَّ جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ»، ابن سلامة ص ٦٠.

(٣) الإفتان ج ٣/ ٦٠-٦١، البرهان ج ٢/ ٣٠-٣٢.

(٤) من النص إلى الواقع ج ٢، ص ١٣٢-١٣٥.

(٥) لذلك لا تنسخ آية «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ»، بحديث «أحلت لكم ميتتان ودمان، السمك والجراد والكبد والطحال»، ابن سلامة ص ١٥.

(٦) وذلك مثل بيان آية «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» وبيان الحديث أن البكر بالبكر مائة جلدة وتغريب عام، واليب باليب أى الرجم، السابق ص ٣٣.

لحظة للتوبة^(١). وينطبق ذلك على المؤمن والكافر، وعلى المسلم والمشرِك^(٢). ولا يعنى النسخ بالضرورة نسخ آية بآية، واحدة بواحدة، بل قد تنسخ آية عدة آيات^(٣). وقد يقع النسخ أكثر من مرة في نفس الآية. تنسخ آية أحكام آيات أخرى ثم ينسخ أول الآية آخرها^(٤). وقد يقع النسخ في أول الآية أو في أواخرها دون وسطها ويظل محكما مثل ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥). والنسخ في آية واحدة بين أولها وآخرها. فإذا كان أولها منسوخًا وآخرها ناسخ يكون مضادا لشرط انفصال الناسخ عن المنسوخ وتقدمه عليه وحصوله في الأمر والنهي بعد التمثيل. وكيف ينسخ الأول والآخر والناسخ يكون سابقا للمنسوخ؟ وكيف تتعارض المشيئة الإلهية بين الأمر بالصبر ونسخها وعد الله أو توفيه الرسول ورجوع الكل إليه؟^(٦)

وقد تؤثر القراءات في الحكم بالنسخ منها قراءة (يُطِيقُونَهُ)، أو (يَطُوقُونَهُ)^(٧). ويعتمد على الشعر في الحكم بالنسخ لضبط فهم معانى الحكم^(٨).

ثانيا - دلالات النسخ:

ولا يكون النسخ إلا بنقل صريح وليس على عوام المفسرين ولا اجتهد المجتهدين^(٩). وإذا كان النسخ والمنسوخ لا يعرفان إلا بالنقل عن طريق الرواية عند القدماء فإنه يُعرف بالعقل وبالطبيعة وبروح الشريعة عند المحدثين. فإذا ما تعارضت الرواية ضد العقل أخذ العقل وافترض احتمال خطأ النقل.

-
- (١) الآية (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ)، السابق ص ٣٤.
(٢) وهي آية (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)، السابق ص ٣٤-٣٥.
(٣) البرهان ج ٢/ ٤٠. مثلا آية (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ)، ناسخة لمائة وأربع عشرة آية.
(٤) السابق ج ٢/ ٤٠. مثل (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)، آخرها ناسخ لأولها.
(٥) السابق ج ٢/ ٤٠.
(٦) مثل آية (فَاضْرِبْ إِنْ وَغَدَ اللَّهُ حَقًّا. فَإِنَّمَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا يُرْجِعُونَ)، ابن سلامة ص ٧٨.

(٧) السابق ص ١٨-١٩.

(٨) استعمل الشعر في «الناسخ والمنسوخ» لابن سلامة ثلاث مرات، السابق ص ٢١/ ٢٣.

(٩) الإتيان ج ٣/ ٧١-٧٢.

وبالرغم من اختلاف العلماء في تحديد الناسخ والمنسوخ إلا أنه مع ذلك يمكن ترجيح الآراء طبقاً لمنطق النسخ. ويمكن أيضاً ترجيح بآيات أخرى للقرآن أو بأحاديث أو بالشرعية.

ويمكن استقراء الآيات المنسوخة والآيات الناسخة لمعرفة منطق النسخ وما سماه المصلحون «روح الإسلام». وتستطيع روح الإسلام إنسانيته وواقعيته. أن تحدد النسخ والمنسوخ. لذلك لا يهم إيجاد دلالات لكل مواقع النسخ بل يكفى الروح العامة. وهناك سبع دلالات للنسخ.

١ - العام والخاص:

إذا كان الله في كل مكان فإن آية ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ تكون ناسخة لآية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ﴿حَيْثَمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، فالناسخ عام والمنسوخ خاص. ولا تعارض بين العام والخاص. الله في كل مكان متصور. والقبلة نظام. والتصور أساس النظام. والنظام يقوم على التصور^(١). وجود الله في كل مكان لا ينسخ باتجاه القبلة شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً. والصفة والمروة لا ينسخان باقى مناسك الحج. وكيف تنسخ التعددية في الدين^(٢).

وكيف تنسخ حرية الإرادة الإلهية والمشيئة في الرحمة والعذاب لصالح آية السيف^(٣). وتعذيب الله للمشركين من مشيئته ولا تنسخ^(٤). ومشيئته في كل شيء لا تنسخ. وكيف

(١) ابن سلامة: النسخ والمنسوخ ص ٤٧-٥٣.

(٢) لذلك ليست آية ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، منسوخة بآية ﴿وَحَيْثَمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، وليست آية ﴿فَمَنْ حَاجَّ النَّبِيَّ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾، منسوخة بآية ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، وهذه ليست منسوخة بآية ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، ابن سلامة ص ١٢-١٤. والتعددية في آية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، السابق ص ١٠٤.

(٣) لذلك تظل آية ﴿رَبُّكُمْ أَغْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَسْأَ يُرَحِّمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَسْأَ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، السابق ص ٦١. في قراءتى الأولى منذ أكثر من ثلاثين عاماً للنسخ كنت مع آية السيف لأنها أكثر ثورية من آيات الحوار والاختيار والحرية. فقد كان العصر كله كذلك نظراً للعداء بيننا وبين الاستعمار والصهيونية في الخارج، والإقطاع والراسيالية في الداخل. وبعد أن تجاوزت السبعين عاماً انقلبت إلى النقيض ضد آية السيف.

(٤) مثل آية ﴿بِأَنِّيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾، لا تنسخها آية السيف، السابق ص ٧٧ وكذلك آية

ينسخ إرجاع الحكم للإله العلى الكبير؟^(١). وكيف تُنسخ الإرادة الإلهية التى تعطى من زاد الآخرة ما يشاء، ومن زاد الدنيا ما يشاء إرادة أخرى بالتعجيل لمن يريد العاجلة وهو تأكيد للأولى؟^(٢). وكيف ينسخ الأمر الإلهى بأنه سيتعامل بمفرده مع المخالفين بآية السيف وترك الأمر للمؤمنين؟^(٣). وكيف تنسخ الحكمة الإلهية بآية السيف؟^(٤). وكيف ينسخ تفويض الرسول الأمر إلى الله بما فى ذلك أمره؟^(٥).

وإذا كانت النفس قيمة فى ذاتها بصرف النظر عن إيمانها فإن القصاص يقوم على أن النفس بالنفس بصرف النظر عن جنسها. ذكرا أم أنثى، أم وضعها الاجتماعى حرا أم عبدا. لذلك تكون آية ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ناسخة لآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾^(٦). تعضد ذلك آيات وأحاديث أخرى مثل وقوف الرسول احتراماً لجنازة يهودى دون أن يأبه لاعتراض من حوله بأنه يهودى وقوله «أليست نفسا؟» وهو ما يساعد اليوم جماعات حقوق الإنسان وجماعات المرأة دفاعاً عن المساواة المطلقة بين البشر بصرف النظر عن الجنس والدين. وفى القصاص نسخ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى إلى القصاص من النفس بصرف النظر عن الوضع الاجتماعى أو الجنس أو الدينى أقرب إلى المساواة بين البشر^(٧). حتى ولو كان الناسخ فى نطاق أحكام التوراة لأن الإسلام تال لها ومؤكداً لأحكامها.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، السابق ص ٧٨.

- (١) ولذلك آية ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾، لا تنسخها آية السيف، السابق ص ٧٨.
- (٢) الأولى (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) الثانية (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ)، السابق ص ٧٩-٨٠.
- (٣) لذلك ليست آية ﴿فَرَزْنِي وَفَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ منسوخة بآية السيف، السابق ص ٩٧.
- (٤) لذلك تظل آية ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ١٠١.
- (٥) لذلك تظل آية ﴿وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾، غير منسوخة.
- (٦) ابن سلامة ص ٥٦-٥٨.
- (٧) لذلك آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾، منسوخة بآية ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، وأيضاً بآية ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾، ويؤكد حديث «أنا أحق من وفى بهمه» ابن سلامة ص ١٥-١٦.

٢- الرحمة والعدل:

والاستغفار للمنافقين حكم باق بآية. ولا ينسخ بحكم ثان بآية. ويؤكد الحديث الحكم الأول^(١). فالحكم إنساني وإن تعارض مع الحكم الإلهي المتعارض مع حكم آخر فالأولوية للحكم الإنساني المتفق مع الحكم الإلهي. وجزاء القتل العمد جهنم منسوخ بالعتو والتعويض^(٢). والخوف من العذاب منسوخ بالمغفرة^(٣). وقد يأتي العذاب بناء على الطلب ناسخا للرحمة^(٤). وإذا كانت الرحمة سابقة على العدل عند الأشاعرة فإن آية (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)، تكون ناسخة لآية (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ)^(٥). وإذا كان العفو والصفح لهما الأولوية على العقاب فإن آية (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ)، تكون ناسخة لآية (فَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)^(٦).

وكيف يمد الله في ضلالة قوم، وهو نقيض رحمته، ثم يقتلون؟^(٧). وكيف تكون الدعوة إلى الاستقامة وعدم اتباع الأهواء، والاعتراف بالإيمان بما أنزل الله من كتب محكمة وباقي الآية منسوخة حتى (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا)، بآية السيف؟^(٨).

وهناك مسار آخر من التوسيع إلى التضييق من عذاب المؤمنين ما دام الرسول

(١) الآية الأولى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا)، والآية الثانية (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)، وحديث الرسول «لا يزيدن على السبعين» وأيضا (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)، ابن سلامة ص ٣٧-٣٨. وآية (وَإِنَّ لَغَفُورًا رَحِيمًا)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٤٧/٥٢.

(٢) آية (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا)، السابق ص ٣٩.
(٣) آية (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، منسوخة بآية (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، السابق ص ٤٤.

(٤) آية (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، منسوخة بآية (سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ)، السابق ص ٤٨.

(٥) السابق ص ٤٣.

(٦) السابق ص ٤٥-٤٦.

(٧) لذلك (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا)، ليست منسوخة بآية السيف، السابق ص ٦٢.
(٨) آية (فَلَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَنْبِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)، وكذلك (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ)، محكمات. وباقي الآية منسوخة حتى (اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا)، السابق ص ٧٩.

بينهم وما داموا يستغفرون. وهو ما يعطى الرسول شفاعته وما يقلل من شأن قانون الاستحقاق إلى التضييق. وهو الجزء طبقاً للأعمال بناء على المسؤولية الفردية^(١). ولا يوجد تعارض بين أن يكون الجزء من جنس الأعمال كقانون وضعى وقانون إلهى. فالشريعة وضعية. فالرغبة فى الدنيا والرغبة فى الآخرة رغبتان إنسانيتان وطريقان إلى الله^(٢). وكيف ينسخ قانون الاستحقاق، الجزء من جنس الأعمال، بأية السيف^(٣). وكيف ينسخ سعى الإنسان والمسئولية الفردية لصالح الشفاعته والقرابة^(٤).

٣- التخفيف والإنقال:

والنسخ ليس على وجه العقوبة والتشديد بل على وجه اللين والتخفيف. فالرسالة للتبليغ قول ثقيل. والسبب فى التخفيف ضعف الإنسان^(٥). والتخفيف فى حساب النفس من الأفعال الظاهرة والباطنة إلى الأفعال الظاهرة نفسها^(٦). والتخفيف فى الشهادة من الشاهد الخارجى إلى الشهادة الباطنية والأمن الداخلى^(٧). والتخفيف فى الشهادة على الزوجة الثانية من غياب الشهادة وهو ظلم للمرأة وافتراء عليها يوجب

(١) الآية (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)، منسوخة بأية (مَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ)، ص ٤٩.

(٢) لذلك آية (وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا)، ليست منسوخة بأية (مَنْ كَانَ يُرِيدُ التَّجَافُلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ)، السابق ص ٥٥/٣٠.

(٣) لذلك تظل آية (إِنْ كُنْتُمْ كُفَرْتُمْ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ)، وكذلك آية (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ)، وآية (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)، السابق ص ٥٤-٥٥/٩٤، وأيضاً (قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص ٧٧.

(٤) الأولى (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)، والثانية (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)، السابق ص ٨٧.

(٥) الأولى (إِنَّا سُلِّقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)، والثانية (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا)، ابن سلامة ص ٩٦.

(٦) المنسوخ (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)، (وَأَنْ تُبَدُّوا مَا أَنْفُسُكُمْ أَوْ تُخْفُوا بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ)، والناسخ (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)، (وَيُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)، وكذلك حديث (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لَأَمْتِ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَمَا اسْتَكْرَهَا عَلَيْهِ)، ابن سلامة ص ٢٧-٢٨.

(٧) المنسوخ (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ)، والناسخ (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بْبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ)، السابق ص ٢٧.

الحد إلى شهادة أربعة عليه أنه من الصادقين^(١).

ويتم النسخ من الأثقل إلى الأخف في التهجد ليلا من النصف إلى الثلث إلى نصف الثلث^(٢). ومثل نسخ الامتناع عن معاشره النساء طوال شهر رمضان إلى الامتناع فقط أثناء النهار أثناء الصيام دون الليل من الإفطار إلى السحور^(٣). وكذلك إطعام المسكين في حالة الإفطار في حالة الضرورة وليس على الخيار^(٤). ومن علامات التخفيف منع الضرر وعدم جواز تكليف ما لا يطاق^(٥). وكذلك يُنسخ تحريم نكاح الكتابيات لأن الحب أقوى من الدين. لا يعرف فروقا طبقية أو عرقية أو دينية أو طائفية^(٦). والسؤال هو: لماذا يكون ذلك فقط للكتابين وتحليل نكاح المؤمنات دون المشركين؟ ولماذا تحليل الطعام دون النكاح؟ والحج فريضة على القادرين دون غير القادرين^(٧). ويكون التخفيف على الرسول من تحريم نكاح الأرامل إلى تحليله^(٨).

تخفيف عقاب البكرين الزانيين من الأذى، التعيير والشتم إلى الجلد^(٩). فهل يجوز

(١) المنسوخ (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ)، الناسخ (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)، السابق ص ٦٨-٦٩ (أَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ)، السابق ص ٩٣.
(٢) وَهِيَ آيَات (يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ لِمَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)، ابن سلامة ص ٩٦.

(٣) والآيات الناسخة (أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)... (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ)، (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا)... (ثُمَّ انْعَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)، ابن سلامة ص ١٨.

(٤) وَهِيَ آيَةٌ (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ)، (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، السابق ص ١٨-١٩.

(٥) لذلك تعتبر آية (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ) منسوخة آية (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ... فَعِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ تَصَدَّقَ أَوْ نُكْلٌ)، بعد أن علم الرسول أن الهوام تؤذي رأس كعب بن حجرة، السابق ص ١٩-٢٠.

(٦) لذلك نسخت آية (وَلَا تَنْكَحُوا الْمُشْرَكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ)، بآية (الزَّيْمُ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ)، (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ)، السابق ص ٢٤.

(٧) الغرض في آية (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ)، والتخفيف في (مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). والسبيل هو الزاد والراحة أي المال والصحة طبقا للحديث السابق ص ٢٩.

(٨) التحريم في (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ)، منسوخة بآية التحليل (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَرْوَاجَكَ)، ابن سلامة ص ٢٦.

(٩) الآية المنسوخة (وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا)، والناسخ (الرَّائِيَةُ وَالزَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً)، ابن سلامة ص ٣٣.

الآن التعبير مرة ثانية من الجلد إلى الحبس، ومرة ثالثة من الحبس إلى الغرامة لمساعدة المتزوجين حديثا ولا يجدون سكنا؟ وقد يمكن التحول فيما بعد من العقوبات البدنية إلى الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير إلى العقوبات الأخلاقية. وماذا يكون الحال لو تم ذلك برضا الطرفين وسعادتهما حيثئذ هل يكون عقابا أم فرحا؟. وقد يكون النسخ لعادة وليس لنص مثل معاقبة الزانية طبقا للعادة العربية بحبسها في المنزل حتى الموت إلى إثبات الزنى بأربعة شهود ثم الجلد أو التغريب أو الرجم للثيب. وهى اختيارات فى الآية. والحديث ليس ناسخا بل مفصلا ومبيناً طرق الاختيار^(١).

ونسخ الإرضاع بحولين كاملين بالتراضى والتشاور تخفيف. فحياة المرأة أهم من الولد^(٢). وكذلك نسخ الحول للأرملة بأربعة أشهر قبل الزواج من جديد. وأيضا تخفيف النفقة على الرجل بالربع والثلث. وقد وقع التخفيف فى الحكم على أكل أموال اليتامى ظلما بالعذاب فى نار جهنم بالمخالطة والإصلاح والأكل بالمعروف للأوصياء الفقراء^(٣). ومسار النسخ فى الإنفاق من الامتناع عن الأمر بذلك خشية الرفض بخلا وضغينة على الفقراء إلى الدعوة إليه فى سبيل الله^(٤). وكذلك التحول من دعوة من لا يستمع ورفع اللوم عن ذلك إلى الدعوة إلى التذكير لأنه ينفع المؤمنين^(٥).

ومسار النسخ التحول من التصديق فى كل مرة يُسأل فيها الرسول حتى لا تكثر الأسئلة عن أشياء ويتم التصديق فى أحكامها إلى إلغاء هذا الشرط والاكتفاء بالصلاة

(١) وهى آية (وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) ... (أَوْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا)، ابن سلامة ص ٣٣.

(٢) نسخ الحولين فى آية (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)، بآية (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)، وكذلك نسخ آية (وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَرْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)، بآية (وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَرِيضُونَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا)، ابن سلامة ص ٢٦-٢٧.

(٣) الآية المنسوخة (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا)، والناسخة (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُ لَكُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) ... (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ)، ابن سلامة ص ٣٢-٣٣.

(٤) الأول (وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ إِنْ يَسْأَلَكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَتُخْرِجُ أَصْغَانَكُمْ)، والثانى (هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِلتَّقِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، ابن سلامة ص ٨٥.

(٥) الأولى (قَتُولَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ)، والثانية (وَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)، السابق ص ٨٦.

والزكاة وطاعة الرسول^(١).

والتخفيف في القتال والاستنفار للجميع إلى استنفار البعض، من فرض العين إلى حد الكفاية^(٢). ولما فهمت آية (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ)، كما لا كيفا، وأن يقاتل كل مؤمن عشرة من الأعراب، ثم تخفيفها (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا)^(٣). وكذلك الإذن في التخلف من منعه على الإطلاق إلى السماح به^(٤).

وقد يكون التخفيف من عدم قبول المهاجرات إلى الرسول بناء على اتفاق مع الطرف الآخر إلى قبولهن بعد امتحان إيمانهن وفصلهن عن أزواجهن ورد مهرهن إليهم وإعادة تزويجهن من المؤمنين بمهور جديدة^(٥). وقد يكون التخفيف للرسول من الخوف من العذاب في حالة العصيان إلى غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر لأنها حالة مثالية فريدة^(٦). وقد يكون التخفيف له من تحريم النساء إلى تحليلهن^(٧).

ومن أسباب النسخ التوسيع وليس التضييق، الاختيار بين حكمين وليس التحديد

(١) الأولى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَسْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، والثانية (أَلَسْتُمْ أَنْ تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)، السابق ص ٩٠.

(٢) فرض العين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا)، وفرض الكفاية (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً)، ابن سلامة ص ٣٨/ ٥٢.

(٣) السابق ص ٤٩.

(٤) المنسوخة (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)، والناسخة (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)، السابق ص ٥٢.

(٥) الآية الناسخة هي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَأَنفُسُهُنَّ مَا انْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْأَلُوهُمَا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلِيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، والمنسوخة (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، ابن سلامة ص ٩١-٩٢.

(٦) المنسوخ (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)، الناسخ (لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، ابن سلامة ص ٥٣/ ٧٧.

(٧) التحريم في (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ)، والتحليل في (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ)، السابق ص ٧٤-٧٥.

بحكم واحد^(١). والشهادة لذوى العدل بصر ف النظر عن دينه^(٢). وتحريم تناول طعام أهل الكتاب منسوخ بتحليله^(٣). وقد يكون مسار النسخ من التشدد في تصور الإنسان ووصفه بأنه ظلوم كفار إلى رؤية أكثر اعتدالا إلا في بيان قدر الإنسان وقيمه^(٤).

ويعبر النسخ عن التحول من المثالية إلى الواقعية كما هو الحال في تقنين الغنائم. نزلت آية (قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ)، بعد سؤال (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ)، وهى رؤية مثالية أن تكون الغنائم كلها لله وللرسول دون المجاهدين. ولما رأى الرسول قلة عددهم في غزوة بدر قرر أن تكون الغنائم كلها لهم «من قتل قتيلا فله سلبه» و«من أسر أسيره فله فداؤه». وهى واقعية متناهية على الطرف الآخر. فلما وقعت غزوة بدر وكانت الغنائم أقل من عدد المجاهدين نزلت آية ثانية (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ)، وتوزيع أربعة الأخماس على المجاهدين جمعا بين المثالية والواقعية. وعيب هذه الرواية نسخ حديث للقرآن، ولا ينسخ القرآن إلا قرآن مثله، ولا الحديث إلا حديث مثله أو قرآن أقوى منه. ومع ذلك قد تكون مقبولة لأن القرآن نسخ الحديث أخيرا بعد نسخ القرآن^(٥). ويدل النسخ على التحول من المثال إلى الواقع، ومما ينبغى أن يكون إلى ما هو كائن مثل التحرج من مؤاكلة الأعمى والأعرج ثم توضيح ذلك فيما بعد^(٦).

ويقوم النسخ على التدرج في التغيير كما هو الحال في الخمر ببيان حسن مذاقه والرزق

(١) لذلك نزل آية (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ)، غير منسوخة بآية (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)، ابن سلامة ص ٤١-٤٢.

(٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ... (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)، ناسخ (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) منسوخ، (فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا)... (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَانِ) منسوخ. (فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) ناسخ، السابق ص ٤٢-٤٣.

(٣) (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ إِسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ)، منسوخ بآية (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ)، السابق ص ٤٦.

(٤) الْمَنسُوخُ (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) والناسخ (وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)، ابن سلامة ص ٥٧-٥٨.

(٥) السابق ص ٤٨-٤٩، والآية الناسخة (مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيِ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ)، السابق ص ٩٠.

(٦) هى آية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) ثم اتبعها بآيات (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ)، (وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ) (وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ)، ابن سلامة ص ٣٦.

منه ثم الأمر والنهي ببيان المنفعة والضرر وغلب الضرر ثم بالنهي عنها وقت الصلاة فحسب وأخيرا منع الاقتراب منها. لم يرد التحريم بلفظه بل بالتساؤل استهجانا عن وقت الانتهاء منها، وكيفية الصبر عليها، واتباعها وصفها بالفواحش والبغى^(١).

ومسار النسخ هو مسار التاريخ، والتحول من كثرة المؤمنين الأولين وقلة الآخرين إلى كثرة المؤمنين الأولين وكثرة المؤمنين الآخرين. فالإيمان في تزايد. والرسالة في توسع^(٢). فالتدرج مدعاة إلى الأمل، والثقة في المستقبل.

ونادرا ما يكون من الأخف إلى الأثقل مثل السماح بمتعة النساء في السفر ثم تحريم ذلك فيما بعد، وقد كان التحليل في القرآن بشرط أداء الأجر. وهو ما أكدته الحديث. ثم جاء التحريم في حديث من الرسول وليس من الله ولو أن الحديث يجعل التحريم من الرسول ومن الله^(٣). ثم جاء التحريم في القرآن إلا على الأزواج أو ما ملكت الأيما. وما ملكت الأيما متوقف على القدرة على الشراء. ولا فرق بين الإيجار والشراء إلا في الطبقة الاجتماعية، الإيجار للفقراء، والشراء للأغنياء.

٤ - عدم تكليف ما لا يطاق:

وقد يكون الدافع على التحول من الأثقل إلى الأخف هو عدم تكليف ما لا يطاق، إذا كان الإسلام ديننا واقعا يمتنع فيه تكليف ما لا يطاق، فإن آية (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

(١) الآية الأولى (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا)، والثانية (قُلْ فِيهَا أَنْتُمْ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ)، والثالثة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)، والرابعة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ رِجْسًا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)، وعبارات الاستهجان في آيات مثل (فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّقُونَ)، (أَنْصُرُونَ)، (أَلَا تَتَّقُونَ)، (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)، ابن سلامة ص ٢٠ - ٢٣ / ٣٧ / ٥٩.

(٢) الأولى (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ)، الثانية (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)، ابن سلامة ص ٨٩.

(٣) آية التحليل (مَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ فَرِيضَةً)، وحديث «استمتعوا من هؤلاء النساء» بعد أن شكا إليه المسلمون العزبة. ولما نزل خبر حرم ذلك مع أكل لحم الحمير الأهلية «إني كنت أحللت لكم هذه المتعة ألا وإن الله ورسوله قد حرمها عليكم فبلغ الشاهد منكم الغائب» والتحريم في آية (وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرَوِجُهُمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَهُنَّ غَيْرُ مَلُومِينَ)، ابن سلامة ص ٣٥ - ٣٦.

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ)، تعتبر ناسخة^(١). وتكون آية (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) تكون ناسخة لآية (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)^(٢). وتكون آية (لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) ناسخة لآية (وَلَنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ)^(٣). والتقوى قدر الاستطاعة، والجهاد على قدر المقدرة^(٤).

٥- الإنفاق والزكاة:

وإذا كان الإسلام دين الأخوة والمواخاة فإن آية (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ)، تكون ناسخة لآية (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ)^(٥). والإنفاق في المال غير الزكاة بناء على حديث «في المال حق غير الزكاة»^(٦). ومن ثم لا تنسخ آية الزكاة باقى أوجه الإنفاق. والقربة أساس الميراث، فقد تم نسخ الميراث التعاقدى الذى ينص على أنه فى حالة الوفاة يأخذ هذا القدر من المال بين المتعاقدين. فإن لم يتم التعيين يؤخذ السدس. وتم نسخ ذلك كله بالقربة (أُولُو الْأَرْحَامِ)^(٧). كان الميراث بالهجرة ثم نسخ إلى الميراث بالنسبة^(٨). وقد يكون التخفيف فى اكتناز الذهب والفضة دون إنفاقها فى سبيل الله وما ينتج عنها من عذاب أليم بآية الزكاة. الأول حكم أخلاقى والثانى حكم

(١) ابن سلامة ص ٦٢-٦٥.

(٢) السابق ص ٦٤-٧٠.

(٣) السابق ص ٩٦-١٠٣.

(٤) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) وأكدها آية (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) ثم خففت بآية (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)، السابق ص ٩٣/٦٧/٣٠.

(٥) ابن الجوزى ص ١٤٢-١٤٤.

(٦) ومن ثم كانت آية (وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)، ليست منسوخة بآية الزكاة، وكذلك آية (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ)، وآية (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ)، ابن سلامة ص ١١/٢٠/٢٣-٢٤، وآية (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)، وكذلك (خُذِ الْعَفْوَ)، غير منسوخة بآية الزكاة، السابق ص ٤٧ وكذلك آية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) ليست منسوخة بآية الزكاة، السابق ص ٨٦.

(٧) (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) منسوخة بآية (أُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ)، ابن سلامة ص ٣٦-٣٧.

(٨) الآية الأولى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَمَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُمَاجِرُوا)، (إِلَّا تَعْلَمُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)، ثم نسخ ذلك بآية (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)، السابق ص ٥٠.

تشريعى اجتماعى اقتصادى. الأول ليقظة الشعور والثانى للتقنين، وإذا عاد الناس اليوم إلى اكتناز الذهب والفضة وأثروا على حساب الفقراء فهل يعود الحكم الأول؟^(١).

٦ - حرية الإيـان:

وإذا كان الإسلام هداية يقوم على حرية الإيـان فإن آية (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، وآية (عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، لا تعتبران منسوختان لأنها تعبران عن روح الإسلام مثل (قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ). وتكون آيات مثل (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)، (فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)، ناسخة لغيرها من آيات التخصيص^(٢). والشق على قلوب الناس لمعرفة صدق نواياهم لا يُنسخ بآية السيف^(٣). فالعبادة فعل حر^(٤). وإذا كان الإسلام يعترف بحرية الأديان فإن آية (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) تعتبر ناسخة لآيات تخصيص دين واحد^(٥). ويظل عدم الإكراه في الدين قائما لا تنسخه آية السيف^(٦). ويستطيع المؤمن أن يكفر بعد إيمانه، يضل بعد أن اهتدى، ويعود إلى الإيـان بعد الكفر إلى الهداية بعد الضلال^(٧). وينسى فعل الكفر ولا يبقى إلا فعل الإيـان وهو ما يسمى بالتوبة. فالتوبة تنهى القتال^(٨). وكيف ينسخ عدم الإكراه في الدين؟^(٩). وكيف ينسخ عدم سيطرة الرسول على الاختيار بين الإيـان والكفر؟^(١٠). والإسلام اختيار حر من

(١) السابق ص ٥١.

(٢) السابق ص ١٤٩-١٥١/١٨٠-١٨١.

(٣) آية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ)، (وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ النَّبِيِّ الْحَرَامَ يَتَّقُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرَضُوا) غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٤٠-٤١.

(٤) وكذلك آية (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص ٧٧.

(٥) ابن الجوزى ص ٩٢-٩٤.

(٦) ابن سلامة ص ٢٧.

(٧) وهي آية (كَفَّ يَدَيْ اللَّهِ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)، (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ)، السابق ص ٢٩.

(٨) (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ)، السابق ص ٥١.

(٩) لذلك تظل آية (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وكذلك آية (وما أنت عليهم بجبار)، غير

منسوخة بآية السيف، السابق ص ٥٤/٦٠.

(١٠) لذلك تظل آية (لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ١٠٠.

الناس دون إكراه، حرية الرفض قبل حرية القبول^(١). وطاعة الرسول طاعة الله. والإنسان حر في أن يعصى ويتولى. وليس لأحد عليه سلطة^(٢). والإعراض عن المخالفين ليس منسوخا^(٣). والميثاق بين المسلمين والمخالفين باق لم تنسخه آية السيف^(٤). والقتال في سبيل الله تكليف للرسول لا تنسخه آية السيف^(٥). وترك الآخرين وشأنه لا تنسخه آية السيف^(٦). وترك المعادين وشأنهم لا ينسخ بالتبرؤ منهم^(٧).

ويظل الإنسان مسئولاً عن نفسه وليس عن الآخرين. وجعل نفسه مسئولا عنهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكون فيه اعتداء على حرياتهم كما يحدث من جماعة تحمل هذا الاسم هذه الأيام. ونسخ الآية لا يكون بحديث^(٨). وكيف ينسخ الوعي الذاتي والمسئولية الفردية؟^(٩). ولا ينسخ الاعتداء الذاتي أو الإنذار من الضلال لصالح القتال وآية السيف^(١٠).

- (١) لذلك لا تعتبر آية (فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْنَا فَمَنْ أَمَروا بِهِمْ فَلَا تُؤْذُواهُمْ) حكمة فقط بل أيضا آية (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، منسوخة بآية السيف، ابن سلامة ص ٢٩.
- (٢) الحكم الأول (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)، والثاني (وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)، غير منسوختين بآية السيف، السابق ص ٣٨.
- (٣) آية (فَأَغْرَضِي عَنْهُمْ)، ليس منسوخة بآية (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)، أو بآية السيف، السابق ص ٣٨.
- (٤) وهي آية (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ، (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)، وهي غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٣٨.
- (٥) وهي آية (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ)، السابق ص ٣٨.
- (٦) (سَجِدُونَ لِأَخَرِينَ)، السابق ص ٣٨.
- (٧) آية (فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ) ... (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)، غير منسوخة بآية (بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) السابق ص ٣٩.
- (٨) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، غير منسوخة بحديث «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليعذبكم الله بعقابيه أو تدعون فلا يجاب لكم»، ابن سلامة ص ٤٢. وآية (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)، وكذلك آية (وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ)، غير منسوختين بآية السيف السابق ص ٤٥ / ٧٩، وآية (وَأَغْرَضَ عَنْ الْجَاهِلِينَ) غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٤٧.
- (٩) لذلك نظل آية (فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) وكذلك آية (وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)، غير منسوختين بآية السيف، السابق ص ٥٤ / ٧٢ / ٧٨.
- (١٠) (وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ)، وآية (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)، السابق ص ٧٢-٧٣. وأيضا (قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص ٧٥.

وترك الذين يتخذون الدين لعبا وهوا غير منسوخ بالقتال. فكل إنسان مسئول عن نفسه^(١). وعدم سب الذين يدعون من دون الله حتى لا يسبوا الله بغير علم غير منسوخ بآية السيف^(٢). وكذلك ترك افتراءات الناس والانتظار، وعمل كل إنسان قدر استطاعته، كل ذلك غير منسوخ بآية السيف^(٣). وترك أذى المخالفين وعدم طاعتهم لا تنسخه آية السيف^(٤). والمكذبون بالرسالة أحرار، وليس الرسول وكيلا عنهم. لا تنسخ حرياتهم آية السيف^(٥). وكيف تنسخ حرية الاختيار بين الإيمان والكفر لصالح المشيئة الإلهية، وبالتالي تنعدم المسؤولية، ويتوقف قانون الاستحقاق؟^(٦). ولم نسخ خلق الأفعال وحرية الاختيار إلى الجبرية؟^(٧). وقد يكون النسخ إثارا للدخول على الخارج، ولأفعال القلوب على أفعال الجوارح بلغة الصوفية، وبالنسبة إلى اللسان. فالصلاة بالقلب وليست تتممة بالشفتين. يسمع المصلى صوت قلبه ولا يسمع الآخرون صوته^(٨).

٧- التعددية الفكرية:

التعددية في الإسلام أصل. وأهل الكتاب تعبير عنها^(٩). الإسلام كآخر الأديان لا يعنى الإسلام بالمعنى الحرفي بل بالمعنى المجازي وهو إسلام الوجه لله. والوحي كله

- (١) آية (وَدَّرَ الَّذِينَ آمَنُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهَوًا)، (ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)، غير منسوخين بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، السابق ص ٤٥.
- (٢) وهي آية (لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)، السابق ص ٤٥-٤٦.
- (٣) وهي آيات (فَلَنُرَهُمْ فَيَقْتُولُوهُنَّ)، (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ) ... (إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ)، (قُلْ انتظروا إِنَّا مُنتظرونَ)، (وَأَمِلْ لَهُمُ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٤٥-٤٦.
- (٤) (وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٧٤.
- (٥) (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ)، (لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)، آيتان لا تنسخها آية السيف، السابق ص ٤٤.
- (٦) لذلك تظل آية (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ)، غير منسوخة بآية (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ) الله، السابق ص ٦١.
- (٧) الأولى (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)، والثانية (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، السابق ص ٩٦/٩٨ وأيضاً (لَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)، لا تنسخ بآية (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، السابق ص ٩٩.
- (٨) لذلك نسخت آية (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)، بآية (وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً)، السابق ص ٦١.
- (٩) لذلك كانت آية (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) ليست منسوخة بآية (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا)، السابق: الناسخ والمنسوخ ص ١١. وليست آية (لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)، بآية السيف، السابق ص ١٤.

من عند الله بصرف النظر عن مراحلها^(١). وكيف ينسخ التاريخ^(٢). وإذا كان الإسلام يعترف بالديانات السابقة اليهودية والمسيحية فإن آية (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)، لا تعتبر ناسخة لآيات التعددية الدينية مثل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى)^(٣).

وهل الحوار مع المخالفين منسوخ بآية السيف وهو ما يناقض روح القرآن؟^(٤). وكيف يكون الصفح الجميل منسوخا بآية السيف؟^(٥). وحزن الرسول على المخالفين عاطفة إنسانية لا تنسخها آية السيف. وكيف تنسخ المغفرة للذين لا يرجون أيام الله من الذين آمنوا بآية السيف؟^(٦). وهل الله أكثر قسوة على المشركين من الرسول الذي أصر على الاستغفار لهم أكثر من سبعين مرة؟^(٧). وكيف ينسخ الهجر الجميل بالقتال؟ وأيهما أقسى على النفس الهجر أم القتل^(٨).

وكيف ينسخ الصبر بآية السيف؟^(٩). ولماذا عدم العجلة على غير المؤمنين منسوخ بآية السيف، وقتل المشركين^(١٠). وإذا كان الله هو الذى سيحكم بين الناس يوم القيامة

(١) آية (اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، غير منسوخة بآية السيف ص ٤٥.
(٢) لذلك تظل آية (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٥٤.

(٣) ابن الجوزي: نواسخ القرآن ص ٤٢.
(٤) لذلك فإن آية (وَأَنْ يَحَادِلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) غير منسوخة بآية السيف ابن سلامة ص ٦٦-٦٧ وكذلك آية (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وأيضا (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، السابق ص ٧٩.

(٥) لذلك تظل آيات (فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)، (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٨١/٥٨.

(٦) (فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٧٥.
(٧) وهي آية (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ)، السابق ص ٨٢، وآية (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ)، السابق ص ٩٣.

(٨) لذلك لا تنسخ آية (وَافْعَلْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) بآية السيف، السابق ص ٩٦.
(٩) لذلك تظل آيات (اصْبِرْ)، (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)، (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ)، غير منسوخة بآية السيف، (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا)، (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا)، السابق ص ٦٤/٦٤/٧٤/٨٦/٨٧/٩٤/٩٥/٩٧.

(١٠) كذلك (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ)، ليست منسوخة بآية السيف، السابق ص ٦٢.

فلم الاستعجال في قتالهم^(١).

وتربص كل فريق بالفريق الآخر لا تنسخه آية السيف لأن التربص حذر وحيلة وانتظار وليس قتالا^(٢). والانتظار للكدر في الحياة لا تنسخه آية السيف^(٣). ولماذا لا تنسخ إهمال الكافرين الوقت لإعادة النظر بآية السيف^(٤).

وكيف تنسخ آية الحياة الطبيعية، الطعام والشراب والمتعة بآية السيف والقتل والموت؟^(٥). ولم ينسخ ترك المخالفين يخوضون ويلعبون حتى يلاقوا ربهم فيحاسبهم وهو تطبيق لقانون الاستحقاق وذلك بآية السيف^(٦). وكيف يسلك المسلمون سلوكا إنسانيا طبعيا وإطعام المسكين واليتيم والأسير ثم ينسخ ذلك السلوك بآية السيف؟ وهل المسلمون أكثر رحمة بالمخالفين من الوحي^(٧). ولماذا التفرقة بين الأسير المؤمن والأسير المشرك والأسر واحد؟

وإذا كان الإسلام دين السلام فإن آية (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) تكون ناسخة لآيات القتال مثل (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)^(٨). وإذا كان الإسلام دين السلام فإن آية (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)، لا تكون منسوخة بآيات السيف والقتال^(٩).

(١) لذلك آية (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُبَاهِيهِمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) غير منسوخة بآية السيف، ابن سلامة ص ٧٧.
(٢) لذلك فإن آية (قُلْ كُلٌّ مَرْبِصٌ فَتَرَبَّصُوا)، وآية (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ)، ليست منسوختين بآية السيف، السابق ص ٦٤/٨٧.

(٣) لذلك تظل آية (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)، وآية (فَارْتَبِعْ إِلَيْهِمْ مُرْقَبُونَ)، غير منسوختين بآية السيف، السابق ص ٧٦.

(٤) لذلك تظل آية (فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَنَّهُلَهُمْ رُؤُودًا)، غير بآية السيف، السابق ص ٩٩.
(٥) لذلك تظل آية (ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا)، وكذلك آية (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ) غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٥٨.

(٦) وهي آية (فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيُلْبِغُوا حَتَّى يَأْكُلُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ)، السابق ص ٨٠/٩٥.
(٧) لذلك تظل آية (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) غير منسوخة، السابق ص ٩٧.
(٨) السابق ص ١٦٦-١٦٧.

(٩) مثل آيات (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)، (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ)، (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، السابق ص ٧٠-٧٤.

والسلم قاعدة، والحرب هو الاستثناء، ومن ثم لا تنسخ الدعوة إلى السلم المتبادل بآية القتال^(١). فما معنى أن تنسخ آية السيف مائة وأربعاً وعشرين آية؟ ألهذا الحد القتال هو الكلمة الفصل؟ وماذا عن الدعوة بالحق، ولا إكراه في الدين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؟ بل أن تعبير آية السيف تعبير مضاد لروح الإسلام وتأباه روح العصر. وقاتل العدو مشروط بعدوانه^(٢). وليس منسوخا بقتاله على الإطلاق وفي كل الأحوال^(٣). وتحريم القتال في الشهر الحرام ليس منسوخا بقتال المشركين على الإطلاق إلا في حالة العدوان^(٤).

ولو أصر الكافرون المؤمن فإن ذلك لا يوجب قتالهم بل منع أذاهم^(٥). والجهاد فرض كابتناء في الأموال والأنفس، والصبر والتقوى من عزم الأمور. ولا يحتم ذلك قتال المخالفين في الدين. والإعراض عن غير المؤمنين ووعظهم باق ولا ينسخه أمر بقتال^(٦). والعفو عن غير المؤمنين والصفح عنهم غير منسوخ بقتالهم^(٧). بل إن التعبير

- (١) لذلك نظل آية (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا)، محكمة غير منسوخة بآيتي (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)... (وَهُمْ صَاغِرُونَ)، السابق ص ٤٩.
- (٢) ومن ثم لا تعتبر (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)، منسوخة بآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص ١١-١٢. وكذلك آية (فَاعْرِضْ وَاصْفَحْ) ليست منسوخة بآيتي (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)... (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)، السابق ص ١٢.
- (٣) لذلك ليست آية (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)... (وَلَا تَعْتَدُوا)، وآية (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) منسوخة بآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، وكذلك آية (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوْكُمْ فِيهِ)، وآية (فَإِنْ اتَّخَذُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ليست منسوختين، السابق ص ١٩.
- (٤) وهي آية (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ)، ليست منسوخة بآية (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص ٢٠.
- (٥) لذلك نظل آية (لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى) غير منسوخة بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، السابق ص ٣٠.
- (٦) لذلك نظل آية (لَتَلْبَسُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)... (وَإِنْ تَضَرُّوا وَتَقْتُلُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)، غير منسوخة بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ)، ابن سلامة ص ٣٠-٣١.
- (٧) وهي آية (فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَصَلِّهِمْ)، وكذلك (فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِيَّاهُمْ مُنْتَظَرُونَ)، السابق ص ٣٧/٥٨/٦٧/٧٤/٨٠/٨٧/٨٨، السابق ص ٣٧. وكذلك آية (وَاعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ)، (فَذَرْنَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ)، وأيضا (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ)، (فَذَرْنَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ)، (فَاعْرِضْ عَنْ نَوْلٍ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، (فَقَتْلُ عَنْهُمْ).

نفسه بإجبارهم على إعطاء الجزية غير متفق مع مواخاة أهل الكتاب. وإن تولى غير المؤمنين فكل فريق يتحمل اختياره. ولا ينسخ بآية السيف لأن الاختيار حر، الإيمان أو عدم الإيمان^(١).

وكيف تحرق المعاهدات بين المسلمين وغيرهم وأولاد العمومة وكلهم عرب يحافظون على العهد ويرعون المواثيق وتصبح منسوخة بآية السيف؟^(٢). وتعتقد معاهدة بين الرسول والمشركون وعدم رد المؤمنين المهاجرات ثم تنسخ بجواز ردهن وفصلهن عن أزواجهن ورد مهورهن وإعادة تزويجهن من المؤمنين بمهور جديدة. وكيف ينسخ ذلك بالقتال وينقض الرسول والمسلمون عهدهم؟^(٣).

وكيف ينتهى القتال فى الأشهر الحرم الأربعة وهى استراحة المحاربين لتأليف القلوب وتحقيق «الموادة» أى «التهذبة» بلغة هذه الأيام لصالح القتال الدائم فيتحول من وسيلة إلى غاية؟^(٤). وكيف ينسخ حكم الله بين البشر لصالح آية السيف؟^(٥). وكيف يتوقف سبب القتال ضد الكفار وتنتهى مبرراته، ومع ذلك يظل القتال قائما بلا سبب؟^(٦). وكيف ينسخ التوقف عن القتال إذا ما توقف الطرف الآخر عنه بآية السيف التى تجعل القتال غاية وليس وسيلة، مبدأ دائما وليس ظرفا مؤقتا؟^(٧). وكيف يكون

(١) لذلك تبقى آية (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ)، وأيضا (فَقَتَلْنَا عَنْهُمْ حَتَّى جِئَ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ) لم تنسخها آية السيف، السابق ص ٧٠.

(٢) لذلك تظل آية (وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ وَكُنْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) ... (إِلَّا تَقْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ)، محكمة وليست منسوخة بآية السيف، السابق ص ٥٠.

(٣) وهى آية (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص ٩٢.

(٤) لذلك تظل آية (بِرَأْيِهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ... (فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)، محكمة (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)، غير منسوخة بآية (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)، السابق ص ٥١.

(٥) لذلك تظل آية (وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٥٤.

(٦) لذلك تظل آية (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)، محكمة غير منسوخة، وأيضا آية (فَإِمَّا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)، غير منسوخة بآية (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)، السابق ص ٥٠.

(٧) الأولى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ). والثانية (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ)، السابق ص ٩١.

نزول آية من الله منسوخا بآية السيف؟ إلى هذا الحد يكون الحكم للسيف؟^(١). وكيف يكون الوحي نذيرا منسوخا بآية السيف؟ أليس التبليغ سابقا على القتال، الإسلام أو الجزية أو القتال؟^(٢). وكيف تنسخ الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هي أحسن بآية السيف؟^(٣).

كان عصر التدوين عصر فتوحات وقتال. والآن العصر عصر جهاد وسلام لدرء العدوان «وسلام الشجعان».

(١) وهى آية (لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ)، ... (مَنْ الْمُتَقَرِّبِينَ)، السابق ص ٥٣، والأصدق الشاعر: السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجدد واللعب.

(٢) لذلك نطل آية (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) غير منسوخة، وكذلك (فَأَنبَأْنَا عَلَيْكَ الْبَلَاغَ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)، السابق ص ٥٥/٥٩/٦٦/٧٣، وكذلك (فَأَنبَأْنَا عَلَيْكَ الْبَلَاغَ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ)، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ)، وأيضا (وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ)، (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ)، وكذلك (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ)، وأيضا (إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ)، وأيضا (إِنْ يَوْحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ)، لا تنسخها آية السيف، السابق ص ٧٥.

(٣) لذلك آية (اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، غير منسوخة بآية السيف، السابق ص ٦٠، وآية (وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) ليست منسوخة بآية السيف، السابق ص ٦٢، وأيضا آية (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُم) ليست منسوخة بآية (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) ... (حَتَّى يَغْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)، السابق ص ٧٣.

الباب الثانى

الحوامل الموضوعية الذاتية (الرواية)

الفصل الأول

الخبر

١ - الرواية والخبر:

تعنى الحوامل الموضوعية الذاتية الحوامل التى تجمع بين الموضوع وهو المحمول والذات أى الجانب الشعورى الذاتى وهى الرواية. فالوحي رواية وخبر وإخبار وإعلان. والرواية قص إنسانى. الرواية سماع بالأذن، وحفظ بالذاكرة، وأداء باللسان. والخبر توجه من المتكلم إلى السامع، ومن المعطى إلى المتلقى، ومن الرسول إلى المرسل إليه أو إليهم. الوحي فى حاجة إلى وسيط بشرى للتبليغ. هو رسالة مباشرة للرسول وحده. يتم تبليغها بعد ذلك بالوسائط البشرية. فالوحي ليس فرديًا، يتكرر لكل فرد. بل هو إبلاغ لفرد واحد هو الرسول. وهو الذى يقوم بعد ذلك بإبلاغ الناس عن طريق الرواية. لذلك وضعه علماء أصول الفقه تحت عنوان «الأخبار»^(١).

وأول الحوامل الموضوعية الذاتية الخبر الذى به تقرير عن واقع من خلال رواية الذات. فالخبر هو الإخبار. والحدث هو روايته. الرواية أكبر من الخبر. الرواية كل، والخبر جزء. الرواية بها سند ومتن كما هو الحال فى علم الحديث، فى حين أن الخبر هو مجرد المتن والإعلان والرسالة. لا شىء يقع فى الخارج إن لم تتم رؤيته فى الذات، إدراكا بالسمع. فالوحي صوت وليس رؤية. يستحيل الوحي رؤية لأن الحقائق لا تُرى بل تبْلَغ. وإذا تجلّى الحق للجبل فإنه يدك وينهار. الوحي رؤية يكون أقرب إلى الشىء وكما

(١) من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص ١٦٧ - ١٩٠ م.

تحلى ذلك في عبادة الأصنام، وتصور الله شمسًا أو قمرًا أو برقًا أو رعدًا أو نهرًا كأحد مظاهر الطبيعة أو صنعًا إنسانيًا عن طريق الإبداع الفنى، وإعادة خلق الطبيعة في تمثال أو صنم أو معبد. الوحي أقرب إلى السمع منه إلى البصر، وإلى الشعر والموسيقى منه إلى الفنون التشكيلية. لذلك تغنى المؤلفون لله في المعابد. وأصبح الإنشاد الدينى والموسيقى الدينية أحد مظاهر التعبير عن الإيمان. فالمسافة بين الدين والفن ليست بعيدة. كلاهما يقوم على إعادة التمثيل للحق. لذلك لاحظ عديد من الفلاسفة الرومانسيين أن الفنون السمعية أقرب إلى القلب من الفنون البصرية^(١).

٢- من الأسانيد إلى المتون:

يركز القدماء على الأسانيد دون المتون. فصحة الخبر في سنده وليست في متنه أى في سلامة النقل وليست في صدق المقول^(٢). فهناك العالى والنازل من الأسانيد. العالى الواصل إلى الرسول، والنازل هو البعيد عنه^(٣). الأول هو المتصل، والثانى هو المنفصل. فلا فرق في الخبر بين نقل القرآن ونقل الحديث. وعلو الإسناد دليل على صحة الحديث لقربه من الرسول أو من إمام من أئمة الحديث أو إلى أحد الكتب الستة بالموافقات والإبدال والمساواة والمصافحات. الموافقة مع أحد أصحاب الكتب. والبذل الاتفاق مع شيخ الشيخ، والمساواة وجود أحد أصحاب الكتب بين الراوى والنبي. والمصافحة كثرة العدد بواحد وكأنه قد تمت مصافحته. وقد يكون العلو تقدم وفاة الشيخ عن قرينه أو وفاة الشيخ دون التفات إلى آخر.

أما النزول فلا دليل على صحته. فليس رجاله أعلم أو أحفظ أو أتقن أو أجل أو أشهر أو أروع من العلو. ومن ثم صدق المحمول في صحة النقل أى في سلامة الحامل دون النظر في صدق المحمول في ذاته ومدى اتفاه مع العقل والواقع. وهما الركيزتان الرئيسيتان، والغنصران المكونان للوحي^(٤).

(١) الفنون البصرية أم السمعية، أيأ أقرب إلى الذوق العربى؟ حصار الزمن، مركز الكتاب العربى للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٦٥-٢٩٤.

(٢) من نقد السند إلى نقد المتن، حصار الزمن، ج٣، علوم ص ١٥٣٠-١٦٥.

(٣) الإتقان ج١/ ص ٢٠٧-٢٠٩.

(٤) الوحي والعقل والطبيعة، قراءة في كتاب «القانون في الطب» لابن سينا، حصار الزمن ج٣ علوم ص ٥٣٩-٥٨٥.

والعالى والنازل صورتان رأسيّتان للوحى حتى ولو كان مبلغا من الرسول أفقيا للناس. فهازالت الصورة الشعبية المألوفة هو نزول الوحى من أعلى إلى أدنى. لذلك أصبح «التنزيل» مرادفا للوحى. وعلى أساس هذا التصور وضع مفهوم «أسباب النزول».

٣- أنواع الأسانيد والمتون:

ومثل علم مصطلح الحديث هناك المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج، ثلاثة في السند وثلاثة في المتن^(١). وبالرغم من أن علم القراءات متعلق بالنص الشفاهى إلا أنه يخضع أيضا لمنطق الرواية العامة. لا فرق بين النص الشفاهى والنص المدون.

المتواتر هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب. وهو نقل غالب القراءات. وهو أغلب النقل. وقد نقل عن عبد الله بن مسعود إنكار أن تكون المعوذتين من القرآن مع أنها متواترتان، وأنه كان يحكمهما من المصحف، وأن الرسول أمر بالتعوذ بهما فقط. كما أنه أسقط الفاتحة لأنها وضعت حماية له بين دفتين. والمشهور ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر. ووافق العربية والرسم، النقل الشفاهى والمدون، القراءة والكتابة. والآحاد هو ما صح سنده وخالف العربية أو الرسم ولم يكن مشهورا^(٢). أما فيما يتعلق بالمتن فالشاذ ما لم يصح سنده^(٣). والموضوع كقراءات الخزاعى^(٤). وهذا يدل على ارتباط النقل بالنقل سمعا وحفظا وأداء^(٥). والمدرج هو ما زيد فى القراءات للتفسير بغاية الإيضاح. وهى عملية لا شعورية، فالإيضاح جزء من نقل الذاكرة. ومع ذلك لا تجوز الرواية بالمعنى كما يحدث أحيانا فى علم الحديث^(٦).

(١) الإتيان جـ ١/ ٢١٠-٢٢١ / ٢١٥.

(٢) مثل قراءة «وعبارى حسان»، «قرات أعين»، السابق ص ٢١٥.

(٣) مثل «مالك يوم الدين»، «إياك يُعبد»، السابق ص ٢١٦.

(٤) مثل قراءات الخزاعى، السابق ص ٢١٦.

(٥) من النص إلى الواقع جـ ٢ بنية النص ص ١٥٨-١٦٧.

(٦) مثل «وله أخ أو أخت من أم»، السابق ص ٢١٦. وأيضا «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج»، «وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم».

٤- أنواع المنقول:

والمنقول ثلاثة أقسام. الأول قسم يقرأ به وهو ما نقله الثقات ووافق العربية وخط المصحف. فالنقل الخارجى الخاص بالسند مشروط بلغة المتن قراءة، ويخط المصحف كتابة. النقل ليس شرطاً مطلقاً للصحة لأنه خاص بالسند وحده في حين أن الصحة متعددة الجوانب في السند والمتن. والثانى صح نقله عن الأحاد. وصح في العربية، وخالف لفظه الخط. فيقبل ولا يقرأ به لمخالفته الإجماع. والآحاد يورث الظن وليس اليقين. ومن ثم كانت صحة النقل ظنية من حيث السند. وإذا صح الأحاد باتفاقه مع النطق أى مع القراءة دون موافقة الخط فإنه يقبل نظراً، ولا يقرأ به عملاً. وهو ما يستحيل عملياً فما هذا القرآن الذى ليس بقرآن؟. والثالث نقله غير ثقة ولا وجه له في العربية فلا يقبل وإن وافق الخط. هو قليل وهو ما يفتقد لشرط صحة السند، التواتر والآحاد، ولا يتفق مع القراءة الشفاهية وإن اتفق مع خط التدوين. فالخط أدنى درجات اليقين لأنه متعدد الجوانب والأشكال. ويختلف من مصر إلى مصر على ما هو معروف في علم الخطوط. والتنقيط والتشكيل إضافتان متأخرتان. وربما يضاف قسم رابع مردود وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة. وهى حالة افتراضية لأنه لا خفاء في النقل. فالسند هو الأساس والمتن هو الفرع. فأى خلل في السند لا يشفع له أى صحة في المتن. وفي الحالات الثلاث، أنواع المنقول كلها تتعلق بالسند والمتن من حيث هو شكل، قراءة وكتابة، وليس من حيث هو مضمون. المتن هنا امتداد للسند وليس مستقلاً عنه. والمنقول ليس فقط سنداً بل متناً، ليس فقط وسيلة بل أيضاً غاية^(١).

٥- القرآن متواتر بالسند:

القرآن متواتر في كله وأجزائه. والتواتر يورث اليقين. ويقين النقل سابق على يقين الفهم. والدواعى أى البلاغ والبيان تدفع نحو التواتر^(٢). وإن لم يتواتر بعضه، سورة المعوذتين مثلاً، فإن شيوعهما وتداولهما والاستشهاد بهما، وتعزيد الحديث لهما يجعلهما

(١) الإتيان ج١/ ٢١٣-٢١٥.

(٢) البرهان ج٢/ ص ١٢٥-١٢٨.

بمقام التواتر. وعدم نقلهما من البعض يقلل من شرط العدد، ولكن نقلهما من البعض الآخر يجعل العدد كافياً. والآحاد يورث العلم الظنى والعمل اليقيني، وهو اليقين التداولي.

السؤال إذن: ألا يمكن إثبات صدق المحمول بصرف النظر عن صحة الحامل وهو التواتر؟ المحمول موضوع «متعال» في حين أن الحامل جهد بشري خالص ومنطق للنقل الشفاهي أو المدون. بهذه الطريقة يصبح المحمول مشروطاً بالحامل. وهو ما يتنافى مع علاقة المشروط بالشارط في الموضوعات المتعالية.

والتواتر في النهاية اجتهادي بشري ومنطق إنساني واختراع منهجي. وهو شرط صحة القرآن. فصحة الحامل هنا شرط صحة المحمول وكأن المحمول ليس له صدق في ذاته بصرف النظر عن حامله^(١).

٦- الصدق الذاتي للمتن:

وقد استقر القرآن الآن في النفوس والعقول والأذهان. ولم يعد أحد عملياً يشك في صحة النقل. وإذا أراد القارئ أن يبين مهارته في القراءة باستحداث بعض القراءات غير المتداولة فإنه يكون من جانب الأداء الفني الذي يستحسنه البعض ويستهجنه البعض الآخر. ومن ثم كان الدخول في المسائل التاريخية الصرفة وقت الرواية والأخبار والقراءة والتدوين من نافلة القول. والعجيب أن هذه المادة مازالت تدرس في الجامعات والمعاهد الدينية كجزء من نقل التراث وتدريسه. الاستشراق وحده هو الذي يحاول بحث هذه الموضوعات لإثارة الشك حول الصحة التاريخية للروايات، أسوة بما تم في باقي الكتب المقدسة بل وفي المدونات الإنسانية الكبرى مثل شعر هوميروس ثم الشعر الجاهلي بل في كل الأعمال الإنسانية مثل أعمال شكسبير وإنكار مؤلفها. وكذلك يفعل بعض مدعى التجديد والمتأثرين بالاستشراق. وهو تجديد خارج المكان والزمان والتاريخ، مجرد فرقعات إعلامية تخطئ ولا تصيب، غايتها الإثارة والضجة. وتبنيها تقوية الاتجاهات المحافظة وليس حركات التجديد وكما حدث في قضية «الشعر

(١) من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص ١٥٠-١٥٣.

الجاهلي» و«التصوير الفني»، والدعوة إلى «الترتيب الزماني»، وتاريخية النص القرآني إذا ما وضع في إطار تاريخ الأديان المقارن.

المهم هو صدق المتن وتطابقه مع التجربة الحية التي يشعر بها كل قارئ ومستمع. هو نوع من الوحي المباشر وكان القرآن قد أنزل على القارئ أو السامع في التو واللحظة. فالقرآن مجموعة من التجارب الأولى التي يمكن أن تتكرر في حياة البشر. الصدق هنا ليس عن طريق السند بل عن طريق المتن. وليس عن طريق اللغة، قراءة وكتابة، ولكن عن طريق الحدس المباشر. والصدق الذاتي. هو طريق عمر بن الخطاب محدث هذه الأمة. فلا فرق بين النزول والصعود، بين الوحي والواقع، بين كلام الله وكلام البشر، بين العلم الإلهي والعلم الإنساني إلا في درجة اليقين، وأشكال الصياغة، والنظرة الكلية الشاملة. فالصدق صدقان: صدق نازل، وصدق صاعد. واليقين يقينان: يقين تنزيل و يقين تأويل. والصحة صحتان: صحة تاريخية للسند، وصحة شعورية للمتن. وكما قال الصوفية «عن ربي عن قلبي أنه قال».

والتطابق مع التجربة الحية يحيل إلى تطابق آخر مع العقل. ويثير في ذهن أفكارا وتصورات وبراهين. فالعقل والتجربة واجهتان لشيء واحد. العقل تصديق ثان للتجربة. يميز بين التجربة الحية والهوى بين الفطرة والانفعال، بين البدهة والميل. لذلك طلب إبراهيم البرهان ليس لكي يؤمن بل لكي يطمئن قلبه، والمزاوجة بين العقل والقلب. لذلك كان مطمح الفلاسفة الجمع بين الصدق العقلي والصدق التجريبي^(١). ولا يعنى العقل الصدق الصوري، تطابق النتائج مع المقدمات، وتطابق الفكرة مع ذاتها بل تصديق العقل لمضمون التجربة الحية في البدهة العقلية والفطرة الطبيعية. الصدق العقلي ذو مضمون. يتجه نحو الأشياء ذاتها وليس فقط وسائل معرفته وطرق روايته. فالحقيقة شيء وروايتها شيء آخر^(٢). لذلك اعتنى الأدب والفلسفة المعاصرة في الغرب بالسر، والرواية، والقص، والزمان الداخلي، والسيرة الذاتية^(٣).

(١) وهو ما تجل في الفلسفة الغربية عند ديكارت ويكون، مقدمة في علم الاستغراب، ص ٢٤٨ - ٢٨٢.

(٢) هذا هو الفرق في علوم الإعلام الغربية بين Truth، Truth-Telling.

(٣) أشهرها ثلاثية بول ريكير «الزمان والسر». Temps et Récit.

والتطابق مع التجربة الحية والعقل هو أيضا تطابق مع الواقع. فالتجربة الحية هي موطن التقاء العقل بالواقع. العقل حدس معاش. والواقع تجربة معاشة^(١). فالعقل والواقع ركيزتا التجربة. يحمى التطابق مع الواقع الوحي من أن يصبح مجرد خطاب مغلق على ذاته. تكفيه اللغة كمكون رئيسي له. كما تحميه من أن يصبح مجرد تفريغ عن الكرب. وتفريغ للهم كما يحدث عند الدعاة الجدد وكأن وظيفة الوحي هو التطهير كما كانت وظيفة الفن عند بعض قدماء اليونان^(٢). الواقع هو الواجهة الثانية للوحي. داخل فيه منذ الحوامل الموضوعية له: المكان والبيئة الاجتماعية والزمان. وهو الذى يسمح بالتحول من النظر إلى العمل، ومن القول إلى الفعل. الوحي يبدأ من الواقع صياغة وإليه يعود فاعلية وتأثيراً. وقد نشأت تيارات معاصرة في الغرب تجعل مهمة الفلسفة رؤية الواقع وليس الابتعاد عنه أو تغليفه بشبكة من التصورات أشبه بشبكة العنكبوت التى تعمى أكثر مما تكشف، وتخبئ أكثر مما تظهر^(٣).

تبغى روح العصر الصدق الذاتى، وهو الصدق المباشر وليست رواياته وصحته التاريخية. فقد يكون المتن صحيحاً شعورياً والسند كاذب تاريخياً. وقد يكون السند صحيحاً تاريخياً والتمن كاذب شعورياً. وفي هذه الحالة صدق المتن له الأولوية على صحة السند. وبالتالي تتحول علوم القرآن من علوم الرواية والخبر والسند إلى علوم الدراية والخبرة والتمن.

(١) الأصح معيش ومعيشة، ولكن معاش ومعاشة أصبحتا أكثر تداولاً وقبولاً في الآذان.

(٢) هو فيثاغورث.

(٣) وذلك مثل فلسفات مين دى بيران وبرجسون ووليم جيمس وهوبنهايم ورافيسون. لذلك كتبنا كتابنا عن «برجسون، فيلسوف الحياة» والذي كتب بدوره عن وليم جيمس وهوبنهايم ورافيسون.

الفصل الثاني

القراءة

١- منطق النقل الشفاهي:

ووضع علم القراءات لضبط النقل الشفاهي بعد أن اتسعت الآفاق وتداخلت اللهجات^(١). وقد ارتبط بعلوم القرآن لأنه علم منطق النقل الشفاهي. كما ظهر علم القراءات كمنطق شفاهي للنص قبل التدوين والتنقيط والتشكيل والإعراب والخطوط. وهنا تأتي أهمية أبي الأسود الدؤلي في التنقيط في القرن الرابع. وقد يختلف النطقان، قراءتان لرسم واحد نظرا لأن التنقيط لم يظهر إلا متأخرا لضبط هذه الاختلافات^(٢). علم القراءات هو منطق النقل الشفاهي كما أن علم الحديث هو منطق النقل الكتابي. الأول لضبط الصوت والثاني لضبط الحرف وهي خاصية علوم القرآن. لم تنشأ حول التوراة والإنجيل. وقد نقل القرآن شفاهًا من خلال الحفاظ والرواية^(٣). ولا يهتم أسماؤهم ولا عددهم، أحياءهم وشهراؤهم، ذكورهم وإناثهم^(٤). ولكل قراءة رواية. واعتمدت علوم القرآن على علم مصطلح الحديث لروايته.

(١) «ثم لما اتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق، قام جهابذة الأمة، وبالفوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا الصحيح والشاذ بأصول أصلوها، وأركان فصلوها»، الإتيان ج١/ ٢٠٦.

(٢) السابق ج١، ص ٢١٢.

(٣) السابق ج١، ص ١٩٩ / ٢٠٦.

(٤) في حديث النبي: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»، الإتيان ج١/ ١٩٩. وفي رأى أنس بن مالك جمع القرآن على عهد الرسول أربعة من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، السابق ص ٢٠٠. وكان المشهورون بالقراء: من الصحابة سبعة: عثمان، علي، أبي، زيد بن ثابت، ابن مسعود، أبو الدرداء، أبي موسى الأشعري، السابق ص ٢٠٤.

والإجازة من الشيخ ليست شرطاً للقراءة، وليس أخذ المال شرطاً في إجازة الشيخ.

والتعليم على ثلاثة أوجه: حسبة دون عوض وهو عمل الأنبياء وأجره في الآخرة، وبالأجر وهو مختلف عليه. والأرجح جوازه. والتعليم بغير شرط وهو الأفضل. وهو جائز اجتماعياً. والقراءة كرامة من الله للبشر وليس للملائكة الذين يحبون سماع القرآن.

ويمكن السؤال عن القراءات وتدوين الأسئلة. ويمكن حفظ كتاب كامل لمعرفة اختلاف القراءات.

وهو علم نقل وليس علماً عقلياً، نقل في اللغة، ونقل في الإسناد^(١). هو علم نقل خالص يعتمد على الروايات والأسانيد. وإن حضر القياس فحضوره في قبل في اللغة^(٢). هو علم نقل وليس علماً عقلياً، نقل في اللغة، ونقل في الإسناد. وإثبات القراءة بالرواية دور لأن الرواية قراءة، والقراءة رواية. وعلوم القرآن علوم دفاعية مثل علم الكلام ضد المبطلين والمشككين والمحرفين للنص القرآني^(٣).

ويحمل القرآن حفظاً. والحفظ فرض كفاية على الأمة. وأوجه حمله مثل أوجه حمل الحديث. ومناهج النقل الشفاهي السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة والإجازة، والمكاتبة، والوصية، والإعلام والوجادة. القراءة على الشيخ هي المستعملة سلفاً وخلفاً. والسماع من لفظ الشيخ جائز لأن القراء أخذوه عن الصحابة وليس عن النبي مباشرة. وقد عُرضت على النبي القراءة مرة كل عام. وكيفيات القراءة ثلاث: التحقيق وهو إعطاء كل حرف حقه، والحدرد وهو إدراج القراءة وسرعتها

(١) وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة. والأقيس في العربية بل على الأئمة في الأثر، والأصح في النقل. وإذا ثبتت الرواية لم يرد لها قياس عربية ولا حشو لغة لأن القراءة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها، السابق ج١/ ٢١١.

(٢) الداني: جامع البيان، ص ٣٤٨.

(٣) السابق، ص ١٥-١٦.

وتخفيفها. والثالثة التدوير وهو التوسط بين المقامين من التخفيف والحدرد^(١). ويستحب الترتيل. التحقيق للرياضة والتعليم والتمرين. والترتيل للتدبر والتفكير والاستنباط. فكل تحقيق ترتيل وليس كل ترتيل تحقيق.

المهم فهمه وتدبره^(٢). حتى لا تنطبق على الحافظ الصورة القرآنية (كالخمار يحمل أسفارا). فالقرآن ليس صوتا بل معنى. ويقتبس من القرآن في الشعر أو الشر. فالتجربة القرآنية والتجربة الشعرية واحدة مثل التشابه بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية^(٣). والاقتراس منه المقبول ومنه المباح ومنه المردود. المقبول في الخطب والمواعظ والعهود. والمباح في القول والرسائل والقصص. والمردود ما نسبته الله إلى نفسه أو يكون السياق هزوا^(٤). ولا تدخل أمثلة القرآن في الشعر.

(١) الإتيان جـ ١ / ٢٧٩ - ٢٩١.

(٢) ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مَبْرُورًا يَتَذَكَّرُ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾.

(٣) من الفناء إلى البقاء جـ ١ الوعى الموضوعى.

(٤) مثل:

أوحى إلى مشاقه طرقة	هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه	أئبل هذا فليعمل العاملون
وأبشأ:	
يا من عدى ثم امتدى ثم اقترف	ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله فى آياته	إن يتهاوا بفقر لهم ما قد سلف
وأبشأ:	
الملك لله الذى عنت الوجو	له . وقلت عنده الأرباب
متفرد بالملك والسلطان قد	خسر الذين تجاذبوه وغابوا
دعهم وزعم الملك يوم ضرورهم	فيعلمون غدا من الكذاب
وأبشأ:	
سل الله من فضله واتقه	فإن التقى غير ما تكسب
ومن يتق الله يصنع له	ويرزقه من حيث لا يحتسب
وأبشأ:	
مجاز حقيقتها فاعبروا	ولا تمسروا هودنوها تهن
وما حُسن بيت له زخرف	تره إذا زلزلت لم يكن
فأدخلنى بيتا أخرج من التابوت	وأدهى من بيت المنكبوت

الإتيان جـ ١ / ٢١٦ - ٢١٧.

٢- التأليف في علم القراءات:

بدأ التأليف في علم القراءات مبكراً. واستمر كصناعة مثل باقى العلوم متأخراً حتى تحول إلى كتب مقررة فى الكليات والمعاهد الأزهرية^(١). وكثرة التأليف فيه تدل على الاختلافات فى قراءة النص. ويختلف التأليف كمياً من جزء واحد إلى أربعة أجزاء^(٢). وتتشابه العناوين.

وكثرة التأليف فى علم القراءات ظاهرة تسترعى الانتباه مما يدل على أهمية ضبط قراءة النص شفاهاً قبل تدوينه^(٣). له علماء من أهل العناية أى أهل الاختصاص والتأليف فى أدق التفاصيل.

وكلها قراءات واقعة طبقاً للهجات المدن والأمصار. ولكل قارئ أو مجموعة من القراء مدينته التى يتسبب إليها بحيث تحولت إلى نموذج للقراءة مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة أو مصر من الأمصار مثل الحجاز والشام والعراق^(٤). بل انه يمكن تأسيس علم للقراءات ولهجات الأمصار^(٥). ويرتبط بعلم التفسير. فبناء على تعدد القراءات تختلف التفاسير. وهى أيضاً قراءات فردية ترتبط بإبداعات القراء وإحساسهم بموسيقى القرآن مثل موسيقى الشعر. فهى أدخلت فى الفن وإن كان أصلها فى علم اللغة وفن التجويد. ومشاهير القراء مثل مشاهير المطربين لهم جماهيرهم، وأجرهم مثلهم. ويرتبط علم القراءات بالجماهير والاحتفالات والمآتم ومهارات القراء وأسعارهم فى إحياء الليالى.

(١) أولها أبو عبد الله الحسين أحمد بن خالوية: الحجة فى القراءات السبع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

(٢) أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى: الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر مجاهد (٤ أجزاء)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(٣) يكفى معرفة مؤلفات ابن مهران وحده وهى: الغاية فى القراءات العشر، المبسوط فى القراءات العشر، القراءات العشر، القراءات السبع، مذهب حمزة فى الهمز، الاستعاذة بحججها، الشامل فى القراءات، طبقات القراء، كتاب الحداث، آيات القرآن، غرائب القرآن، الوقف والابتداء، قراءة أبى عمرو، وقوف القرآن، الانفراد، شرح المعجم، شرح التحقيق، قراءة ابن مسعود، رؤوس الآيات، اختلاف السور، ابن مهران: «الغاية فى القراءات العشر»، ص ٥-٦.

(٤) السابق، ص ٤.

(٥) وهو علم اللسانيات طبقاً للمناطق الجغرافية Geo-linguistics

وقد تجاوز التأليف في علم القراءات التأليف في علوم القرآن ذاتها حتى وكأنه قد أصبح مستقلاً ومتضخماً عن العلم الأم مثل المقدمات النظرية في علم أصول الدين خاصة بمبحث الجوهر والأعراض وتضخمها على مباحث العقائد ذاتها ونظرية الذات والصفات والأسماء والأفعال^(١).

وقد استقل علم القراءات عن علوم القرآن. وأصبح مستقلاً مع علم التجويد. له غاية عملية هو كيفية قراءة القرآن في المحافل العامة. وبدأ التأليف فيه مبكراً للغاية منذ القرن الثاني. واستمر حتى الثاني عشر وحتى اليوم. وهو من أهم العلوم التي تدرس في المعاهد والكلليات الأزهرية لتخريج مقرئين ومنشدين للمناسبات الدينية والمآتم وأجهزة الإعلام وقنوات الفضاء وإذاعات القرآن الكريم.

ويمكن تصنيف التأليف في علوم القرآن طبقاً لموضوعاتها إلى خمسة أقسام: الأول متون المؤلفات العامة في علم القراءات، والثاني الشروح والمختصات عليها، والثالث متون القراءات، والرابع اختلاف القراءات، والخامس علم الأصوات.

أ- المؤلفات العامة:

١- «التذكرة في القراءات» لابن غليون (٣٩٩هـ)

وهو نموذج لجمع القراءات في أدق رواياتها واختلافاتها دون تنظير يذكر إلا في أقل الحدود^(٢). وهو مؤلف ضخمة الحجم. يقوم على أكبر قدر ممكن من جمع اختلافات القراءات وأقل قدر ممكن من التنظير. وقد كان من الممكن تجميع الظواهر الصوتية المتشابهة في الإدغام والحذف في أصول نظرية عامة، إلا أن جمع أكبر قدر ممكن من القراءات واختلافاتها كان هو الهم الأكبر. وتناثرت الأصول النظرية في سورة البقرة

(١) من العقيدة إلى الثورة ج١ المقدمات النظرية، الفصل الرابع: نظرية الوجود، ثالثاً: فينولوجيا الوجود «الأعراض»، ص ٤٨٩-٥٤٤. رابعاً: أنطولوجيا الوجود «الجواهر»، ص ٥٤٤-٦٣٦.

(٢) الشيخ أبر الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غليون: التذكرة في القراءات، دار الكتب العلمية، الناشر دار ابن خلدون، الإسكندرية، التوزيع دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

أو من خلال عرض اختلافات القراءة عرضاً طويلاً، سورة سورة، وآية آية^(١). وتوضع البسملة والاستعاذة من الأصول وهي ليست كذلك^(٢). وتغلب الرواية على الدراية. البداية بروايات القراء وكما هو الحال في علم الحديث^(٣). كلها أسماء أعلام مع أن العلم لا شخصي. وهناك سرد لاختلافات الفروع دون ضمها في أصول، للجزئيات دون الكليات. هي «أزهرية» صرفة و«تاريخية» خالصة. ويمكن جمعها من أجل إرساء قواعد نظرية في الأصوات أو اللهجات بدلاً من تكرارها في كل سورة ولا يوجد أي تعليل لها. لذلك جاء اسم الكتاب مؤشراً على ذلك «التذكرة» وربما اسم المؤلف أيضاً «ابن غليون». والغاية من ذلك كله ضبط النقل الشفاهي للنص وليس تحليله النظري. ويخلو من الأدلة النقلية من الحديث أو الشعر لأنه لا يستدل ولا يبرهن. وتظهر بعض الأصول النظرية متناثرة خلال عرض الاختلافات سورة سورة وآية آية مثل باب الإدغام، وكذلك بعض موضوعات الإحالة والحد^(٤).

ويرصد الكتاب الاختلافات في القراءات كما هو الحال في علم الخلافات في الفقه أكثر من الاتفاق. لذلك امتلاً بالسرد دون التنظير بالتفريق بين المختلفات وليس بالجمع بين المتشابهات. ويصل الأمر إلى الاختلاف المضاعف بين الروايات في القراءات، وبين القراءات للنص، والاختلاف حول كل حرف ولفظ، والروايات المختلفة حول القراءات المتعددة، والاختلاف في أصول القراءات للحروف. وهناك مذاهب في الحروف قد انعكست في اختلافات القراءات^(٥). والمذهب هو رأى النحو أو القارئ. وتعدد المذاهب بتعدد القراء.

وقد انتهت هذه المادة بنهاية عصرها بعد أن استقرت القراءات وأصبحت متداولة

(١) الأصول النظرية في المقدمة مثل: الإدغام والإشمام، هاء الكناية عن الواحد المذكور، الميم، المد والقصر، الهزعة، قد، تاء التأنيث، الباء عن الفاء، لام هل ويل، الغنة، الفتح والإمالة، الراء المفتوحة، الوقوف، التسخيم. والأصول النظرية الأخرى عبر السور مثل: ياءات الإضافة، الياءات المحذوفة، اجتاع الاستفهامين. الوقف على أسماء منقوصة نكرة.

(٢) ابن غليون: التذكرة في القراءات ص ٢٠-٢٢.

(٣) السابق ص ٩-١٩.

(٤) السابق، ص ١٢٥-١٢٦ / ١٣١-١٣٥ / ١٣٨-١٦٠.

(٥) السابق، ص ٩٧ / ١٠٠ / ١٠٥.

ومستقرة، ولم يبق منها إلا فن التجويد وبراعة القراء في جذب انتباه السامعين. يثيرها المستشرقون وكأنهم اكتشفوا ما لا يعرفه القدماء، وادعاء وجود مخطوطات جديدة خاضعة لعلم النقد التاريخي الحديث الذي لم يعرفه القدماء. والهدف التشكك في الصحة التاريخية للقرآن وليس العلم البريء من أجل زعزعة العقائد وجعل القرآن شبيها بالكتب المقدسة الأخرى، التوراة والإنجيل والزيور، وما وقع فيها من تبديل وتغيير وتحريف.

٢- «المقدمة في أصول القراءات» لابن الطحان (٥٦١هـ)

ولها موضع فريد. إذ إنها محاولة خالصة للتنظير دون أى اعتماد على أدلة نقلية من القرآن أو الحديث أو الشعر أو كلام العرب^(١). هى أقرب إلى علم الأصوات الخالص. يدور حول عشرين أصلا بالإضافة إلى الإعراب عن الحركات والسكون^(٢). وتستنبط من اختلاف القراءات المتعاقبة على أنواع الروايات. يحققها الإقراء، ويحكمها الأداء. ومنها ما ليس أصلا في القراءة مثل البسمة والتسمية. ويمكن ضم أصليين معا على التخفيف والتثقيب، والتفخيم والتدقيق.

٣- «إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى» للواسطى القلانسي (٥٢١هـ)

ويتبع نفس القسمة الثلاثية التقليدية لعلم القراءات^(٣): الأول القراء والأسانيد

(١) الإمام الشيخ أبو الإصبع عبد العزيز بن علي بن الطحان الاشيلي: المقدمة في أصول القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ ص ١٢٧-١٤٢.

(٢) وهى في العد ثلاثة وثلاثون: البسمة، التسمية، المد، اللين، المط، القصر، الاعتبار، التمكين، الإشباع، الإدغام، الإظهار، البيان، الإخفاء، القلب، التسهيل، التخفيف، التثقيب، التتميم، التشديد، النقل، التحقق، الفتح، الثغر، الإرسال، الإحالة، البطح، الاجتماع، التغليظ، التفخيم، التدقيق، الروم، الإشمام، الاختلاس. السابق ص ١٣٢.

(٣) الإمام الحافظ أبو العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطى القلانسي: إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى، تحقيق د. عثمان محمود غزال، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

العشرة^(١). والثاني المذاهب اللغوية^(٢). والثالث التطبيق الطولي^(٣). وبين الثاني والثالث التسمية والفاصلة^(٤). وعلى غير العادة أكبرها الثالث ثم الأول، وأصغرها الثاني^(٥). التنظير لحساب الرصد. والعنوان دال على ذلك «إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى» أي أنه كتاب تعليمي للتلميذ ومجرد مذكرة للأستاذ. يغيب منه الحديث والشعر. وشروح المحقق تعاملية طويلة. والفهارس العامة مجرد رصد لأسماء أعلام وأسانيد لا تتكرر ولا دلالة لها. والمراجع في النهاية أيضا يغلب عليها التعامل لأنها لم يعتمد عليها في التحليل والتعليل والتنظير.

ب- الشروح والملاحظات:

١- «إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع» للشاطبي (٥٩٠هـ)

وهو غير الشاطبي الغرناطي الأندلسي الشهير صاحب «الموافقات» في علم أصول الفقه (٧٩١هـ) لابن شامة الدمشقي (٦٦٥هـ). ومثل باقي العلوم العقلية النقلية العربية، الكلام والفلسفة وأصول الفقه والتصوف ظهرت شروح المتون مثل شرح «الشاطبية». فالمتن من القرن السادس، والشرح من القرن السابع. وكلاهما من المغرب^(٦). ويتبع التسمية الثلاثية التقليدية، الأول القراء والأسانيد^(٧). والثاني المذاهب اللغوية^(٨).

(١) السابق، ص ٤٣-١٠٨.

(٢) وهى الإدغام والإظهار، الهزمة، الساكن والمتحرك، الوقف والابتداء، المد والقصر، الإمالة، السابق ص ١٠٩-١٣٠.

(٣) السابق ص ١٣٣-٣٥٣.

(٤) السابق ص ١٣١-١٣٢.

(٥) الأول (٦٣)، الثاني (٢٠)، الثالث (٢٢٣).

(٦) الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي: إبراز المعاني من حرز الأمانى، تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

(٧) بيان من نقل عنهم شيء من وجوه القراءات من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أسماء القراءات بالأصناف الخمسة، تمييز ما يعتمد عليه من القراءات، القراءات السبعة، فضائل القرآن وقراءته، القراء السبعة ورواتهم وأخبارهم، الرموز التي يشير بها الناظم إلى القراء السبعة ورواتهم، اصطلاح الناظم في التعبير عن أوجه الخلاف، السابق ص ٣-٦٠.

(٨) الإدغام والإظهار، الكناية، المد والقصر، الهزمة، السكون والتنوين، الوقف والبداية، الباءات، الخط، السابق ص ٧٦-٣١٨.

والثالث الشرح الطولي^(١). أكبرها الثالث كالعادة ثم الثاني، وأصغرها الأول^(٢). وبين الأول والثاني الاستعادة والبسملة والفاصلة^(٣). وفي النهاية التكبير ومخارج الحروف وصفاتها^(٤). يعتمد على الحديث والشعر، والشعر أكثر. ويعتمد الشارح على شعره الخاص بالإضافة إلى شعر الآخرين. والأحاديث بها الخيال الخلاق الكثير^(٥).

٢- «سراج القارئ المبتدئ وتذكر المقرئ المنتهى» لابن الفاصح العذري البغدادي (٨٠١هـ)^(٦)

المتن أيضا من القرن السادس، والشرح من السابع. ويستمر شرح نفس منظومة «حز الأمانى ووجه التهاني» للشاطبي. والشرح نوع أدبي بين القصر والطول. تحل الألفاظ، وتستخرج القراءات بعبارات سهلة دون الدخول في التعاليل المطولة مثل كتب إعراب القرآن وتفسيره. وله مصادره في شروح سابقة^(٧). ويتضمن الشرح ترجمة حياة الناظم وشرح الأعلام وسيرهم الذاتية^(٨). ويدل العنوان أيضا على أنه مذكرة للطلاب والأستاذ. ويقسم الشرح تحت كلمات شارحة مثل «توضيح» وهى الأغلب و«تنبيه» و«تفريع»^(٩). ويعتمد الشرح على الحديث أكثر من الشعر^(١٠). ومن حيث الموضوعات لا يقوم الشرح على القسمة الثلاثية التقليدية لعلم القراءات، الأول أسماء القراء والرواة

(١) فرش الحروف، السابق ص ٣١٩-٧٢٩.

(٢) الأول (٣٦)، الثاني (٢٨٠)، الثالث (٤٢٢).

(٣) السابق ص ٦١-٧٥.

(٤) السابق ص ٧٣٠-٧٦٠.

(٥) الحديث (١٨)، الشعر (٨٦).

(٦) الإمام أبو القاسم علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن الفاصح العذري البغدادي: سراج القارئ المبتدئ وتذكر المقرئ المنتهى، ضبطه وصححه وخرّج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٧) أول من شرحها علم الدين السخاوي من ناظمها مباشرة وتابعه الشراح مثل الفاسي وأبى شامة وابن جبار والجعبري وغيرهم، السابق ص ٥.

(٨) السابق ص ٦.

(٩) توضيح (١٧)، تنبيه (٢)، تفريع (١).

(١٠) الحديث (٩)، الشعر (٢).

والأسانيد. والثاني الموضوعات والأصول اللغوية^(١). والثالث فرش الحروف^(٢). بل يعتمد على قسمين فقط الثاني والثالث مع مقدمة عن الاستعاذة والبسملة والفتحة^(٣). والثاني أكبر من الأول^(٤). وينتهي بالتكبير ومخارج الحروف وصفاتها^(٥).

٣- «المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية» للهروي القارى (١٠١٤هـ)^(٦)

وتأتى مرحلة الشرح أيضا فى علم القراءات أسوة بباقى العلوم، شرح النظم نثرا. والمتن لابن الجزرى (٨٣٣هـ)^(٧). وهو مجرد عرض لمادة المتن مع ضرب الأمثلة من القرآن، وأحيانا شرح الشعر بالشعر^(٨). والمتن نفسه مقسم إلى موضوعات. ولا يخلو من بعض الفوائد. والمتن والشرح فى الأصوات دون أسماء وأسانيد ودون فرش الحروف^(٩). ومقسمة إلى أبواب.

٤- «شرح قواعد البقرى فى أصول القراء السبعة» للجبورى (١١٣٨هـ)^(١٠)

وهو شرح كما جرت عليه عادة المتأخرين بالنسبة لمتون المفسرين^(١١). والمحقق حاصل على إجازة فى الإقراء أى أن القراءة أصبحت علما مستقلا وتخصصا تعطى فيه الدرجات العلمية. وهو غير ما يقصده المحدثون بالقراءة أى التأويل، والانقراء أى

(١) الإدغام والإظهار، الهاء، المد والقصر، الهزمة، السكون والتنوين، الإمالة، الوقف والابتداء، الباء، سراج القارئ ص ٤٧-١٧٠.

(٢) فرش الحروف، السابق ص ١٧١-٣٣٣.

(٣) السابق ص ٣٥-٤٠.

(٤) الأول (١٣٠)، الثانى (١٦٣).

(٥) سراج القارئ، ص ٣٣٤-٣٤٦.

(٦) الملا على بن سلطان الهروى القارى: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، تحقيق محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م-١٤٢٤هـ.

(٧) «إن المقدمة.. ما رأيت لها شرحا كاملا يبين بيانا شاملا يكون لتحقيق الحقائق كافلا فسنح ببالي أن أضع عليها شرحا معتدلا، لا مختصرا محلا ولا مطولا عملا..»، السابق ص ٩.

(٨) السابق ص ٢٥.

(٩) وهى مخارج الحروف وصفاتها، التجديد والتدقيق واستعمال الحروف، الراءات، الضاد والطاء، التحذيرات، الميم والنون المشددين والميم الساكنة، السكون والتنوين، المدات، الوقوف، المقطوع والموصول وحكم التاء، همزة الوصل..، السابق ص ١٥٧-١٦٣.

(١٠) الشيخ القارئ سلطان بن ناصر الجبورى: شرح قواعد البقرى فى أصول القراء السبعة، تحقيق هناء الحمصى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ١٥/١٢٧.

(١١) المتن للشيخ محمد بن قاسم البقرى نافع الشناوى (١١١هـ)، وشهرته «متن البقرية».

القابلية للتأويل. وكان التأليف بناء على سؤال^(١). يركز على القواعد والرواية للقراء السبعة. ويدخل علم الأصوات داخل كل قارئ^(٢). فالقارئ هو وحدة التحليل وليس علم الأصوات. كل قارئ صاحب قواعد وراو. والشرح لفظاً ولفظاً وعبارة على عادة الشراح. ويعتمد على الشعر. فالقرآن والشعر صنوان. كلاهما يخضعان لعلم الأصوات^(٣).

٥- «الفتح الرحمانى شرح كنز المعانى بتحريز حرز الأمانى فى القراءات» للجمزوردى (ت بعد ١١٩٨هـ)^(٤)

وهو شرح للنظم بالنثر. والمتن هو «حرز الأمانى» الشهير بالشاطبية. ويخلو القسم الأول من أسماء القراءات وأسانيدهم. ولا يبقى إلا المذاهب الصوتية ثم فرش الحروف^(٥). والمذاهب الصوتية متكررة كالعادة^(٦).

٦- «مختصر بلوغ الأمانة» للضباع^(٧)

ومازال الأحياء يشرحون الأموات. فهذا المختصر شرح على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ حسن خلف الحسينى المقرئ. فالمقرئ قارئ وعالم. مؤد ومنظر، مغن وملحن. هو شرح للنظم. والمتن نمطى فى قسمته الثلاثية إلى الاستعاذة والبسملة ثم علم الأصوات ثم فرش الحروف^(٨). ولا جديد فى المذاهب الصوتية بالنسبة للقدماء.

(١) السابق ص ١٨.

(٢) وهم: أبو عمرو، ابن كثير، نافع، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائى.

(٣) السابق ص ٤١ / ٦٩ - ٧٠.

(٤) سليمان بن حسين بن محمد الجمزوردى: الفتح الرحمانى شرح كنز المعانى بتحريز حرز الأمانى فى القراءات، تحقيق ودراسة شريف أبو العلا العدوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٥٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٥) المذاهب الصوتية ص ٢٤ - ١٢٥. فرش الحروف ص ١٢٦ - ١٦٧.

(٦) الإدغام الكبير، هاء الكناية، المد والقصر، الهمة، تاء التأنيث، لام هل ويل، الفتح والإمالة، اللامات، الوقف والابتداء، ياءات الإضافة، باءات الزوائد... إلخ.

(٧) فضيلة الشيخ على محمد الضباع شيخ المقارئ المصرية: مختصر بلوغ الأمانة. ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٨) الاستعاذة والبسملة ص ٥ - ٦. المذاهب الصوتية ص ٧ - ٣٩. فرش الحروف ص ٤٠ - ٤٩. التكبير ص ٥٠.

فقد أصبح التأليف تكراراً وإعادة^(١).

٧- «شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن» لمؤلف مجهول

وهو في علم القراءات. شكله الأدبي شرح النظم. ويشرح بالقرآن. فالشعر صياغة للقرآن، والقرآن صياغة للشعر. كلاهما شكلان أدبيان لتجربة حياتية واحدة^(٢).

٣- ماذا يعني نزول القرآن على سبعة أحرف؟

أ- التأليف في الموضوع

نشأ علم القراءات بناء على حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» في صيغته المركزة مثل تدوين علم الكلام والفرق بناء على حديث الفرقة الناجية. وكثرت التأليف في الموضوع أهمها:

١- «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه (٣٧٠هـ)^(٣)

وترصد اختلاف القراءات، سورة سورة، وآية آية. ويظهر ارتباط القراءات بالنحو والإعراب. فالإعراب جزء من القراءات. والقراءات جزء من التفسير لأثرها في المعنى. فالتفسير شرح كلي للقراءة بعد ضبطها لغوياً. وتعني «الحجة» الدليل والبرهان على صحة إحدى القراءات دون الأخرى. ويتم الاعتماد على الشعر ثم الحديث ثم أقوال السابقين وأقوال الصحابة^(٤). وقد يكون الشعر مجهول المؤلف أو معروف المؤلف. فالمهم الشعر وليس الشاعر. وتوجد مقدمة صغيرة نظرية لفن القراءة^(٥). فبعد القراءات السبع في الأمصار الخمسة اتضح أن كل قراءة تتبع مذهبها في اللغة العربية ثم القياس

(١) وهي: الإدغام الكبير وهاء الكناية، المد والقصر، الهزلة، السكون والحركة، الإدغام الصغير، الإمالة، الراءات واللامات، الوقف والابتداء، ياءات الإضافة، ياءات الزوائد... إلخ.

(٢) أربعة كتب في علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٣٨م، ص ١١-٢١.

(٣) أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه: الحجة في القراءات السبع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، قدم له الدكتور فتحي حجازي، جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ.

(٤) الشعر (٧٠)، الحديث (٣).

(٥) الحجة في القراءات السبع، ص ١٧-١٩.

عليه بطريقة مقبولة فاتفقت الدراية والرواية والاختيار مع الأتباع. فاختلاف القراءات راجع إلى اختلاف مذاهب اللغة. والمحك في النهاية القراءة المشهورة وليس الشاذة. وقد توخى الكتاب الاقتصار والاقتداء بالقدماء والنقل عنهم بألفاظ بينة ومقالات واضحة.

٢- «الحجة للقراء السبعة، أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر مجاهد» للفارسي (٣٧٧هـ)^(١)

والحجة، عنوان تكرر في كتب القراءات. ويخلو الكتاب من أية مقدمة نظرية. ويعطى القراءات سورة سورة، وآية آية، من أول «الفاتحة» حتى «الناس». ترصد كل القراءات الممكنة وتعطى الحجة على صحة أحدها. سورة سورة. وآية آية. وهو نفس العنوان السابق تقريبا لابن خالويه. كما يخلو من أى منطق للقراءة أو نتائج تتعلق بالفكر. لا يوجد في المقدمة إلا الدعوة إلى السلطان^(٢). وهو إكمال لمحاولة أخرى سابقة^(٣). يغرق في التفصيلات، وإعراب الآيات من أجل حسن قراءتها. وأحيانا يتخلل عناوين السور بعض الموضوعات النظرية مثل «الاختلاف في إمالة الألف التي تليها الراء»^(٤). وهو مجرد رصد دون عرض لمذاهب الأصوات ودون تجميع لموضوعات متناثرة بمناسبة قراءة معينة^(٥). يهتم بالاختلافات في قراءة كل سورة وتذكر في أول كل سورة إلا فيما ندر. والفهارس التحليلية في نهاية الجزء الرابع مادة خصبة لاستخراج دلالاتها مثل القراءات مرتبة حسب السور والآيات، والقراءات مرتبة الفبائيا حسب اللفظ. يعتمد على الحديث وأثار الصحابة والتابعين والأشعار والأرجاز والأمثال والأعلام^(٦).

(١) أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي: الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوى (٤ مجلدات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) «أطال الله بقاء مولانا الملك السيد الأجل المنصور، ولى النعم، عضد الدولة، وتاج الملة، وأدام له العز والبسطة والسلطان، وأيده بالتوفيق والتسديد، وعضده بالنصر والتمكين»، السابق ج١/ ٢٩.

(٣) السابق ج١/ ص ٢٩ - ٣٠.

(٤) السابق ج١/ ٢٤٥ - ٢٥٧.

(٥) السابق ج٤/ ٢١٤ - ٣٣٥ / ٣٦٤ - ٣٦٤.

(٦) الأحاديث القولية (٥٨)، الفعلية (١١)، أثار الصحابة والتابعين (٤)، القوافي (٧٠٠)، الأرجاز (٢٨٠)، أنصاف الأبيات (٣٣)، الأمثال (١٩).

٣- «التبصرة في القراءات السبع» للقرطبي (٤٣٧هـ)^(١)

وهو كتاب نموذجي في علم القراءات. يبدأ بأسماء القراء وأسانيدهم ثم ذكر الاختلافات في الفاتحة والبقرة، والمذاهب الصوتية بمناسبة سورة البقرة ثم الحروف ابتداء من البقرة، ونهاية بالتكبير^(٢). وفي المقدمة النظرية الصغيرة يظهر القصد من الكتاب وهو كشف وجوه القراءات واختيار العلماء، ومن قرأ بكل حرف من الصدر الأول، وأقاريل النحويين وأهل اللغة. وكان يمكن أن يسمى أيضا «الكشف عن وجوه القراءات»^(٣). وتتناثر المذاهب الصوتية عند القراء^(٤). ويبرز القياس في علم الأصوات على نحو لا شعوري^(٥). ويتم تحديد السور مكية أو مدنية عرضاً وعدد آياتها. كما تحدد القراءات في مدارس تنتمي إلى المدن مثل الكوفة والبصرة وبغداد حيث عاش القراء الأوائل. وقد ساهم علماء الأندلس في هذا الفن بالرغم من بعد المكان.

٤- «جامع البيان في القراءات السبع المشهورة» للداني (٤٤٤هـ).

ويقسم علوم القرآن نفس القسمة الثلاثية النمطية^(٦). الأول القراءة والأسانيد والروايات. والثاني المقدمة النظرية في علم الأصوات^(٧). والثالث التطبيقات

(١) الإمام أبو محمد القيسي القيرواني القرطبي: التبصرة في القراءات السبع، اعتنى بتصحيحه ومراجعته جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا (د. ت).

(٢) الإسناد في القراءة ص ٧-١٣. أسماء القراء وأسانيدهم المتصلة حتى النبي ص ١٧-٥٨. اختلاف القراءات في الفاتحة والبقرة ص ٥٨-٦٣. المذاهب الصوتية بمناسبة البقرة ص ٦٣-١٥٣. الحروف (السور) ابتداء من البقرة ص ١٥٣-٢٩٢. التكبير ص ٣٩٢-٣٩٤.

(٣) السابق ص ١٥-١٦.

(٤) مثل هاء الكناية عن المذكر، المد والقصر، اجتماع الهمزتين، الوقف والابتداء، الروم والإشباع، الإظهار والإدغام، السكون والتنوين، الفتح والإمالة... إلخ.

(٥) باب ما جرى في التسهيل على غير قياس، السابق ص ١٠٢-١٠٥.

(٦) الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني: جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تحقيق الحافظ المقرئ محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥-١٤٢٦هـ.

(٧) «باب في ذكر الأخبار الواردة بالحض على اتباع الأئمة من السلف في القراءة والتمسك بها أداء الأئمة القراء عنهم منها، جامع البيان ص ٣٧-١٤٥. «باب ذكر أسماء أئمة القراءة والناقلين عنهم وأنسابهم وكناهم ومواطنهم ووفاتهم ونكت من مناقبهم وأخبارهم»، السابق ص ٤٣-١٤٥.

العملية^(١). أكبرها الثالث كالعادة ثم الثاني. وأصغرها الأول^(٢). وما بين الأول والثاني تعرض قضية الاستعاذة والتسمية^(٣). وهى مشكلة أصولية هل البسمة جزء من القرآن أم أنها فاتحة كل سورة للفصل بين السورتين؟ وهل الفاتحة جزء من القرآن أم أنها مقدمة للقرآن كله؟. وفى النهاية يذكر موضوع التكبير عند قراءة بعض السور^(٤). وقد تم التأليف بناء على سؤال مما يدل على أن التأليف بناء على حاجة محلية من واقع البيئة^(٥). وهو كتاب جامع للأصول والفروع، يورد الاختلافات فى القراءات. يوضح الخفى، يختصر ويعلل، ولا يكرر ولا يطول. يعتمد على نفسه، ومفيد للقارئ والطالب والناسخ والدارس^(٦). الروايات أربعة، والطرق مائة وستون والاتفاق بين الأئمة أو بين الحرمين (نافع وابن كثير). ولكل قارئ مذهب، ولكل عالم لغوى طريقة. فالمذاهب أفراد، والأفراد مذاهب، وليست أنساقا تصورية أو أبنية نظرية. وتعتمد القراءات على قليل من الشعر. والحديث باستثناء المقدمة النظرية عن نزول القرآن

(١) القسم الثانى من الأصول النظرية، جامع البيان ص ١٥٤-٣٨٦.

(٢) الأول (١٣٠)، الثانى (٢٤٢)، الثالث (٤١٣).

(٣) «باب ذكر الاستعاذة ومذاهبهم فيها، السابق ص ١٤٥-١٤٧». «باب ذكر مذاهبهم فى التسمية والفصل بها بين السورتين، السابق ص ١٤٧-١٥٤».

(٤) «باب ذكر التكبير فى قراءة ابن كثير وذكر الأخبار الواردة عن المكين فى ذلك»، السابق ص ٧٩٢-٧٩٩.

(٥) «فانكم سألتمونى إسعافكم يرسم كتاب فى اختلاف قراءة الأئمة السبعة بالأمصار، محيط بأصولهم وفروعهم، مبين لمذاهبهم واختلافهم، جامع للمعمول عليه فى روايتهم والمأخوذ به من طرقهم، ملخص للظاهر الجلى، موضح للغامض الخفى، محتوى على الاختصار والتعليل، خال من التكرار والتطويل، قائم بنفسه، مستغن عن غيره، يذكر المقرئ الثاقب، يفهم المبتدئ الطالب، ويخفف على الناسخ، ويكون عوناً للدارس»، السابق ص ١٦.

(٦) «وذكرت لكم الاختلاف بين أئمة القراءة فى المواضع التى اختلفوا فيها من الأصول المطردة والحروف المتفرقة. وبينت اختلافهم بيانا شافيا، وشرحت مذاهبهم شرحا كافيا. وقربت تراجيحهم وعباراتهم. وميزت بين طرقهم ورواياتهم. وعرفت بالصحيح السائر، ونبّهت على السقيم الدائر. وبالغت فى تلخيص ذلك وتقريبه. واجتهدت فى إيضاحه وتهذيبه. وأعطيته حظا وافرا من عنايتى، ونصيا كاملا من روايتى. وأفردت قراءة كل واحد من الأئمة برواية من أخذ عنه تلاوة، وأدى الحروف عنه حكاية دون رواية من نقلها سماعا فى الكتب، ورواية فى المصحف، إذ الكتب والمصحف غير محيطة بالحروف الجلية، ولا مؤدية عن الألفاظ الخفية، والتلاوة محيطة بذلك ومؤدية عنه»، السابق ص ١٦.

على سبعة أحرف^(١)). والآن انتهى عصر الرواية وبدأ عصر الدراية. وانتهى عصر السند وبدأ عصر المتن. وانتهى علم الرجال وبدأ علم النقد الداخلى. ولا يهم رصد الاختلافات فى القراءات سورة سورة، وآية آية بل المهم تحليلها وبيان أثرها على فهم المعنى. فالقراءة وسيلة وليست غاية. والمؤلف على وعى بالمنهج الطولى، سورة سورة وحرفا حرفا^(٢). وقد عُرف المصريون بعلم القراءات وفن التجويد لدرجة أن المدرسة المصرية أصبحت هى المدرسة بالأصالة فى كل العالم الإسلامى فى كافة أرجائه فى أفريقيا وآسيا بل فى أوروبا والأمريكيتين وأستراليا. وهناك مدارس أخرى فى الشام والعراق والحجاز والمغرب العربى^(٣). وقد انتهى علم القراءات المنقولة اليوم لصالح القراءات التداولية وإلا كانت القراءة تقعرا وتعالما وتفاخرا وادعاء لمهارة القراء وفنونهم. ويقرأ القرآن اليوم باللهجات المصرية والشامية والمغربية والحجازية والخليجية والتركية وبقاى اللهجات الأفريقية والآسيوية والأوروبية والأمريكية. بل وتقرأ داخل المصر الواحد طبقا للهجات البدو والحضر، الصعيد أو بحرى. ما أبدعه القدماء هو قيام علم القراءات على علم الأصول وتقسيم الحروف حسب مخارجها من الحلق أو الشفاه أو الأنف أو اللسان^(٤).

٥- «كتاب التيسير فى القراءات السبع» للدانى (٤٤٤هـ)^(٥)

هو تلخيص لكتاب «جامع البيان» السابق. ويشتركان فى نفس التبويب دون إضافة جديدة^(٦). وهى القسمة التقليدية الثلاثية للعلم. الأول القراء والرجال والأسانيد^(٧).

(١) الشعر (٦)، الحديث (١٩).

(٢) السابق ص ٣٨٧.

(٣) جامع البيان ص ١٩٤.

(٤) السابق ص ٢٧٤.

(٥) الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى: التيسير فى القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتو يرتزل. طبعة جديدة اعتمد فى أصلها على الطبعة التى نشرتها جمعية المستشرقين الألمانية بمطبعة الدولة باستامبول عام ١٩٣٠. دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ. جامع البيان (٧٨٥)، التيسير (١٧٠).

(٦) السابق ص ٧-٨.

(٧) «ذكر أسماء القراء والناقلين عنهم وأنسابهم وبلدانهم وكنابهم وموتهم، ذكر الرجال، ذاك الإسناد الذى أدى إلى القراءة عن هؤلاء الأئمة من الطرق المرسومة عنهم رواية وتلاوة»، السابق ص ١٧-٢٥.

والثاني المذاهب والرجال والأصول النظرية^(١). وبين الأول والثاني الاستعاذة والتسمية^(٢). والثالث التطبيق الطولى سورة سورة، وآية آية^(٣). أكبرها كالعادة الثالث ثم الثاني وأصغرها الأول^(٤). وفي النهاية التكبير عند ابن كثير^(٥). صححه مستشرق لأن المستشرقين يعتنون بالجانب المادى للنص من أجل زعزعة الصحة التاريخية للحديث عن طريق الاختلافات في الروايات. وتبدأ معظم الفقرات بفعل «قرأ» أو باسم القارئ. فالقراءة مرتبطة بالقارئ، والموضوع بالذات.

٦- «المفتاح في القراءات السبع» للقرطبي (٤٦١هـ)^(٦)

وهو استجابة لسؤال لوضع كتاب عن اختلافات القراءات السبع المشهورة بالمشرق وقد سبق التأليف فيه^(٧). وينقسم إلى قسمين فقط المذاهب الصوتية وفرش الحروف دون الأسانيد^(٨). ويطول باب المذاهب الصوتية وإن ظل أصغر من الجزء التطبيقى، فرش الحروف^(٩). وتفصل المذاهب الصوتية في أبواب وفصول^(١٠). ويطول باب الهمزة باعتباره أهم الأبواب. وتعدد المذاهب الصوتية كما تعدد المذاهب الفقهية والفرق

(١) مذاهب الإدغام والكتاية والمد والتقصير والهمزة والفتح والإمالة والوقف واللامات والسكون، السابق ص ٢٨-٦١.

(٢) السابق ص ٢٦-٢٧.

(٣) فرش الحروف، السابق ص ٦٣-١٨٣.

(٤) الأول (١٣)، الثاني (٣٤)، الثالث (١٢٤).

(٥) السابق ص ١٨٤-١٨٥.

(٦) الشيخ أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي: «المفتاح في القراءات السبع»، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

(٧) «سألتهموني.. أن أمل عليكم كتابا مختصرا في ما اختلف فيه القراء السبعة المسمون بالمشهورين دون غيرهم من الأئمة العظام الذين قرأت بقراءاتهم في تحويل بديار المشرق التي ذكرت بعضها في الكتاب «الوجيز»، وأن أخص لكم أبوابه، وأقرب عليكم فصوله، وأوضح عبارته ليكون لكم مفتاحا لحفظ كتاب «الوجيز».. السابق ص ٩-١٠.

(٨) «فأني رأيت ألا أذكر الأسانيد التي أوصلت إلينا هذه القراءات كراهة أن يطول بها المختصر. إذ هي مذكورة في غير هذا المختصر من كتبى»، السابق ص ١٠.

(٩) مذاهب الأصوات ص ١٢-٥٥. فرش الحروف ص ٥٦-٢٣٠.

(١٠) أهمها: الإظهار والإدغام. الدال وتاء التانيث ولام هل ويل، الحروف الساكنة والمتحركة، الهمزة، الاستفهام، الإمالة والتفخيم.. إلخ.

الكلامية. وتحدد السور مكية أو مدنية في فرش الحروف. كما يذكر الاختلاف في أسماء السور. ولقد استقرت القراءة الآن، ولا داعي لفتح الموضوع من جديد. فعلم القراءات علم تاريخي خالص مازال يدرس في المعاهد والكليات الأزهرية. ويتخصص فيه الآسيويون والأفارقة الفخورون بمعرفة العربية من أصولها الأولى. فالأولوية للغة التداولية أو إذا أثرت اختلافات القراءات على فهم المعاني. والسؤال الآن هو القراءات الأوروبية بعد تحول كثير من الأوروبيين إلى الإسلام. وقد استقرت اللهجة المصرية في القراءات، وأصبحت من أشهر القراءات. يفتخر بتعليمها باقى الأقوام والشعوب حتى أصبح علم التجويد علما مصرياً خالصاً. تتجلى فيه إبداعات القرّنين، وإظهار المعاني بالأصوات. فالقراءات أداء مثل عازف الموسيقى وعلاقتهم بالنوتة الموسيقية^(١). وقد يضاف إلى ذلك ملاحظة الوجه وحسن الصوت مما يجعل القرّاء يتجاوز مشاهير المطربين.

٧- «الكافي في القراءات السبع» لابن شريح (٤٧٦هـ)^(٢)

ويهدف إلى نفس ما تهدف إليه المؤلفات السابقة في علم القراءات. يصف الأربعة عشرة رواية المشهورة عن القراءات السبعة. يبين الأصول والفروع، ويحذف التطويل. ومن هنا تأتى التسمية، «الكافي». يقدم المختلف على المتفق ليكون أسهل في الحفظ وأقرب إلى الدرس. ويعتمد على تجربة المؤلف في القراءة وليس فقط على الرواية. كما يعتمد على أسانيده الخاصة طلب للاختصار وسهولة الحفظ^(٣). ويتبع القسمة الثلاثية

(١) الآن هناك أصوات مصرية شهيرة لها حضورها في كافة أرجاء العالم الإسلامى مثل: عبد الباسط عبد الصمد، شعيشع، المنشاوى.

(٢) أبو عبد الله محمد بن شريح: الكافي في القراءات السبع، تحقيق وتعليق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٤م. وطبعة أخرى تحقيق عمود عبد السميع الشافعى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) «فإنى أذكر في هذا الكتاب الأربع عشرة رواية المشهورة عن السبعة المشهورين.. وجامع فيه أصولها، ومبين فروعها، يحذف التطويل، والقصد إلى الاختصار مع تمام المعاني ليكون كافياً للعالم، وتذكرة ومتهى المتعلم، وتبصرة. وسميته «الكافي». وأعلم أنى مقدم المتأخر من المختلف فيه لأضمه إلى نظيره ليكون ذلك أسهل للحافظ، وأقرب للدارس. ثم لا أذكره في موضعه اكتفاء بذكره أولاً. وربما نهيت على ما أمكنتى منه في مكانه... واختصرت فيه إلى أقرب أسانيدى، وأرفعتها طلباً للاختصار، وليسهل على من أراد حفظها...»، السابق ص ٥-٦.

المشهورة لكتب علم القراءات: الأسانيد، والمذاهب الصوتية، وفرش الحروف^(١). وأكبرها كالعادة القسم الثالث التطبيقي. وتدرس المذاهب الصوتية بمناسبة سورة البقرة^(٢). وهى نفس القسمة الثلاثية التقليدية. الأول القراء ورواياتهم وأسانيدهم وتتبع طرقهم^(٣). والثانى المذاهب وأصول القراءات^(٤). والثالث التطبيق الطولى سورة سورة، وآية آية^(٥). وبين الأول والثانى الاستعاذة والبسملة والفاحة^(٦). ويشترك الأندلسيون فى علم القراءات عند المشاركة. وهو كتاب تعليمى كما يتضح من العنوان. ومقدمة المحقق تعليمية شارحة واضحة أشبه بمذكرات الطلاب. ويعقد جدولاً توضيحياً للأصول النظرية حول المد وأقسامه. ويغيب النظر والتعليل. ولا يعتمد على الشعر أو الحديث أو آراء السابقين.

٨- «الإقناع فى القراءات السبع» للأنصارى (٥٤٠هـ)^(٧)

وهو كتاب نمطى فى علوم القرآن. يبين فى المقدمة تفاضل العلم وتكامله. ويستأنف كتابته «البصرة» للقيسى و«التيسير» للقرشى^(٨). ويتبع القسمة الثلاثية الشهيرة فى علم القراءات: القراء والأسانيد، المذاهب الصوتية، فرش الحروف^(٩). ولأول مرة يكون

-
- (١) الأسانيد ص ٧-١٦. المذاهب الصوتية ص ١٧-٦٠. فرش الحروف ص ٦١-٢٢٠.
(٢) وأهمها: المد والقصر، الإدغام والإظهار، السكون والتنوين، الفتح والإمالة، الوقف والاستئناف، التضييق والتضعيف... إلخ.
(٣) أسماء القراء والرواة عنهم، اتصال قراءتى بهؤلاء الأئمة، اتصال قراءة الأئمة السبعة بالنبي، السابق ص ٢٨-٣٥.
(٤) المد والقصر، الهمزتان، الإدغام والإظهار، السكون والتنوين، الفتح والإمالة، الوقف، اللامات والزوائد، السابق ص ٣٩-٧٦.
(٥) فرش الحروف، السابق ص ٧٧-٢٣٦.
(٦) السابق، ص ٣٥-٣٨.
(٧) الشيخ الإمام أبو جعفر أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى: الإقناع فى القراءات السبع، حفظه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي، قدم له وقرظه د. فتحي عبد الرحمن حجازى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
(٨) السابق، ص ١٣-١٩.
(٩) أسماء القراء وأسانيدهم ص ٢٠-٩٢، المذاهب الصوتية ص ٩٣-٣٦٩، فرش الحروف ص ٣٧٠-٤٨٧.

أكبرها الثاني، المذاهب الصوتية^(١).

ويتهى بالتكبير^(٢). وتساعد الفهارس التفصيلية على اكتشاف بعض الدلالات الخاصة بالآيات أو الأحاديث النبوية والآثار والأشعار^(٣).

٩- «المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر» للنشار (القرن التاسع الهجري)^(٤)

ويدل العنوان على تواتر القراءات السبع وتحررها من الشواذ. وكان التأليف استجابة لمطلب^(٥). وقد اختلفت المذاهب الصوتية بين القراء^(٦). ويخلو الكتاب من أى مقدمة نظرية. لذلك لا يوجد إلا قسم واحد، فرش الحروف سورة سورة. ولا يتجاوز مجرد رصد لاختلافات القراء دون الاعتماد على الحديث أو الشعر.

١٠- «غيث النفع في القراءات السبع» للصفاقسى^(٧)

ومازال التأليف في علم القراءات مستمرًا من القدماء إلى المحدثين، ومن الأموات

(١) القراء: نافع، ابن كثير، أبو عمرو بن العلاء، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي. المذاهب الصوتية: الإدغام الكبير، الإدغام الصغير، الإمالة، الراءات، اللامات، الهمزة، المد، الحركة والسكون، الهاءات، الوقف والابتداء، ياءات الإضافة، كيفية التلاوة وتجديد الأداء.

(٢) السابق، ص ٤٨٨-٤٩٢.

(٣) الأحاديث (١٠)، الأشعار (٤).

(٤) الإمام أبو حفص عمر بن قاسم بن محمد المصرى النصارى المعروف بالنشار: المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، تحقيق أحمد محمود عبد السمیع الشافعى الحفيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٥) «فقد سألتى بعض أصدقائى ومن هو من إخوانى فى الله وأحبائى أن أجمع له كتابا فى القراءات السبع المتواترة التى لا يوجه عليها المنع، وأن أذكر ما لكل شيخ أداءه من الخلاف وأن تكرر»، السابق ص ١٦.

(٦) «فبالذكر قد أخبر الله تعالى أن القرآن العظيم تيسر إلا أن يكون الخلاف مما يكثر دوره كالمد والقصر والإدغام الكبير لأبى عمرو، وصلة ميم الجمع لابن كثير وقالون، وهاء الكناية لابن كثير، والنقل لورش، وترقيق الراءات له، وتقليظ اللامات له، والسكت لحمزة، وعدم الغنة لخلف، والفتح والإمالة، وبين اللفظين وأحكام النون الساكنين والتثنية، ووقف حمزة وهشام على الهمز، ووقف الكسائي على هاء التأنيث...»، السابق ص ١٦.

(٧) ولى الله سيدى على النورى الصفاقسى: غيـث النفع فى القراءات السبع، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

إلى الأحياء. وكان الموضوع مازال مطروحاً ولم يصبح علماً تاريخياً خالصاً. يبدأ بمقدمة إنشائية عن علم القرآن اعتماداً على القرآن والحديث في فضل تعلم القرآن وتعليمه. ألف فيه القدماء متوناً وشروحات مشهورة مثل «الشاطبية». فقد تواترت القراءات عن النبي الذي أبلغ نزول القرآن على سبعة أحرف، سواء في صيغة بسيطة أو في صيغة مركبة يطالب فيه جبريل بالتخفيف على أمته من حرف إلى سبعة كما هو الحال في الصلاة ونزولها من خمسين إلى خمس طبقاً لخبرات الأنبياء السابقين، وعدم تكليف ما لا يطاق. والتواتر شرط في صحة القراءة الصحيحة دون الشاذة. وشرط المقرئ الإسلام والعقل والبلوغ، بالإضافة إلى إخلاص النية لله وتحسين الهيئة والملابس اللائقة. ويقرأ المقرئ على الشيخ عدة قراءات وعديد من الروايات مع اتباع مذاهبهم في القراءة مع حفظ الكتاب عن ظهر قلب ومعرفة الخلاف الواجب والتمييز بينه وبين الخلاف الجائز، ومعرفة طرق كتابته إذا قرأ من خط اليد^(١). وبدلاً من المذاهب الصوتية تذكر مصطلحات الكتاب^(٢). ثم يأتي فرش الحروف الذي يستغرق الكتاب كله^(٣). ويظهر القليل من علم الأصوات داخل كل سورة مثل المدغم والممال مع تحديد مكان السورة مكية أم مدنية. وتُضاف بعض الأقسام الفرعية مثل: تفريع، تنبيه، تكميل، فائدتان، فوائد، ويعتمد على الشعر، أبيات معدودة أم قصائد طوال^(٤).

ب- تعدد اللهجات

وقد أنزل القرآن على سبعة أحرف بنص الحديث. فما هو الحرف؟ وما هي الأحرف؟ وقد اختلفت الآراء إلى أن وصلت إلى الأربعين: وهو إشكال لا حل له لأن الحرف يقال على حرف الهجاء والكلمة والمعنى والجهة. وقد تكون الحروف هي القراءات أو كيفية النطق في التلاوة صحيحة أم شاذة. وقد يراد بها الأوجه التي يقع بها التغير^(٥). وقد يكون المقصود الاختلاف في النحو والإعراب طبقاً لفهم المعنى. وقد يكون المراد

(١) السابق ص ٣-١٣.

(٢) السابق ص ١٤-١٧.

(٣) السابق ص ٢١-٣٤٠.

(٤) الأشعار (٨٠)، القصيدة الطويلة، ص ١٣٤-١٣٦.

(٥) الإنقان جـ ١/ ١٣١-١٤١.

سبعة من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة. وقد يكون المراد سبع لغات مختلفة وليس فقط لهجات متعددة للغة واحدة. وكلها عربية^(١). وقد تعنى اللغة الجانب التشريعى فى صيغ الخطاب^(٢). واختلف العلماء فى هذه الأحرف السبعة بين القراءات واللهجات من الصوتيات وهو ما اتخذ علم القراءات إلى المعانى ومستويات العمق عند الفلاسفة والصوفية أهل التأويل^(٣).

فماذا تعنى هذه القراءات السبع؟ هل هى الحروف فى الحديث الشهير أو لهجات القبائل العربية أو سبعة أنواع من القرآن أو سبع لغات عربية أو سبعة أوجه من المعانى المتفقة أو بعض الآيات أو سبعة أحرف مختلفة معانيها أو أنها ضرورة انتهى عصرها أو علوم القرآن أو مباحث الألفاظ أو أساليب البلاغة أو أوجه النحو أو طرق التلاوة أو المقامات والأحوال الصوتية؟^(٤). والتساؤلات حول هذه الأحرف السبعة كثيرة: معناها، ووجه إنزالها، اختلافها، مكانها فيه أم فى لهجات الأمصار... إلخ^(٥).

ولا تعنى اللغة هنا اللسان، العربى أو الأعجمى بل اللهجة أو الحرف طبقاً للحديث الشهير «أنزل القرآن على سبعة أحرف». فقد نزل القرآن باللهجة قريش وراجعها عدة مرات. وتعنى الأحرف السبع لهجات الأمصار أى القراءة وليس مباحث الألفاظ والمعانى أو الإثبات والحذف أو تبديل الأدوات أو التوحيد والجمع أو التذكير والتأنيث أو الاستفهام والخبر أو التشديد والتخفيف أو الخطاب والإخبار أو الإخبار عن النفس وغير النفس أو التقديم والتأخير أو النفى والنهى أو الأمر والإخبار أو تغيير الإعراب أو الحركات اللوازم أو التحريك والتسكين أو الاتباع وتركه أو الصرف وتركه بل

(١) وهى لغات قريش، وتميم، وهذيل، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر.

(٢) مثل: الأمر والنهى، والحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والتاسخ والنسوخ، والمجمل والمفسر، والمستثنى والمستثنى منه.

(٣) عند البعض الآخر هى: تصريف الأسماء، تصريف الأفعال وجوه الإعراب، النقص والزيادة، التقديم والتأخير، الإبدال، اللغات واللهجات وهو الأصح، ابن غليون: التذكرة فى القراءات، مقدمة المحقق، ص ٦-٧. «باب ذكر الخبر الوارد عن النبى بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان ما ينطوى عليه من المعانى ويشتمل عليه من الوجوه»، جامع البيان، ص ٢٠-٣٦.

(٤) البرهان ج١/ ٢١١-٢٢٧.

(٥) جامع البيان ص ٢٣.

اختلاف اللغات والتصرف في اللهجات^(١). ويقرأ القرآن في أمة أمية. سماعا وليس كتابة. ويقرؤه الرجل والمرأة والغلام والشيخ والسيد والجارية. ولكل طريقته في القراءة وصوته ومخارج حروفه وإقليمه وقيلته في مجتمع بدوى ولدى قبائل رحل وأثناء الحج من كل فج وصوب^(٢).

وقد تعنى الجانب البلاغى^(٣). وقد تنطبق على علوم الصوفية^(٤). وقد يراد بها موضوعات الكلام أى علم. أصول الدين ونظرية الذات والصفات والأفعال والأسماء^(٥).

وقد يكون الهدف من هذه الحروف السبعة إقرار التعددية في القراءة وإدخال الصوت الإنسانى والاعتراف باللهجات الإقليمية داخل اللغة الواحدة للتخفيف على الناس. فقد أقر الرسول كل قراءة على اختلاف القراءات وتباينها. وقال لكل قارئ «أصبت»، «كل شاف كاف»، «كلاهما محسن». فكما أن الصواب في الاجتهاد متعدد فكذلك القراءة للنص متعددة وإلا وقع الخلاف كما وقع في العقائد بناء على حديث «الفرقة الناجية». وقد تم التعلم من تجارب الأمم السابقة «إن من قبلكم اختلفوا فأهلكهم ذلك».

وقد يتدخل الخيال من أجل الإيحاء بالتخفيف بمراجعة الملائكة مثل مراجعة

(١) اعتيادا على حديث: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر أمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال إلى آخره في السبعة أحرف»، السابق ص ٢٥-٣٦.

(٢) وهو معنى حديث: «لقيت جبريل عند أحجار المراء. فقلت: يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفانى الذى لم يقرأ قط. قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف»، جامع البيان ص ٢١. وهو معنى حديث: «اقرأوا كما علمتم»، السابق ص ٣٣.

(٣) مثل: الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والاستعارة والتكرار، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب وهى أساليب الكلام مثل التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والإفراد، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات. السابق ص ١٣٧-١٣٨.

(٤) مثل: الزهد والقناعة مع اليقين والجزم، والخدمة مع العطاء والكرم، والقنوة مع الفقر والمجاهدة والمراقبة مع الخوف والرجاء، والتضرع والاستغفار مع الرضا والشكر، والصبر مع المحاسبة والمحبة، والشوق مع المشاهدة، السابق ص ١٣٨.

(٥) وهى: الإنشاء والإيحاء، والتوحيد والتنزيه، وصفات الذات، وصفات الفعل، والعفو والعذاب، والحشر والحساب، والنبوات، السابق ص ١٣٨.

ميكائيل الحديث الأول عن حرف واحد ثم حرفين حتى الوصول إلى سبعة أحرف. مثل مراجعة جبريل الرسول ليلة الإسراء والمعراج في عدد مرات الصلاة، وإنزاله من خمسين إلى خمس بناء على تجارب الأمم السابقة^(١). لذلك في بعض الصياغات «فاقرءوا ما تيسر منه». ويظهر الرسول في المنام لتثبيت قراءة القارئ^(٢). وقد يدخل جبريل وميكائيل معا لمراجعة الرسول والتأكيد على تعددية القراءة. جبريل على يمينه وميكائيل على يساره. الرسول هو الذى يطلب الاستزادة من عدد القراءات. من واحد إلى اثنين إلى ثلاث إلى خمس إلى سبع، وهى أعداد فردية أشبه بمقامات الصوفية وزوجية باستثناء الأربع. وفي كلتا الحالتين هى مقولية حسابية تقف على العدد الرمزي في الشرق القديم سبعة وفي القرآن، سبع سموات وسبع أرضين، وسبع ليال وفي الثقافة الإسلامية في مختلف علومها. وهل حجم الملاك مثل حجم الرسول وجناح جبريل في الإسراء والمعراج ما بين السموات والأرض؟ والرسول يستغيث بميكائيل لمراجعة جبريل نوع من التصوير الفني والإخراج المسرحي^(٣). وفي إخراج آخر يدخل العذاب والرحمة كعامل محدد لعدد القراءات أو التعجيل والإسراع^(٤).

(١) مثل «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستريده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، جامع الأصول ص ٢٠. وفي صياغة أخرى «حين لقى جبرائيل عليه السلام فقال له: إنني ارسلت إلى أمة أمية... فقال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف». وفي صياغة ثالثة قال جبريل: «إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقال الرسول: أسأل الله المعافاة والرحمة. إن ذلك ليسق على أمتي ولا يستطيعونه. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقال له مثل ما قال له في الأولى حتى انتهى القرآن إلى سبعة أحرف». «فمن قرأ بحرف منها فقد أصاب»، جامع البيان ص ٢٥.

(٢) السابق ص ٤٩، النشر في القراءات العشر ج ١ / ٢٣، منار الهدى ص ١٨.

(۲) هو حديث: «أتاني جبريل وميكائيل فقعده جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل: بسم الله أو يا محمد اقرأ القرآن على حرف. فنظرت إلى ميكائيل فقال: استزده فقلت: زدني، فقال: بسم الله اقرأه وهـ على حرفين، ثلاثة أحرف. فنظرت إلى ميكائيل فقال: استزده فقلت: زدني. قال: بسم الله اقرأه على خمسة أحرف. فنظرت إلى ميكائيل. فقال: استزده. فقلت: زدني. قال: بسم الله = اقرأه على ستة أحرف. فنظرت إلى ميكائيل فقال: استزده. قلت: زدني. فقال: بسم الله اقرأه على سبعة أحرف، جامع البيان ص ۲۲.

(٤) مثل حديث: «نظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه قد انتهى العدة. فقال جبريل: اقرأه على سبعة أحرف كلهن شاف كاف لا يضرك كيف قرأت ما لم تختم رحمة بعداب أو عذابا برحمة» أو «ما لم تختم آية رحمة بعداب أو آية عذاب بمغفرة» أو بزيادة «هلم وتعال وأقبل وأسرع واذهب وعجل»، جامع البيان ص ٢٢.

ليست القراءات السبع الموجودة الآن بل تنوع القراءات على مدى العصور^(١).
ليست قراءات تاريخية لقراء معينين^(٢). فلا يقال قراءة فلان أو فلان.

٤ - التاريخ والرمز:

ولماذا تتوقف القراءات على سبع ولا تستمر إلى عشر أو إحدى عشرة أو أربع عشرة؟
هل العدد سبع تاريخي أم رمزي؟ ليس المراد بالسبعة الحصر بل التعدد دون حصر. فإذا
كان المقصود اللهجات فالقبائل أكثر من سبع؟ وهل القبائل هي التي وجدت في شبه
الجزيرة العربية وقت الإعلان والتبليغ أم هي القبائل في كل زمان ومكان؟.

وقد كثرت التأليف في الموضوع وأهمها:

أ - «المبسوط في القراءات العشر» للأصبهاني (٣٨١هـ)^(٣)

وتتعدد القراءات بين السبع، وهي الأشهر، والعشر، والأربع عشرة. ويخلو من
آية مقدمة نظرية. بل يكتفى بالروايات والأسانيد للقراءات على تتبعها سورة سورة،
وآية آية. والثاني أضعاف الأول حجماً^(٤). وفي الأسانيد يذكر القراء وأماكنهم وأسانيد
كل قارئ، وقرأ على من؟ ومثل الرواية سمع من من؟ ومعظمها أساء أعلام دون
جرح أو تعديل. وبمناسبة اختلاف القراء تذكر بعض الاختلافات المشابهة^(٥). وتذكر
بعض المذاهب الصوتية من خلال عرض اختلافات قراءات السور على التوالي. فيذكر

(١) الإتيان ج ١ / ٢٣٣ - ٢٢٦ / ٢٢٩.

(٢) «وقال أبو بكر بن العربي: ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها»، السابق ص ٦٢٣. «وقال
مكي: من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط غلطاً
عظيماً»، السابق ص ٢٢٤. «وقال القرابي في الشافي: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه
أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر وأوهم أنه لا يجوز الزيادة على ذلك، وذلك لم يقل
به أحد»، «وقد اشتهر إنكار أئمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير
والشاطبية»، السابق ص ٢٢٥.

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني: المبسوط في القراءات العشر، تحقيق وتعليق جمال الدين محمد
شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) الروايات والأسانيد (٣٨)، السور والحروف (٢٤٨).

(٥) السابق ص ٤٢ - ٤٣.

المذهب في الإدغام والإظهار أثناء قراءة السور، والمذهب في الهمز وحذفه، والتفخيم والإمالة والمد، واجتماع الهمزتين في أول الكلمة، ومذهب حذف الياءات وإثباتها، وفتح الياءات وإسكانها. وكلها استقرات في سورة البقرة^(١). ثم يتكرر إثبات الياء وفتحها في عشرات السور الأخرى. وكلها من كلام العرب^(٢). والسؤال الآن: ما فائدة ذلك كله بعد أن استقرت القراءات؟ هل هي دراسات تاريخية خالصة قبل أن تستقر عما قد يوحى بالشك في القراءات الحالية كما يفعل المستشرقون في التدوين عن طريق الكتابة والخط للتشكيك في مصحف عثمان؟ ولماذا يدرس حتى الآن في المعاهد والكلديات الأزهرية؟ ربما ترجع أهميته إذا أثر في فهم المعنى، وبالتالي يكون أدخل في علم التفسير.

ب- «الغاية في القراءات العشر، الترجيح بينها بالأدلة والبراهين» لابن مهران (٣٨١هـ)^(٣)

وهو نفس عنوان «الحجة». وبالرغم من أنه رصد سورة بسورة وآية بآية إلا أنه محاولة تنظيمية مبدئية داخل سورة البقرة حول الإدغام والإمالة^(٤). وكذلك حول حذف الياء وإثباتها وفتح الياءات وإثباتها^(٥). ولكل قراءة أسانيد كما هو الحال في علم الحديث. والسند مجرد ذكر أسماء الأعلام وليس خصائص القراء. وتوجد قراءات متعددة داخل كل رواية. كما توجد طرق متعددة داخل كل قراءة^(٦). وقد تم التأليف استجابة لسؤال مما يدل أن علم القراءات فرض الواقع والاختلافات في النطق^(٧). أحيانا

(١) السابق ص ٤٤-٥١ / ٥٥-٥٥ / ٦١-٦٢ / ٦٣-٦٣ / ٦٤-٦٥ / ٦٦-٦٦ / ٨٦-٨٧ / ٨٧-٨٧ / ٩٠-١٠٦ / ١١٠-١٢٠ / ١٢٠-١٢٨ / ١٣١.

(٢) السابق ص ٩٨ / ١١٠ / ١٢٠ / ١٢٨ / ١٣١ / ١٣٥ / ١٣٩ / ١٤٣ / ١٤٧ / ١٥٣ / ١٥٥ / ١٦٣ / ١٧١ / ١٧٥ / ١٨١ / ١٨٤ / ١٨٨ / ١٩٢ / ١٩٩ / ٢٠٢ / ٢٠٧ / ٢١٠ / ٢١٩ / ٢٣٠ / ٢٣٢ / ٢٣٢ / ٢٤١ / ٢٤٢ / ٢٤٦ / ٢٤٧ / ٢٥٧ / ٢٦٣ / ٢٦٥ / ٢٨٣.

(٣) الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران: الغاية في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧-١٤٢٨هـ ص ٧-١٠٣.

(٤) السابق ص ٣٢-٤٧.

(٥) السابق ص ٩٩-١٠٣.

(٦) «فهذه أسانيد القراءات التي أقرناها، وأخذناها لفظا اختصرناها كراهة للإطالة فيها. وسيأتي بعدها الحروف واختلافهم في كل سورة»، السابق ص ٣١.

(٧) «سألت أسعدك الله أن أجمع لك القراءات التي قرأت بها لفظا بجميع الروايات التي وجدتتها نقلا عن ذكر

تكون القراءات سبع، وأحيانا أخرى عشر. ولا يعتمد إلا على القرآن دون الحديث أو الشعر أو كلام العرب وعاداتهم في القول.

ج- «المستنير في القراءات العشر» لابن سوار (٤٦٩هـ)^(١)

قد لا يتفق اسم الكتاب «المستنير» مع منهجه في الرواية والأسانيد. فالاستنارة تعنى أعمال العقل وإذا كانت القراءة إبداعا وأداء فكيف تنقل بالأسانيد؟ والمقدمة في أهمية علم القرآن بوجه خاص وطلب العلم بوجه عام، وأفضلية العلم على العبادة، وأنه أسهل طريق إلى الجنة. ثم يتوجه العلم بحديث نزول القرآن على سبعة أحرف بصياغاته المختلفة ابتداء من الحسية إلى الخيالية. ثم تأتى أهمية إتباع السنة في القراءة، وأهمية إعراب القرآن، وخطورة اللحن فيه. وللقرآن وتعليمه فضل^(٢). وينقسم الكتاب إلى القسمة الثلاثية المعروفة في علوم القرآن: الأسانيد، والمذاهب الصوتية، وفرش الحروف^(٣). وتذكر عشرة أسانيد^(٤). والمذاهب الصوتية سابقة على الفاتحة والبقرة^(٥). وينتهي فرش الحروف بالتكبير^(٦). وتظهر مصطلحات جغرافية لعلم الأصوات مثل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة^(٧). ونادرا ما يعتمد على الشعر^(٨).

-
- الأسانيد وأن اختصرها بألفاظ لطيفة وتراجم موجزة خفيفة لتقرب على متحفظها وتسهل فلا تطول، وتكثر فتقل، فأجبتك مستعينا بالله...، السابق ص ٧.
- (١) الإمام أبو طاهر بن سوار: المستنير في القراءات العشر، اعتنى به وعلق عليه جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٢ م.
- (٢) السابق ص ٢٤-٣٨.
- (٣) الأسانيد ص ٣٩-١٥٨، المذاهب الصوتية ص ١٥٩-١٩٨، فرش الحروف ١٩٩-٤٤٩.
- (٤) عبد الله بن كثير المكي، نافع بن أبي نعيم، عبد الله بن عامر اليحمصي، أبو عمرو بن العلاء، أبو بكر عاصم بن أبي النجود، أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات، أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، أبو جعفر يزيد بن القعقاع، يعقوب بن إسحق الحضرمي، محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب.
- (٥) مثل النون والتنوين، الهمز، والسكون والحركة، الوقف والابتداء، الإمالة... إلخ.
- (٦) السابق ص ٤٥٠-٤٥١.
- (٧) السابق ص ٢٣.
- (٨) السابق ٣٩.

د- «الكنز في القراءات العشر» للواسطي (٧٤٠هـ)^(١)

ويمثل أعلى درجة من التنظير في علم القراءات^(٢). يدور حول الأقسام التقليدية الثلاثة. الأول أسماء الأئمة وبلادهم ورواتهم وأسانيدهم^(٣). والثاني الأصول النظرية^(٤). والثالث فرش الحروف^(٥). وأكبرها كالعادة الثالث والثاني. وأصغرها الأول^(٦). والمؤلف على وعى بهذه القسمة الثلاثية: المقدمة والأصول وفرش الحروف. ويدور كله حول الإدغام كرابط موضوعي بين العرض الطولي، سورة سورة وآية آية. والأصول عشرة. والمؤلف على وعى ببنية الكتاب الثلاثية^(٧). وسبب التأليف إبداع نوعي أدبي جديد يتعد عن الاختصار والإطالة وينحو نحو الوضوح^(٨). يعتمد على الشعر دون الحديث^(٩). ويخلو من الحجج والتعليل. ويبرز طريقة المصريين الذين عرفوا بفن التجويد.

هـ- «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٨٣٣هـ)^(١٠)

وعلى عكس «الكنز» وقدرته على التنظير، يأتي مسهباً مطولاً جامعاً مواد من كتب

(١) الإمام العلامة الشيخ عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه الواسطي: الكنز في القراءات العشر، تحقيق هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) أسماء الأئمة وبلادهم ورواتهم وأسانيدهم، السابق ص ١١ - ٣٥.

(٣) قواعد الكتاب، مخارج الحروف وصفاتها، همس، الأصول عشرة: الإدغام والإظهار، هاء الكناية، الهمز، المد والقصر والوقف على الساكن، الإمالة كانت لاما في الأسماء والأفعال، تريقق الرءاءات وتفخيمها، تغليظ اللامات وترقيقها، الوقف، الياءات، والعاشر في الاستعاذة والبسملة والتكبير عند ابن كثير، السابق ص ٣٦ - ١٢٣.

(٤) السابق ص ١٢٤ - ٢٧٠.

(٥) الأول (٣٠)، الثاني (٨٣)، الثالث (١٤٧).

(٦) السابق ص ١٠.

(٧) وقد ألف أئمة القراء في هذا العلم كتباً كثيرة عداً. غير أنها مختلفة بين مختصر غل بالمقصود أو مطول جداً. فرأيت أن أصنف لك أيها الطالب كتاباً جامعاً بين الوضوح والاختصار في قراءات السبع أئمة الأمصار، السابق ص ٩.

(٨) الشعر (٢).

(٩) السابق ص ٢٣ - ٢٤ / ٣٤ / ٤٣.

(١٠) الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري: النشر في القراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ (جزءان).

سابقة مع ذكره لها تباعا لذلك تضخم كما. وتسند أصول الكتاب^(١). ويتبع أسلوب «قلنا. قلت» الأسلوب المملوكي للحوار مع النصوص السابقة المقتبس منها^(٢). قرأها على مشايخه، وأجازوا له النقل عنها. لذلك ينقص الإبداع ويفرق بين الكتاب والمفردة التي قد تكون مجرد كراسة أو كتيب أو نسخة وحيدة. والكتب ليست مرتبة ترتيبا زمانيا مما يدل على غياب وعي التاريخي. ويعتمد على الشعر دون الحديث^(٣). ويظهر نوع أدبي جديد هو «تنبيهات»^(٤). ويقوم على أربعة أقسام. الأول عرض الكتب السابقة^(٥). والثاني القراءات العشر وأسانيدھا^(٦). والثالث بعض الأصول النظرية^(٧). وبين الثاني والثالث الاستعاذة والبسملة^(٨). وفي الرابع وتظهر أصول على الأصوات^(٩). كما تظهر مفاهيم علم أصول الفقه^(١٠).

و- «تخبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة» للجزري أيضا (٨٣٣هـ)^(١١)

يتم التركيز هذه المرة أكثر من الكتاب السابق حتى ليبدو وكأنه ملخص له. يتبع نفس التقسيم الثلاثي: الأول القراء والأسانيد والأنساب والكنى والبلدان وسيرتهم

(١) السابق ج١ / ٧.

(٢) السابق ص ٦١ - ٨٢.

(٣) الشعر (٣٦). ش.

(٤) تنبيهات (٢٣).

(٥) ثلاثة وخمسون كتابا وثلاث مفردات، النشر ج١ / ٥٠ - ٨١.

(٦) السابق ج١ / ٨٢ - ١٥٦.

(٧) صفات الحروف، التجويد، الوقف والابتداء، الإدغام والإظهار، الهاء، المد والقصر، الهمز، التنوين والسكرن، مخارج الحروف، الفتح والإمالة، الوقف والابتداء، التغليب والترقيق، مرسوم الخط، الباء، اللام. السابق ج١ / ١٥٧ - ٣٧٨. ج٢ / ٣ - ١٥٤.

(٨) السابق ج١ / ١٩٢ - ٢١٢.

(٩) السابق ج١ / ١٦٠ - ١٧٧.

(١٠) السابق ص ٢١٩ / ٢٨١.

(١١) الإمام المحقق محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري: تخبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، كتب هوامشه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م (ويحمل الناشر تقويس الآيات القرآنية).

الذاتية^(١). والثاني المذاهب اللغوية^(٢). والمذاهب رجال، والرجال مذاهب مثل حمزة وورش. والثالث فرش الحروف^(٣). وأكبرها الثالث كالعادة ثم الثاني، وأصغرها الأول^(٤). وبين الأول والثاني تذكر الاستعانة والتسمية وأم القرآن^(٥). وفي النهاية يذكر التكبير في قراءة ابن كثير^(٦). وفي المقدمة يذكر سند الكتب وإرجاعه موصولا إلى الداني^(٧). وقد تم التأليف استجابة لمطلب^(٨). ويعتمد على القرآن وحده دون الحديث أو الشعر.

ز- «الروضة في القراءات الإحدى عشرة» للبغدادى المالكي (٤٣٨هـ)

سفر ضخمة^(٩). يتضمن ثلاثة أقسام نمطية غلبت على معظم المؤلفات في علم القراءات: الأول الروايات والأسانيد والقراءات، والثاني الأسس النظرية في علم الأصوات أو الأصول، والثالث فرش الحروف إلى التطبيق العملي لها سورة سورة

(١) أسماء القراء وأنسابهم وبلداتهم وكنابهم وموتهم، السابق ص ١٣ - ٣٧.

(٢) الإدغام، الكناية، المد والقصر، الهمز، الوقف والابتداء، الفتح والإمالة، الرءاءات، اللامات، وأخر الكلم، مرسوم الخط، السكون والحركة، الإضافة والزوائد، السابق ص ٤١ - ٨٤.

(٣) السابق ص ٨٥ - ٢٠٢.

(٤) الأول (٣١)، الثاني (٤٧)، الثالث (١٢٠).

(٥) السابق ص ٣٨ - ٤٠.

(٦) السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٧) السابق ص ٩ - ١٢.

(٨) «فإنكم سألتوني.. أن أصنف لكم كتابا مختصرا في مذاهب القراء السبعة بل العشرة بالأمصار، يقرب عليكم تناوله ويسهل حفظه ويخف عليكم درسه ويتضمن الروايات والطرق ما اشتهر وانتشر عند التالين وصح وثبت عند المتعدين من الأئمة المتقدمين.. واعتمدت في ذلك على الإيجاز والاختصار وترك التطويل والتكرار وقربت الألفاظ وهذبت التراجم ونهيت على الشيم بما يؤدي إلى حقيقته من غير استغراق لكى يوصل إلى ذلك في سر ويتحفظ من قرب..»، السابق ص ١٢.

(٩) أبو على الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى المالكي: الروضة في القراءات الإحدى عشرة، دراسة وتحقيق د. مصطفى عدنان محمد سلمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا (جزءان). ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م. وهي رسالة علمية مقدمة للنشر والتحقيق، ونشر مشترك بين السعودية وسوريا. تختلف فيها بعض عناوين الفهرس مع بعض عناوين الكتاب.

وآية آية^(١). أكبرها الثالث ثم الثاني وأصغرها الأول^(٢). مهمة الأول معرفة الرواة عن طريق ترجمتهم أى سيرهم الذاتية^(٣). ونسبتهم إلى أسماء المدن والأمصار مما يبين أهمية اللهجات فيما يمكن تسميته علم الجغرافيا اللغوى مثل علم النفس اللغوى^(٤). وقد انتهى هذا العصر، ولم نعد فى عصر هؤلاء الرجال. فهو جزء تاريخى خالص. والثانى فى علم الأصوات مع ضرب الأمثلة^(٥). وهو ما لا يغنى عن دراسة الموضوعات. وكل فرد، مثل حمزة أو الكسائى مذهب لغوى. فعلماء اللغة مذاهب مثل مذهب حمزة فى الهمزة^(٦). ويتم تفصيل الهمزة وأنواعها، والساكن والمتحرك، والوقف بالروم والإشباع، والإدغام الكبير والصغير، والمد والقصر.. إلخ. أما الجزء الثالث، فرش الحروف فيبدأ بالتحديد المكانى للسورة، مكية أو مدنية مما يدل على ارتباط القراءات بأسباب النزول. وهو مجرد استعراض طولى لاختلاف القراءات بعد وضع أصولها الصوتية وضبط روايتها وأسانيدها. فبالرغم من أن كل آية مسألة إلا أنها لم تتحول إلى موضوع، وبالتالي اختفت البنية وغاب العرض الموضوعى. وتبدأ كل مسألة بأفعال «قرأ»، «روى»، «تفرد»، إذا شذت القراءة عن الإجماع. وأحيانا تبدأ بأفعال تدل على الاختلافات فى القراءة مثل «اختلفوا»، «انقسموا». ومن ثم لم تعد الحاجة إلى القسمة إلى أبواب وفصول طالما لا توجد موضوعات بل مجرد رصد لآيات. وإذا غابت فلعدم وجود موضوع. وإن وجدت فإنها مسألة صغيرة مثل فصل ذكر التكبير^(٧). وقد تم التأليف بناء على سؤال مما

(١) الأول: الأئمة ومن روى عنهم، ترجمة الأعلام، الأسانيد: نافع، ابن كثير، ابن عامر، عاصم، أبو عمرو، حمزة، الكسائى، أبو جعفر، يعقوب الحضرى، الأعمش، خلف. ج١/ ١١٠-١٧٩. والثانى الأصول: الهمزة، الإدغام، الإمالة، الياءات، التسمية، ج١/ ١٧٩-٥١٧. والثالث فرش الحروف من الفاتحة حتى الإخلاص ج٢/ ٥١٧-١٠٠٤.

(٢) الأول (٦٩)، الثانى (٣٣٨)، الثالث (٤٨٨).

(٣) الروضة ج١/ ١٢٧-١٧٩.

(٤) علم النفس اللغوى Psycho-linguistics. علم الجغرافيا اللغوى Geo- linguistics.

(٥) وهو ما يمكن تسميته علم اللغة التطبيقى Applied Linguistics أو علم الأصوات التطبيقى Applied

Phonetics.

(٦) الروضة ج١/ ٢٣١-٢٥٥.

(٧) السابق ج٢/ ٩٩٥-٩٩٦.

يدل أن علم القراءات نشأ طبقاً لحاجة محلية صرفة^(١). ويعتمد على القرآن أولاً ثم على الشعر بصورة أقل دون الحديث^(٢).

ح- «إنحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر» للبناء (١١١٧هـ)^(٣)

وهي دراسة لعلم القراءات مقسمة التقسيم الثلاثي الشائع: أسماء القراء وأسانيدهم، مذاهب الأصوات خاصة الإدغام، فرش الحروف أى التطبيق العملى سورة سورة وآية آية. وأكبرها هو الثالث كالعادة. والإدغام هو الموضوع لأنه ضم حرفين في صوت واحد^(٤). وفي مقدمة نظرية صغرى يتم تعريف علم القراءات، موضوعه، واستمداده، وفائدته، وغايته^(٥). وينتهى بالتكبير^(٦). ثم تأتى قائمة فيما يتعلق بختم القرآن العظيم^(٧). مما يدفع إلى التساؤل هل القرآن كتاب دراسة في علوم القرآن أم كتاب عبادة وأدعية وإبتهالات كما هو الحال في الممارسات الشعبية الآن؟ ويعتمد على الشعر دون الحديث^(٨). ويركز على الاختلاف أكثر من الاتفاق دون إحساس بالحرج، وأفضل من تضخيم الاستشراق للاختلاف للشك في الصحة التاريخية لنص القرآن أسوة بالكتب المقدسة السابقة.

٥- المشهور والشاذ:

وهو أحد موضوعات علم القراءات^(٩). القرآن الوحي المنزل على محمد لليان

(١) «سألت.. أن أجمع لك ما نثرته في الخلافات من القراءات التى تلوت بها على شيوخ أهل العراق ذوى الساعات والإجازات والتلاوة على غيرهم من الشيوخ. وقد أجبتك على سؤالك»، الروضة ج١/ ١٠٩.

(٢) الشعر (٣).

(٣) العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطى الشهير بالبناء: إنحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.

(٤) الأسماء ص ٩-٢٧، المذاهب الصوتية ص ٢٨-١٥٨، فرش الحروف ص ١٥٩-٦٠٩.

(٥) السابق ص ٦-٩.

(٦) السابق ص ٦١٠-٦١٥.

(٧) السابق ص ٦١٦-٦٢٠.

(٨) الشعر ص ٥١ / ١٠٦ / ١٩٨ / ٢٧٥ / ٢٨١ / ٣١٤ / ٣٣٥.

(٩) البرهان ج١ / ٣١٨-٣٣٨. وقد أُلّف فيه أبو عمرو الداني كتاب «التيسير»، ونظمه الشاطبى في لاميته،

والإعجاز قبل سماعه وقراءته وتحويله إلى صوت. والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحى في قراءة أو كتابة الحروف من تخفيف وتثقيل، والترجيح بينها واختيار أحدها دون الأخرى. وهو مناقض لتعددية القراءات^(١). وإذا اختلف إعرابان لا يفضل أحدهما على الآخر وكان المعنى التداولى هو المحك في استعمال الناس. في حين أنه في علم أصول الفقه الترجيح أحد طرق رفع التعارض^(٢). وتوجيه القراءات وبيان أهم ما ذهب إليه كل قارئ دليل على حسب المدلول عليه أو مرجح دون إسقاط القراءة الأخرى لأن كليهما متواترتان^(٣).

والقراءات السبع متواترة عند الجمهور أو مشهورة. لذلك لا يجوز العمل بالقراءة الشاذة^(٤). في حين أنه في خبر الأحاد يجوز العمل به ولكنه يظل من حيث النظر ظنى الدلالة. والقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وبيان معانيها.

والخلافاً في علوم القرآن كثيرة سواء في النص المكتوب أو في القراءة الشفاهية مما يدل على أهمية الحوامل بالنسبة للمحمول. ولا يُوجد حل يقينى لهذه الخلافات. تعتمد على الروايات أكثر مما تعتمد على التحليل، على النقل وليس على العقل. والسؤال هو: كيف تستطيع الذاكرة أن تعي كل هذه الروايات والاختلافات في القراءات والأسانيد؟ وهو ما يدعو إلى التفكير في التحول من العلوم النقلية إلى العلوم العقلية ثم من العلوم العقلية إلى العلوم الإنسانية واللغة التداولية. إذا اختلفت القراءات تحسم بلغة قریش التي نزل بها القرآن^(٥). فاللغة هنا تدخل كعامل مرجح في القراءات:

وأبو جعفر بن الباقر كتاب «الإقناع»، وأبو الكرم الشهرزورى كتاب «المصباح» في القراءات العشر، السابق ص ٣١٨.

(١) الإقناع ج١/ ٢٨٨-٢٢٩.

(٢) من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص ٤١٢-٤٢٢.

(٣) البرهان ج١/ ٣٣٩-٣٤١، وقد صنف فيه أبو على الفارسى كتاب «الحجة» ومكى كتاب «الكشف»، والمهدوى كتاب «المهداية»، وابن جنى كتاب «المحتسب»، وأبو البقاء.

(٤) الإقناع ج١/ ٢٨٨ / ٣٤١، البرهان ج١/ ٣٣٦-٣٣٨.

(٥) الإقناع ج١/ ١٦٩.

واختلافات القراءات نوعان: نوع يخل بالمعنى وهو الأهم، ونوع لا يخل بالمعنى بل مجرد رصد لغوى لا يؤثر في فهم المعنى^(١). واختلاف القراءات هي أحد أسباب اختلاف الأحكام^(٢).

ويرجع اختلاف القراء إلى عدة أوجه: إعراب كلمة دون تغيير معناها، وإعرابها مع تغيير معناها، تبديل حروف كلمة دون إعرابها، الاختلاف في الكلمة بما يغير صورة الكتابة دون معناها، الاختلاف في الكلمة بما يغير صورة الكتابة ويغير معناها، التقديم دون التأخير، الزيادة والنقص في الحروف والكلمات^(٣).

ولاختلاف القراءات بعض الفوائد منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة وعدم إخضاع الوجدان البشرى للحرف. فالحرف صوت يسمع أو رسم ينظر، والوجدان إحساس وحياة^(٤). وهو فضل الأمة، وشرفها على غيرها من الأمم التي وقعت في حرفة النصوص. وهنا يكون الصوفية والفلاسفة والمعتزلة وجميع أهل التأويل على حق. وقد فرض التأويل نفسه على باقى الكتب المقدسة السابقة كبديل عن تعدد القراءات. وهو عمل عظيم الأجر لأنه يتطلب الجهد في المعرفة، والذوق في الفهم، والوجدان في الإدراك. يحمى الكتاب من افتراض التحريف والتغيير والتبديل عن طريق إثبات تعدد القراءات. وهو يعادل تعدد الصواب في علم أصول الفقه. وإنكار القراءة الواحدة في علوم القرآن مثل إنكار الفرق الناجية في علم أصول الدين. وقد تكتشف أحد القراءات ما تخفيه قراءة أخرى على مستوى المعانى^(٥).

ويفرح المستشرقون كلما كثرت الاختلافات ليس فقط في القراءات بل في الخطوط لزعة الثقة بالصحة التاريخية للنص كما فعل النقد التاريخي في القضاء على الصحة التاريخية للعهدين القديم والجديد.

(١) الإتيان ج٤ / ٧٨.

(٢) الإتيان ج١ / ٢٢٦-٢٢٨، وذلك مثل الاختلاف في نقض الوضوء باللمس بسبب اختلاف القراءة في (المستم) و(لامستم)، وجواز وطأ الحائض عند الانقطاع قبل الغسل أو عدمه بسبب اختلاف قراءة (يطهرن).

(٣) البرهان ج١ / ٢٣٤.

(٤) الإتيان ج١ / ٢٢٧-٢٢٨. مثل (يطهرن) بالتشديد أو التخفيف.

(٥) وهو ما حاوله السيوطي في كتاب «أسرار التنزيل» وقد تكون هذه التعددية في القراءات أحد أوجه الإعجاز.

التأليف في الموضوع:

وقد ازدهر التأليف في تعدد القراءات منها:

١- «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» لابن جنى (٣٩٢هـ)^(١)

وهو كتاب في القراءات الشاذة من أحد كبار علماء اللغة ابن جنى صاحب «الخصائص». يستعرضها سورة سورة، وآية آية بعد مقدمة قصيرة عن معنى الشاذ وما كتب عنه من قبل^(٢). فالقراءة نوعان صحيحة وشاذة. وفي كل منها عدة تأليف^(٣). وما شذ عن القراءات السبعة نوعان: الأول عارض الصنعة لا يهم ولا يدخل في التحليل. والثاني ما شذ عن السبعة، وغمض على الصنعة. وهو موضوع الكتاب. وهى أيضا مرويَات لها أسانيدُها. وبما أن المؤلف لغوى فإنه يعتمد على الشعراء اعتماده على القرآن والشعر بالآلاف، بعدد صفحات الكتاب.

٢- «بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات» للمهدوى (٤٤٠هـ)^(٤)

وهو كتاب صغير الحجم، خال من القسمة إلى أبواب أو فصول. يكثر من الاعتبار على الحجج النقلية. ويتكرر الحديث لاختلاف صياغاته لأهمية الدليل النقلى. وهو إجابة عن سؤال افتراضى «إن قال قائل: ما سبب هذا الاختلاف الذى كثر بين القراءاة فى ألفاظ القرآن؟»^(٥). فقد اشتمل المصحف على جميع الحروف المتزل عليها القرآن^(٦).

(١) أبو الفتح عثمان ابن جنى: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، (جزءان..)

(٢) السابق ج١/ ١٠١ - ١١٠.

(٣) فى القراءات الصحيحة «القراءات السبعة» لابن مجاهد، «الحجة فى القراءات» للفراسى.

(٤) أربعة كتب فى علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ٢٥ - ٣٥.

(٥) السابق ص ٢٥.

(٦) السابق ص ٢٨.

والقراءة المستعملة التي لا يجوز ردها لها شروط ثلاثة: موافقة خط المصحف، عدم خروجها على لسان العرب، وثبوتها بالنقل الصحيح^(١).

٣- «مفردة نافع بن عبد الرحمن المدني» لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)^(٢)

وقد تخصصت دراسات مستقلة عن كل قراءة من القراءات السبع لبيان خصائصها وميزاتها عن القراءات الأخرى. والمؤلف مقرئ. وموضوع الكتاب الاختلاف بين أصحاب نافع الذي أخذوا عنه القراءة تلاوة، وأدوها حكاية^(٣). وتذكر عن كل واحد روايتان إلا عن ورش وقالون ثلاث روايات فيكون المجموع عشر روايات. واليقين من الرواية وليس من علم الأصوات باعتبارها علماً طبعياً يربط بين مخارج الحروف وأدوات النطق اللسان والحلق والأنف والشفتان.

وكعادة كتب القراءات بالرغم من قسمتها إلى أبواب وفصول إلا أنها تضم ثلاثة أقسام: الأول أسانيد الروايات. والثاني مذاهب الأصوات^(٤). والثالث فرش الحروف أي تطبيق مذاهب الأصوات في سور القرآن سورة سورة^(٥). وتبدأ بالخلافات في الاستعاذة والتسمية. والثالث أكبرها^(٦). وبعض السور خالية من الأمثلة^(٧). وتعدد القراءات مقدمة لتعدد المعاني. واختلاف الروايات مقدمة لاختلاف التفسيرات وليس فقط لحسن الأداء في فن التجويد.

٤- «مفردة عبد الله بن كثير المكي» لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)^(٨)

وهي دراسة لقراءة مفردة مع ذكر الاختلافات مع باقي القراءات. والاختلاف

(١) السابق ص ٣٠.

(٢) أبو عمرو الداني: مفردة نافع عبد الرحمن المدني، تحقيق د. هاشم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

(٣) هؤلاء الأربعة هم: إسحاق بن جعفر ابن أبي كثير الأنصاري، إسحق بن محمد المسيبي، عيسى بن مينا قالون، ورش المصري، السابق ص ١٥.

(٤) وهي ضم ميم الجمع، الهزء، المد واللين، الإظهار والإدغام، الإحالة... إلخ. السابق ص ٢٦-٤٨.

(٥) السابق ص ٤٩-٨١.

(٦) القسم الأول (٨)، الثاني (٢٣)، الثالث (٦٦).

(٧) السابق ص ٦٥.

(٨) أبو عمرو الداني: مفردة عبد الله بن كثير المكي، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤١٨هـ-٢٠٠٨م.

أهم من الاتفاق، والتعبير عنه بلفظ ابن كثير^(١). وينقسم كعادة كتب علم القراءات إلى القسمة الثلاثية الشهيرة: الأسانيد، والحروف أى الأصوات ثم فرش الحروف أى تطبيق الأصوات على القرآن سورة سورة، وآية آية^(٢). وهو الجزء الأكبر. وليس فى كل سورة اختلاف^(٣). ويشمل علم الأصوات الموضوعات المعروفة فى كل كتاب بمناسبة سورة البقرة^(٤). فالقراءة هى منطق الرواية الشفاهى كما أن التواتر هو منطق الرواية المدونة. وبالرغم من وجود أبواب لها عناوين فى عبارات شارحة وفصول بلا عناوين إلا أنها لا تخلو من التحليل النظرى. وتكتفى بمجرد رصد اختلاف القراءات بين الروايات^(٥). ولا تتجاوز القراءة التشكيل إلى بيان المعانى. وتنتهى الدراسة بالتكبير الذى يعنى ليس مجرد قول «الله أكبر» بل التعظيم والتهلل والمدح والإطراء بعيدا عن القصد والعمل والعقل. وانفراد القراءة بخصوصيات تعنى أنها فن وأداء^(٦). تعتمد على الشعر لضبط القراءة بالنسق البلاغى الشعرى^(٧). ويحيل العمل إلى باقى الأعمال مما يدل على وحدة مشروع التأليف^(٨). ويضاف إلى الكتاب ملحقا بنفس البنية الثلاثية الأسانيد والأصوات وفرش الحروف لذكر الاختلافات بين القراءات^(٩). ومن الصعب

(١) «هذا الكتاب أذكر فيه.. قراءة أبى معبد عبد الله بن كثير المكى الدارى.. من رواية أبى عمرو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن سعيد بن جرجة المخزومى المكى المعروف بقنبل عن أبى الحسن أحمد ابن محمد القواس عن أصحابه عن فيما خالف فيه نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى.. من رواية عيسى بن قالون عنه دون ما اتفقا عليه، وأجعل ذلك بلفظ ابن كثير خاصة دون لفظ نافع ليقرب حفظه على الطالبين ويسهل مأخذه على المتقنين..»، السابق ص ١٥.

(٢) الأسانيد ص ١٧-٢٧، الحروف والأصوات ص ٢٨-٣٨، فرش الحروف ص ٣٩-١٠٨.

(٣) السابق ص ٩٩/ ١٠٤ / ١٠٧-١٠٨.

(٤) ومثل: المد والقصر، الهزة، الإظهار والإدغام، الفتح، ياءات الإضافة.

(٥) السابق ص ١٠٩.

(٦) السابق ص ١٣٧.

(٧) السابق ص ٦٢.

(٨) السابق ص ٣٦.

(٩) الاختلاف بين قبل والبزى عن أصحابها، السابق ص ١٠٩-١٣٨.

الآن العودة إلى التاريخ بعد أن استقرت القراءات التداولية في آذان الناس. أما الفهارس التحليلية فهي مادة خام جيدة لتحليلها وإيجاد دلالاتها على علم القراءات^(١).

٥- «مفردة أبي عمرو بن العلاء البصري» لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)^(٢)

وموضوعه اختلاف هذه القراءة عن باقي القراءات بلفظ البصري^(٣). ويتبع نفس القسمة الثلاثية في علم القراءات: الأسانيد، والأصوات، وفرش الحروف. وأكبرها القسم الثالث التطبيقي كالعادة^(٤). ويبدأ بذكر فضائل صاحب القراءة وأئمة الذين أخذ عنهم القراءة وصولاً إلى الرسول. والمؤلف يجمع بين تراث المغرب وتراث المشرق، من قرطبة إلى الشام. ويقوم منطق الكتاب على ذكر القراءة من الرواية ثم رصد الخلاف بين قراءة وأخرى بلفظ القارئ على سبيل الاقتصاد والإيجاز^(٥). أما المذاهب الصوتية فإنها تعتمد على طبيعة الأصوات ومخارج الحروف والسهولة الطبيعية والجمال الصوتي^(٦). والإعراب مدخل للقراءة. ويعتمد على الشعر باعتباره تقابلاً نسقياً بلاغياً سابقاً على القراءة. كما يعتمد على بعض الأحاديث التي يتدخل فيها الخيال والإخراج إلى حد كبير مثل روايته في المنام^(٧). وينتهي بملحق عن أسانيد رواية السوسى وأصواتها وتطبيقها على فرش الحروف^(٨).

(١) وذلك مثل فهرس مصطلحات التجويد، وفهرس الأعلام، وفهرس الجوامع والقبائل، وفهرس الأماكن،

وفهرس القوافي، وفهرس الكتب المذكورة في المتن، وفهرس الآيات والشواهد.

(٢) أبو عمرو الداني: مفردة أبي عمرو بن العلاء البصري، تحقيق د. حاتم الصالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.

(٣) تهذيب قراءة أبي عمرو بن العلاء المازني البصري.. من رواية أبي عمر حفص بن عمر الدوري، عن الزبيدي، عنه، مما خالف فيه بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني.. من رواية عيسى بن مينا قالون، عنه، بلفظ أبي عمر خاصته على سبيل الاختصار والإيجاز، السابق ص ٢٢-٢٣.

(٤) الأسانيد ص ٤٠-٤٥، الأصوات ص ٤٥-٧٤، فرش الحروف ص ٧٥-١٥٧.

(٥) السابق ص ٢٥-٣٩.

(٦) مثل: المد، الهمزة، الإدغام، الإمالة، الياءات، الروم والإشمام.. إلخ السابق ص ٤٧-٧٤.

(٧) السابق ص ٢٥.

(٨) السابق ص ١٥٨-١٧٧.

٦- «تهذيب الاختلاف» لأبي عمرو الداني (٤٤٤هـ)^(١)

وبعد دراسة مفردات القراءة تأتي المقارنات من أجل «تهذيب الاختلاف»، وإيجاد العناصر المشتركة بينها عن طريق وسيط قادر على الجمع بين قراءتين^(٢). يكشف عن مستوى أعلى من التنظير. ويضع منطقاً للاختلاف. ورواية الاختلاف عامل مساعد. واللفظ هو مستوى الجمع والفرق^(٣). وقد تم التأليف بناء على سؤال^(٤). وهي نفس المادة في المفردات الثلاث مكررة مما يدل على وحدة العمل، والإحالة إلى بعضه البعض^(٥). ويتبع نفس القسمة الثلاثية لمعظم كتب علم القراءات: الأسانيد، وعلم الأصوات وفرش الحروف. ويضيف ثلاثة أجزاء عن الاختلافات^(٦). وتكرر عناصر علم الأصوات^(٧). وتفيد الفهارس التحليلية في إيجاد بعض الدلالات بالنسبة

(١) أبو عمرو الداني: تهذيب الاختلاف، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م، ص ٨٢-١٤٤.

(٢) «تهذيب الاختلاف بين أبي موسى عيسى بن مينا قالون من طريق أبي نشيط محمد بن هارون عنه بلفظه، وبين أبي سعيد ورش. وكلاهما عن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم على سبيل الإيجاز والاختصار. وفيه الاختلاف بين أحمد بن يزيد الحلواني وبين أبي نشيط، وكلاهما عن قالون بلفظ الحلواني، وفيه الاختلاف بين أبي علي الجهم الرازي وبين أبي عون الراسطي، وكلاهما عن الحلواني عن قالون بلفظ أبي عون. وفيه الاختلاف بين القاضي إسماعيل بلفظه وبين أبي نشيط، وكلاهما عن قالون»، السابق ص ٨٣.

(٣) السابق ص ٨٣.

(٤) «سألتني، نفعنا الله وإياك، أن أخرج لك الاختلاف بين أبي موسى عيسى مينا قالون المقرئ وبين أبي سعيد عثمان بن سعيد ورش المقرئ فيما اختلفا عن نافع بن عبد الرحمن بن نعيم المدني من الأصول المطردة ومن فرش الحروف المتفرقة دون ما اتفقا عليه عنه من ذلك فأجبتك إلى ما سألت، وخرّجت ذلك لك على ما رغبته، وجعلته مفرداً بلفظ قالون خاصة من رواية أبي نشيط محمد بن هارون عنه دون لفظ ورش لكي يقرب عليك حفظه ويخفف عليك متناوله»، السابق ص ٨٤.

(٥) وهي إحالات إلى مؤلفات الداني الأخرى كالأصول والتمهيد والتهذيب، السابق ص ٩٧ / ٩٩ / ١١٤ / ١٤٣.

(٦) الأسانيد ص ٨٥-٨٩، الأصوات ص ٨٩-١١٠، فرش الحروف ص ١١١-١٢٠، الاختلاف بين أبي نشيط والحلواني ص ١٢١-١٣٠، الاختلاف بين أبي عون والجهم وكلاهما عن الحلواني ص ١٣١-١٣٦. الاختلاف بين إسماعيل بن إسحق القاضي وأبي نشيط وكلاهما عن قالون ص ١٣٧-١٤٤.

(٧) مثل ميم الجمع، المد والقصر، الهمزة، الإظهار والإدغام، الفتح والإمالة، الرءاء واللامات، الباءات.. الخ.

لنشأة مصطلحات علم التجويد، وبالنسبة للأعلام، والأماكن وأهمية مصر، والآيات والشواهد^(١).

٧- «مفردة قراءة ابن كثير المكي» للموصلى (١٣٧١هـ)^(٢)

والغرض من الكتاب تجريد مذهب ابن كثير، وإفراد مذهبه وروايته وقراءته ومراجعة ما قاله الشاطبي عنه عن طريق شاهدين عدلين. هي دراسة على قراءة، دراسة الموصلى على قراءة ابن كثير مثل الدراسات الحديثة. ويهتم بالاتفاق أكثر من الاختلاف^(٣). ويعرف الكتاب باسم القارئ وكنيته ونسبه ومناقبه وسنده واتصاله بالنبي، ومولده ووفاته، وذكر روايته وسند قراءته، واتصالها بابن كثير^(٤). وينقسم كالعادة إلى القسمة الثلاثية الشهيرة في علم القراءات: حياة القارئ، والمذاهب الصوتية بمناسبة سورة الفاتحة، وفرش الحروف ابتداء من سورة البقرة. وينتهي بالتكبير^(٥). وأكبرها القسم الثالث التطبيقي. والمذاهب الصوتية متكررة^(٦). وبعد أن استقرت القراءة الآن وأصبحت متداولة أصبح علم القراءة علماً تاريخياً خالصاً من أجل العلم. وربما ما زالت بعض الخلافات في التشكيل الذي يغير المعنى. ويستعمل الشعر لضبط بعض الاختلافات في القراءة. فالشعر والقرآن نسقان بلاغيان^(٧).

٨- «رسالة في علم القراءة بالقراءات الشواذ» ليوسف أفندي زادة (١١٦٧هـ)^(٨)

ولم يقتصر التأليف في علوم القرآن على القراءات السبع أو العشر بل شملت أيضاً

(١) السابق ص ١٥١-١٦٥.

(٢) أبو موسى جعفر مكي الموصل: مفردة قراءة ابن كثير المكي، تحقيق وتعليق د. خالد أحمد الشهداني، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

(٣) السابق ص ١٩-٢١.

(٤) السابق ص ٢٢-٢٨.

(٥) التعريف بالقارئ ص ٢٢-٢٨، المذاهب الصوتية ٣٧-٧٢، فرش الحروف ص ٧٣-٢٧٤، التكبير ص ٢٧٥-٢٨٢.

(٦) مثل: الوقف والابتداء، هاء الكناية، المد والقصر، المد، الهمز، الحركة والسكون، الإظهار والإدغام، الدال والذال، تاء التأنيث، لام هل ويل، التاء والتاء.. إلخ.

(٧) السابق ص ٩٧.

(٨) أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الأماصي الإسلامبولي الحنفي المدعو بيوسف أفندي زادة (١٠٨٥- ١١٦٧ / ١٦٧٤-١٨٥٤)، رسالة في علم القراءة بالقراءات الشواذ، تصدير وتقديم وتحقيق تغريد محمد عبد الرحمن حمدان وعمر يوسف عبد الغنى حمدان، مطبعة الطيرة، الطيرة. سلسلة تحقيق التراث الإسلامي (١)، العلوم القرآنية، علم القراءات. تصدرها وتشرف عليها دار الندوة، الطيرة.

القراءات الشاذة. تعتمد على السابقين والاختصاصات منهم والتنصيب عليها بعلامة «انتهى»^(١). وتذكر فتاوى ابن الصلاح والنورى والسبكي وابن الحاجب والعسقلاني في تحريم القراءات الشاذة. وهى لب الكتاب^(٢). كما يعتمد على الشعر أكثر من القرآن والحديث^(٣). ويحيل إلى بعض كتب أصول الفقه الحنفى مثل أصول البزدوى^(٤). والمؤلف يصف نفسه بصفات الاحتقار والذل باسم التواضع^(٥). والقراءة الشاذة ما لم تتوافر فيها الشروط الثلاثة: موافقة اللغة العربية وموافقة أحد المصاحف العثمانية، وتواتر نقلها^(٦).

٦- علم الأصوات:

والقرآن غير القراءات. القرآن هو الوحي المنزل على محمد للبيان والإعجاز. فى حين أن القراءات اختلاف ألفاظ الوحي فى الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد مثل القراءات السبع. تتضمن التعبير. وهى متواترة أو مشهورة عند الجمهور. وقد استثنى البعض الألفاظ المختلف فيها عند القراء أو أوجه الأداء مثل المد والإمالة وتحقيق الهمزة بالنقل أو التبديل أو الوسط أو الإسقاط. وهى اختيارية وليست توقيفية، من اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء. اختفى التمييز بينها ابتداء من القرن الخامس^(٧).

أ- التأليف فى الموضوع:

١- «الإدغام الكبير» لأبى عمرو البصرى (١٥٤هـ)^(٨)

وهو أحد موضوعات علم القراءات. وهى دراسة صوتية نظرية تبدأ بتعريف

(١) السابق ص ٤٩-٥٨.

(٢) السابق ص ٤٠-٨٢.

(٣) الأشعار ص ٤-٥.

(٤) السابق ص ٧.

(٥) «فيقول أحقر خدام القرآن وأدنى أهل هذا الشأن..»، السابق ص ١.

(٦) السابق ص ٢.

(٧) الإتيان ج ١ / ٢٢٢-٢٢٣، البرهان ج ١ / ٣١٨-٣٣٨.

(٨) الإمام زيان بن العلاء بن عمار الشهير بأبى عمرو البصرى: الإدغام الكبير، تحقيق أنس بن محمد حسن مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٧.

الإدغام ثم تطبيقه على القرآن سورة سورة. فالإدغام هو اللفظ بحرّفين حرفاً كالثاني مشدداً. وينقسم إلى كبير وصغير. الكبير ما كان الأول من الحرفين متحركاً. والصغير ما كان الأول فيها ساكناً. وينقسم إلى فصلين: الأول رواته، فالرواية مصدر العلم، والثاني أحكامه وأداؤه. ويعتمد على الشعر^(١). وتنقسم بعض الفصول إلى تنبيهات^(٢).

٢- «القطع والانتانف أو الوقف والابتداء» للنحاسي (٣٣٨هـ)^(٣)

والمصطلحان الأوليان غريبان، والثانيان مألوفان. فالقطع هو الوقف والانتانف هو الابتداء. هي قضية الوقوف أو الاستمرار في قراءة القرآن بحيث لا يتغير المعنى المقصود. وتعتمد على الذوق في الفهم، والاتساق في المعنى، والبداية والفطرة. وقد أفاض فيه النحويون^(٤). وتضم مقدمة شبه نظرية عن الموضوع تبيين نشأة الموضوع بتوجيه قرآني^(٥). ثم تذكر فضائل القرآن وفضائل أهله^(٦). ثم تذكر قراءة النبي وتبيينه إياها، وإنكاره الوقف على غير تمام، وكيف تعلم أصحابه القرآن^(٧).

وقد تكلم الصحابة والتابعون في الموضوع من قبل^(٨). فهو موضوع في أتم الحاجة إليه^(٩). ويذكر الكتاب أسانيد القراءات^(١٠). ثم يبدأ التطبيق العملي بعد ذلك سورة

(١) السابق ص ٧-٣٤.

(٢) السابق ص ٨/٢٠.

(٣) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسحاق النحاسي: القطع والانتانف أو الوقف والابتداء، تحقيق أحمد فريد الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٤) السابق ص ١٩-٣٥.

(٥) مثل (ورتل القرآن ترتيلاً)، (بلسان عربي ميين)، (الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان)، السابق ص ١٩-٢١.

(٦) مثل: «إن خيركم من قرأ القرآن وعلمه»، السابق ص ٢٢-٢٦.

(٧) مثل قول الرسول لمن جمع بينه وبين الله «بئس الخطيب أنت فقم»، وأيضاً «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، اقرءوا ولا حرج، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا تختموا ذكر عذاب برحمة»، السابق ص ٢٧-٢٨.

(٨) السابق ص ٢٩-٣١.

(٩) السابق ص ٣٢-٣٤.

(١٠) السابق ص ٣٥.

سورة^(١). وتذكر العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار^(٢).

٣- «المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء» لشيخ الإسلام زكريا

الأنصاري (٩٢٦هـ)^(٣)

والمتن للنعماني^(٤). والزيادة من المقرئ^(٥). ويدخل في الأصول النظرية مباشرة^(٦). ثم يطبقها في عرض طولي من الفاتحة إلى الناس^(٧). وبدلاً من الذل في وصف المؤلف نفسه يكون التفخيم والتعظيم في الدنيا والآخرة إلى درجة الغرور^(٨).

٤- «منار الهدى في بيان الوقف والابتداء» للأشموني (القرن الحادي عشر)^(٩)

وتظل القسمة الثلاثية التقليدية في علوم القرآن مع تقليص أسماء الرواة والأصول النظرية وتكبير العرض الطولي التطبيقي سورة سورة، وآية آية^(١٠). يقتصر الأول على

(١) المقدمة (٢٧)، التطبيق (٥٤٦).

(٢) الآيات (١٣٥)، الأحاديث (٤٩)، الأشعار (١٠٨).

(٣) شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري: المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، علق عليه شريف أبو العلاء العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م-١٤٢٧هـ. (أسفل كتاب «منار الهدى»)

(٤) «فهذا مختصر المرشد في الوقف والابتداء الذي ألفه العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني...» السابق ص٩.

(٥) «وأنا أذكر مقصود ما فيه مع زيادة بيان محل النزول وزيادة أخرى غالبها عن أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ»، السابق ص١٠.

(٦) «وهي الألف الوصل، الياءات، هاء التانيث، الهاءات، هاء الكناية، الوقوف على آخر الكلمة المتحركة منونة وغير منونة، كلا، ضم كلمتين، السابق ص٢٤-٦٩.

(٧) السابق ص٧٠-٨٦٩.

(٨) «قال سيدنا ومولانا قاضي القضاة، شيخ مشايخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، عمدة المحققين، زين الملة والدين.. متع الله وتبتهج سرورا. وقد أخبر عنهم الصادق المصدوق، ممثلاً بأنهم جراب مسكا وأعظم بذلك فخرا وتبشيراً. فيألفها من نعمة طهروا بها تطهيراً، وجاوزوا بها غرا ومهابة ونحيراً. فهم أعلى الناس درجات في الجنان. تحمدهم فيها الملائكة الكرام عشياً ويكورا. ويقال لهم في الجنة تبشيراً...» السابق ص٧-٨.

(٩) أحمد بن محمد عبد الكريم الأشموني: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، علق عليه شريف أبو العلاء العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م-١٤٢٧هـ.

(١٠) القسم الأول (١٢)، الثاني (١٧)، الثالث (٨٠٠).

فائدة أولى، ذكر الأئمة الذين اشتهر عنهم هذا الفن^(١). ويقتصر الثاني على فائدة ثانية في الوقف والابتداء مع تنبيهات مهمة^(٢). ويفصل الثالث الوقف والابتداء في كل سورة^(٣). وينتهي بفائدة تتعلق بمعاني ألفاظ القرآن، انتقالا من علم الأصوات إلى علم المعاني من مؤلف آخر^(٤). ويظهر مكان الوحي داخل فرش الحروف وتحديد كل سورة مكية أو مدنية. ما يبدو تجميع بعض الآيات حول الآية المذكورة، مما يدل على بداية تشكل التفسير الموضوعي. وتظهر بعض العناوين الجانبية لإبراز موضوعاتها لكسر حدة العرض الطولي. كما تبرز بعض الفوائد^(٥). ويتم الاعتماد على الشعر في حين يغيب الحديث^(٦). وتظهر عبارات التواضع الذي قد يصل إلى الذل لوصف المؤلف نفسه^(٧).

ب- آليات القراءة:

وهناك عدة آليات للقراءة أهمها:

١- الوقف والابتداء أحد وسائل منطق القراءة^(٨)

وهما مرتبطان بالنفس في النطق من أجل الاستراحة في الكلام. فالنطق عناء وجهد، وليس مجرد تلفظ بالقول. لا يخل بالمعنى ولا بالفهم^(٩). وهو مثل فن «المونتاج» في الشريط السينمائي، متى يتم قطع صورة أو وصلها. لذلك خرجت مذاهب في فن

(١) السابق ص ١٢-٢٣.

(٢) السابق ص ٢٤-٦٩.

(٣) السابق ص ٧٠-٨٧١.

(٤) هو إسماعيل النيسابوري، السابق ص ٨٧٢-٨٨١.

(٥) مثل مطلب عدد ياءات الزوائد، مطلب ينفع القارئ، مطلب عدد الأنبياء الذين في القرآن، مطلب فيما اتفق عليه من قطع في عن ماء، فائدة، فائدة نفيسة.

(٦) الأشعار (١٣٥).

(٧) «أما بعد. فيقول العبد الفقير القائم على قدمي العجز والتقصير، الراجي عفو ربه القدير...» السابق ص ٨-٩.

(٨) الإتيان ج ١ / ٢٣٠-٢٥١، البرهان ج ١ / ٣٤٢-٣٧٥.

(٩) مثال ذلك ضرورة الربط بين ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ و﴿وَيَسْئَلُ رَبَّهُ بِرَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، الإتيان ج ١ / ٢٤٣.

الوقف والابتداء^(١). وهو ليس فنا واحدا في عدد التقطيع: قد يكون ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ثمانية.

والوقف اختياري واضطراري. الاختياري طبقا لتذوق المعنى وحرية الفهم، وفردية القارئ، وشخصية المستمع. وهو الجانب الذاتي في القراءة. والاضطراري هو ما يحافظ على المعنى دون الإخلال به إلى اللا معنى. وهو الجانب الموضوعي في القراءة. لذلك لا يتم الوقف والابتداء بتصنع بعض القراء وتكلفهم أو تأويل بعض الأهواء ووجود أحكام مسبقة. لا يتم عن تعمد وسوء نية بل عن طبيعة وحسن نية^(٢). ويحتاج إلى كثير من العلوم: القراءة، والقصص، واللغة، والفقه والنحو. ولا يقوم بالوقف والابتداء إلا عالم نحوي متخصص في القراءات، عالم بالتفسير والقصص وبلغه القرآن^(٣). وربما يضاف إليه عالم التفسير حتى لا يخطئ في المعنى. يجمعهم جميعا العلم بالمعنى. وهو ليس بدعة بل ضرورة لضبط الفهم واستنباط الأحكام^(٤). وقد توجد حالات الموصول فيها لفظا والمفصول فيها معنى فتقتضي الأولوية للمعنى عن اللفظ. فاللفظ حامل للمعنى^(٥). وقد تختلف المصطلحات بين المتقدمين والمتأخرين^(٦). إذ يطلق المتقدمون مصطلحات الوقف والقطع والسكت على الوقف في حين: أن المتأخرين فرقوا بينها. فالقطع هو إنهاء القراءة، والوقف قطع الصوت عن الكلمة زمنا لإعادة التنفس ثم استئنافها بعد ذلك. والسكت قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف من غير تنفس.

والوقف على أنواع كثيرة: تام، وحسن، وقبيح. التام يحسن الوقف عليه. والابتداء بعده. ولا يكون بعده ما يتعلق به^(٧). والحسن ما يحسن الوقوف عليه، ولا يحسن الابتداء بعده^(٨). والقبيح ما ليس بتام ولا حسن، فلا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه،

(١) الإتيان ج ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) السابق ص ٢٤٣.

(٣) الإتيان ج ١ / ٢٤١ - ٢٤٣.

(٤) السابق ص ٢٤٣.

(٥) الإتيان ج ١ / ٢٥٢ - ٢٥٤. وذلك مثل آية ﴿وَمَا يَسْكُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾.

(٦) السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٧) السابق ص ٢٣٢ / ٢٣٩، البرهان ج ١ / ٣٥٠ - ٣٥٥.

(٨) مثل (الحمد لله) و(رب العالمين).

ولا الموصوف دون وصفه، ولا الرافع دون المرفوع، ولا الناصب دون المنصوب، ولا المؤكد دون التوكيد، ولا المعطوف دون المعطوف عليه، ولا البديل دون المبدل منه، ولا إن وكان وأخواتها دون أسمائها، ولا اسم دون خبر، ولا مستثنى دون الاستثناء، ولا موصول دون الصلة، ولا الفعل دون المصدر، ولا الجار دون المجرور، ولا الشرط دون المشروط.

وقد ينقسم الوقف إلى أربعة أحكام: تام مختار، وكاف جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك^(١). فالتام ما لا يتعلق بشيء بعده ويحسن الوقوف عليه، والابتداء بعده. وعادة ما يكون في نهايات الآيات. مثال ذلك ياء النداء والمنادى، ولام القسم والقسم. والكافي هو ما انقطع في اللفظ وتعلق بالمعنى، فيحسن الوقوف عنده، والابتداء بعده، وكل الآيات التي بها حروف التعليل والاستثناء والاستدراك والاستفهام والتهديد. فالاتصال متطابق مع سيلان الانفعال. والحسن هو ما يحسن الوقوف عليه ولا يحسن الابتداء بعده^(٢). والقبيح هو ما لا يفهم منه المراد حين الوقوف^(٣).

ولا يجوز الوقف على حرفين، بل على حرف دون آخر وإلا وقع التضاد^(٤). وهناك استثناءات من الوصل بعد أسماء الصلة^(٥). وهناك مذاهب على الوقف في المستثنى منه دون المستثنى بين الجواز المطلق والمنع المطلق^(٦). ويجوز الوقف في النداء^(٧). ولا يجوز الوقف بعد القول^(٨). ولا يجوز الوقوف بعد «بلى» في سبعة مواضع وباقي المواضع عليها خلاف وبعضها جواز^(٩). ويجوز الوقوف بعد «نعم» ولا يجوز^(١٠). وكل ما يجوز الوقف عليه يجوز الابتداء بعده^(١١).

(١) الإتيان جـ ١ / ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٢) مثل (الحمد لله) و(رب العالمين).

(٣) مثل ﴿لَقَدْ كَفَرَ الْكَاذِبُ﴾ ثم الابتداء بآية ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾.

(٤) مثل الوقوف على (لا ريب) وعلى (فيه)، الإتيان جـ ١ / ٢٤١.

(٥) السابق ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٦) السابق ص ٢٤٥.

(٧) السابق ص ٢٤٦.

(٨) السابق ص ٢٤٦.

(٩) الإتيان جـ ١ / ٢٤٧ - ٢٤٨.

(١٠) السابق ص ٢٤٨.

(١١) السابق ص ٢٤٨.

وقد يكون الوقف خمس مراتب: لازم، ومطلق، وجائز، ويجوز لوجه، ومرخص لضرورة^(١). فاللازم ما وصل طرفاه وغير المراد^(٢). والمطلق ما يحسن الابتداء بعده كالاسم المبتدأ، والفعل المستأنف، والمفعول المحذوف، والشرط، والاستفهام، والنفي. والجائز ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذبهما معاً. والمجوز لوجه في حالة السببية والجزاء مما يوجب الفصل والوصل معاً. والمرخص للضرورة في حالة عدم استغناء ما بعده عما قبله لكن يرخص لانقطاع النفس مع طول الكلام. ولا يلزم الوصل بالعود لأن الكلام مفهوم. وما لا يجوز الوقوف عليه كالشرط دون الجزاء، والمبتدأ دون الخبر. ويقبل الوقف حين طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة^(٣).

وقد يكون الوقف على ثمانية أضرب: تام، وشبيه بالتام، وناقص، وشبيه بالناقص، وحسن وشبيه بالحسن، وقبيح وشبيه بالقبيح^(٤). وهى نفس القسمة الرباعية دون وضع حد فاصل بين الأقسام نظراً لوجود ظلال منها تربط بينهما. فالتام هو ما يتوقف عليه ويتبدئ بعده. والشبيه بالتام ما يكون تاماً في تفسير إعراب وقراءة غير تام على نحو آخر مثل فواتح السور. لذلك يتفاضل التام. والناقص والشبيه بالناقص عكس التام والشبيه بالتام. والحسن إذا كان التعلق من جهة اللفظ. والشبيه بالحسن إذا كان حسناً على تقدير وكافياً أو تاماً على تقدير آخر. والقبيح والشبيه بالقبيح عكسه. فالقبيح هو الوقف اضطراباً والكلام لم يتم بسبب انقطاع النفس أو عدم الفائدة أو فساد المعنى. ويتفاضل القبيح، فبعضه أقبح من بعض.

وللوقف في كلام العرب عدة أوجه أهمها تسعة: السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق^(٥). السكون هو الأصل في الوقف على الكلمة المتحركة وصلاً وهو ضد الابتداء. لا يبدأ بساكن ولا يوقف على متحرك. والروم النطق ببعض الحركة أو تضعيف الصوت بالحركة ويختص بالمرفوع

(١) السابق ص ٢٣٤-٢٣٨.

(٢) مثل (وما هم بمؤمنين) وضرورة الوقف حتى لا يوصل بآية (يخادعون الله).

(٣) الإتيان ج ١ / ٢٤٠-٢٤١.

(٤) السابق ص ٢٣٦-٢٣٨، البرهان ج ١ / ٣٥٤-٣٥٥.

(٥) الإتيان ج ١ / ٢٤٨-٢٥٠.

والمجزوم والمضموم والمكسور دون المفتوح. والإشمام الإشارة إلى الحركة بغير تصويت. والإبدال في الاسم المنصوب المنون يوقف عليه بالألف بدلا من التنوين. والنقل فيما آخره همزة بعد ساكن. والإدغام فيما آخره همزة بعد ياء أو واو زائدتين. والحذف للياء الزائدة، إثباتها وصلا وحذفها وقفا. والإثبات للياء المحذوفة وصلا وإثباتها وقفا مثل هادٍ، وال. والإلحاق ما يلحق بآخر الكلم من هاء ساكن مثل عم.

وإذا كانت الصفة للاختصاص فلا وقف على الموصوف. وقد يجوز الوقوف على المستثنى منه دون المستثنى إذا كان متصلا. ولا يوقف على الجملة الندائية. ولا يوقف على أسماء الصلة مثل «الذى» و«الذين»^(١).

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختيارا لا تدعو إليه الضرورة كالوقف. وأقسامه مثل أقسام الوقف الأربعة: التمام، والكفاية، والحسن، والقبح، بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى وإحالاته. وقد يكون الوقف حسنا والابتداء قبيحا. وقد يكون الوقف قبيحا والابتداء حسنا^(٢).

و«كلا» في القرآن على ثلاثة أقسام: ما يجوز الوقف عليه والابتداء به، وما لا يجوز الوقف عليه والابتداء به، وما يجوز الابتداء به دون الوقف عليه، وتغيب القسمة الرابعة ما لا يجوز الابتداء به وجواز الوقف عليه. ولا يجوز الوقف بعد «كلا» إلا في سبعة مواقف للردع^(٣). ولا يوقف على «نعم» لاتصالها بما سبق^(٤).

٢- والإمالة والفتح جائزتان. وهما لغتان مشهورتان لدى فصحاء العرب

الفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة أهل نجد. فالإمالة من الأحرف السبعة ومن لحن العرب^(٥). وترجع إلى الكسرة والياء، ويقعان بسبب كثرة الاستعمال ووجوهها

(١) البرهان ج١ ٣٥٦-٣٥٩.

(٢) الإتيان ج١ ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) البرهان ج١ ٣٦٨-٣٧٥.

(٤) الإتيان ج١ ٢٤٦-٢٤٧.

(٥) وقد ألف فيه كموضوع مستقل ابن الفاصح كتاب «قرة العين في الفتح والإمالة وبين اللفظين» ج١/ ٢٥٥.

أربعة: المناسبة والأشعار بالأصل أو في بعض المواضع أو بالشبه. وفائدتها سهولة اللفظ. وتميل معظم القراءات العشر. وما يمال مذكور فيها. وقد كرهها البعض لضرورة تفخيم القرآن^(١). وهى مجرد رخصة، وهما أقرب إلى صوت الرجال، وبه غلظة وشدة، وتعظيم وتبجيل، وتحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إمالة. وإذا كان المعنى لا يختلف فالأمر بغير ذى دلالة كبيرة إلى حسن الصوت وتذوق القراءة وإيجاد المعنى.

٣- الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب من ظواهر القراءات

وهو جزء من علم الأصوات في الغرب الحديث. فالإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً. وينقسم إلى كبير وصغير. الكبير ما كان أول الحرفين متحركاً. وسمى كذلك لكثرة وقوعه. وسببه طلب التخفيف. والصغير ما كان الحرف الأول ساكناً. وهو واجب وممتنع وجائز. وهو قسمان: الأول إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة. والثاني إدغام حروف قربت مخارجها وهى سبعة عشر حرفاً. وكل حرفين التقيا أولهما ساكن وكانا مثلين أو جنسين يُدغم الأول. وقد كرهه البعض. ويعاد الموضوع في أحكام النون الساكن والتنوين وأقسامها الأربعة: الإظهار، والإدغام، والإقلاب والإخفاء. فالإظهار لجميع القراء في ستة أحرف. والإدغام في ستة. والإقلاب عند حرف واحد. والإخفاء عند باقى الحروف وهى خمسة عشر. وهى حالة بين الإدغام والإظهار. ولا بد من الغنة معه^(٢).

٤- والمد والقصر جزء من جماليات الصوت وتذوق المعنى والإيجاء به للمستمع

حين القراءة^(٣)

المد هو زيادة مط في حرف المد عن الحد الطبيعي، والقصر عكسه، حذف الزيادة والإبقاء على المد الطبيعي، وهى لحروف العلة الثلاثة. وسببها لفظي ومعنوي. اللفظي همز أو سكون. وله سبع مراتب: القصر، فوق القصر قليلاً على أطوال مختلفة حتى المرتبة السابعة وهى الإفراط. والمعنوي قصد المبالغة في النفي. وقد يجتمع السببان اللفظي

(١) نظرا لحديث «نزل القرآن بالتفخيم».

(٢) الإتقان ج١/ ٢٦٣ - ٢٧٠.

(٣) السابق ج١/ ٢٧١ - ٢٧٦.

والمعنوى مثل «لا إله إلا». وإذا تغير سبب المجد جاز المد مراعاة للأصل. وإذا اجتمع سببان قوى وضعيف عمل بالقوى.

٥- ويخفف الهمز لأنه أثقل حروف العرب نطقاً وأبعد ما خرجاً. وفرض تخفيفه^(١)

وهو أربعة أنواع. النقل لحركة إلى الساكن قبله، والإبدال، تبديل الهمزة الساكن حرف مد من جنس حركة ما قبلها، والتسهيل بينها وبين حركتها، والإسقاط بلا ثقل. وهو ما يسمى في النحو الحديث همزة القطع وهمزة الوصل وهي تتبع جماليات النطق، سهولة أو صعوبة.

٧- فن القراءة:

ويمكن تجويد القرآن^(٢). وهو حلية القراءة، وإعطاء الحروف حقها، هو رياضة للألسن والعناية بمخارج الحروف السبعة عشر. وقد يصل التجويد إلى حد الغناء. ويبتدع فيه الترعيد والتخصيص والتطريب والتحزين. ويجوز أخذ قراءة واحدة لاستمرار اللحن الواحد. كما يجوز الجمع بين عدة قراءات بشرط عدم التنافر بينها. ويمكن الجمع إما بالحرف أو بالوقف. وللجمع شروط خمسة: حسن الوقف، وحسن الابتداء، وحسن الأداء، وعدم التركيب، ورعاية الترتيب دون تلفيق.

ومن أصل فن القراءة تحسين الصوت، والقراءة من المصحف خشية النسيان، والسؤال عنه حين التردد خشية الوقوع في الخطأ. ولا تقطع القراءة للحديث الجانبي مع أحد وترك اللفظ والحديث. ولا يقرأ بالأعجمية. فالقرآن لسان عربي مبین. ولا يُقرأ بالشواذ. ويقرأ على ترتيب المصحف دون خلط سورة بسورة أو القراءة التعليمية فيجوز أن تكون موضوعية في القصص أو في الأمثال أو في الأخلاق أو في الاجتماع أو في السياسة. وتوفى الحروف حقها من القراءة. ويسجد عند قراءة آيات السجدة. وعند الختم يشرع في ختم آخر. ولا تكرر سورة الإخلاص عند الختم وهي تعادل ثلث

(١) السابق ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٢) السابق ص ٢٨١-٢٩١.

القرآن. ولا يتخذ القرآن معيشة للتكسب فيها وهو ما عم حول القبور. وتكون القراءة ثوابا للميت وهو ما كثر في زيارات القبور.

والأوقات المختارة للقراءة بداية تحول القرآن إلى وثن وسحر وخرافة، مثل الليل أو النصف الأخير أو بين المغرب والعشاء أو بعد الصبح. ومن الأيام يوم عرفة ويوم الجمعة ثم الاثنين والخميس. ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان والأول من ذى الحجة. ومن الشهور رمضان. ويتبدأ ليلة الجمعة وختمه ليلة الخميس. والختم أول النهار وأول الليل. وفي الشتاء أول الليل وفي الصيف أول النهار. في شهر أو نصف شهر أو جمعة أو ثلاثة أيام. ويصام يوم الختم. والتكبير من الضحى إلى آخر القرآن. والدعاء عقب الختم. وبهذه الطريقة تصبح القراءة حرفة ومهنة. إنما القراءة طبقا للحاجة وبحثا عن حل، وتلبية لمطلب.

وللتلاوة آدابها^(١). وهى آداب عامة للعلم واحترام كتب العلم مثل القرآن. وهى مقدمة لتحويل القرآن إلى أحجيات. ومن هذه الآداب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته. والخشية الآن المغالاة فيه ونسيان العالم، زيادة في الحسنات وشفاعة به يوم القيامة ونزول البركة على أهله وإنارته. هو مآدبة الله. لا ينسى بعد الذكر. ويؤخذ في اليهود. ويستعاذ بالله قبل القراءة. وتقرأ البسملة. ولا تحتاج إلى نية في حين أن الأعمال بالنيات، والقراءة عمل وقصة. ويرتل ترتيلا تفخيما لألفاظه وتعظيما لها. والبكاء عند قراءتها الذى يتحول هذه الأيام عند مشايخ القضاء إلى تمثيل للتأثير في الناس، تكسبا به. وهنا تصبح قراءة القرآن كالأحجية المكتوبة. وتقوم بوظيفتها في التبرك والتعوذ بها، وكأن القراءة في حد ذاتها دون فهم قادرة على فعل الأعاجيب وكما يحدث في الممارسات الشعبية خاصة عندما تحل المصائب.

وتكون القراءة في مكان نظيف، والمسجد أفضل. وجلس القارئ مستقبلا القبلة بخشوع وسكينة ووقار. ويقرأ بعد السواك تعظيما وتطهيرا. وهذه ليست آداب بل توصيات. والكثير منها يدهى ذوقى في آداب العلم والمتعلم. وعلى هذا النحو تدخل القراءة كجزء من الشعائر والرسوم. وتتحول تدريجيا من فعل «اقرأ» إلى فعل المقدس. ويتحول من دافع ذاتي إلى شىء موضوعى، ومن حامل ذاتي إلى حامل موضوعى.

(١) السابق ج١/ ٢٩٢-٣١٨.

الفصل الثالث

التدوين

١ - التأليف في الموضوع:

التدوين هو تحول النص الشفاهي إلى نص مكتوب، والصوت إلى الحرف، والقراءة إلى الكتابة. هو منطق النص القرآني المدون من الحروف والألفاظ. والسؤال هو كيفية الانتقال من الشفاه إلى التدوين، ونقل الحروف السبعة إلى المصحف العثماني؟^(١). ويرتبط علم القراءات بعلم الخطوط مثل طريقة كتابة الألف الرحمان أو الرحمن، السموات أو السماوات. لذلك كان الاتفاق مع المصحف من شروط صحة القراءة وبالتالي الكتابة.

وقد تم التأليف في الموضوع على نحو مستقل مثل معظم موضوعات علوم القرآن قبل أن تنظم كلها في علم واحد في «البرهان» و«الإتقان». وأهمها:

أ- «كتاب المصاحف» للسجستاني (٣٣٠هـ)^(٢)

«المصاحف» عنوان آخر لعلوم القرآن. يشير إلى القرآن ككتاب مدون، كشيء مرثى وليس كوحى مقروء ومسموع. وهى نظرة تشبيهية وليست تنزيهية كما هو الحال في التجسيم والتشبيه في علم العقائد. ولا يشير إلى علوم القرآن ككل بل إلى أحد موضوعاته الجزئية وهو التدوين. ويعتمد على الرواية الشفاهية في تدوينه أو في

(١) الإتقان ج١/ ١٤١.

(٢) السجستاني أبو بكر أبا داود سليمان بن الأشعث: كتاب المصاحف، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

مادته العلمية^(١). وتكثر الروايات والأسانيد لدرجة أن تصبح أهم من المتون^(٢). يخلو من التحليلات النظرية أو الاستدلالات على اختلاف المصاحف في تدوينها. ويكتفى برصد هذه الاختلافات لدراسات نظرية أخرى في علوم التدوين. خاصة علم الكتابة لتعليلها، وكيف يستطيع المعنى ضبط التدوين والقراءة.

وينقسم إلى خمسة أجزاء. الأول كتابة القرآن والأمر به وجمعه. والثاني توحيد مصحف عثمان بالرغم من الاختلافات بين مصاحف الصحابة. والثالث مقارنة وحدة مصحف عثمان مع تنوع مصاحف الصحابة. والرابع صناعة المصحف كتابة وورقا وتجليدا وتغليفًا وتزيينا. والخامس تجارة المصحف، بيعا وشراء ونقلًا وتقديسا. أكبرها الثاني وأصغرها الأول^(٣). وتتداخل الأجزاء فيما بينها مثل آخر الجزء الثاني عن اختلاف مصاحف الصحابة وأول الثالث حول نفس الموضوع^(٤). كما يتداخل الجزء الرابع عن المصحف كشيء للصناعة والجزء الخامس عن المصحف كسلعة للبيع والشراء^(٥). ويتم اتباع هذه الاختلافات سورة سورة ابتداء من البقرة^(٦).

وكلها موضوعات علمية خالصة تتعلق بفن الكتابة. وتقسيمه إلى أجزاء، تعشيرا أو تربيعا كنوع من التسهيل والقسمة الكمية الإجرائية التي لا تؤثر في مضمونه^(٧). أما صناعة المصحف وتجليده وتذهيبه وتزيينه ونسخه ونقله والاتجار به فهي ظاهرة اجتماعية اقتصادية فنية لا شأن لها بمضمون الوحي. ومنها حساسيات لم يعد لها وجود الآن مثل نسخه من نصراني أو تصغير الخط وتكبيره أو طريقة فصل السور أو ترقيمها وترقيم الآيات أو أخذ الأجر على كتابته أو قراءته أو تقسيم سوره إلى طوال وقصار. كلها ظواهر اجتماعية اقتصادية فنية متغيرة بتغير عادات المجتمع. أما وراثته والسفر

(١) السابق ص ٥.

(٢) السابق ص ١٤٥-١٦١.

(٣) الأول (٢٧)، الثاني (٥٢)، الثالث (٤٥)، الرابع (٤٢)، الخامس (٤٠).

(٤) السابق ص ٦٠-٩١ / ٩١-٩٢ / ١٠١.

(٥) السابق ص ١٣٧-١٨٢ / ١٨٣ / ٢٢٤.

(٦) السابق ص ٦٧-٨٨.

(٧) السابق ص ١٣١-١٣٥.

به إلى أرض العدو أو تعليقه ووضع في اتجاه القبلة فهو تحول تدريجي من الكتاب إلى المقدس. كذلك عدم جواز مسه إلا عن طهر أو بعد مس الذكر أو من ليس على وضوء أو رهنه فكلها عادات اجتماعية متغيرة كما يحدث اليوم من تعليقه في الصدور وحول النحور ووضع في العربات وفوق المناضد وفي الفنادق وتعليق أجزاء منه أحذية وتعاويز أو تهاديه في المناسبات الوطنية والدينية في كافة الطبقات الاجتماعية من رؤساء الدول وقواد الجيش حتى الأفراح والأعراس، وحمله أمام الزفة من احتفال تتساقط عليه الورود وتتقدمه الراقصة. وأيضا تقبيله بالشفتين ووضع على الجبين وعدم جواز حرقه، بقايا تقديس للجسد كرد فعل على تفعيل الروح. وثورة الاتصالات الآن تجاوزت هذا التصور الشيئي لمصدر العلم. إذ يمكن نقل المصحف الآن عبر شبكات الاتصال التي تخرق أرض العدو والصديق.

وبعد تقنين مصحف عثمان وتداوله في مشارق الأرض ومغاربها ما فائدة العودة إلى رصد الاختلافات بين مصاحف الصحابة؟ ألا يشكك ذلك في الصحة التاريخية للمصحف وهو ما يفعله المستشرقون حتى يصبح النص القرآني مثل غيره من النصوص الدينية، التوراة والإنجيل، مشكوكا في صحته. وإن كان القرآن لم يمر بفترة شفاهية مثل الكتب المقدسة السابقة ليخضع لمناهج النقل الشفاهي كما خضع الحديث فإنه على الأقل يخضع لمناهج النقل الكتابي. وما زالت مناهج النقل التاريخي تعتمد على صدق الكاتب اعتمادا على آية (ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) كما هو الحال في علم أصول الفقه مثل الإجازة والمناولة^(١). والسؤال اليوم هو: هل هذه الاختلافات صحيحة تاريخيا؟ ولماذا تكون أكثر صحة عن مصحف عثمان؟ وهل أهملها عثمان عن قصد أم لضعف تواترها^(٢)؟ وإذا كان البعض منها صحيحا تاريخيا، وهو ما لا يمكن التيقن منه، فإن الأذن لم تتعود عليه. وسيظل القرآن المقروء باللسان والمسموع بالأذان والمحفوظ في الصدور أقوى تأثيرا في النفس من القرآن «المعدل» طبقا لاختلافات الصحابة. وهل يستطيع النقاد اليوم لطول المسافة الزمنية بين زمن

(١) السابق ص ٣٧-٤٠، من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص ١٥٠-١٦٦.

(٢) اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف، ص ١٨-١٩.

التدوين وزمن اليوم وعدم عيشهم نفس تجارب القراء القدماء في السماع المباشر للقرآن الشفاهي قبل التدوين أن يصلوا إلى نتائج مغايرة تماما لمصحف عثمان؟ وإذا وصلوا اقتراضا إلى شيء من هذا ألا يكون ضرره أكثر من نفعه ويجعل القرآن عرضة في كل عصر للتغيير والتبديل طبقا لمهارة النقاد وتطور مناهج النقد؟

ب- «المحكم في نقط المصاحف» للداني (٤٤٤ هـ)^(١)

وهو جزء من علم القراءة والتدوين، وأثر كل منهما على الآخر واعتماد ذلك على علم النحو عند المتقدمين والمتأخرين^(٢). ويستعمل المنهج التاريخي لمعرفة متى بدأ التنقيط، وكيف تطور من القدماء إلى المحدثين، من المتقدمين إلى المتأخرين، وأهمية أبي الأسود الدؤلي كأول من اقترح التنقيط. ويعنى التنقيط التشكيل والإعراب. وقد يسبب الخطأ في التنقيط خطأ في المعنى. وقد تكون صحة المعنى أحد وسائل ضبط التنقيط. وترجع حساسية الموضوع إلى التدخل في كتابة الوحي بعلامات ترشد إلى القراءة. وقد يتطور الوضع ويصبح تغييرا في لفظ الوحي. وتقل الشواهد النقلية في البداية ثم تكثر في النهاية. ويستشهد بالشعر مرة واحدة^(٣). ولا يُتبع في التنقيط سورة سورة وآية آية بل يُجمع طبقا للحروف وهي بداية التنظير. والملحق في نهاية الكتاب استمرار له. ولا يتميز بشيء خاص كنوع من الخاتمة التنظيرية للموضوع، إلا إذا كان الاستعانة برسم الحروف ومكان التنقيط عليها أو بجانبها يستحق جزءا خاصا متميزا عن الكتاب. وفي هذه الحالة يكون الكتاب صنعة وليس تأليفا^(٤). وفي النهاية يتعامل الكتاب مع المصاحف باعتبارها شيئا يرى بالخط ولا يسمع بالأذن أو يقرأ باللسان. فالخرف في النهاية بدن، والمعنى روح^(٥).

(١) الداني (الإمام الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان): المحكم في نقط المصحف، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٢) «هذا الكتاب علم نقط المصاحف وكيفيته على صيغ التلاوة ومذاهب القراءة فيها اتفقوا عليه وما اختلفوا، وعلى ما سنه الماضون، واستعمله الناقطون، وما يوجب قياس العربية، وتحققه طريق اللغة، مشروط ذلك بأصوله وفروعه، مبينا بعلله ووجوهه، مع ذكر السنن الواردة عن السلف الماضين والأئمة المتقدمين في النقط ومن ابتدأ به أولا، ومن كرهه منهم، ومن ترخص فيه إلى غير ذلك مما ينضاف إليه ويتصل به من ذكر رسم فواتح السور ورؤوس الآي والخموس والعشور، ومن أبي ذلك ومن أجازته»، السابق ص ٩.

(٣) السابق ص ٤٠.

(٤) السابق ص ١٢١-١٤٦.

(٥) يستعمل في اللغات الأجنبية نفس الشيء بكتابة الحروف كما تقرأ مثل xvossing.

والكتاب مقسم إلى أبواب وفصول عدة دون تمييز موضوعي بينها ودون ترقيم. والفصول بلا عناوين^(١). فأتت أقرب إلى الفقرات المتتالية حول بداية التنقيط بعد أن كانت المصاحف خالية منها ثم الحكم الشرعي فيه بين السلب والإيجاب، وقسمة المصاحف إلى تعشير وتخمس، وما يجمع في أوائل السور من أسماؤها ومكانها وعدد آياتها. ويشمل التنقيط علامات الوقف والوصل والحروف المعجمة، والتشديد والسكون والمد والتونين والإدغام. وتأخذ الهمزة مساحة طويلة ومواضع كتابة ومواضع كتابتها، والألف القصر والمد، وحذف حروف العلة وطريقة كتابتها. وهي موضوعات كانت لها مناسبتها القديمة واستقرت ولم تعد تثير أى إشكال في القراءة أو الكتابة.

جـ- «تناسق الدرر في تناسب السور» للسيوطي (٩١١هـ)^(٢)

يعرض لأسرار ترتيب القرآن. وهو أحد موضوعات علوم القرآن عن الترتيب الموضوعي التوفيقى عند القدماء وليس الترتيب الزماني التاريخي عند المحدثين. وبتعبير المحدثين الأول البنية، والثاني التاريخ. وهو صراع قائم بين العرب والمستشرقين. فقد اختار العرب البنية، والمستشرقون التاريخ طبقا لجدل الدفاع والهجوم. والتوقيف لا يحتاج إلى تعليل. ومع ذلك يتم تعليل الترتيب الموضوعي بمضمون السور حتى ولو بدا مفتعلا. ويتم الربط بناء على التفسير، تفسير مضمون السور، وربط آخر آية في السورة بأول آية في السورة التالية كبيان وجه الاتصال بين السورتين. فالمناسبة هي الموضوع وليس أسباب النزول. والموضوع هو العقائد والشرائع والمصالح. يفسر القرآن بالقرآن، ثم القرآن بالحديث، ويندر تفسير القرآن بالشعر لأنه لا ضرورة له إلا في تفسير القرآن باستعمالات اللغة والبلاغة^(٣). والآيات متباعدة كأدلة وبالتالي ليست كثيرة. ويتم عرض المناسبات، سورة سورة، وآية آية، طبقا للفهم الطولى في علوم التفسير. ويعرض التبويب في الباب أول الكتاب كما هو الحال في الرسائل العلمية الحديثة. ويبدأ برصد

(١) ومع ذلك الأبواب (٢٠) والفصول التي تنقسم إليها بعض الأبواب (١٥).

(٢) الحافظ جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور، دار الأعصام، القاهرة، ج١، ٣٦٩هـ-

١٩٧٦م.

(٣) السابق ص ١٥٩.

أقوال السابقين. وهو تجميع لكثير منها مما دفع خصومه مثل السخاوى إلى اتهامه بالسرقة العلمية، وهى عادة القدماء فى التأليف فى ثقافة لا تعرف حق الملكية الفكرية ونسبة الأفكار إلى أصحابها^(١). فالأفكار تنتسب إلى حضارة جماعية يشارك الجميع فى صنعها^(٢). لذلك سُمى السيوطى «الحافظ».

٢- تسمية القرآن:

وأول مظهر من مظاهر التدوين التسمية، تسمية القرآن وسوره. التسمية إعلان وبيان^(٣). وقد سُمى القرآن على وزن ما سُمى به العرب كلامهم، القرآن على وزن الديوان، والسورة كقصيدة، والآية كالبيت، والفاصلة كالفافية^(٤).

وللقرآن خمسون اسماً يمكن تجميعها فى أنواع: الأول ما يدل على الكلام قراءة وكتابة وحديثاً وتنزيلاً ووحياً وزبوراً. وقد يوصف كل اسم بوصف كتاب عزيز، كتاب مبین، القرآن الكريم، كلام الله، أحسن الحديث، «العروة الوثقى»، «صحف مكرمة»، مرفوعة مطهرة، ذكر مبارك، صراط مستقيم، حكمة بالغة، قول فصل، نبأ عظيم، قرآن عربى، القصص الحق. وأحياناً يكون الوصف ثلاثياً متتالياً مثل (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة). وأحياناً تكون التسمية معرفة بالألف مثل «الكتاب»، «الفرقان»، «النبأ»، «الوحى»، «العروة»، أو تنزيل رب العالمين، «أمر الله» أو بالإضافة «كلام الله»، «حبل الله»، «صراطى»، «أحسن الحديث». وأحياناً تكون نكرة «قرآن»، «نور»، «موعظة»، «شفاء»، «ذكر»، «حكمة»، «قول»، «روح»، «بيان»، «علم»، «حق»، «هداية»، «عجبا»، «تذكرة»، «صدق»، «عدل»، «أمر»، «منادى»، «بشرى»، «مجيد»، «زبور»، «بشير».

(١) السابق ص ٥٨.

(٢) Intellectual property. انظر أيضاً بحثنا..

Property and the concept of clash of civilizations' cultures and civilizations' Conflict or Dialogue' Vol.i. the meridian thought' pp.335- 344.

(٣) الإتيان ج١/ ١٤٣ - ١٦٣، البرهان ج١/ ٢٧٣ - ٢٨٢. وصنف فيه الحرانى ووصلت إلى نيف وتسعين.

(٤) السابق ص ١٤٣.

«نذير»، «بلاغ». وهو في الغالب مفرد. وأحيانا يكون مثنى مثل «مثنى». وأحيانا يضاف إلى لام التوكيد مثل «لتنزيل»، «لتذكرة». وأحيانا يكون جمعا مثل «بصائر»، «قصص»، «صحف». وأحيانا يأتي الاسم مفردا وهو الغالب وأحيانا عطوفة اسم على آخر مثل «هدى ورحمة»، «صدق وعدل»، «هدى وبشرى»، «بشير ونذير».

والثاني «الكتاب المين». الكتاب هو التدوين، الحروف والألفاظ. وهو مبين وواضح بالرغم من المبادئ اللغوية التي وضعها لشرحه وتفسيره وتأويله، وليس بالضرورة لأنه جامع للعلوم والقصص والأخبار.

وهو قرآن. وهو لفظ غير مشتق مثل لفظ «الله» وإن كان مشتقا. فمن القراءة إذا كان مهموزاً أو من القرآن أو من القرن إن لم يكن مهموزاً من قرن السور والآيات بعضها ببعض أو من القرائن أى الأدلة التى يصدق بعضها بعضاً أو من البيان والتوضيح^(١).

وهو «قرآن كريم» مقروء بالصوت، كريم فى عطائه لمعانيه. وهو كلام الله وقول فصل. يجمع بين الشفاهى والمدون. كلام يُسمع ويُقرأ. وهو مشتق من الكلم أى التأثير. وهو نبأ عظيم للإخبار. وهو قول. وهو فصل. وهو أحسن الحديث الذى يحدث به الناس. وهو «تنزيل» من رب العالمين. وهو «وحي» يُنذر به. وهو «بلاغ للناس» لما أمروا به ونهوا عنه وليس لأنه بل بلاغة وكفاية عن غيره. وهو مبارك. وهو المهيمن. وهو الزبور أو السفر إحالة إلى الكتب المقدسة السابقة ففضل عليه المصحف.

والثالث على صيغه اللغوية مثل «مثنى»، «متشابه»، «عربى»، «بيان». فالمثنى إيقاع موسيقى وليس لأنه بيان ثان لما تقدمه من الكتب المقدسة. أو لتكرار المواعظ والقصص أو لأنه نزل مرة باللفظ ومرة بالمعنى^(٢). والمتشابه حرية اختيار معنوى وليس لأنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق. والعربى نسبة إلى اللغة وتفرد العربية بين باقى اللغات. وهو بيان من الواضح. وهو «عجب» مما أوحى بالإعجاز. وهو «قصص» أى شكل

(١) بعد أن جمع أبو بكر القرآن طلب تسميته فاقترح البعض «إنجيل» والبعض الآخر «سفر» وهو تسمية اليهود. واقترح ابن مسعود «المصحف» بناء على ما رآه فى الحشنة من كتب. الإتيان ج١/ ١٤٩.

(٢) وهو نفس اشتقاق اسم «سفر التثنية Deuteronomy» فى العهد القديم.

من الأشكال الأدبية. وهو «الحكيم» في النظم والبيان وإحكام الآيات دون تحريف أو تبديل أو تباين أو اختلاف. وهو العزيز المتعالى. وهو البصائر والرؤى.

والرابع يدل على المعارف النظرية مثل «علم»، «حق»، «صدق»، «فرقان». هو «علم» لأنه يعطى المعارف النظرية. وهو «حق» لأنه علم صادق. وهو «صادق» يمكن التحقق من صدقه. وهو حكمة طالما بحث عنها الفلاسفة. والحكمة وضع الشيء في محله.

والخامس مجموعة من الأسماء تدل على عالم الأخلاق والتوجه العملي مثل: «هدى»، «رحمة»، «موعظة»، «ذكر»، «قيم»، «تذكرة». هو «هدى» و«هدى»، توجيه وإرشاد نحو الصراط المستقيم أو «هادى». وهو رحمة مهداة. لا يشق على الناس. وهو موعظة وقيمة أخلاقية. وهو «قيم» لأنه قيمة تضع القيم. وهو «ذكر» و«تذكرة» ينبه الناس بما لديهم من فطرة، وإذكاء للوعى التاريخي. وهو «عدل». فالصدق نظرى وعملى. وهو أمر وواجب. وهو «ينادى» على الناس للإيقاظ. وهو بشرى للناس بالنهاية السعيدة كما كان الإنجيل بشارة طيبة. وهو «بشير». وهو «نذير».

والسادس بعض الصفات الإنشائية للتمجيد والتعظيم مثل «على»، «مجيد»، «عزيز»، «مكرم»، «مطهر»، «مرفوع». فالعلو للقدر، والمجيد للعظمة والشرف، والعزیز للعزة على معارضته، والمكرم للاحترام، والمطهر للنقاء، والمرفوع للرفعة. وهو عجب.

وهناك مجموعة من الصور الفنية مثل «نور» وهو من صور الله (الله نور السموات والأرض)، وبه يدرك غوامض الكلام. وهو «فرقان» لأنه يفرق بين الحق والباطل. وهى أيضا تسمية الفاروق عمر. صورة مستقاة من السيف. وهو اسم لسورة وتفصيل آياته اسم «فصلت». وهو شفاء، صورة مستقاة من علم الطب، يشفى من الأمراض القلبية كالجهل والغل والحق. أما الشفاء من الأمراض البدنية فعن طريق النفس نظرا لارتباط الجسم بالنفس وليس مباشرة كما هو الحال في العادات الشعبية، قراءة القرآن على المريض أو كتابة أحجية تعلق على الأعضاء المؤلمة. وهو جبل يعتصم به الناس. والجبل هو السبب الموصل للغاية. وهو «العروة الوثقى» التى تربط بين الناس. وهو صراط مستقيم يمشى عليه الناس، طريق لا عوج فيه. وهو «روح» من أمر الله، تحيا به القلوب والنفوس. وهو إيمان ويقين فى القلب.

٣- تسمية السور:

ليست أسماء السور توقيفاً من النبي وإلا لما اختلفت وتعددت. وكانت الأسماء تقترح من الصحابة أيضاً ولا توقف فقط من النبي^(١). فلكل صحابي مصحف به أسماء سور خاصة به مما يدل على أنها من اختياره للتعرف عليها. فبعض السور لها أكثر من اسم مثل الفاتحة^(٢). وسور أخرى لها أكثر من اسم أو ثلاثة أسماء^(٣). وتعدد أسماء السور^(٤). قد يكون لكل سورة اسمان. أو ثلاثة أسماء أو أكثر^(٥). وقد يجمع اسم واحد بين سورتين^(٦). وقد يكون الاسم الثاني اسماً أو وصفاً. الاسم مفرد مثل تسمية النحل النعم، والموصوف عبارة مثل تسمية «يس» قلب القرآن، والطلاق النساء القصرى. وقد يتغير الاسم بالتشكيل مثل الممتحنة أو الممتحنة أو الاشتقاق مثل الممتحنة الامتحان، والتحریم المتحريم أو لم تحرم.

(١) الإتيان ج١/ ٥٠، البرهان ج١/ ٢٦٩-٢٧٢.

(٢) وأيضاً فاتحة الكتاب، خاتمة القرآن، أم الكتاب، أم القرآن، القرآن العظيم، السبع المثاني، الكنز، الكافية، الأساس، النور، سورة الحمد، سورة الشكر، سورة الحمد الأولى، سورة الحمد القصرى، الرقية، الشفاء، الشافية، سورة الصلاة، الدعاء، السؤال، تعليم المسألة، المناجاة، التعويض. وسورة براءة التوبة، والفاضحة والعذاب المشقة والمنقرة والبحوث، والحافرة، والثيرة، والبحرة، والمخزية، والمنكلة، والمشرقة، والمدممة. وسورة لم يكن الجنة والقيامة والبرية والافتكاك.

(٣) البقرة سنم القرآن، فسطاط القرآن. والمائدة المنقذة والعقود، الإسراء سيحان وبنى إسرائيل وغافر الطول والمؤمن. وفصلت السجدة والمصاييح وسأل المعارج والواقع، وأرأيت الدين والماعون، والكافرون المشقة والعبادة، وفصلت السجدة والمصاييح والجناية الشريعة والدر.

(٤) البرهان ج١/ ٢٦٩-٢٧٢.

(٥) للبقرة اسمان: فسطاط القرآن. واسم آل عمران في التوراة «طية». وتسمى «النمل» «النعم». وتسمى «حم عسق» الشورى. وتسمى «الجانية» «الشريعة»، وتسمى «عمد» «القتال». ولسورة المائدة ثلاثة أسماء مع «العقود» «المنقذة». ولسورة غافر «الطول»، والمؤمن، ولسورة براءة عدة أسماء أخرى مثل «التوبة» أو «الفاصلة»، «الحافرة» «العذاب»، «المشقة»، «البقرة»، «المسورة»، «التجوث»، السابق ص ٢٦٩.

(٦) تسمى البقرة وآل عمران الزهراوان. الإتيان ج١/ ١٥٥، والقل والناس المعرفتات أو المشقتان. تسمى الأنفال بدر، والنحل النعم، والكهف أصحاب الكهف، عمدة القتال، وق الباسقات، واقترت الفجر، والمجادلة الظهار، والحشر بنى النضير، طه الكليم، الشعراء الجامعة، النحل سليمان، السجدة المضاجع، فاطمة الملائكة، يس قلب القرآن، والنصر التوديع، وتبت المسد، والإخلاص الأساس، والشعراء الجامعة، والزمر الغرف، وغافر الطول، ومحمد القتال، والقمر والرحمن عروس القرآن، والمجادلة الظهار، والحشر بنى النضير.

ويمكن استخراج أسماء كثيرة لكل سورة من معانيها كما جرت بذلك عادة العرب. وكلما كان المعنى خاصة كان أقرب إلى الاسم مثل سورة «البقرة» أو «النساء» أو «الأنعام»^(١). وفي قصص الأنبياء إذا امتلأت سورة بأسماء الأنبياء يؤخذ اسمها من أكثر الأنبياء تكرارا أو من أطولهم في القصص خاصة إذا ما أخذت سورة أخرى أسماء أنبياء آخرين حتى لا تتكرر أسماء الأنبياء لأسماء للسور^(٢).

وترتبط أسماء القرآن وسوره بالكتب المقدسة السابقة. فالقرآن هو «الزبور» وهو المهيمن على الكتب المقدسة السابقة ومطورا لمضمونها^(٣). وقد تمت روايات بعض الأحاديث لتأكيد هذه الاستمرارية بين الكتب المقدسة السابقة والقرآن. فالتوراة هي السبع الطوال. والزبور هي المائتين. والإنجيل المائتي. وزيد عليها المفصل في «فصلت»^(٤). وقد تستمد بعض الأسماء من التوراة مثل «اقتربت» التي تسمى «القمر»، وفي التوراة «المبيضة».

ويمكن تصنيف الأسماء في سبع مجموعات: الأولى قصص الأنبياء بصرف النظر عن الترتيب الزمني أو الكمي، الطول والقصر^(٥). وقد يكون الاسم للنبي أو للعائلة مثل «آل عمران». وقد يكون لمعجزة للنبي مثل «المائدة» معجزة عيسى، و«الإسراء» معجزة محمد. وقد يكون جامعا للأنبياء^(٦). والثانية أسماء الحيوانات^(٧). والثالثة

(١) ينبغي البحث عن تعدد الأسماء: هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات؟. فإن كان الثاني فلم يعد المقطع أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسماء لها، وهو قول الزركشي في البرهان الإتيان جـ ١/ ١٥٩ - ١٦٠. «ولا شك أن العرب تراعى في كثير من التسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو يكون معه أحكم أو أكثر أو سبق لإدراك الرأي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها»، السابق ص ١٦٠.

(٢) الإتيان ص ١٦٠.

(٣) وهو ما يدل عليه اللفظ الألماني Aufheben.

(٤) الإتيان جـ ١/ ٢٤٥ / ١٦٣.

(٥) سورة الأنبياء (١٣): نوح، هود، إبراهيم، يونس، سليمان، يوسف، محمد، الزمّل، المذثر، مريم، لقمان، يونس، سبأ، آل عمران، أهل الكهف.

(٦) مثل سورة: الأنبياء، القصص، الأحزاب.

(٧) مثل: «البقرة»، «الأنعام»، «الفيل»، أو الحشرات مثل العنكبوت أو الزواحف مثل النمل أو الطيور مثل النحل.

تكون الأسماء طبقاً لأُمُور المعاد. الاعتقادية وهو البعد الجديد في الثقافة الجاهلية في شبه الجزيرة العربية^(١). والرابعة تكون طبقاً للأمور الاجتماعية، والسياسية. مما يدل على جدل الوحي والواقع^(٢). كما تؤخذ من المجموعات والشعوب^(٣). وهذا يدل على ارتباط الوحي بالأقوام والأوطان. والخامسة قد تكون طبقاً للموضوعات الخلقية مثل التوبة والإخلاص من الفضائل، والمُهمزة من الهمز واللمز والغمس من الرذائل. وقد تكون من الموضوعات الإيمانية^(٤). ويتفرد الإنسان بسورة. كما يتفرد الجن نقيض الإنس بسورة أخرى^(٥). والسادسة قد تكون بالنسبة إلى الظواهر الطبيعية^(٦). وقد تكون الأسماء بالنسبة للزمان^(٧). وقد يؤخذ الاسم من علاقة الله بالطبيعة مثل «فاطر»، رب القلق، «ربك الأعلى»، «بيده الملك»، «غافر». والسابعة قد يؤخذ الاسم من الحروف في أوائل السور^(٨). وقد يكون «طه» اسم آخر للرسول كما هو الحال في الثقافة الشعبية، ليس حرفين. وليس كل السور التي تبدأ بالحروف اشتقت أسماؤها منها مثل «الم» واسمها البقرة أو آل عمران أو الروح أو العنكبوت أو لقمان أو السجدة، ومثل «الر» اسمها يونس أو هود أو يوسف أو إبراهيم أو الحجر، وطسم واسمها الشعراء، وطس واسمها النمل، وطسم واسمها القصص، وحج واسمها غافر، وفصلت أو الشورى أو الزخرف أو الدخان أو الجاثية أو الأحقاف نون والقلم. في أسماء السور حتى يسهل نطقها.

-
- (١) مثل: الأعراف، الحشر، القيامة، الذاريات، الصف، القلم، الحاقة، المعارج، المرسلات، النبأ، النازعات، التكويد، الانفطار، الانشقاق، الطارق، الغاشية، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، الواقعة، يوم التغابن، اليوم الآخر، الكوثر، المسد، المجادلة، الجاثية، الزخرف.
- (٢) مثل: الأنفال، الحج، السجدة، الشورى، الفتح، الحجرات، الصف، الجمعة، الطلاق، التحريم، المطففين، التكاثر، الماعون، النصر، الناس.
- (٣) مثل: الروم، الأحزاب، قريش، البلد.
- (٤) مثل: التوبة، المهمزة، الإخلاص، الشرح.
- (٥) مثل: المؤمنون، الكافرون، الشعراء، الماعون، المنافقون.
- (٦) مثل: الرعد، النور، الدخان، الطور، النجم، القمر، الحديد، البروج، الشمس، التين.
- (٧) مثل: الفجر، الليل، الضحى، القدر، العصر.
- (٨) مثل: يس، ق، طه، طس.

وقد تكون الحروف حرفاً أو اثنين. في حين أن الحروف أسماء السور قد تكون ثلاثية مثل «الم» أو رباعية مثل «المص»، «المر» أو خماسية «كهيعص».

وإعراب أسماء السور بين التدوين واللغة. ومع ذلك فهي أقرب إلى الشكل منها إلى المضمون، ومن اللفظ أقرب منها إلى المعنى. وهي تتعلق ببداية السور عندما تصبح اسماً لها من ضمن الأسماء الأخرى مثل (قل أوحى)، (اقتربت الساعة). وكذلك الحروف أوائل السور هل هي معربة أم مبنية، مصروفة أم ممنوعة من الصرف^(١).

٤ - جمعه وحفظه:

لم يجمع القرآن في عهد الرسول بالإجماع. وفي أي عصر جمع القرآن بعد ذلك، في أي من الخلفاء الأربعة عليها خلاف كما هو الحال في تدوين الإنجيل. النظريات المحافظة تجعل الجمع مبكراً قدر الإمكان، الخليفة الأول. والنظريات الأكثر تحزماً وجراً تجعله متأخراً حتى الخليفة الرابع. ولا يهم الحسم التاريخي بل الدلالة النقدية. حجة الجمع المتأخر حرج المتقدمين من فعل ما لم يفعله الرسول^(٢). وقد يُجمع بين العصور الثلاثة في نظرية الجمع ثلاث مرات، في كل عصر مرة، عصر الرسول، ثم أبي بكر، ثم عثمان، الجمع والترتيب^(٣). ويتسع عدد الجامعين أو يضيق طبقاً لبعض الأهواء السياسية. إذا اتسع فإن الإرث النبوي متاح للجميع. وإذا ضاق فإنه يقتصر على نخبة صغيرة تجمع بين النبوة والخلافة، بين الدين والسياسة. ويختلف الناس على إدخال عثمان أو على بسبب الخلاف السياسي في عصر الفتنة. وقد وضعت بعض الأحاديث من أجل تقوية فريق على فريق^(٤).

(١) الإتقان ج١/ ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) السابق ج١/ ٦٤ - ١٧٢، البرهان ج١/ ٢٣٣ - ٢٤٣.

(٣) هم أربعة من الأنصار: أبي بن كعب، معاذ بن جبل، زيد بن ثابت، أبو زيد. وقد يجمل أبو الدرداء محل أبي بن كعب. وربما كان منهم عثمان، وعيم الداري، وسعد بن عبيد، ومجمع بن جارية. وقد يفرد عثمان بالجمع، وقد يدخل على وعاصم الذي قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي الذي قرأ على علي، وعبد الله بن مسعود، وأبو يوسف الأشعري، وسالم مولى أبي حنيفة، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر، وأبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، البرهان ج١/ ٢٤١ - ٢٤٣.

(٤) مثل «طوبى للشام» ثم يأتي التعليل لأن ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليه. ثم تأتي الزيادة «تولف القرآن في الرقاع»، البرهان، ج١/ ٢٥٦.

وكان التدوين لا يتم إلا بشهادة رجلين طبقا للعقود^(١). وقد تلعب الصدف دورا في الجمع وعدم نسيان شيء^(٢). ثم خرقت باقى المصاحف التى جمع منها عثمان المصحف^(٣). ثم نسخ من المصحف الموحد خمسة أو سبعة أرسله إلى الآفاق وربما كانت أربعة فى كل ناحية واحد، الكوفة والبصرة والشام والحجاز. ثم زادت ثلاثة إلى مكة واليمن والبحرين.

والبسملة والمعوذتان فواتح للسور أو جزءان منها موضوع أصولى فى المصدر الأول للتشريع، القرآن^(٤). والفاحة فضلها. وهى السبع المثانى. والبسملة جزء من السورة أو فاتحة لها فى الأصل من علوم القرآن دخلت فى علم أصول الفقه^(٥). ونسيت فى أول سورة براءة أو أنها خلت منها عن قصد. والحكمة منها تسوير السورة، والفصل بين السور السابقة والسورة اللاحقة^(٦). وقد سقطت «البسملة» فى أول «براءة». وهى عادة العرب عند نقض العهد. وقد يكون السبب أنها كانت جزءا من «الأنفال» ثم فرق بينهما. وقد يكون السبب هو أن «البسملة» أمان فى حين أن «براءة» سيف. وقد يكون السبب تاريخيا صرفا، أن الوحى لم ينزل بها^(٧).

٥ - قسمته وترقيمه:

ويتكون القرآن من سور وآيات. والسور تهمز ولا تهمز. فإذا همزت فهى من أسارت أى أفضلت. والسور هو ما بقى من الشراب فى الإناء. وقد يكون مشتقا من السور،

(١) أبى عمر أن يكتب الرجم لأنه كان وحده، الإتيان ج١/ ١٦٨.
(٢) تذكر الروايات أن سورة آخر التوبة لم توجد إلا مع أبى خزيمة الأنصارى. وكذلك آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت. وكذلك آية (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت، الإتيان ج١/ ١٦٥ - ١٧٠، البرهان ج١/ ٢٣٩. وقد يكون مجتمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة، السابق ص ٢٤١.

(٣) الإتيان ج١/ ١٦٩ / ١٧٢، البرهان ج١/ ٢٤٠.
(٤) أين أسباب النزول؟، من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص، ص ١٣٦ - ١٣٨.
(٥) الإتيان ج١/ ١٧٢ - ١٧٣، من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص ١١٠ - ١١٢.
(٦) السابق ص ١٨٤ - ١٨٦.
(٧) البرهان ج١/ ٢٦٢ - ٢٦٣.

سور البناء، سور المدينة لإماطته. وقد يكون مشتقا من الارتفاع. وقد يكون مشتقا من السور أى التصاعد وتركيب بعضها على بعض. والسورة قرآن تشتمل على آيات، أقلها ثلاثة. وبها فاتحة وخاتمة أى أنها شكل أدبي^(١).

وتعنى الآية فى اللغة ثلاثة معانى، جماعة الحروف، العجب، والعلامة. ولا يهم وزنها لأنها ليست شعرا. وفى الاصطلاح الآية قرآن مركب من جمل، متقطعة مع ما قبلها وما بعدها، وهى وحدة صغيرة داخل وحدات أكبر، وقد تكون كلمة واحدة لحالة فريدة مثل (مدھا متان). وهى توقيف إلا إذا كان التقسيم مبينا على وحدات المعانى وليس وحدات الألفاظ. وأوائل الحروف، وهى ست آيات. والكلمة لفظة واحدة من حرفين أو أكثر. وأكثرها عشرة أحرف^(٢).

وتقسم السور طبقا للكم إلى السبع الطوال، والمائتين، والمئتان، والمفصل^(٣). السبع الطوال هى السور السبع الأولى. والمائتون هى السور التى تزيد كل منها عن مائة آية. والمئتان ما ولى المائتين أقل من مائة آية أو لثنية الأمثال فيها بالعبر والخبر والقصص. والمفصل ما ولى المئتان من قصار السور. وتسمى أيضا بالحكم^(٤). وتنقسم نسبيا إلى طوال وأواسط وقصار. وقد انتهت القضية الآن بعد عصر التدوين وتقنين القرآن عبر التاريخ فى مصحف عثمان بالخط العثمانى، من الخليفة الثالث حتى دولة الخلافة، من المدينة إلى استانبول. وقد يقسم القرآن أحزابا أو أجزاء كما هو الحال الآن. ويطبع فى أجزاء متفرقة لسهولة الحمل والتوزيع والاستخدام فى المناسبات.

وعدد السور والآيات والكلمات والحروف فائدة منه دون قراءة كيفية^(٥). أما عدد

(١) الإيتقان ج١/ ١٥٠-١٥١، البرهان ج١/ ٢٦٣-٢٦٥.

(٢) البرهان ج١/ ٢٦٦-٢٦٨.

(٣) السبع الطوال: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، براءة. الإيتقان ج٢/ ١٧٩-١٨٣، البرهان ج١/ ٢٤٤-٢٧٢.

(٤) وهى حوالى اثنتى عشرة سورة: ق، الحجرات، القتال، الجاثية، الصافات، الصف، تبارك، الرحمن، الإنسان، سبح، الضحى.

(٥) قال السخاوى: «لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد فى كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك»، الإيتقان ج١/ ١٩٧.

الآيات في كل سورة فلا نفع فيه^(١). يكفى العدد الكلى للسور^(٢). ومن ثم لا إشكال في اعتبار الحروف الأولى في أوائل بعض السور آيات أم حروف ولم تكن الصحف القديمة كاملة العدد^(٣). والحكمة في تسوير القرآن جعل القرآن وحدات من السور، كل سورة آية ومعجزة. والإعجاب ليس كما بل كيفاً. وقد تكون آية واحدة معجزة. كل سورة بها رحمة وموضوع مما يفسر أهمية التفسير الموضوعي للقرآن^(٤). وكذلك كانت الكتب المقدسة السابقة، التوراة والإنجيل.

وسور القرآن ثلاثة أقسام. قسم لا خلاف عليه لا إجمالاً ولا تفصيلاً، وقسم فيه خلاف تفصيلاً لا إجمالاً، وقسم فيه اختلاف إجمالاً وتفصيلاً^(٥).

كما أن اتفاق بعض السور في عدد الآيات واتفاق بعض الآيات في عدد الحروف، واتفاق حروف البسملة مع العدد تسعة عشر كل ذلك لا دلالة له بالرغم من تحوله إلى علم الحروف والأعداد كأحد العلوم الدينية السحرية التي بها تكتب الألفاظ والأحجية لشفاء الأصدقاء والإضرار بالأعداء.

وقد تقسم الحروف القرآن إلى أنصاف فكلمة «نكرا» تقسم النون القرآن ما قبلها، وتقسم الكلمات والكاف إلى القرآن ما بعدها. وتقسم الآيات في كلمة «الجلود» ما قبل الجيم وما بعد اللام، وتقسم الآيات في كلمة «يأفكون». وتقسم السور في كلمة «الحديد». وهى بداية مدخل الخرافات في علم الأعداد التي لا فائدة منها، وضرورة البحث عن فائدة بالضرورة.

(١) الإتيان جـ ١ / ١٩١ - ١٩٥.

(٢) الإتيان جـ ١ / ١٨٤ - ١٩٨، البرهان جـ ١ / ٢٤٩ - ٢٥٢.

(٣) العدد ١١٤ سورة. وإذا ضمت «الأنفال» و «براءة» يكون ١١٣ سورة، وعدد الآيات ستة آلاف، وعدد الحروف ٣٠٠٢٣٦٠٠٠ أو ٣٠٠٢١٠٠٠، وعدد كلمات القرآن ٧٧٩٣٤ كلمة، الإتيان جـ ١ / ١٩٧ - ١٩٨، البرهان جـ ١ / ٢٤٩.

(٤) وهو موضوع الجهة الثالثة من مشروع «التراث والجديد»، الموقف من الواقع أو نظرية التفسير التي تقوم بالتفسير الموضوعي للقرآن حول دوائر ثلاث: الوعى الذاتى، الوعى بالآخر، الوعى بالعالم، أنظر Method of Thematic interpretation، Islam in the Modern world vol. ١٠ Religion، Ideology and Derelopment. Pp. ٤٨٤ - ٥٠٩.

وهى نفس البنية السياسية في «نظرية الدوائر الثلاث، قراءة بعد نصف قرن، مصر والعرب والعالم».

(٥) الأول أربعون سورة، والثانى أربع سور، والثالث سبعون سورة.

وأنصاف القرآن ثمانية^(١). بالحرف نون قبل مثل (نكرا) أو بالكلمات التى تنتهى بحرف الدال مثل (والجلود). والنصف على عدد السور وهو تصور كمى للقرآن وتقطيع وحدة واحدة بلا هدف. ويتحول الأمر إلى تمرينات رياضية، عدد تكرار الكلمات دون تحليل للمضمون، وعدد الكلمات التى أولها أو آخرها شين أو عدد الحروف المتحركة أو السور التى تجمع حروف المعجم وعدد الميمات. وقد تستعمل الآيات لتحقيق مناطها فى الرد على الفرق المخالفة كالمرجئة والمشبهة والمجبرة. وهو التوظيف السياسى فى فهم الآيات.

أما بالنسبة لترتيب السور والآيات فإنه ليس مثبتا مسبقا فى اللوح المحفوظ بل هو فعل بشرى خالص. ويدل على اختلاف ترتيب مصحفى أبى وابن مسعود^(٢). والترتيب ليس زمانيا مما يدل على أهمية الموضوع وليس التطور، البنية وليس التاريخ. وكل محاولة لإعادة ترتيب القرآن ترتيبا زمانيا فى قرآن مدون جديد هو قرآن للدراسة وليس قرآنا للتعبد^(٣). والمشهور أن ترتيب الآيات توقيفى. وفى هذه الحالة لا توجد له أسباب. وإذا كانت له أسباب فهو اصطلاحى معلل. وتعدد الأسباب إما بحسب الحروف مثل «الحواميم» أو لموافقة أول السور لآخر ما قبلها أو للوزن فى اللفظ أو لمشابهة جملة السورة لجملة أخرى^(٤). والغالب أن ترتيب السور توقيفى^(٥). وقد يجمع بين النظريتين التوقيف والاصطلاح. التوقيف من الرسول باستثناء سورتي الأنفال والبراءة من الاصطلاح تفويضا من الأمة^(٦).

وتدخل المناسبة فى التدوين أى ترتيب الآيات فى السور. كما تدخل فى أساليب البلاغة. وهى مناسبة توقيفية على عكس أسباب النزول. أسباب النزول «دياكرونية»

(١) البرهان ج١/ ٢٥٣-٢٥٦.

(٢) الإتيقان ج١/ ١٧٧-١٨١، البرهان ج١/ ٢٥٦-٢٦٢.

(٣) وهو ما قام إليه بلاشير فى ترجمته للقرآن وإعادة ترتيب سوره وآياته ترتيبا تاريخيا. وما وعى إليه أيضا خلف الله أحمد خلف الله فى بعض مقالاته الصحفية.

(٤) الإتيقان ج١/ ١٧٢-١٧٦، البرهان ج١/ ٢٦٠-٢٦٢.

(٥) الإتيقان ج١/ ١٧٦-١٧٧.

(٦) السابق ج١/ ١٧٧.

ومناسبة الآيات للسور «سنكرونية» بلغة اللسانيات الغربية المعاصرة^(١). والحكم بأن هذا الترتيب التوقيفي مطابق للوح المحفوظ يند عنه التجربة والحكم. والمناسبة في اللغة المشكلة والمقاربة ورابط الآيات بينها بعام أو خاص، عقلى أو حسى أو خيالى، والسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين فى الراهن أم فى الواقع. ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط أو لا تكون كل آية مستقلة عن الأخرى. ويكون الارتباط بالعطف أو التضاد مثل القبض والبسط أو شبه التضاد مثل السماء والأرض والاستطراد والتخلص عكسه وحسن المطلب والغرض العام للسورة والعادة^(٢). وعلى هذا النحو تفسر فواتح السور وخواتيمها، والمناسبة هى المقاربة. وفائدتها ربط الكلام بعضه ببعض من أجل بناء محكم الأجزاء، آخر كل سورة مرتبطة بأول سورة قبلها. وهى مبنية على أن ترتيب السور توقيفى^(٣).

والتوقيف لا يعنى إلغاء السببية^(٤). ومن الأسباب حسب الحروف، وموافقة أول السور وآخر ما قبلها، والوزن فى اللفظ، والمشابهة بين جملة السور. وتفتح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحدة بما بدئت^(٥)، وتناسب السور ومقاصدها^(٦). وقد يتصل اللفظ باللفظ دون المعنى^(٧).

وقد يكون السبب المضمون الجامع مثل «الفاحة» التى تضمنت التوحيد والربوبية والإسلام والتمايز عن الديانات الأخرى والمراحل السابقة للوحى. وتضمنت «البقرة» قواعد الدين. وتكملها «آل عمران». فى «البقرة» الدليل على الحكم وفى «آل عمران»

(١) السابق جـ ٣ / ٣٢٢ - ٣٣٨. ألف فيه أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان «البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن»، وبرهان الدين البقاعى «نظم الدرر فى تناسب الآى والسور»، ولخص السيوطى فى «تناسق الدرر فى تناسب السور».

(٢) «لا يُطلب للآى الكريم مناسبة لأنها حسب الوقائع المفرقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا»، السابق ص ٣٢٣.

(٣) البرهان جـ ١ / ٣٥ - ٥٢، وصنف أبو جعفر بن الزبير.

(٤) الإتيان جـ ١ / ٣٣٢ - ٣٣٤.

(٥) السابق ص ٢٣٤ - ٣٣٧.

(٦) وذلك مثل افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، والكهف بالتمجيد، السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٧) البرهان جـ ١ / ٥٠ - ٥١.

الجواب عن شبهات الخضوع. وفي «النساء» جميع أحكام الأسباب بين الناس الطبيعية كالنسب والمصاهرة والتعاقدية. و«المائدة» سورة العقود. و«الأنعام» و«الأعراف» ذكر للمقاصد. لذلك قد تكون آخر القرآن نزولا. فالترتيب: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، يشير إلى وحدة المقصد^(١).

٦ - فواصله وفوائحه:

وتدخل فواصل الآي في القراءة إذا كان النقل شفاهيا بالصوت وفي التدوين إذا كانت القراءة من الخط. وإن كان الأول فهو مثل الوقف. واللفظ قرآني (كتاب فصلت آياته). الفاصلة كلمة في الآية كقافية الشعر وقرينه السجع. هي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعنى. يحكمها السجع^(٢). وتعرف توقيفا أو قياسا. والقياس صوتي إيقاعي مثل الشعر. وقد يحتم ذلك مراعاة المناسبات لهذا الغرض مثل التقديم والتأخير وحذف بعض الحروف أو الكلمات أو زيادتها^(٣). والصرف لما لا يصرف. والتذكير أو التأنيث إثارة أغلب اللفظين الأفراد والتثنية والجمع، إبدال العاقل بغير العاقل، والإمالة، والمبالغة. وإيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل. وهي في الحقيقة موسيقى القرآن مثل موسيقى الشعر.

والفواصل أربعة أنواع: التمكين، والتصدير، والتوشيح، والايغال. التمكين هو اتلاف القافية. وهو التمهيد للتأثر بالقرينة، وللشاعر بالقافية. والتصدير أن يكون اللفظ بعينه تقدم في أول الآية. وهو رد العجز على الصدر. والتوشيح أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية. ودلالته معنوية. في حين أن التصدير دلالة لفظية. والايغال هو نوع من الإطناب^(٤).

(١) في مصحف عبد الله بن مسعود تتقدم «النساء» على «آل عمران». وترتيب بعضها بعد بعض ليس أمرا أوجبه الله بل هو أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم. ولهذا كان لكل مصحف ترتيب، البرهان جـ/١/ ٢٦٢.

(٢) الإتنان جـ/١/ ٢٩٠ - ٣١٥، البرهان ص ٩٨ - ١٠١.

(٣) وأيضا مثل: الاقتصار على أحد الوجهين، الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، اعتبار الظاهر مضمرا، إبدال الفاعل بالمفعول.. إلخ، الإتنان ص ٢٩٦ - ٣٠٢.

(٤) الإتنان جـ/١/ ٣٠٢ - ٣١٠. البرهان جـ/١/ ٩٢ - ٩٨.

ويرتبط التدوين بالقراءة أو تحتّم مقاطع الفواصل بحروف المد اللين. ومبنى الفواصل على الوقف. ويحافظ على الفواصل لحسن النظم والتثامه. وتقسم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب في الحروف. وتأتلف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام. وقد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها في مواضع^(١).

والفواصل في علم البديع خمسة أقسام: مطرف، ومتواز، ومرصع، ومتوازن، ومتماثل. المطرف اختلاف الفاضلتين في الوزن واتفاقهما في السجع. والمتوازي الاتفاق في الوزن والتقفية. والمتوازن الاتفاق في الوزن دون التقفية. والمرصع الاتفاق في الوزن والتقفية. والمتماثل المساواة في الوزن دون التقفية^(٢).

وهناك نوعان في البديع متعلقان بالفواصل. الأول التشريع أو التوأم وهو بناء الشاعر بيته على وزنين في العروض. إذا سقط جزء أصبح الباقي من الوزن الآخر. والثاني الالتزام وهو لزوم ما لا يلزم. وهو الالتزام في الشعر أو الشرب بحرف أو حرفين بشرط عدم الكلفة. وأفضل السجع ما تساوت قرائنه أو تتلوه أو طالت قريته الثانية أو ما كان قصيرا أو سرد المعاني أو بناء الفواصل على الوقف أى بالسكون أو النهاية بألف ونون.

وتدخل فواتح السور في موضوع التدوين أو في فنون البلاغة^(٣). فمن البلاغة حسن الابتداء لأنه أول ما يطرق السمع. وتسمى براعة الاستهلال. وفواتح سور القرآن عشرة أنواع بعد إحصائها وتصنيفها في مجموعات كعادة القدماء في علوم القرآن: الشاء على الله، إثباتا لصفات الكمال ونفيا لصفات النقص، وحروف الهجاء، والنداء، والجمل الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل^(٤). وبراعة الاستهلال بالفاتحة. فقد نزلت مائة وأربعة كتب أودعت أسرارها في أربعة: التوراة

(١) البرهان ج١/ ٦٨ - ٧٥ / ٧٨ - ٨٤.

(٢) الإتقان ج٣/ ٣١١ - ٣١٥.

(٣) الإتقان ج٣/ ٣١٦ - ٣١٩، البرهان ج١/ ١٦٤ - ١٨١. ألف فيه ابن أبي الأصعب «الخواطر السوانح في أسرار الفواتح»

(٤) إثبات صفات الكمال ونفى صفات النقص (١٤ سورة)، حروف الهجاء (٢٩)، النداء (١٠).

والإنجيل والزبور والفرقان. ثم أودعت علوم القرآن. ثم أودعت فاتحة الكتاب^(١). وكذلك حوت سورة (اقرأ) كل العلوم^(٢).

وكما يطرق أول الكلام السمع كذلك يطرقه آخر الكلام الذى يشمل الأدعية والوصايا والفرائض والتحميد والتهليل والمواظع والوعد والوعيد والتبجيل والتعظيم والتعريض والحض^(٣). والحروف أوائل آية سواء كانت معربة أم لا. يكون عليها الوقف. كتبت في المصاحف. وقد تكون مأخوذة من اسم الله أو أقسم بها الله أو من حروف الهجاء أو اختصار الجمل أو اسما لسور أو سر الكتاب أو لبساطة التأليف أو رغبة في التأويل أو لإثارة الذهن والخيال، وهى نصف حروف المعجم. وهو تسع وعشرين سورة طبقا لأسرار الأعداء^(٤). وتقديم المفردات على مركباتها حركة طبيعية في النطق والهجاء والخط. وتناسب فواتح السور خواتمها وخاتمة التى قبلها.

٧- رسمه وخطه:

وهو موضوع تحويل الشفاهى إلى مدون، والقراءة إلى كتابة^(٥). وقد يستقل الموضوع عن علوم القرآن.

وقد تطورت الكتابة من حيث فصل الحروف وربطها^(٦). والسؤال هو: كيف يكون الخط توقيفيا إذا كانت أشكاله قد تطورت؟^(٧).

(١) أودع علم أصول الدين في (رب العلمين، الرحمن الرحيم)، ومعرفة النبوة في (الذين أنعمت عليهم)، ومعرفة المعاد في (مالك يوم الدين)، وعلم العبادات في (إياك نعبد)، وعلم السلوك أى حمل النفس على الآداب الشرعية في (إياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم)، وعلم القصص وأخبار الأمم السابقة في (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم). السابق ص ٣١٨.

(٢) وكذلك في سورة (اقرأ) براعة الاستهلال، والأمر بالقراءة، والبداية باسم الله، والإشارة إلى علم الأحكام، وتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته، والإشارة إلى الأخبار، السابق ص ٣١٩.

(٣) الإتيقان جـ ٣ / ٣٢٠ - ٣٢١، البرهان جـ ١ / ١٨٢ - ١٨٦.

(٤) البرهان جـ ١ / ١٧٣ - ١٧٨.

(٥) الإتيقان جـ ٤ / ١٤٥ - ١٦٦. صف في الكثيرون من المتقدمين والمتأخرين مثل أبو العباس المراكشى «عنوان الدليل في مرسوم خط التزويل».

(٦) كانت «بسم الله الرحمن الرحيم» «تكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، السابق ص ١٤٥.

(٧) الإتيقان جـ ٤ / ١٤٥.

والقاعدة كتابة اللفظ بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء والوقف عليه. ثم فصلت هذه القاعدة في ست قواعد هي:

أ- الحذف مثل حذف الألف من ياء النداء أو اجتماع ألفين أو حذف من كل منقوص نون. وتحذف الألف في حالات كثيرة. والدافع سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة وقوع المنفعل المتأثر في الوجود^(١).

ب- الزيادة، زيادة الألف بعد الواو مثل بنوا إسرائيل.

ج- الهمز، إذ يكتب الساكن بحرف حركة ما قبل أو وسطا أو آخرا، والمتحرك إذا كان أولا ووسطا بحرف حركته.

د- البديل يكتب بالواو للتفخيم مثل الصلوة.

هـ- الوصل والمفضل مثل ألا.

و- الكتابة على أحد القراءتين.

وتوضع النقاط والأشكال فوق الحروف مثل الهمز والتشديد والنقاط والفواتح والخواتم. ولا تكتب الأقسام، الأجزاء والأشعار وأسماء السور^(٢).

وقد تدون القراءة الشاذة. وفي حالة الزيادة تكون الكتابة حسب القراءة. وتكتب فواتح السور على صورة الحروف^(٣). وللكتابة آداب مثل تحسين الكتابة وبيانها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة، والكتابة في الشيء الصغير. ويكتب بالذهب ويكره كتابة على الحيطان والجدران والسقوف. وماذا عن حوائط المساجد؟^(٤). ولا يكتب المصحف إلا مصري من أجل إتقانه اللغات^(٥).

والإجماع على اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالا وإثباتا وحذفا ووصلا

(١) السابق ص ١٤٦-١٥٧.

(٢) الإتقان ج٤/ ١٦٠-١٦٢.

(٣) السابق ص ١٥٧-١٥٨.

(٤) السابق ص ١٥٨-١٦٠.

(٥) السابق ص ١٦٠.

وقطعا بالرغم من اختلاف القراء. فالعثمانيون آخر من حفظوا القرآن^(١). وهز ذلك الآن والتشكك فيه يشبه ما يستقصيه المستشرقون في مصاحف اليمن والبحث عن المصحف الأصلي أسوة بالإنجيل الأصلي^(٢).

ويكره أخذ الأجرة على كتابة المصحف. وقد أصبحت المصاحف الآن تجارة، طباعة وتغليفًا وتزيينًا وتلوينًا وزخرفة وتحلية بالفضة. والقيام للمصحف بدعة. وقد استبدل به القيام للوجهاء. وتقبيل المصحف تحويله إلى وثن. وتطيب المصحف التعامل معه كوثن. وهو للقراءة والتدبر وليس للتحنيط. وإذا بليت بعض أوراقه فانها لا توضع في شق الحوائط حتى لا تسقط وتداس بل تغسل أو تحرق وهي وثنية لأن المصحف ليس الأوراق بل المعانى. كما أن الإنسان ليس الجسد بل الروح. وهذه بقايا تجسيم يهودى. ولا يصغر المصحف في «مصحف» أو في المسجد في «مسجد» لضرورة التفخيم والتعظيم. ويحرم لمسه للمحدث ليس لأنه نجس بل لمزيد من اليقظة والصفاء بعد الغسل^(٣).

وعلى هذا النحو يتحول المصحف من الحامل إلى المحمول، ومن البشرى إلى المقدس في الممارسات الشعبية التي تكتشف أصولها الوثنية.

(١) السابق ج١/ ٢٥٠-٢٥١.

(٢) Proto-Evangelium، Ud. Evangelium.

(٣) الإتيان ج٤/ ١٦٣-١٦٦.

الباب الثالث

الحوامل الذاتية

(اللغة)

الفصل الأول

اللفظ والمعنى

وتعنى الحوامل الذاتية دور الذات العارفة في تلقي الوحي وفهمه وإعادة التعبير عنه وإيصاله. الوحي هنا مجرد خطاب إلى مخاطب أو رسالة إلى مرسل إليهم. وهو المعنى المعاصر للخطاب كعالم مستقل بذاته عن حوامله الموضوعية مثل المكان والزمان والبيئة الاجتماعية أو الموضوعية الذاتية مثل الخبر والقراءة والتدوين. القرآن موضوع للبحث اللغوى والبلاغى وعلم القراءات والتفسير عند القدماء وليس موضوعا للتقديس. ولما كانت اللغة أحد العلوم الإنسانية أصبح القرآن موضوعا للعلوم. وإذا كانت اللغة هى الحامل الرئيسى للنص عند القدماء فإن العلوم الاجتماعية هى الحوامل الرئيسة للنص عند المحدثين. لم نعد في عصر اللغة بل في عصر العلوم الإنسانية. وعلوم اللغة عند القدماء تعادل العلوم الاجتماعية والإنسانية عند المحدثين. كانت ثقافة القدماء لغوية شعرية في حين أن ثقافة المحدثين علمية أدبية.

وتشمل اللغة موضوع اللفظ والمعنى كما هو الحال في مباحث الألفاظ عند الأصوليين، وفنون القول وأساليب البلاغة وإعجاز القرآن، وأخيرا التفسير والفهم والتأويل كمقدمة لعلم التفسير. وقد تصل المباحث اللغوية إلى حد التخصص والتفصيل بحيث تصبح غاية في ذاتها وليست مجرد وسيلة، من علوم القرآن. فتشعب وتصبح موضوعا لغويا بذاتها.

١ - التأليف في الموضوع:

وقد تم التأليف في هذه الموضوعات كموضوعات مستقلة قبل أن تتظم في علوم القرآن أهمها:

أ- «معاني القرآن» للكسائي (١٨٩هـ)

كان التأليف في الألفاظ والمعاني مبكراً جداً منذ القرن الثاني، والمعاني قبل الألفاظ.. ولا تنفصل المعاني عن الألفاظ في علوم اللغة. بدأت علوم القرآن بعلوم اللغة. لذلك تظهر قصة الإعراب التي هي جدل اللفظ والمعنى. فالإعراب السليم عند الفهم السليم بصرف النظر عن أصل اللغة توقيفية أم اصطلاحية. يبدأ الإعراب لغوياً قبل أن تتحول اللغة إلى فنون القول وأساليب البلاغة. فالنحو قبل البلاغة. والنحاة قبل البلاغيين. ويوظف الإعراب في ضبط القراءات وتصحيحها. وكلاهما يؤديان إلى المجاز وأساليب البلاغة. لذلك تظهر أهمية ضبط الحركات، الضمة والفتحة والكسرة^(١).

وتستعرض معاني الألفاظ، سورة سورة، وآية آية بالمنهج الطولي من المعوذتين والبسملة والبقرة حتى الناس وكما هو الحال في مناهج التفسير دون أن تكون بالضرورة كل آية داخل كل سورة بل فقط بما يقتضيه تعريف الألفاظ. وتظهر قضية الشواذ في الألفاظ وفي المعاني. وهي ما سميت فيما بعد «الغريب» في ألفاظ القرآن^(٢). ويستشهد بالشعر. فالشعر هو ديوان العرب. فيه تفسير الكتاب طبقاً للقول المشهور^(٣). وأحياناً يكون الشعر منسوباً لقائله، سواء كان الكسائي أو غيره أو مرسلًا^(٤). كما يستشهد بأمثال العرب في الجاهلية. فاللغة العربية، مثل الشعر، متصل لغوي وثقافي وفني قبل الإسلام وبعده. ويُعتمد على عادات العرب في الكلام. فاللغة للتداول^(٥). كما يتم الاستشهاد بالقراءات الصحيحة. فالقراءة أساس الإعراب. وهو جدل اللفظ والمعنى^(٦). والمعيار

(١) علي بن حمزة الكسائي: معاني القرآن، أعاد بناءه وقدم له د. عيسى شحاتة عيسى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبد غريب)، القاهرة ١٩٩٨.

(٢) السابق ص ١٠٨/٢٤٨.

(٣) الشعر (٣٤)، السابق ص ٦٥.

(٤) الكسائي ص ١٩٧/٢٠٥.

(٥) السابق ص ٦٢/٦٦/٨٩/١٠١/١٠٧/١٢٨/١٣٠/١٣٣/١٥٠/٢٠١/٢٠٣/٢٠٧/٢٠٨/٢١٢.

٢١٤/٢٣٧/١٣٧/٢٤٢/٢٥٠/٢٥١/٢٥٦.

(٦) السابق ص ٦٠.

قراء أهل مكة^(١). ويتم الاعتماد على الرواية وحدها والنقل عن السابقين دون إعمال للعقل أو القياس. وهم قليل نظرا لأن المؤلف من القرن الثاني ولم يسبقه الكثير. وأحيانا يتم الاعتماد على القراءة المقارنة لمجموع اللغات السامية، العربية والعبرية لمزيد من التوثيق مع ضرب أمثلة من اللغة العبرية في معانى الألفاظ^(٢). ولا يتم الاعتماد على الحديث مثل الاعتماد على الشعر.

ولغة التدوين هي لغة قريش، والقراءة لأهل مكة. ولهجات العرب كثيرة ومتعددة، منها لهجات قيس وكنانة وبنى تميم^(٣). ومنها عادات العرب في الخطاب^(٤). لذلك تظهر بدايات علم القراءات من إضمار وحذف، وتقديم وتأخير، وجمع وإفراد، وإضغام وتنوين، وحذف وتكرار، ونقصان وزيادة، ومبالغة وتفخيم، وتصغير وتحقير، واستعمال الضمائر مما يقترب من أساليب البلاغة وفنون القول. والكسائي مثل القراء صاحب مذهب لغوي^(٥). وتظهر بعض الموضوعات الأخرى الخاصة بالحوامل الموضوعية مثل المكان في المكي والمدني، والزمان في الناسخ والمنسوخ، والبيئة الاجتماعية في أسباب النزول.

ويخلو الكتاب من أى قسمة إلى أبواب أو فصول أو مسائل لتحديد بنية الموضوع. كما يخلو من أى مقدمة نظرية حول جدل اللفظ والمعنى. يبدأ مباشرة بالبسملة ثم بالفاتحة^(٦). فالتأليف مازال مبكرا كى يبلغ درجة التنظير المتأخر.

ب- «معانى القرآن للأخفش الأوسط» (٢١٥هـ)^(٧)

والعنوان دال في معانى الألفاظ أى في جدل اللفظ والمعنى المقارب للتفسير. هو أقرب إلى شرح معجم ألفاظ القرآن، سورة سورة، وآية آية دون أى مقدمة نظرية في

(١) السابق ص ١١٢/٦٠-١٩٣.

(٢) السابق ص ٦٨/١١٥-٢٣٩.

(٣) السابق ص ٦٧/١١٣-١١٥/١٩١/٢١٢-٢٥٨.

(٤) السابق ص ١٩٧.

(٥) للفرأ أيضا (٢٠٧هـ) «معانى القرآن».

(٦) الكسائي ص ٥٩.

(٧) أبو الحسن سعيد بن سعد المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط: معانى القرآن. قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

جدل اللفظ والمعنى أو في نظرية في التفسير. ربما كان الوقت مبكراً لظهور نظرية «النظم» عند عبد القاهر الجرجاني في القرن الرابع. ويتم شرح القرآن بالقرآن دون أى وسيلة شارحة أخرى لغوية أو بيانية أو عقلية أو تاريخية. فجاء الشرح أقرب إلى الإعراب وتحليل مجرد للألفاظ دون الذهاب إلى ما هو أبعد إلى علوم المعاني والدلالات. فغلب على المعاني اللغة والنحو والإعراب والتشكيل. وتظهر بعض المقولات الخاصة بتركيب الجملة مثل الفصل والاسم والزمان والتأنيث والتذكير. وقد يتجاوز الأمر إلى أساليب البلاغة مثل المجاز والاستثناء والدعاء والإضافة والمجازاة^(١). ويتم الاعتماد على الشعر المنسوب إلى قائله أو المجهول^(٢). وكذلك الاعتماد على الحديث وعلى أقوال الصحابة.

جاءت التحليلات متجزأة دون رؤية عامة مما يبين أهمية علوم القرآن كروية كلية. ويبدو أن تطور العلوم من النشأة والتكوين إلى البنية مرهون بهذا التطور من الجزئى إلى الكلى. لذلك جاءت الآيات قصيرة متقطعة، مجرد ألفاظ متناهية في الصغر إلى درجة الحروف، حروف الاستفهام وغيرها^(٣). وتدخل قراءات أخرى دون استقراء لها^(٤). كما تعطى كتابات أخرى واستبدال الحروف مثل السين والصاد مما يدل على ارتباط القراءة بالكتابة، والصوت بالخط. ونظراً لغياب التحليل النظرى تصبح القراءة عملة لا استنباط فيها. المادة أداة للعمل، ومادة التحليل خاصة بفهارسها التحليلية للآيات والمسائل النحوية وللأعلام وللقوافي ولأجزاء وأنصاف الآيات مرتبة أبجدياً^(٥).

ج- «ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن العظيم» للمبرد عالم اللغة الشهير (٢٨٥هـ) صاحب الكامل^(٦)

وتظهر موضوعات علوم القرآن قبل تنظيرها في القرنين الثامن والتاسع عند

(١) السابق ص ٥٠-٦٢.

(٢) الأشعار (٢٧٥) أجزاء وأنصاف الآيات (٢٠).

(٣) الأخفش ص ١٦١.

(٤) السابق ص ١٨١.

(٥) السابق ص ٣١٩-٣٥٦.

(٦) الإمام العلامة أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ ص ١٠٥-١٢٦، وله أيضاً «معاني القرآن»، السابق ص ١٠٨.

الزخشرى في «البرهان» (٧٩٤هـ) والسيوطى في «الإتقان» (٩١١هـ) متفرقة منذ القرن الثالث.

فالبداية من علم اللغة، والمدخل اللغوى لعلوم القرآن، ومحاولة وضع نسق منطقى وليس مجرد رصد للموضوع، سورة سورة، وآية آية. هو نسق رياضى يقوم على احتمالات ثلاثة: اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين وهو الطبيعى، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وهل يوجد الترادف أم أن كل لفظ له ظلال من المعنى غير الآخر؟ ويعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث. كما يعتمد على كلام العرب وقول العرب^(١). والشعر إما معروف صاحبه أو شعر مرسل.

د- «غريب القرآن على حروف المعجم» للسجستاني (٣٣٠هـ)^(٢)

كتاب فى الألفاظ وحدها، أصالتها وغربتها مرتبة ترتيبا أبجديا كما هو الحال فى المعاجم اللغوية. الغريب فى الكناية، والشاذ فى القراءة. الغريب فى الخط والشاذ فى الصوت. وهو السجستاني صاحب كتاب «المصاحف» المشغول بتدوين الفروق بين الخطوط والقراءات. والغريب فى الأول يتوقف على التداول. فقد يكون اللفظ غريبا فى البداية مألوفاً فى النهاية مثل معظم الألفاظ المعربة. وقد يكون غريبا فى بيئة ثقافية لغوية مألوفاً فى بيئة ثقافية أخرى. فالأماص مثل مصر والشام والمغرب عوالم ثقافية. والحروف فى أوائل السور ليست نموذجا للغريب اللفظى بل للغريب البلاغى لإثارة الانتباه عن طريق الصوت كما هو الحال فى «السيمفونيات» الحديثة أو دقات المسرح الحديث. وكثير من الألفاظ المذكورة ليست غريبة بل مألوفة مثل لفظ أمانى^(٣). فقد اتسع لفظ الغريب بحيث شمل المؤلف.

وهو مجرد إحصاء لألفاظ القرآن وفقا لترتيب حروف المعجم ترتيبا أبجديا، وكما هو الحال فى المعاجم المفهرسة الحديثة لألفاظ القرآن. وهو ليس تفسيرا موضوعيا طبقا

(١) الآيات (٧٥)، الأشعار (٣٥)، الأحاديث (٥)، كلام العرب (٣)، قول العرب (٢).

(٢) الإمام أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني: غريب القرآن على حروف المعجم، دراسة وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، دار أطلس، دمشق ١٩٩٣م.

(٣) السابق ص ٩٨.

للألفاظ والموضوعات لأنه لا توجد أى محاولة للتجميع والتنظير في حقول دلالية متشابهة أو مختلفة. ولا حكمة ظاهرة في التركيب طبقا لحروف المعجم. وكان يمكن إيجاد تصنيف آخر أكثر دلالة من حيث إيجاد نسق للألفاظ حول حقوق دلالية متمايزة. وتقسيم القرآن طبقا للألفاظ يقضى على الجملة والتركيب والسياق والمنطوق والمفهوم والدلالات العامة. وتتكرر الألفاظ دون داعى أو جديد. ويخلو الكتاب من أى تحليل نظرى في المقدمة أو في الوسط أو في الخاتمة. توجد فقط إحالة عابرة في أول الكتاب لما يمكن أن يوحى بأنه منهج للتأليف، القصد منه قرب تناول القرآن وسهولة حفظه^(١). ويشرح القرآن بالقرآن وبالشعر وبالحديث وبالأمثال العربية^(٢). ويكون الشرح للفظ مرة وللجملة مرة أخرى. كما يذكر تعدد القراءات^(٣). وبالرغم من الشرح اللفظي إلا أنه يقع في التفسير الشئى للألفاظ كما هو الحال في بداية سورة العاديات^(٤). وبالرغم من كثرة الفهارس الفنية لجذور المفردات القرآنية الغربية وللآيات القرآنية والقراءات والأحاديث والأشعار والأمثال والأعلام والقبائل والمدن والأماكن إلا أنها تظل بلا دلالات كبيرة^(٥).

هـ- «الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز» للدماغاني (٤٧٨هـ)^(٦)

والعنوان مشابه لتعبير «الأشباه والنظائر» في علم القواعد الفقهية ولكنه في الحقيقة بين الألفاظ والمعانى من ناحية والتفسير من ناحية أخرى. فهو تفسير لبعض ألفاظ القرآن مرتبة ترتيبا أبجديا (حوالى خمسمائة لفظ). وهو نوع من التفسير الموضوعى اللفظى الأبجدي، أشبه بالمعجم المفهرس أو القاموس دون أى دلالة أبعد من الألفاظ. ومعانى الألفاظ متعددة بل ومتضاربة لتعدد التفسيرات وإمكانيتها. فالإنسان مثلا له عشرون

(١) «هذا تفسير غريب للقرآن ألف على حروف المعجم ليقرب تناوله، ويسهل حفظه على من أراد»، السابق ص ٩٦.

(٢) الأحاديث (١٣)، الأشعار (٢٥)، الأمثال (١٠).

(٣) السجستاني ص ١٢٩ / ١٧٠.

(٤) السابق ص ٢٤١-٢٤٢ / ٢٩٠.

(٥) السابق ص ٣٨٣-٤٦٠.

(٦) الإمام الشيخ أبى عبد الله الحسين بن محمد الدماغاني: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تقديم وتحقيق عربى عبد الحميد على، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م-١٤٢٤هـ.

وجها^(١). وتتراوح بين المعانى الحسية والعقلية، العيانية والمجردة، الحقيقية والمجازية. والتضاد ليس في ذاته بل للسماح للاختيار بين أحد المعنيين طبقا للحاجة والظروف. وكذلك تتعارض معانى لفظ الجنة لاختيار أحدها^(٢). وتغفل هذه الطريقة التجزئية المتقطعة السياق الدلالى للألفاظ ونواتها. وتمنع من السيولة الفكرية والاتصال النظرى بينها. لذلك جاءت قصيرة أشبه بمعانى القاموس الحديث ومن محض الذاكرة دون الاعتماد على معاجم الألفاظ الحديثة كما هو الحال عند المحدثين. ولا يُعرف هل هذه المعانى اشتقاقية أم اصطلاحية أم عرفية طبقا للمعانى الثلاثة للفظ عند الأصوليين^(٣). ويخلو التحليل من أى بنية نظرية أو قسمة للمعانى تتجاوز الألفاظ. وإذا كان لكل لفظ معنى فأين ظلال المعانى وقدرتها على الإيهام والتأثير^(٤). ويتراوح التفسير بين المعانى المطلقة والأشخاص المحددة موروثه أو وافده^(٥). ويتراوح الإنسان بين المعانى العامة والأشخاص المحددة، أشبه بأسباب النزول. وتفسر الأفعال والحروف مع الأسماء مثل القاموس الشامل. بل قد تضمن بعض الأسماء المعربة مثل أتون^(٦). ويعتمد بطبيعة الحال على القرآن أكثر من اعتماده على الحديث، تفسيراً للقرآن بالقرآن. كما يستعمل الشعر^(٧).

وكان الدافع على التأليف استكمال ما نقص عند المفسرين مثل «وجوه القرآن» لمقاتل ابن سليمان، وإغفال حروف من القرآن لها وجوه كثيرة. فجعله مرتبا على حروف المعجم لتسهيل مطالعته وحفظه^(٨).

(١) السابق ص ٦٨-٧١.

(٢) السابق ص ١٢٣-١٢٤/١٥٣-١٥٤.

(٣) من النص إلى الواقع، بنية النص ج ٢ ص ٢٥٢-٢٥٥.

(٤) تأويل الظاهريات ص ١٥٤-١٥٦.

(٥) تفسير «أحد» على ثنائية أوجه: الله، النبى، بلال تلميذا، زيد بن حارثة، أحد من الخلق، دقيانوس، ساني الملك، الوجوه والتناظر ص ٤٣.

(٦) السابق ص ١٢٦-١٢٧.

(٧) السابق ص ١٤٧.

(٨) «إنى تأملت كتاب وجوه القرآن لمقاتل بن سليمان وغيره فوجدتهم قد أغفلوا حروفا من القرآن لها وجوه كثيرة. فعمدت إلى عمل كتاب مشتمل على ما صنعوا وما تركوا منه، وجعلته مبوبا على حروف المعجم ليسهل على الناظر فيه مطالعته وعلى المتعلم حفظه»، السابق ص ٣٧.

و- «معجم مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني (٥٠٣هـ)^(١)

واستمر ذلك حتى الفهارس الحديثة. ومؤلفو هذا النوع بين علماء اللغة والنحو والبلاغة والأدب وعلوم القرآن. ويتم تبويب الألفاظ طبقا للحروف الأبجدية كالمعجم المفهرس. وهو اختيار لغوي وليس اختيار موضوعيا. فالحروف الأبجدية عرض تاريخي توضع تحتها الألفاظ التي تشير إلى الموضوعات الاجتماعية والسياسية مثل «بئر معطلة وقصر مشيد». فهي آية ليست فقط تحت حرف الباء ولكنها تدل على أسباب انهيار المجتمعات، تعطيل مصالح الناس، الآبار، وبناء الاقطاعي فوقها القصور المشيدة^(٢). يقوم على مجرد الرصد دون أي استنتاجات. وهو عمل قواميس اللغة. يعتمد على القرآن ثم الشعر ثم الحديث^(٣). وتطبع الأشعار والألفاظ بالمداد الأحمر لإبراز أهميتها. وترقم الأشعار وليس الألفاظ. ولا تستعمل أقوال القدماء بل أحيانا أقوال بعض الصحابة. ويتم التركيز على اشتقاق الألفاظ والقراءات المختلفة^(٤).

ز- «البرهان في توجيه متشابه القرآن» لما فيه من الحجة والبيان» للكرماني (٥٠٥هـ)^(٥)

ويظهر فيه موضوع التكرار في القرآن، يتبع نفس المنهج في علوم التفسير ليرصد مظاهر التكرار أو التشابه بين الآيات لتقليلها ونفيها، سورة سورة، وآية آية، اعتمادا على القرآن. فالقرآن يفسر نفسه بنفسه ثم الشعر، ونادرا الحديث^(٦). والتكرار في القرآن موجود. وله أسبابه اللغوية. فالترادف موجود في اللغة، ولكنه لا يعني المطابقة في المعنى. فكل لفظ من الألفاظ المترادفة يوحى بظلال من المعنى مخالفة للآخر. والبدل

(١) العلامة أبو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٣هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٢) السابق ص ٤٤.

(٣) الآيات بالآلاف، والأحاديث بالئات، والأشعار (٤٦٥).

(٤) السابق ص ٦٣.

(٥) تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني: أسرار التكرار في القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام ط ٢، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

(٦) الأشعار (٦)، الأحاديث (١).

في اللغة ولكنه لا يعنى الإحلال المطابق بل إعادة الضبط والتكيف. فالعلاقة بين آيتين متكررتين مثل العلاقة بين الخاص والعام، الجزئى والكلى، الفرعى والأصلى على مستوى الإيهام، والعلاقة بين الحقيقة والمجاز، والظاهر والمؤول، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمبين، والمطلق والمقيد، والمستثنى والمستثنى منه على مستوى الصياغة. وقد يكون على مستوى التصوير الفنى مثل الأمر والقصص، الحكم والمثل. وقد يكون على مستوى تعدد المعانى والتعبير من خلال المعنى بألفاظ مترادفة لتعدد الفهم، واختلاف مستويات العمق، والتفاوت بين الظاهر والباطن، بين الصريح والمؤول، وقد يكون على مستوى الكم مثل الإيجاز والإطناب، الحذف والإضافة. وقد يكون على مستوى العمل بين التخفيف والشدة، الرحمة والعقاب، وقد يكون على مستوى الإعجاز في تعدد الصياغات الأدبية لنفس الشيء واستقراء نفس الحكم من تعدد أسباب النزول، واستنباط نفس الأمر من تعدد الصياغات. وقد يكون على مستوى الفهم بين الحدس والبرهان، الإدراك المباشر والاستنباط، الظن واليقين، الاحتمال والتوكيد. وقد يكون على مستوى المعانى من أجل الجدل مع المخالفين والحرص على التنزيه ونقاء العقائد. ومع ذلك يحتاج ذلك كله إلى تجميع في نظريات للتكرار ومستوياته المتعددة.

ح- «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» لابن الجوزى (٥٩٧هـ)^(١)

وهو كتاب في شرح ألفاظ القرآن الغريبة دون تحديد معنى الغريب، هل هو الدخيل العربى من لغة أخرى هندية أو فارسية أو رومية أو هو ما لم تألفها لهجة قريش؟ وهو مجرد رصد لألفاظ القرآن بالمعنى الواسع، أشبه بقواميس اللغة دون أى مقدمة نظرية فى الغريب. ولا تشمل فقط غريب اللفظ بل أيضا غريب اللفظ والمعنى^(٢). ويتطرق إلى موضوعات أخرى مثل النسخ وأسباب النزول وتخصيص العموم مع المبالغة فى الاختصار^(٣). ويستمر الرصد سورة سورة، وآية آية كما هو الحال فى علم التفسير الكلى،

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى: تذكرة الأريب فى تفسير الغريب، تحقيق طارق فتحى السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٢) وهذا الكتاب يتميز عن كل كتاب يصنف فى الغريب لأن تلك تشتمل على غريب اللفظ فقط. وهذا على غريب اللفظ والمعنى^(٤)، السابق ص ١٣.

(٣) السابق ص ٤٥٣.

التفسير الطولى. والشرح لغوى خالص^(١). ويتغير المعنى بتغير التشكيل. ويتم الاعتماد على اللغويين مثل الفراء، وعلى الحديث دون الشعر^(٢). ولا عجب أن يبدو في الحديث التنبؤ السياسى بخلافة الشيخين^(٣).

ط- «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز» للعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)

الكتاب كله لمجاز القرآن مع درجة عالية من التنظير والتفصيل في أنواع المجاز مع تجاوز رصد المجاز سورة بسورة وآية بآية كما هو الحال في التفسير الطولى الذى أثر في تناول موضوعات علوم القرآن الأخرى اللغوية أو البلاغية^(٤). وبالرغم من الخطأة التفصيلية العامة الشاملة لأنواع المجاز إلا أنها مليئة بالأمثلة من القرآن والحديث والشعر^(٥). كما تستعمل بعض الأمثال العامة نظرا لأن الوحي قد نزل على ثقافة العرب، شعرا ونثرا^(٦). والسؤال هو: هل نزل الوحي على أساليب البلاغة العربية استنباطا وبطريقة قبلية أم أن علماء النحو والبلاغة طبقوها عليه استقراء وبطريقة بعدية؟ ويمكن الجمع بين الاثنين، الاستنباط والاستقراء، القبلى والبعدى^(٧). وتنطبق أيضا قواعد النحو وأساليب البلاغة على أقوال الرسول. وهى ليست وحيا لفظيا مباشرا، فقد أوتى جوامع الكلم. وهو أفصح بلغاء العرب.

ويعتمد المجاز أساسا على الحذف^(٨). والمجاز فرع للحقيقة وليس مجرد خيال أو

(١) السابق ص ٤٦٧.

(٢) السابق ص ٣٨٩/٣٣٣، الحديث ص ٥٥/٣٠١/٣٩٣/٤٠٧/٤٧٥.

(٣) السابق ص ٣٥٩.

(٤) الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الشافعى: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (مجاز القرآن)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، السلسلة التراثية (١١)، طرابلس، الجماهيرية الليبية ط ١/١٤٠١ من وفاة الرسول ١٩٩٢م.

(٥) الآيات (دون المكرر منها) (١٥٦٠)، الأحاديث (١٥٢)، الأشعار (٦٢).

(٦) مجاز القرآن ص ١٠٠.

(٧) وهذه هى الأحكام القبلية التركيبية عند كانظ.

(٨) مجاز القرآن: ص ٩٢-١٤٢. وهى: حذف المضافات، والمفعولات، والموصوفات، والأقوال وأجوبته، والشروط، وأجوبة القسم، والمبتدأ، والخبر، والأفعال العاملة، ومفاعيل المشيئة، والإفساد، وضائر الموصولات، وفعل الأمر، والجمل، والجمل الكثرة.

تصوير في اللفظ الواحد يجمع الحقيقة والمجاز^(١). وتتفرع أنواع المجازات بالعشرات. ويتعبير المحدثين في الغرب هو تجوز بالذات عن الموضوع أو بالموضوع عن الذات، بالشعور عن مضمونه، ومضمون الشعور عن الشعور^(٢). وكما يكون المجاز عن طريق الحذف يكون أيضا عن طريق النسبة^(٣). ومنها نسبة البعض إلى الكل أو الكل إلى البعض^(٤). وبالإضافة إلى مجاز الحذف هناك مجاز التضمين والأهم مجاز اللزوم وهو أنواع^(٥). ومجاز التشبيه هو الأكثر تفصيلا. له أكثر من مائة نوع^(٦). منها التجوز بشيء عن شيء^(٧). ومنها ربط شيء بشيء أو التعبير عن شيء بشيء^(٨). ويصل التنظير

(١) السابق ص ١٤٥-١٨٠.

(٢) مثل: التجوز بلفظ العلم عن المعلوم، وبالمعلوم عن العلم، وبالقادرة عن المقدرة، وبالمقدرة عن القدرة، وبالإرادة عن المراد، وبالمراد عن الإرادة، وبالأمل عن المأمول، وبالوعد عن الموعد، وبالعهد عن المعهود، وبالعقد عن المعقود، وبالبشرى عن البشر به، وبالقول عن المقول، وبالنسى عن المنى به، وبالإسم عن السمي، وبالكلمة عن المتكلم، وبالحلف عن المحلوف به، وبالحكم عن المحكوم به، وبالعزم عن المعزوم عليه، وبالحوى عن المهوى، وبالحشية عن المخشى، وبالحب عن المحبوب، وبالظن عن المظنون، وباليقين عن المتيقن، وبالشهوة عن المشتهى، وبالحاجة عن المحتاج إليه، وبالسبب عن المسبب، وبالمسبب عن السبب، السابق ص ١٨٣-٢٢٢.

(٣) مثل الإخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم، والتعبير ببعض عن الكل، وبالكل عن البعض، وبالفعل عن مقارنته، وتسمية الشيء بما كان عليه وبما يؤول إليه، وتنزيل الموهم منزلة المحقق، والمخاطبة والأخبار البينين على زعم الخصم.

(٤) مثل نسبة الفعل إلى سببه أو إلى سبب أو إلى سبب السبب أو إلى الأمر به أو الإذن فيه، السابق ص ٢٢٣-٢٣٦.

(٥) مثل: التعبير بالإذن عن المشيئة وعن التيسير والتسهيل، وتسمية ابن السبيل، ونفى الشيء لانتفاء ثمرته وفائدته، والتجوز بلفظ الريب عن الشك، ويترك الكلام عن الغضب، وينفى النظر عن الإذلال والاحتقار، وباليأس عن العلم، والتعبير بالمسافحة عن الزنا، وبالمحل عن الحال، وبالإرادة عن المقاربة، وبالدخول عن الوطء، ووصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه، والمكان بصفة ما يقع فيه، والإعراض بصفة ما قام به، والكنايات، السابق ص ٢٧٦-٢٩٣.

(٦) السابق ص ٢٩٣-٤٢٤.

(٧) منها: التجوز بالصراط والطريق والسبيل، وبالميزان عن العدل، وبالحيال عن العهود والعقود، وبالنور عن الهدى، وبالظلمات عن الضلالات والشدائد، وبالأبصار عن البصائر، وبالبصائر عن الأبصار، وبالموت عن الكفر، وبالحياة عن الإيمان، وبالروح عن الوحي والقرآن، وبالسجود عن الاتقياد لقدرة الله، وبالقتال عن دلالة الحال، وبالقتل عن الإهلاك واللعن، وبالدعاء عن العبادة، وبالظن عن العلم، وبالوقوع عن الثبوت والتحقيق، وبالحظ عن الفجرين، وبكثرة الساع للصحيح والباطل بالأذن. وبالصدق عن الشرف والحسن.

(٨) مثل: نحت إنسان على صورة إنسان، مدح الأقوال والأفعال بلفظ الاستقامة والطيب والبركة، والذم

إلى درجة وضع مفاهيم جديدة، وتصور واحد يجمع بين الشبه والمثبه به^(١). وأحيانا يوصف الشيء بأنه مجاز^(٢). وقد تستعمل الآية القرآنية لأنها بصياغتها مجاز. ولا تحتاج إلى صياغة نظرية أخرى^(٣).

ويتشعب نوع واحد مثل وصف المعانى بصفات الأجرام إلى عدة أنواع فرعية. منها ما يتضمن حركتين^(٤). ومنها ما يتضمن حركة واحدة^(٥). ومن ضمن الأنواع تعدد مصححات التجوز في محل واحد مثل الذات والصفات والأفعال^(٦). وهناك المجاز

بلفظ الاعوجاج، والطبع على القلوب والحتم عليها، والانقلاب على الأعقاب، والتعبير عن الإحاطة على الإنلاف والإهلاك، وتشبيه المؤمن بالحي والسميع والبصير والكافر بالميت والأعمى والأصم، ووصف الكتاب بالفتيا والقصاص والحكمة، وتشبيه المعنى المنتسب إلى شيئين بالجزم المنتسب إلى جرمين بلفظ بين، وتشبيه ثبوت القرآن والإسلام إلى آخر الزمان بالجبال الراسيات، وتسمية عقوبة المذنب بالعذاب، وجعل الهوى إلهًا وتشبيه الناس بالحطب، وتشبيه خلو القلب من الأمن والسرور بالهواء، وتشبيه من خرج عن الصدق في هجومه وذمه بالهائم في الأودية، والتعبير بالأخبار عن الخضوع والتواضع، وتمثيل المرأة بالنعجة، والتعبير بالجهاد عن النصر، وتقديم رجل وتأخير أخرى، وتشبيه الداخل في الباطل بالخائف في الماء، وجعل الدوات في الأعراض وفي الصفات، والأمر المجازى هو أمر التكوين.

(١) مثل اللباس، النقض، الربط، الشد، الكظم، الميل، الزينج، الصفو، الخنف، الحجاب، الكفر، الأكنة، والأغطية والأغشية والإقفال، البعد، اللين، الغلظة، القسوة، المرض، والشفاء، الضلال، الصم والعمى والبكم، البشارة والنذارة والمجازيان، القبض، البسط، الشرح والضيق والسعة والفتح، التولى والإعراض، الزلل والاستئلال، الصرف، الشدة، القرع، ثنى الصدور، الدرء، الستر، الإيقاد والإطفاء والنار، النفخ، إسباغ النعم، صبغة الله، محو الباطل، نسخ الأحكام، الحرث، المهاد، الصبر، الركن، الأوتاد، الشراء والبيع والقرض، الجنوح، الأمثال، الاعتداء، التناوش.

(٢) مثل: السد المجازى، الرفض المجازى، السقوط المجازى.

(٣) مثل (وباءوا بغضب)، (ولما سكنت عن موسى الغضب)، (قد مكر الذين من قبلهم)، (وإذا بشر أحدهم بالأنثى)، (وأذنت لربها)، (وأشربوا في قلوبهم العجل)، (فعميت عليهم الأنبياء)، (وقد خاب من دساها)، (وكل إنسان أئتمناه طائره في عنقه)، (تكاد تميز من الغيظ)، (وكنتم على شفا حفرة)، (واخفض لها جناح)، (واتخذتموه وراءكم ظهريا)، (وطعنوا في دينكم)، (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت)، (فأذاقها الله).

(٤) مثل وصفها بالمجىء والإقبال، وبالزهور والذهاب والإذهاب، وبالصعود والإصعاد، والإفراغ والصب، وبالدخول والخروج والإدخال والإخراج، وبالتزول والإنزال، وبالتنفيذ والقذف والرجم والإلقاء والرمى، وبالقرب والبعد، وبالفك والافتك.

(٥) مثل: الأخذ، الكشف، اللمس، الذوق، التمسك، الخلط، المله، يمكن وصفها بأنها مرجوعا إليها وبأنها مركوبة.

(٦) مثل: الرحمة، المحبة، الود، الرضى، الشكر، الضحك، الفرح، الصبر، الغيرة، الحياء، الابتلاء، السخرية والاستهزاء والمكر والخداع، التعجب، التردد، الاستواء، الغضب، السخط، الأسف، القلى، المقت، العداوة، اللعن، الكشف عن الساق، والإشارة إليه بـ «ذلك».

المزدوج أى مجاز المجاز^(١). ويمكن الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد^(٢).

ي- «المجيد في إعراب القرآن المجيد» للسفاسي (٧٤٢هـ)^(٣)

وهو مثل كتب إعراب القرآن في علوم التفسير. ويقوم بإعراب القرآن سورة سورة، وآية آية، البسمة والفاحة فقط نموذجاً. ويعتمد على آراء السابقين مع اقتباس نصوص ووضع لفظ «انتهى»^(٤). واللغة عند القدماء كانت ثقافة العصر مثل العلوم الإنسانية عند المحدثين. كما يعتمد على الشعر والمثل العربي^(٥). ويخلو من أى مقدمة نظرية باستثناء أهمية علم اللغة^(٦). فهو القادر على تمييز الخطأ من الصواب كما فعل «البحر المحيط» لأثير الدين الذى جمع بين التفسير والإعراب كما فعل أبو البقاء في «البيان في إعراب القرآن». والكتاب يعتمد على تلخيص آراء السابقين، والانتقاء بين القراءات الشاذة^(٧). يظهر تطبيق قواعد النحو على الوحي مثل تطبيق أساليب البلاغة. فقد نزل الوحي بلغة العرب. واتباع قواعد النحو العربي: وتم تطبيق ذلك سورة سورة وآية آية، سورة الفاتحة والجزء الأول من سورة البقرة دون أن يكتمل. والسؤال هو: وماذا عايند عن قواعد النحو؟ هل هى الشواذ عن القاعدة؟ هل هى استعمال لهجات قبائل عربية أخرى وقد أنزل القرآن على سبعة أحرف؟ هل هى أخطاء في التدوين؟

ك- «بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب» للمارديني ابن التركمانى

(٧٥٠هـ)^(٨)

(١) مثل (ولكن لا تواعدوهن سرا)، مجاز القرآن ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٢) مثل (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، السابق ص ٤٥٣-٤٦٠.

(٣) أربعة كتب في علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ص ٤٥-١١، وهناك طبعة أخرى تحقيق موسى محمد زين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، السلسلة التراثية (١٣)، طرابلس، الجماهيرية الليبية ج ١، ١٤٠١ من وفاة الرسول ١٩٩٢.

(٤) السابق ص ١٣/٢١/٢٧.

(٥) الأشعار (٣٤)، الأمثال العربية ص ١٦.

(٦) «وبعد، فلما كان اللسان العربى هو الطريق السنى إلى فهم مفردات القرآن العزيز وتربيته، وعليه المعول في معرفة معانيه وتدبر آياته، وبحسب قوة الناظر فيه، تلتقط درر المعاني من فيه...»، السابق ص ١٢.

(٧) السابق ص ١٢-١٣.

(٨) على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان المارديني ابن التركمانى: بهجة الأريب في بيان ما في كتاب

وهو أيضا في غريب الألفاظ دون تحديد الغربة بالنسبة لمن، وفي ماذا؟ هل في اللغة أى الدخيل من اللغات المجاورة أم في الصور الأدبية وفنون القول وأساليب البلاغة أم في الأحكام الشرعية أم في العقائد والتصورات النظرية؟ ويتسع مفهوم الغريب بحيث يشمل ألفاظ القرآن كلها، وليس الغريب وحده، سورة سورة، وآية آية دون أى تحليل نظرى باستثناء فقرة في المقدمة في نقد الدراسات القرآنية اللغوية دون القصدية والتي اقتصر على الألفاظ دون المعانى والمقاصد والغايات. والقرآن موجه إلى العقول والألباب وليس إلى الألسن والشفاه^(١). يشرح القرآن بالقرآن، وبالحديث نادرا وبالشعر كثيرا. ويعتمد على أقوال الصحابة والسابقين^(٢).

ل- «كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر» لابن العماد (٨٨٧هـ)^(٣)

ويستمر حتى بعد بداية علوم القرآن في «البرهان» للزركشى (٧٩٤هـ) في عرض بعض الموضوعات المنفصلة، الأشباه والنظائر، وكأنها موضوعات مستقلة مثل موضوع «المتشابهات». ولا تعنى التشابه في مقابل المحكم في علوم أصول الفقه من مباحث الألفاظ بل تعنى الآيات المتناظرة. لا يعنى التشابه والتناظر هنا ما سُمى في علم القواعد الفكرية «الأشباه والنظائر» وهو تجميع الآيات المتشابهة في قاعدة أصولية واحدة كما فعل ابن النجيم وغيره الذين وضعوا هذا العلم المتوسط بين الفقه وأصوله. تعنى «الأشباه والنظائر» هنا رصد ألفاظ، أفعال وأسماء وحروف لها معانى متعددة.

الله العزيز من الغريب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م-١٤٢٤هـ

(١) «فإن الله جعل القرآن الكريم تذكرة للعقلاء وتبصرة لتكون ألباهم في معانيه متفكرة ولأسراره متدبرة. فاشتغل الناس بتلاوة ألفاظه، وغفلوا عن المقصود والأعظم وهو فهم مقاصده وأغراضه. وهذا وصف كثير من حفاظه. فلو سألت عن غريبة من غرائبه لوجدت أكثرهم لها جاهلا، وعن معناها ذاهلا. فحملنى ذلك على أن جمعت في غريب القرآن كتابا غريبا مسلكه قريبا مدركه، صغيرا حجمه، غزيرا ملحه، يبيح الخاطر، ويروق الناظر،... ورأيت ترتبه على السور مقللا ألفاظه ومسهلا على حفاظه»، السابق ص ١١.

(٢) (الأشعار ٥٠)، «الفتة من غريب أبى بكر الغريزي، وأبى محمد بن قتيبة، وأبى عبيد الهروي»، السابق ص ١١.

(٣) ابن العماد: «كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر» تحقيق ودراسة د. فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة د. محمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧. واعتبره المحقق والمراجع والناشر من التفسير القرآنى.

وهو يقابل التكرار في القرآن بدلا من وحدة اللفظ واختلاف المعنى، وحدة المعنى واختلاف الألفاظ . هو أشبه بالتفسير الموضوعي للقرآن، بتجميع آيات متشابهة نحو موضوع واحد دون معجم مفهرس لألفاظ القرآن كما هو موجود هذه الأيام. الموضوعات تتجاوز المائة^(١). معظمها تقليدي، يدور حول الإيمان والهدى والكفر والشرك والإسلام والآخرة والشكر والروح والتقوى والذكر... أو المعرفي مثل الحكمة، التأويل، الحس، الوحي، الحق، آية، أو السياسي مثل الأرض، الأمر بالمعروف، أمة، إمام، البأس، البغى، الطاغوت، الظلم، عدوان، السلام. ويستطيع هذا الجيل أن يضيف القهر، الطغيان، الفقر، الضنك، الاحتلال، الاستعمار، الاستغلال، الاحتكار، الاستيطان في أراضى الغير، الغزو، قتل الأبرياء، التعذيب، الاعتقال، سجن الأبرياء. وأقلها الأخلاقي مثل الحسنى، الرجاء، الرحمة، الصدق، الصلاح، العفو، الفرح... الخ أو الاجتماعي مثل السعى.

م- «الترجمان عن غريب القرآن» للقرشي البياني^(٢)

ويركز على الألفاظ الغريبة في القرآن يرصدها في سورة سورة وآية آية. يشرحها حتى تكون مألوفة. فاللغة للاستعمال. وهى ألفاظ عربية. البعض منها لم يعد متداولاً^(٣). ومرتبطة بحياة البدو كما هو في ألفاظ الشعر. يشرحها لفظيا واشتقاقيا ولغويا واصطلاحيا. ومنها ألفاظ عادية لا غربة فيها. ومنها ألفاظ أعجمية معربة من اليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والنبطية والسريانية. يخلو من مقدمة نظرية في اللغة وكيفية تعريب الألفاظ ودوافعه. ويعتمد على اللغويين والنحويين. كما يعتمد على الحديث

(١) هي ١١٦ موضوعا.

(٢) الإمام العلامة تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد القرشي البياني: الترجمان عن غريب القرآن، قرأه وعلق عليه الدكتور يحيى مراد. دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ.

(٣) مثل: جنتا، صفوان، حصورا، كلاله، الرجس، الوصلة، الحام، الحوايا، مذهبوما، غواش، منبر، مكاه، تصدية، النسيء، قتر، أخبث، صنديد، الجودي، منضود، مسومة، تشيب، داخرون، ذلوك، الوحيد، المهل، زلقا، أمتا، المعتز، الأجداث، يقطين، مريج، ذو مرة، سامدون، مهطمين، وسرا، شواظ، زنيم، عتل، الصريم، حسوما، المهل، المعهن، عزين، قلدنا، وأغطش، أبا، قتره، الحنس، شنيم، وسق، مسغبة، مصرية، الماعون،... الخ.

والشعر، والشعر أكثر^(١). ويذكر اسم الشاعر أو يظل مجهولا. كما يعتمد على أقوال اللغويين والنحويين السابقين. ويكون الشرح بالمرادف أو العبارة الشارحة. وقد يكون الشرح بالشئ المشار إليه، أسماء الطيور والحيوانات. يبدأ الشرح بحروف «أى». ويدل على علم غزير ومعلومات واسعة. ويكون الشرح بتعدد القراءات كحل الخلاف حول معانى الألفاظ. ويُفسر وجود بعض الأخطاء النحوية في الآيات. ويقترّب من التفسير الموضوعى للقرآن بتجميع الآيات حول موضوع أو لفظ واحد. وبعض التفاسير ظنية خالصة مثل (النازعات) و(المغيرات)، (الصفات)، ملائكة أو غير ذلك.

٢- العربى والغريب:

والألفاظ القرآنية بها العربى وبها الغريب^(٢). العربى يقبل الإعراب، والغريب ما لا يقبله. وقد ألف فيه خلق كثير^(٣). وتركوا مؤلفات عديدة^(٤). ولا يضير فهم النص عن فهم الألفاظ الغريبة وهو أدخل في التفسير^(٥).

ويختلف القدماء عن المحدثين في الحكم على العربى والغريب. فما كان غريبا عند القدماء هو عربى عند المحدثين. وما كان عربيا عند القدماء قد يكون غريبا عند المحدثين. فاللغة تداولية. تحيا بالاستعمال، وتموت بعدم الاستعمال. وليس من المعقول أن يمتلئ القرآن بكل هذه الألفاظ الغريبة التى عفى عليها الزمن ولم تعد مستعملة، وإلا أصبحت لغة تاريخية خالصة، وأصبح القرآن ذاته غير صالح لكل زمان ومكان. وهذا يدل على مدى انفتاح شبه الجزيرة العربية على الشعوب المجاورة، والتداخل

(١) الشعر (٦٨)، الحديث (٢٢).

(٢) الإتيان ج٢/ ٣-٨٨، البرهان ج١/ ٢٩١-٢٩٦.

(٣) مثل: أبو عبيدة، أبو عمر الزاهد، ابن دُرَيْد، أبو حيان، السابق ص ٣.

(٤) منها كتاب، العزيزى الذى استغرق تأليفه خمسة عشر عاما مع شيخه الأنبارى، السابق ص ٣، والمفردات للراغب وهو أيضا التأليف فى معانى القرآن مثل كتب القراء والزجاج والأخفش وابن الأنبارى، السابق ج٢/ ٣، وصف أبو عبيدة كتاب «المجاز»، وأبو عمر غلام ثعلب «باقوته»، «الصراط»، وكتاب ابن عزيز، وكتاب «الغريبين» للهروى، «المفردات» للراغب، البرهان ج١/ ٢٩١.

(٥) مثل (أبا)، (حنانا)، (غسلين)، (أواه)، (الرقيم)، الإتيان ج٢/ ٤-٥.

بين الثقافات واللغات في مصر وبلاد الروم وفارس والهند والحبشة والقرن الأفريقي والنبط^(١).

والقصص الغربية على من؟ على أى قبيلة وفى أى لهجة. وكل ما كان غريبا. فى قريش كان غريبا فى العربية إذا كان الوحى قد نزل بلغة قريش؟ وكثير من هذه الألفاظ تعبر عن البيئة الصحراوية، الشجر، البلح، الرمل، النواة، الناقة، الصخر.

وقد تكون هذه الألفاظ الغربية قد استعملت من قبل فى الشعر^(٢). ولا يعنى ذلك أن الشعر أصل القرآن بل على أن هذا الغريب كان مستعملا من قبل فى اللغة التداولية^(٣). وذم الشعر فى القرآن ليس على الإطلاق بل بسبب الأخلاق وليس بسبب اللغة والصياغة والشكل الأدبى. فالشعر غواية للغاوين، خيال دون فعل، وقول

(١) يذكر السيوطى ٧٣٤ لفظا غريبا، وأكثرها عربيا بالاستعمال والغريب لا يتجاوز ٨١ لفظا أى ٩٪ مثل وفومها (الحنطة)، جنفا (إثنا)، صنوان (حجر صلد)، كلاله (من لم يترك والدا ولا ولدا)، الحبث (الشرك)، نقبرا (النقطة فى ظهر النواة)، شنان (عداوة)، الأزلام (الأقداح)، غير متجانف (متعد لإثم)، مكليين (ضواري)، بحيرة (الناقة)، مبلسون (أيسون)، أن تبسل (تفصح)، قنوان (قصار النخيل)، قبلا (معانية)، الحوايا (المبصر)، مزءوما (ملوما)، عفاوا (كثروا)، متبر (خسران)، أختبوا (خافوا)، مسومة (مصلحة)، مهطعين (ناظرين)، مواخر (جوارى)، لأحتكن (لأستوين)، بالوصيد (الفناء)، المهل (عكر الزيت)، زير الحديد (قطع الحديد)، المعتر، السائل، لا يأنل (لا يقسم)، هضم (معشبة)، سلقوكم (استقبلوكم)، من قطمير (الجلد على ظهر النواة)، غؤل (صداع)، ضغنا (حزمة)، غساق (الزمهرير)، فى ثياب (خسران)، تحبرون (تكرمون)، مريج (مختلف)، وما ألتاهم (ما نقصناهم)، ذو مرة (منظر حسن)، سامدون (لا هون)، من غسلين (صديق)، كفاتا (كفاه)، عسمس (أدبر)، لن يحور (لن يبعث)، أحوى (أسود)، من ضريع (شجر ذو شوك) مُبَرَّ (هالك)، لآ (قراية)، غمصة (جماعة... الخ، الإتيان جـ ٢/ ٥٤-٥٥).

(٢) يذكر السيوطى ٨٩ شاهدا شعريا به بعض الألفاظ الغربية الواردة فى القرآن، الإتيان جـ ٢/ ٥٥-٨٨.

(٣) من الألفاظ القرآنية الغربية التى استعملت فى الشعر من قبل: (عزين)، (ثورا)، (المعتر)، (شواظ)، (سامدون)، (آن)، (ذو مرة)، (كالصريم)، (لكتود)، (أبابيل)، (قمطيريا)، (نقبرا)، (فارض)، (المهل)، (مريج)، (دُسر)، (ركزا)، (ختار)، (خط)، (أبا)، (مهطعين)، (يعمبون)، (غمصة)، الشعر ديوان العرب، فإذا خفى عليهم الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغتهم، رجعوا إلى ديوانهم فالتمسوا معرفة ذلك، ثم إن كان ما تضمنته ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين. وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك بل لابد من أن يستفيض اللفظ وتكثر شواهد من الشعر، البرهان جـ ١/ ٢٩٤.

دون عمل. الشعر ديوان العرب^(١). والقرآن يرث الشعر كمحور للحياة العربية، وبؤرة ثقافية. والوراثة تقوم على التواصل والانقطاع في نفس الوقت، تواصل الثروة، وانقطاع الأنساب. وقد نشأت منافسة بين الشعر والقرآن بعد نزول الوحي، بين أنصار القديم وأنصار الجديد. أنصار القديم يدافعون عن الشعر، وأنصار الجديد يدافعون عن القرآن. فالقرآن بالنسبة للشعر تجديد في فنون البلاغة. ليست القضية بين الشعر والقرآن قضية لغوية لفظية بلاغية فقط أى قضية شكل أدبي بل هى قضية تجربة إنسانية حياتية. فالشعر تجربة حياتية مثل الوحي، يشاركان في نفس المعنى والدلالات.

وفي القرآن ألفاظ بغير لغة الحجاز^(٢). وهى أقرب إلى اللهجات مثل هذيل، وحير، وجرهم، وكنانة.. الخ^(٣). وقد تصل إلى الخمسين لغة^(٤). وإذا كانت هذه اللغات قد اندثرت فكيف يمكن فهم القرآن الآن؟ والآن هناك قراءات أفريقية وأسيوية وأوروبية.

وفي القرآن ألفاظ من لغات غير عربية، الحبشية والفارسية، والنبطية، والعبرية، والسريانية والبربرية، والقبطية، والرومية، والهندية ثم الزنجية واليونانية، والتركية. وهى مائة وسبعة عشر لفظا. وقد يكون لفظ واحد في أكثر من لغة.

وكلما كانت النظرية محافظة لم يكن في القرآن حرف غريب من لغة قريش إلا ثلاثة لأن كلام قريش سهل واضح. وكلام العرب وحشى غريب^(٥). وذلك دفاعا عن نقاء

(١) عند ابن عباس «الشعر ديوان العرب»، وعن عمر «عليكم بديوان جاهليكم ففيه تفسير كتابكم».

(٢) ١٧٦ لفظا، الإتيان جـ ٢/ ٨٩-١٠٤، البرهان جـ ١/ ٢٨٣-٢٨٦.

(٣) وهى موزعة كالآتي: هذيل (٣٩)، حير (٢٢)، جرهم (٢٠)، كنانة (١٧)، قيس عيلان، اليمن (٨)، أزد شنوءة (٧)، مذحج (٦)، خثعم، عمان (٥)، حضرموت، (٤)، كندة، غسان، بنى حنيفة، الأشعريون، همدان (٣)، سعد العشيرة، لخم، سبأ، تميم، أغار (٢)، عذرة، مزينة، جذام، اليامنة، سليم، عمارة، خزاعة، الأوس، الخزرج، بلى، ثقيف، ثعلبة، نصر بن معاوية، صمصمة، ثقيف، عك (١).

(٤) هى لغات: قريش، هذيل، كنانة، خثعم، الخزرج، أشعر وتمير، قيس عيلان، جرهم، اليمن، أزد شنوءة، كندة، تميم، حير، مدين، لخم، سعد العشيرة، حضرموت، سدوس، العمالقة، أنمار، غسان، مذحج، خزاعة، غطفان، سبأ، عمان، بنو حنيفة، ثعلبة، طى، عامر بن صعصعة، أوس، مزينة، ثقيف، جذام، بلى، عذرة، هوازن، النمر، اليامنة.

(٥) الإتيان جـ ٢/ ١٠٣-١٢٠ هى حوالى إحدى عشرة لغة طبقا للأهمية الحبشية (٢٦)، الفارسية (٢٤)، النبطية (٢٢)، العبرية (٢١)، السريانية (١٥)، البربرية (أهل المغرب) (٧)، الرومية (٦)، القبطية (٥)، الهندية (٢)، الزنجية، اليونانية، التركية (١).

اللغة واستعمال الوحي أقل قدر ممكن من الحوامل الأجنبية^(١). وكلما كانت النظرية أكثر جراءة امتلا القرآن بالألفاظ غير العربية كحوامل للوحي بعد أن أصبحت الألفاظ غير العربية جزءاً من اللغة العربية التداولية.

واللغة العربية نفسها هي لغة العرب العاربة والعرب المستعربة التي أحضرت بعض ألفاظها معها فعربتها. فلم يكن العرب في جزيرة منعزلة عن باقي الشعوب المجاورة لها، بلغاتها وثقافتها وأديانها وعاداتها^(٢). وبعد تعريب بعض الألفاظ أصبحت أكثر عربية من الألفاظ العربية الأصلية لقدرة العربية على تعريب غيرها من الألفاظ غير العربية مثل «السندس» و«الإستبرق» و«الأبريق» من الفارسية، و«الأرائك» و«الطاغوت» بالحبشية، و«أسفار» و«روبايون» من السريانية، و«أكواب» و«سفرة» بالنبطية، و«بطائن» بالقبطية و«سيداها» و«جهنم» و«الرحمن» و«الرمز» بالعبرانية، و«الرقيم» و«الصراط» بالرومية، و«المهل» بالبربرية. وقد عربت هذه الألفاظ عبر اتصال العرب بغيرهم من الشعوب المجاورة عبر التجارة قبل نزول الوحي، فالحامل اللغوي بصرف النظر عن نشأته وتكوينه قادر على حمل المحمول^(٣). وقد وضعت معظم هذه الألفاظ غير العربية

(١) وقد كتب السيوطي في ذلك كتاباً مستقلاً هو «المهذب في ما وقع في القرآن من العرب»، الإتيقان ج ٢/ ١٠٥، البرهان ج ١/ ٢٨٧-٢٩٠.

(٢) وقال أبو المعالي عَزِيْزِي بن عبد الملك: إننا وجدت هذه الألفاظ في لغة العرب لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً. ويجوز أن يكونوا قد سبقوا إلى هذه الألفاظ، الإتيقان ج ٢/ ١٠٦. الطور بالسريانية جبل، وطفقا أى قصدا بالرومية، والقسط والقسطاس والعدل بالرومية، وهذا أى تبنا بالعبرانية، والسجل الكتاب بالفارسية، والرقيم اللوح بالرومية، والمهل عكر الزيت بالبربرية، والسندس الرقيق من الشرب بالهندية، والاستبرق الغليظ بالفارسية والسندس النهر الصغير باليونانية، وطه أى طأ يا رجل بالعبرانية، ويصهر أى يتضح بالبربرية، وسبتين الحسن بالنبطية، والمشكاة الكوة بالحبشية، والدرى المضي بالحبشية، والأليم المؤلم بالعبرانية، وإنه أى نضجه بالبربرية، الأخرة أى الأولى بالقبطية، وراء أى أمام بالقبطية، اليم البحر بالقبطية، بطائن أى ظواهر بالقبطية، الأب الحشيش بالبربرية، نشأ بالحبشية أى قام ليلاً، كفل بالحبشية ضعف، القسورة الأسد بالحبشية. التوراة والإنجيل أعجميان، البرهان ج ١/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) «بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسانر الألسن بتجارات ویرحلتی قريش ويسفر مسافرين كسفر أبي عمرو إلى الشام وسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة وكسفر الأعشى إلى الحيرة وصحبته لنصاراهام مع كونه حجة في اللغة. فعلمت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت في تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومعاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصح. ووقع بها البيان. وعلى هذا الحد نزل بها القرآن. فإن جهلها عربى فلجهله الصريح بيا في لغة غيره، وكما لم يعرف بها ابن عباس معنى

في قصائد عربية للاستنكار^(١).

٣- ألفاظ يكثر دورانها:

ونظرا لأن ثقافة القدماء ثقافة لغوية فقد جمعوا بعض الألفاظ المتكررة في القرآن في تفسير الشبه بالتفسير الموضوعي. تجمع بين الأفعال مثل «فعل»، «حسب»، «كاد»، «رأى»، «ظن»، «عسى»، «لعل»، «اتخذ»، «سأل»، «وعد»، «شعر»، «علم»، «ود»، ومعظمها الأفعال التي تنصب ما بعدها، وبعض صيغ التفضيل والتي تأخذ مفعولين، وبعضها للجزم والنصب، وأفعال المضارعة، ولفظ «سواء»، وبعض الآيات^(٢). وهي خطوة نحو الخروج من مباحث الألفاظ، والبعد التشريعي، وأساليب البلاغة، والبعد الجمالي إلى التجارب الاجتماعية والسياسية أي الموضوعات بالرغم من أن بدايتها تحليل الألفاظ المتكررة في القرآن خاصة الأفعال وليس الأسماء أو الحروف.

وليست كل الأفعال دالة مثل «فعل». ومن نفس الحقل الدلالي أفعال «جعل»، «عمل»، «طفق»، «أنشأ»، «أقبل». «فعل» هو الأعم. يفيد القول والهم. وأقله «عمل» يعم النية والهم والعزم والقول. وتعني «جعل»، «سمى»، «كاد»، «طفق». وهي معاني المقاربة. كما تعني الخلق والاختراع، والنقل من حال إلى حال والتصيير، والاعتقاد، والحكم بالشيء على الشيء. وتأتي بمعنى «ألقى»^(٣).

وبعضها أكثر دلالة مثل فعل «كان» هل يدل على الماضي وحده أم هو مستمر متجدد في الحاضر والمستقبل. فكان تدل على الماضي والحاضر في آن واحد، على التطور والبنية.

«فاطر» إلى غير ذلك. قال: حقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية، لكن استعملها العرب وغربتها فهي عربية بهذا الوجه، البرهان ج١/ ٢٨٩. وذلك أن هذه أصوفاً أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها أسقطت إلى العرب فغربتها بألستها وحولتها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظها فصارت عربية. ثم نزل القرآن. وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال أنها عربية فهو صادق ومن قال أنها أعجمية فهو صادق، السابق ص ٢٩٠، وليس كل من خالف قاتلاً في مقاله ينسب إلى الجهل. فقد اختلف المصدر الأول في تاويل القرآن، السابق ص ٢٩٠.

(١) الإقتان ج٢/ ١١٩-١٢٠.

(٢) البرهان ج٤/ ١٢١-١٧٤.

(٣) السابق ج٤/ ١٢١-١٢٨/ ١٣٥.

هل فعل ماض وإذا وقع بعد «إن» أو «أما» المستقبل. ويمكن أن يسبقه نفى مثل باقى الأفعال^(١).

ويفيد فعلا «عسى» «ولعل» الرجاء والطمع. ويتضمنان الشك والظن. «عسى» ماضى اللفظ والمعنى أو ماضى اللفظ مستقبل المعنى. ويفيد فعل «ود» نفس المعنى، التمنى. ويأتى معها حرف «ل» أو «أن»^(٢).

وهناك عدة أفعال تتعدى مفعولين مثل «حسب»، «ورأى» إذا كانت بصرية تعدت لواحد أو علمية تعدت لاثنين، الأول مفعول، والثانى حال. وقد تكون بمعنى «أخبر» أو «انتبه». ولا يتعلق فعل «علم» إلا بالمعانى. ويعنى فعل «ظن» الاعتقاد والراجع، وربما اليقين. فالظن محمود حتى ولو كان شكا. ولا يستبعد أحد المحمولين. ويعنى «شعر»، علم، ومصدره «شعره» مثل فطنه. و«اتخذ» يتعدى إلى مفعول واحد أو مفعولين. و«أخذ» يعنى غصب وعاقب. ويستعمل للمقاربة والقسم. ويتعدى «سأل» لمفعولين^(٣).

ويفيد فعل «كاد» أن الإثبات إثبات، والنفى نفى، أو أن الإثبات نفى والنفى إثبات، ووقوع الفعل بعسر، والتفضيل فى النفى بين المضارع والماضى. فنفى المضارع نفى، ونفى الماضى إثبات^(٤). وقد يعنى «أراد»^(٥).

وفعل المطاوعة هو الواقع مسببا عن سبب اقتضاه مثل كسرتة فانكسر^(٦). ويحتمل الفعل الجزم والنصب^(٧).

(١) السابق جـ ٤/ ١٢١-١٢٨.

(٢) السابق جـ ٤/ ١٥٨-١٦٨.

(٣) السابق جـ ٤/ ١٣٥-١٦٧.

(٤) البرهان جـ ٤/ ١٣٦-١٣٩.

(٥) مثل (كذلك كدنا ليوسف).

(٦) البرهان جـ ٤/ ١٣٩-١٤٤ مثل (وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا العمى على الهدى).

(٧) السابق جـ ٤/ ١٤٤-١٤٩، مثل (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)، (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق).

وأفعل التفضيل له قواعد منها: إذا أضيف إلى جنسه لم يكن بوضعه^(١). وإذا ذكر بعد أفعل جنسه وواحد من أحاده يضاف إليه^(٢). أن يكون الأصل للأفضلية على ما أضيف إليه، لا يطلق على العاهات^(٣). ويكثر حذف المفضول إذا دل عليه دليل^(٤). وقد يأتي مجرداً عن معنى التفضيل^(٥). وأفعل على ثلاثة أضرب: مضاف، ومعرف باللام، وخال منها. أما لفظ «سواء» فيعني الاستواء. وهو عكس التفضيل.

ويمكن تصنيف الآيات طبقاً لصياغتها اللغوية الكلية وليس طبقاً لمعانيها. وهي حدود الخطاب المغلق على ذاته^(٦).

٤ - الإعراب:

والإعراب بين اللفظ والمعنى، فهو تشكيل اللفظ طبقاً للمعنى وحفاظاً على الاثنين^(٧). وفهم المعنى يساعد على الإعراب^(٨). وقد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد. ويكون ذلك طبقاً للصياغة، وهى فنون البلاغة، وأن يتم طبقاً لقواعد اللغة العربية، وأن يستوفى جميع ما يمثله اللفظ من الأوجه الظاهرة، وأن يراعى الشروط المختلفة حسب الأبواب، وأن يراعى فى كل تركيب ما يشاكله.

وأول ما يُعرف الأفراد والتركيب. وهو موضوع فى النحو من أجل إعراب القرآن^(٩).

(١) البرهان ج٤/ ١٦٨-١٧٣، مثل (أحكم الحاكمين)، (أحسن الخالقين).

(٢) السابق ج٤/ ١٧٣-١٧٤.

(٣) مثل (أشد خشية).

(٤) مثل (والله أعلم بما وضعت).

(٥) مثل (وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض).

(٦) البرهان ج٤/ ١٤٤، مثل (إنها أنت منذر من يخشاها).

(٧) ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى لأن الإعراب يميز المعانى ويتوقف على أغراض المتكلمين، السابق ص ٢٦٠، وقد ألف فيه مكى فى كتابه فى الشكل خاصة، والحقوى وهو أوضحها وأبو البقاء العكبرى وهو أشهرها، والسمين وهو أجملها على ما فيه من حشود وتطويل، ولخصه السفاسى وحرره، وتفسير أبى حيان مملوء به، الإتيقان ج٢/ ٢٦٠.

(٨) فى معرفة إعرابه، الإتيقان ج٢/ ٢٦٠-٢٨٠.

(٩) البرهان ج١/ ٣٠١-٣١٠، من أهم مؤلفاته، وكتاب «المشكل»، وكتاب «المتخب»، للهمذاني، وكتاب الحقوى وأبى البقاء العكبرى والزنجشبرى، وكتاب ابن عطية والشيخ أبو حيان، السابق ص ٣٠١.

وفي الإعراب تتجنب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة. ولا يخرج على القريب والقوى والفصيح. وتجنب القراءات الشاذة. ويفضل الترجيح بين القراءات. ويراعى الرسم والخط. ويستحسن التروى في المتشابهات. ويراعى عدم الخروج على الأصل أو الظاهر دون مقتضى، والبحث عن الأصل دون الزائد، وهى الأعراب، وتجنب الألفاظ الزائدة.

وقد يتجاذب اللفظ الواحد إعرابان لمعنيين، وكلاهما صحيح، وقد يتعارض الإعراب والمعنى مع بعضهما البعض. وقد تقرأ بأكثر من وجه، الإعراب أو البناء. وليس فى القرآن على كثرة منصوباته مفعول معه.

ويقوم النحوى ببيان مراتب الكلام، فالعمد قبل الفضلة، والمبتدأ قبل الخبر، والوصول بالنفس قبل الوصول بالجر، والمفعول الأول قبل الثانى، وارتباط الضمير بالتأخير أو التقديم^(١).

والتصريف هو ما يلحق ببنية الكلمة. وهو قسمان: الأول جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعانى مثل التصغير والتكبير، والمصدر، واسمى الزمان والمكان، واسمى الفاعل والمفعول، وحركتى المقصور والمحدود. والثانى تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها فتحدث الزيادة والحذف، والإبدال والقلب، والنقل والإدغام. وفائدته توليد المعانى الفرعية من المعنى الأصلى. فالمعنى ليس تصورا منطقيا جامعا مانعا بل هو ظلال من المعانى يوحى بأكبر قدر ممكن من الإيحاءات^(٢).

وطبقا لمعانى الألفاظ الثلاثة، الاشتقاقى، والاصطلاحى، والعرفى، إذا كان المعنى الاشتقاقى ثابتا، والاصطلاحى ثابتا فإن المعنى العرفى، وهو المعنى التداولى، يتغير بتغير الاستعمالات والأعراف واختلاف المجتمعات والمراحل التاريخية. لذلك وجدت القواميس التاريخية للغة التى يندر منها أن توجد فى اللغة العربية وكأنها خارج التاريخ قبل الإسلام وبعده.

(١) البرهان ج١/ ٣١٠.

(٢) السابق ج١/ ٢٩٧-٣٠٠.

ثم يتم الخروج من مستوى اللفظ والمعنى إلى مستوى الشيء ذاته وهى الأفعال. وهى أحكام التكليف الخمسة كجزء من مباحث الألفاظ^(١). وهى لا تتجاوز خمسمائة آية مما يزيد على الأربعة آلاف. فالغاية من القرآن ليس التكليف بل التحرر الوجدانى كما قال الصوفية. والأحكام نوعان: الأول صريح ومباشر، والثانى مستنبطة وغير مباشرة من آية أخرى أو من سياق مجموع الآيات^(٢). ويمكن استنباط الأحكام من العواطف الإنسانية مثل تعظيم فعل أو الإقلال من شأنه، مدحه أو ذمه، محبته أو كراهيته، الرضا أو السخط من الشيء، الفرح والحزن. فتعنى الوجوب أو التحريم أو الندب والكرهية، والواقعة والعقاب، والتعجب والنفور. ويعرف الحلال بألفاظ رفع الجناح والإذن والعفو والتخير والامتنان. وقد تجمع آية واحدة أكثر من حكم. هنا يتم الانتقال من اللغة إلى الفعل. فالتوجه القرآنى (وقل اعملوا)، لذلك تحتتم علوم القرآن بالعلم والعمل^(٣).

٥- الأشباه والنظائر:

وهو ما يسمى بالوجوه والنظائر^(٤). الوجوه للفظ المشترك هى معانيه المتعددة. والنظائر هى الألفاظ المتواطئة. النظائر فى الألفاظ، والوجوه فى المعانى. وهو ليس معجزة بمعنى خرق قوانين الطبيعة دون معرفة أسبابها. وليس إعجازاً لأنه جزء من طبيعة اللغة وقواعد التفسير. وإذا كان للكلمة عشرون وجهاً فإن ذلك من غنى اللغة العربية وفضلها على غيرها من اللغات، وليس معجزة قرآنية. ومعرفة وجوه الألفاظ جزء من فهم القرآن^(٥).

(١) السابق ج٢/ ٣-٢٣.

(٢) السابق ص ٦-٣.

(٣) السابق ج٢ ص ١٠.

(٤) الإنتقان ج٢/ ١٢١-١٣٩. البرهان ج١/ ١٠٢-١١١. وقد صنف فى هذا الموضوع من المتقدمين مقاتل ابن سليمان.

(٥) السابق ص ١٢١ ومن المتأخرين ابن الجوزى، وابن الدامغانى، وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصرى، وابن فارسون، وآخرون، السابق ص ١٢١.

وقد يكون للفظ معنى واحد بصرف النظر عن الاستعمال والسياق. فاللفظ له نواة المعنى^(١). وقد يعنى لفظ واحد معنيين من أجل حرية الحركة في الفهم طبقا للموقف والظروف المتغيرة^(٢). الأول معنى حسي مادي، والثاني روحي أخلاقي. الأول ظاهري، والثاني باطني. فالظلمات والنور إما العتمة والنور أو الإيمان والكفر. بل إن معنى اللفظ يتغير من آية إلى أخرى طبقا للسياق^(٣). والصبر يكون محمودا في آية ومذموما في أخرى. وقد يكون للفظ ثلاثة معان مثل العفو^(٤).

وقد تعنى الوجوه الإشارات الباطنة دون الظاهرة^(٥). والأمثلة على ذلك كثيرة. قد يعنى لفظ الذكر تسعة عشر وجها^(٦). الذكر باللسان والقلب والذاكرة نظرا. ويكون في العظة والبيان والخبر والشرف والوحي والثناء كشفا. ويكون في القرآن والحديث والتوراة تدوينا. ويكون في الطاعة ونيل الجزاء وعملا. ويكون في الصلاة وفي الصلوات

(١) القنوط الطاعة، والأليم الموجه، والقتل اللعن، والزجر العذاب، والتسييح الصلاة، والسلطان الحجة، والدين الحساب، والرياح الرحمة، والريح العذاب، والكأس الخمر، والفاطر الخالق، والإفك الكذب، والجعل الخلق، والمباشرة الجماع، والفسق الكذب... إلخ، السابق جـ ٢/ ١٣٥-١٣٨.

(٢) يعنى الأسف الحزن والغضب، والبروج الكواكب والقصور الطوال الحصينة، والبر والبحر، الثراب والماء أو البرية والعمران، والبخس النقص والحرام، البعل الزوج والصنم، واليكم الحرس وعدم الكلام، وجثيا جميعا أو الجثى على الركب، والحسيان العدد والعذاب، والحسرة الندامة والحزن، والدحض الباطل والمقروع، والزجر العذاب والصنم، والريب الشك وحوادث الدهر، والرجم القتل والظن، والزدر الكذب والشرك، والزكاة المال والطهر، والرسيع الميل والتشخيص، والسخرية الاستهزاء والاستخدام، والسعير النار والعناء، والشيطان إبليس أو الغواية، والشهيد المقتول والشاهد، وأصحاب النار أهلها وخزنتها، والصلاة عبادة ومكان، والصنم السماع والإسراء، والعذاب التعذيب والضرب، والقنوت الطاعة والقرب، والكتز المال والعلم، والمصباح الكوكب والسراج، والنكاح الزواج والحلم، والنبا الخبر والحجج، والبرود الدخول أو الهجوم، وكل ما فيه العمل والمنفعة، واليأس قنوط، والعلم والصوم عبادة وصمت، والإنفاق الصدقة والمهر... إلخ، السابق جـ ٢/ ١٣٢-١٣٥.

(٣) اليأس قنوط إلا في «الرعد» فنفي العلم، السابق جـ ٢/ ١٣٤.

(٤) معنى العفو، تجاوز الذنب، القصد في الثقة، الإحسان فيما بين الناس، السابق جـ ٢/ ١٣٨.

(٥) الإبتقان ص ١٢١-١٢٢.

(٦) يعنى الذكر: ذكر اللسان، وذكر القلب، والحفظ، والطاعة والجزاء، والصلوات الخمس، والعظة والبيان، والحديث، والقرآن، والتوراة والخبر، والترف، والعيب، واللوح المحفوظ، والثناء، الوحي، والصلاة، وصلاة الجمعة، وصلاة العصر، السابق ص ١٢٩-١٣٠.

الخمس وصلاة الجمعة وصلاة العصر ممارسة. ولفظ الهدى سبعة عشر وجها^(١). وتعنى المعرفة والبيان والدين والإيمان والحجة والتوحيد والإلهام والإرشاد. كما تعنى الجوانب العملية مثل الثبات، والدعاء، والاسترجاع، والإصلاح والتوبة. وتعنى التدوين مثل القرآن والسنة والتوراة. ومنها لفظ القضاء^(٢). ويعنى الأجل والموت والوصية والهلاك أو الأمر والفصل والمعنى والوجوب والإبرام، والإعلام والنزول، والخلق والفصل والعهد. والفتنة خمسة عشر وجها^(٣). وتعنى الجوانب النظرية مثل الشرك والإضلال، والإضلال والمعدرة، والقضاء، والإثم، والمرض والعبرة أو الجوانب العملية مثل: القتل، والصد، والعقوبة، والاختبار، والعذاب، والإحراق، والجنون. والرحمة اثنا عشر وجها^(٤). والسوء أحد عشر وجها^(٥). والروح^(٦). أو الصلاة تسعة وجوه^(٧). والدعاء ستة وجوه^(٨). والإحصان ثلاثة وجوه^(٩).

٦- منطق الاشتباه:

وهو ما يعادل مباحث الألفاظ في علم أصول الفقه^(١٠). وتتفاوت كما فيما بينها. تبدأ

(١) ويعنى الهدى: الثبات، والبيان، والدين، والإيمان والدعاء، والرسول والكتب، والمعرفة، والنبى، والقرآن، والتوراة، والاسترجاع، والحجة، والتوحيد، والسنة الإصلاح، والإلهام، التوبة والإرشاد، السابق ص ١٢٢-١٢٤.

(٢) ويعنى القضاء: الفراغ، والأمر، والأجل، والفصل، والمعنى، والهلاك، والوجوب، والإبرام، والإعلام، والموت، والنزول، والخلق، والفصل، والعهد، السابق ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) السابق ص ١٢٦-١٢٧.

(٤) تعنى الرحمة: الإسلام، والإيمان، والجنة، والمطر، والنعمة والنبوة، والرزق، والنصر والفتح، والمودة، والسعة، والمغفرة، والعصمة.

(٥) وهى: الشدة، والعقر، والزنى، والعذاب، والشرك، والشدة، والذنب، ونس، والضر، والقتل والمزيمة.

(٦) وتعنى الروح: الأمر، والوحى، والقرآن، والرحمة، والحياة، وجبريل، وملك عظيم، وجيش من الملائكة، وروح البدن.

(٧) وتعنى الصلاة: الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، والجنائز، والدعاء، والدين، والقراءة، والرحمة والاستغفار، ومواضع الصلاة.

(٨) ويعنى الدعاء: العبادة، والاستعانة، والسؤال، والقول، والنداء، والتسمية.

(٩) ويعنى الإحصان: العفة، والتزويج، والحرية.

(١٠) من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص ٢٤٧-٣٥٨.

بأكبرها الحقيقة والمجاز لبعد الصورة الفنية في اللغة ثم المحكم والمتشابه لبيان دور الفهم الإنسانى. في اختيار معنى واحد من المعانى المتعددة للفظ، ثم المجمل والمبين لتوضيح المعانى واختيار أقرب المعانى إلى البدهة والوضوح، ثم الظاهر والمؤول طبقاً لأعماق الفهم ومستويات الشعور المعرفى، ثم العام والخاص وتوجه اللفظ نحو الشخصى، والخطاب نحو المخاطب، ثم المطلق والمقيد وهو نفس التقابل بين العام والخاص على مستوى التجريد، ثم الأمر والنهى وهو توجه الخطاب نحو الفعل وهو بيت القصيد. وأخيراً يتم التحول من المنظوم إلى المنطق والمفهوم لوضع منطق للمعنى يتجاوز منطق الألفاظ^(١).

أ- الحقيقة والمجاز: الموضوعات الشرعية حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللغة^(٢). ولما كان الشرع قد عُرف من اللغة فإن الموضوعات الشرعية قد تكون مجازاً بالنسبة للخاصة، حقائق بالنسبة إلى العامة. وإنكار المجاز وقوع في الحرفية وضيق الأفق ووحدانية النظرة^(٣).

الحقيقة هى كل لفظ بقى على موضوعات دون تقديم أو تأخير. والمجاز هو إخراج اللفظ عما وضع له. وهو نوعان: الأول المجاز في التركيب. وهو المجاز العقلى وعلاقته الملابس بإسناد الفعل إلى ما هو له أصالة للملابسته^(٤). والثانى المجاز فى المفرد ويسمى المجاز اللغوى. وهو استعمال اللفظ فى غير موضعه^(٥). وتسمية الداعى إلى الشئ باسم

(١) السابق ص ٣٥٩-٣٧٤.

(٢) الموضوعات الشرعية مثل: الصلاة والصوم والزكاة والحج، الإتيان ج ٣/ ١٢٦..

(٣) البرهان ج ٢/ ٢٥٤-٢٥٦.

(٤) فى حقيقته ومجازه، الإتيان ج ٣/ ١٠٩-١٢٧.

(٥) ويكون ذلك بالحذف أو الزيادة أو إطلاق الكل على الجزء أو الجزء على الكل، والمطلق على المقيد، والمقيد على المطلق، والجمع على الثنى، والثنى على الجمع. والخاص على العام، والعام على الخاص، والملزوم على اللازم واللازم على الملزوم، والسبب على المسبب والمسبب على السبب، وتسمية الشئ باسم ما كان عليه أو ما يؤول إليه، وتسمية الشئ بما كان عليه، وإطلاق اسم الحال على المحل أو المحل على الحال، وتسمية الشئ باسم آتاه أو ضده، وإضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبهاً، وإطلاق الفعل والمراد مشاركته ومقاربتة وإرادته، والقلب وإقامة صيغة مقام أخرى. ويتفرع إلى أنواع كثيرة. ويمكن اقتصارها فى ستة أنواع: الحذف، والتأكيد، والتشبيه، والكناية، والتقديم والتأخير، والالتفات. وقد صنف فيه عز الدين بن عبد السلام ولخصه السيوطى ثم أزد فيه فى كتابه «مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن»، الإتيان ج ٣/ ١٠٩.

الصارف عنه، وإقامة صيغة مقام أخرى، وإطلاق الأمر وإرادة التهديد والتلوين، وإضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة، وإطلاق الفعل والمراد مقارنته ومشارفته لا حقيقته، وإطلاق الأمر بالشئ للتلبس به والمراد دوامه، وإطلاق اسم البشرى على البشر به. وقد يكون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين أو أحدهما حقيقة والآخر مجازاً^(١).

والمجاز نوعان: الشبه وهو المجاز اللغوي عند الأصوليين. والثاني الملبسة وهو المجاز العقلي عند اللغويين^(٢). فاللغة أداة العقل. والعقل تعبير باللغة.

وقد تكون هناك واسطة بين الحقيقة والمجاز، وهي الألفاظ قبل الاستعمال مثل الحروف أوائل السور من أجل إيقاظ الانتباه وإثارة الخيال^(٣). وقد تكون الألفاظ المستعملة للمشكلة على التقابل للإعلام والإخبار فهي مجاز لعلاقة المصاحبة^(٤).

وقد يجوز مجاز المجاز أى أن يكون المجاز المأخوذ عن الحقيقة حقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر^(٥). فالمجاز سلسلة لا تنتهى. فلا توجد حقيقة إلا ولها مجاز. ولا يوجد مجاز إلا ويكون حقيقة لمجاز آخر. الحقيقة بداية، والمجاز نهاية. البداية بالحرف المتناهي، والنهاية بالصورة التى لا تنتهى.

وقد ينفى الشئ ويثبت باعتبارين. فالرمى حقيقة فى الإنسان ومجازاً فى الله^(٦). فالحقيقة والمجاز يتوقفان على المستوى. قد يكون المستوى الحسى حقيقة ثم يتحول مجازاً بالانتقال من الحسى إلى المعنوى، وهو طريق التنزيه. وقد يكون المستوى الحسى مجازاً ثم يتحول إلى حقيقة بالانتقال من الحسى إلى المعنوى، وهو طريق التشبيه^(٧).

ب- المحكم والمتشابه: وفى القرآن محكم ومتشابه. ليس كله محكماً وإلا ضاق الخناق

(١) البرهان جـ ٢/ ٢٠٧-٢٠٨/ ٢٥٤/ ٢٩٩.

(٢) السابق جـ ٢/ ٢٥٦.

(٣) الإتيان جـ ٣/ ١٢٦-١٢٧.

(٤) مثل (ومكروا ومكر الله).

(٥) وذلك مثل (ولا تواعدوهن سرا)، الإتيان جـ ٣/ ١٢٧، البرهان جـ ٢/ ٢٩٨-٢٩٩.

(٦) البرهان جـ ٢/ ٣٠٨-٣٠٩ وذلك مثل (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

(٧) من العقيدة إلى الثورة جـ ٢ التوحيد ص ٢٢٠-٢٢٣.

على الفهم والتفسير والتأويل. وليس كله متشابهاً وإلا تحولت التعددية إلى تكافؤ الأدلة. وتساوى كل شيء بكل شيء، وانتهى الأمر إلى التشبيه واللاأدرية والعدمية^(١). المحكم هو الذى يحتمل وجهاً واحداً، والمتشابه هو الذى يحكم أكثر من وجه. الأول هو الواضح، والثانى المتشابه. المتشابه يمكن معرفته عن طريق منطق الألفاظ. فما فائدة وجوده وهو مجهول، لا يعلمه إلا الله. والمحكم ما تكرر لفظه. والراسخون فى العلم هم أصحاب هذا المنطق اللغوى وليس علماً سرى باطنياً. ليس المحكم والمتشابه فى الموضوع، المحكم الوعد والوعيد والفرائض، والمتشابه القصص والأمثال بل ما يتعلق بصياغة الخطاب وهو على أنواع مثل ما لم ينسخ، والناسخ، والفرائض، والوعد والوعيد^(٢).

المحكم ما استقل بنفسه ويدرك بالحدس. والمتشابه ما اعتمد على غيره ويحتاج إلى التحليل اللغوى العقلى. ليس المحكم والمتشابه هما الناسخ والمنسوخ. فالأول يتعلق بالصياغة اللغوية، والثانى ينطق بمدة الحكم. ليس المحكم هو الآيات، والمتشابه الحروف أوائل السور. فقد تكون الآيات أيضاً متشابهة. أما أوائل السور فإنها من أسرار البلاغة ولا تحتوى على حكم^(٣).

ويعنى المحكم فى اللغة المنع، منع الحاكم الظالم من الظلم وإلجام الفرس من الاضطراب. وفى الاصطلاح أحكام الأمر والنهى، وبيان الحلال والحرم^(٤).

والمتشابه على ثلاثة أنواع: متشابه من جهة اللفظ، ومتشابه من جهة المعنى، ومتشابه من الجهتين معاً. واللفظ نوغان بسيط ومركب. والمركب ثلاثة أنواع: لاختصار الكلام، ولإيضاح الكلام وبسطه، ولتنظيم الكلام. والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله والقيامه الحسية وضرورة تأويلها معنوياً. وهى على خمسة أنواع: من جهة الكمية كالعموم والخصوص، ومن جهة الكيفية كالوجوب والندب، ومن جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، ومن جهة المكان كعادات الجاهلية، ومن جهة الشروط التى بها

(١) فى المحكم والمتشابه، الإقتان جـ ٣/ ٣-٣٢، البرهان جـ ٢/ ٦٨-٧٧.

(٢) البرهان جـ ٢/ ٦٨-٦٩.

(٣) السابق ص ٣-١٠.

(٤) الإقتان جـ ٣/ ١٠-١١.

يصح الفعل. ومن حيث الموضوع المتشابه ثلاثة أنواع، ما لا يمكن الوقوف عليه مثل أمور المعاد، وما يمكن معرفته كالألفاظ والأحكام، وما يتوسط بين الاثنين، وهو ما يعرفه الراسخون في العلم، وهم أهل الاختصاص.

ومن المتشابه آيات الصفات مثل الاستواء الذي يعنى الاستقرار والاستيلاء والصعود والارتفاع والخلق والاعتدال. وكلها معان حسية. وقد يلجأ البعض إلى تغيير الوقف في قراءة أخرى بالوقوف على العرش ثم البداية باستوى كفعل لباقي الآية. والوجه يعنى إخلاص النية أو قصد التوجه. والعين تعنى البصر أو الإدراك. واليد تعنى القدرة. والساق هى الشدة والأمر العظيم. والجنب الطاعة. والعزب العلم. والفوق العلو. والمجىء الأمر، والعند الإشارة والتمكين. وأخرى أقل حسية وأكثر معنوية مثل المحبة والغضب والرضا والعجب والرحمة. فهى انفعالات إنسانية يتم إسقاطها وتكبيرها. فالتأويل ضرورى حفاظا على التنزيه، وحذرا من التجسيم والتشبيه^(١).

ومن المتشابه أوائل السور من دلائل الإعجاز. ولا تعنى أى قصد أو توجه خاص بأوصاف الله أو أسمائه أو أفعاله أو صفاته^(٢). فلو كان المقصود كذلك لصرح به فى آية كاملة دون اختصارها فى حروف. ولا تشير الحروف إلى أسماء^(٣). ولا دليل على أنها من أسماء القرآن. وليست حرف اللغة العربية بأعدادها أو حروف البسملة طبقا لعلم أسرار الحروف^(٤). ووجه الإعجاز أن القرآن نظم من الحروف الهجائية العادية. هى مجرد تنبيهات^(٥). دقائق صوتية من دقائق خشبة المسرح لإعلان بداية التمثيل.

(١) السابق جـ ٢/ ١٢-٢١، البرهان جـ ٢/ ٧١-٧٤ / ٧٨-٨٩.

(٢) الإتيان جـ ٢/ ٢١-٣٠ مثل (الم) أنا الله أعلم، (الص) أنا الله أفصل، (الر) أنا الله أرى، و(المص) أنا الله الصادق، (المز) أنا الله أرفع.

(٣) مثل: الكاف للكريم، الهاء للهادى، الصاد للصادق أو المصور أو الصمد، والياء للحكيم، والعين للعليم، والقف القادر، والنون النور والناصر.

(٤) (يس) سيد المرسلين، (ص) صدق الله، (ق) جبل.

(٥) وقيل أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه. فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه، ويكون تعجبهم منه سببا لاستماعهم، واستماعهم له سبب لاستماع ما بعده فترق القلوب، وتلين الأفئدة، الإتيان جـ ٣/ ٢٧.

وهناك التشابه في الأفعال لحاجة السلوك إلى أساس نظري محكم^(١). فالتشابه ليس فقط مقولة لغوية بل أيضا مقولة سلوكية في الحيرة والتردد^(٢). بل هي مقولة وجودية في التوتر بين الفناء والبقاء، بين الموت والخلود.

ووظيفة التشابه شحذ الذهن، وجعل القارئ جزءا من المقروء، والموضوع إحالة إلى الذات كما أن الذات إحالة إلى الموضوع. يبحث العلماء على النظر الموجب للعلم، وبذل الجهد للوصول إلى المراد. ويتفاوت الناس في درجات العلم. وكلما ازداد العلم ازداد الفهم. ولو كان القرآن كله محكما لكان مذهباً واحداً، وقراءة واحدة، وفهماً واحداً. وهو ضد روح القرآن. ويستدعى ذلك تحصيل علوم كثيرة لفهم الجوانب المختلفة للقرآن وممارسة التأويل، والاعتماد على علوم اللغة: النحو، والمعاني، البيان، وأصول الفقه. ويدعو الخواص إلى إعمال النظر^(٣).

ج- المجمل والمبين: المجمل ما لم تتضح دلالاته. وله أسباب مثل الاشتراك، والحذف، واختلاف مرجع الضمير، واحتمال العطف والاستئناف أى مواقع الوقف والابتداء، وغرابة اللفظ أو كثرة الاستعمال، والتقديم والتأخير، وقلب المنقول، والتكرير القاطع، لوصول الكلام في الظاهر. وقد يقع البيان متصلاً أو منفصلاً. الأول تخصيص وتأويل، والثاني بيان.

وقد يكون المجمل والمحمّل شيئاً واحداً، وقد يتمايزان. فالمجمل لفظ مبهم لا يفهم مراده، والمحمّل لفظ واقع بالوضع الأول على معنيين. المجمل يدل على أمور معروفة على عكس المحتمل. ليس المجمل هو الغامض بل هو المركب الذي يحتاج إلى تحليل إلى بسائط^(٤).

د- الظاهر والمؤول: إذا كان اللفظ محتملاً لمعنيين وفي أحدهما أظهر، فالراجع

(١) البرهان جـ ٢/ ٧١.

(٢) لذلك كتب سيمون دي بوفوار «من أجل أخلاق للاشتباه».

(٣) الإتيقان جـ ٣/ ٣٠-٣٢، البرهان جـ ٢/ ٧٥-٧٧.

(٤) الإتيقان جـ ٣/ ٥٣-٥٨، البرهان جـ ٢/ ٢٠٨-٢١٦. من النص إلى الواقع جـ ٢ بنية النص ص ٢٦٩-

٢٨١.

ظاهر، والمرجوح مؤول. ولا يوجد شيء في القرآن لا تعلم الأمة تأويله وإلا كان تجهيلاً. والتأويل يتغير بحسب الزمان والمكان والمؤول وتطور التاريخ وتغير الظروف والأحوال^(١). وكلها ممكنة لأنه لا يوجد تأويل واحد ثابت وإلا أصبح القرآن كله ظاهراً^(٢).

هـ- العام والخاص: العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر. وصيغته «كل» وأسماء الصلة «الذي»، «التي» و«أى» و«ما» و«من» للشرط والاستفهام، والجمع المضاف، واسم الجنس للمضاف، والنكرة في سياق النفي والنهي، والمعرف بألف ولام التعريف. وهو على ثلاثة أقسام: الباقي على عموم، العام الذي يراد به المخصص، والعام المخصوص. والمخصص له متصل أو منفصل. والمتصل خمسة: الاستثناء، والوصف، والمشرط، والغاية، وبدل البعض من الكل. وقد يكون الكلام متصلاً أحده عام والآخر خاص. والعموم للمدح أو الذم باق على عموم. والخطاب الخاص بالرسول لا يعمم. صيغ الخطاب (يا أيها الناس)، (يا أيها الذين آمنوا)، (يا أهل الكتاب)، على مستويات عدة من العموم، من الأكثر عموماً إلى الأقل عموماً والأكثر خصوصاً^(٣). وقد يراد بالخطاب العام العموم، وبالخطاب الخاص الخصوص، وقد يراد بالخطاب الخاص العموم، وبالعوم الخاص^(٤).

ويشمل خطاب العموم الجنس والنوع وخطاب المدح للمؤمنين والذم للكافرين. ويشمل خطاب الخصوص خطاب العين. ويشمل العموم والخصوص للأفراد والجماعات خطاب الذم والكرهية والإهانة والتهكم والجمع بلفظ واحد، والواحد بلفظ الجمع، والواحد والجمع بلفظ الاثنين، والاثنين بلفظ الواحد، وخطاب الجمع بعد الواحد وخطاب العين والمراد غيره، وخطاب الاعتبار، وخطاب الشخص ثم العدول إلى غيره^(٥).

(١) البرهان جـ ٢ / ٢٠٥-٢٠٧.

(٢) من النص إلى الواقع جـ ٢ / بنية النص ص ٢٦٩-٢٨٠.

(٣) الإتيان جـ ٣ / ٤٣-٥١. من النص إلى الواقع جـ ٢ / بنية النص ص ٣١٦-٣٤٨.

(٤) البرهان جـ ٢ / ١٨-١٩.

(٥) البرهان جـ ٢ / ٢١٧-٢٤٥.

و- المطلق والمقيد: المطلق والمقيد مثل العام والخاص^(١). والمقيد هو تعليق الحكم بصفة أو شرط. وقد يكون التقييد باللغة وبالقياص، بالنقل أو العقل. والمطلق هو الأساس ثم يدخل المقيد عليه^(٢). وقد يكون التقييد بصفة^(٣). ولا يستدل بالصفة العامة إذا لم يظهر تقييد عدم التعميم^(٤).

ز- الأمر والنهي: وإذا كان العموم والخصوص للأفراد فإن الأمر والنهي للأفعال. وقد يأتي الأمر كصيغة لغوية بلا حرف أو بحرف. وهو الإثبات في اللغة. والنهي هي صيغة النفي في اللغة. والنفي للصدق والجحد للكذب. لذلك كان الصدق شرط صحة النفي. ويسبق النفي أدواته. وإذا كان نفياً عاماً فأداته للعموم. وأدوات النفي كثيرة «لا»، «ما»، «لا»، «لم»، «لماضي والحاضر والمستقبل»^(٥).

ح - المنطوق والمفهوم: ومن الصعب الفصل بين اللفظ والمعنى. فاللفظ حامل للمعنى، والمعنى محمول على اللفظ. ويمكن ذلك في علم أصول الفقه بالتمييز بين المنظوم والمفهوم^(٦). ثم يأتي المنطوق فيخرج اللغة من التقابل بين اللفظ والمعنى إلى التقابل بين اللفظ والشيء، والخروج من اللغة إلى العالم. فاللغة منزل الوجود^(٧).

المنطوق والمفهوم هما اللفظ والمعنى^(٨). وهما في أصول الفقه المنظوم والمفهوم. فالمنطوق ما دل عليه اللفظ أى محل النطق. والمفهوم هو المعنى الذى لا يحتمل غيره. والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق. وهو قسمان: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة. الأول ما يوافق حكم المنطوق. فإن كان أولى سمي فحوى الخطاب أو دلالة الخطاب. والثانى ما يخالف المنطوق وهو مفهوم الصفة نعتاً أو حالاً أو ظرفاً أو عدداً أو

(١) فى مطلقه ومقيدة، الإلتقان ج٢/ ٩١-٩٣.

(٢) البرهان ج٢/ ١٥-١٧.

(٣) السابق ص ٢١.

(٤) السابق ص ١٨-١٩.

(٥) البرهان ج٢/ ٣٧٤-٣٨١.

(٦) من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص ٢٤٧-٣٤٧.

(٧) هى عبارة شهيرة لبيدجر.

(٨) فى منطوقه ومفهومه ج٣/ ٩٥-٩٨.

الشرط أو الحصر أو الغاية. فالألفاظ تدل إما بمنطوقها وهي الألفاظ أو بفحواها وهي المعاني أو الدلالات أو باقتضائها وضرورتها وهي التجارب الحدسية الذاتية أو بمعقولها المستنبط منها^(١). وهو ما سباه الأصوليون المنظوم والمفهوم والمعقول والمنظور^(٢).

٧- وهم الاختلاف:

والتعارض بين الآيات وهم. فالقرآن لا يتعارض بعضه مع بعض بل يتكامل. وحل التعارض مباحث الألفاظ وثنائياتها: الحقيقة والمجاز، الظاهر والمؤول، المحكم والمتشابه، المجمل والمبين المطلق والمقيد، المستثنى والمستثنى منه، العام والخاص، الأمر والنهي... الخ. كما يمكن حل التعارض عن طريق الناسخ والمنسوخ والأولوية في الزمان من حيث التقديم والتأخير، تقديم المكي على المدني. ويمكن حل التعارض عن طريق الأسلوب، أن يكون أحد المعنيين مستقلاً بحكمه، والثاني مرتبطاً بلفظ زائد. وتعارض القراءتين حلة في علم القراءات. وإيهام التناقض في الأسماء وليس في المعاني. الأول حلة في منطق الألفاظ، والثاني حلة بالقياس ومناهج الاستنباط. وقد تكون الأسباب الموهمة للاختلاف وقوع المختبر به على أحوال مختلفة وأطوار شتى أو اختلاف الموضوع أو اختلاف جهتي الفعل أو لوجهين واعتبارين مختلفين بين المتفرقات^(٣). وإذا وقع تعارض بين الآية والحديث فالأولوية للآية طبقاً للأولوية في ترتيب المصادر الأربعة^(٤).

وقد يوهم بوقوع تعارض بين النصوص^(٥). وهو أحد أبواب أصول الفقه في التعارض والتراجيح^(٦). وكيف يكون تعارض في وحى منزل في ذاته دون أن يكون في تدوينه أو قراءاته أو فهمه وتفسيره؟ قد ينشأ هذا الوهم بالتعارض إما لمقتضيات

(١) من النص إلى الواقع جـ ٢ بنية النص ص ٣٧٥-٤٤٢.

(٢) السابق ص

(٣) البرهان جـ ٢/ ٤٥-٦٧.

(٤) من النص إلى الواقع جـ ٢ بنية النص ص ١٦٧-١٩٠.

(٥) في مشكلة وموهم الاختلاف والتناقض، الإتيان جـ ٣/ ٧٩-٨٩.

(٦) من النص إلى الواقع جـ ٢/ بنية النص ص ٤١٢-٤٢٢.

بلاغية صرفة أو لتباين مستويات الفهم والتفسير أو لاختلاف السياق. وللاختلاف أسباب منها: وقوع المخبر به على أنواع مختلفة وتطويرات شتى، واختلاف الموضوع، وتباين جهتي الفعل، واختلاف الحقيقة والمجاز، ووجود وجهين واعتبارين. وقد تعمق الأصوليون في ذلك وإعطاء بعض الحلول للتعارض بين الآيات عن طريق نسخ المتأخر للمتقدم أو تخصيصه أو تعميمه أو باقى المبادئ اللغوية.

وما أكثر الخلافات فى علوم القرآن مثل الخلافات فى علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وفى علوم الحكمة وفى علوم التصوف بل لقد تحول الخلاف الفقهي إلى علم مستقل هو علم الخلاف. ولا يضير ذلك الوحي فى شيء. فاختلاف الحوامل لا تقلل من ثبات المحمول. واختلاف المياه الجوفية وتياراتها وأعماقها واتساعها ومدتها لا تمنع من الشرب من مياهها.

الفصل الثاني

أساليب البلاغة

١ - فنون القول ووجوه الخطاب:

الوحي قول بليغ للتأثير في المتلقى. وله وجوه متعددة للخطاب طبقاً لأنواع الخطاب في اللغة العربية. هو فن من فنون القول وأسلوب من أساليب البلاغة. ومن هنا أتى الإعجاز ومنافسة الشعر. هو تعبير وإيصال مثل الفن تماماً، هو عمل فني شعري. يعتمد على أساليب البلاغة. لذلك أثر في العرب وهم أهل فصاحة وبيان. ونافس شعرهم وهو فنهم الأصيل^(١).

أ- فنون القول:

وتعني أساليب أو فنون البلاغة تتجاوز جدل اللفظ والمعنى واختيار أوجز لفظ للتعبير عن أعظم المعاني. وتسمى أيضاً أساليب القرآن وفنونه البليغة. وهو لب علوم القرآن كيفاً وكماً^(٢). ويتضمن حوالى خمسين فناً. وإذا كانت مباحث الألفاظ على المستوى الاستدلالي فإن أساليب البلاغة هو استمرار لمباحث اللغة ولكن على المستوى الجمالي، الأول لاستنباط الأحكام، والثاني للتأثير في النفس.

وتعني بدائع القرآن الاستمرار في أساليب البلاغة في القرآن إلى ما لا نهاية. في كل آية فن من فنونها والتي قد تبلغ المائة لدرجة صعوبة حصرها لتداخلها^(٣). لكل منها

(١) البرهان جـ ٢/ ٣٨٢-٥١٦ جـ ٣/ ٤-٣-١٧٤.

(٢) هو أكبر الأنواع كما (٧٨٣ ص).

(٣) الإتقان جـ ٣/ ٢٤٩-٢٨٩ صنف فيه ابن أبي الأصعب وأورد مائة نوع.

تفصيلات وتقسيمات وأنواع. تدخل فيها مباحث الألفاظ عند الأصوليين مثل الحقيقة والمجاز. وهي أساليب معروفة في البلاغة العربية اتبعها القرآن لخلق لب العرب. ومنها ما يخرج على أساليب البلاغة ويكون أدخل في العلوم الإسلامية مثل المذهب الكلامي^(١). وقد تبلغ فنون البلاغة خمسين فنا^(٢).

اللفظ والتركيب أحسن وأفصح موضوع لعلم البيان والبديع. يحتاج إليه المفسر في البحث عن مقتضيات الإعجاز، والحقيقة والمجاز، والتأليف والنظم والسياق، واستقامة الوزن والملاحة. ويدركها أصحاب الفطر السليمة. وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة. ووظيفتها تقوية الأفهام والتأثير في النفس^(٣). ومن المعاني التي يتكلم فيها البليغ مثبتا ونافيا تحقيق العقائد الإلهية، وبيان الحق فيما يشكل من الأمور

(١) ومنها: المجاز، الاستعارة، التشبيه، الكناية، الإرداف، التمثيل، الإيجاز، الاتساع، الإشارة، المساواة، البسط، الإيغال، التسميم، التكميل، الاحتراس، الاستقصاء، التذليل، الزيادة، التردد، التكرار، التفسير، الإيضاح، نفي الشيء بإيجابه، المذهب الكلامي، القول بالموجب، المناقضة، الانتقال، الإسجال، التسليم، التمكين، التوشيح، التسهيم، رد العجز على الصنن، تشابه الأطراف، لزوم ما لا يلزم، التخيير، التشجيع، التشريع والإيهام والتورية، الاستخدام، الالتفات، الاطراد، الانسجام، الإدماج، الافتنان، الإقتداء، اتلاف اللفظ مع اللفظ، اتلاف اللفظ مع المعنى، الاستدراك، الاستثناء، تأكيد المدح بما يشبه الذم، التفويت، التغاير، التقسيم، التدبيح، التبيكيت، التضمن، الجناس، جمع المؤنث والمختلف، حسن النسق، عتاب المرء نفسه والعكس، العنوان، الفوائد، القسم، المبالغة، المطابقة، المقابلة، المواربة، المراجعة، النزاهة، الإبداع، المقارنة، حسن الابتداء، حسن الختام، حسن التخلص، الاستطراد، السابق ص ٢٤٩.

(٢) البرهان جـ ٢/ ٣٨٣، وهي: التوكيد، الحذف، الإيجاز، التقديم والتأخير، القلب، المدرج، الاقتصار، الترقى، التقلب، الالتفات، التضمن، وضع الخبر موضع الطلب، وضع الطلب موضع الخبر، وضع النداء موضع التعجب، وضع القلة موضع الكثرة، تذكير المؤنث، تأنيث المذكر، التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، مشاكلة اللفظ للمعنى، التعت، الإبدال، المحاذاة، قواعد في النفي والصفات، إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة، الإعراض عن صريح الحكم، الهدم، التوسع، الاستدراج، التشبيه، الاستعارة، التورية والتجريد، التجنيس، الطباق، المقابلة، إلهام الخصم بالحجة، التقسيم، التعديد، مقابلة الجمع بالجمع، قاعدة فيما ورد في القرآن مجموعا تارة ومفردا أخرى، قاعدة أخرى في الضمائر، قاعدة في السؤال والجواب، الخطاب بالشيء في اعتقاد المخاطب، التأدب في الخطاب، تقديم ذكر الرحمة على العذاب، الخطاب بالاسم، الخطاب بالفعل، قاعدة في ذكر الموصولات والظرف تارة وحذفها أخرى، قاعدة في النهي ودفع التناقض عما يؤهم ذلك، وملاك ذلك الإيجاز والإطناب، الإجمال والإيجاز، التفصيل والإشباع.

(٣) البرهان ج ١/ ٣١١-٣١٧. وقد صنف فيه شمس الدين محمد بن النقيب مجلدين مقدمة لتفسيره، وحازم الأندلسي «منهاج البلغاء وسراج الأدباء».

غير العقائد، وتمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف والإعراض، والإرضاء والغضب، والتشجيع والتخويف، والذم والمدح، والشكايه والاعتذار، والإذن والمنع، واستدعاء المخاطب إلى فضل تأمل. والاستمالة والاسترضاء، والإغضاب العجيب، ويسمى القول البلاغى الضمير أو التمثيل. والضمير أن يختفى أحد الطرفين، والتشجيع، والإبانه والمدح^(١).

ب - وجوه الخطاب وأقسام الكلام:

والوحي خطاب. والخطاب له وجوه. وهو أيضا كلام. والكلام له أقسام:

أ- وجوه الخطاب: ووجوه الخطاب في القرآن عديدة^(٢). وهى أقرب إلى مباحث الألفاظ تفصيلا مثل العام والخاص، والمدح والذم، والكرامة والإهانة والتهمك، والواحد والجمع، والواحد والاثنين، وخطاب الأنا والغير، والعام والشخص، والتلوين وهو الالتفات، والجماد والعافل، والتهميج والتمنن، والتعجب والتعجيز، والتشريف والمعدوم^(٣). وهى حوالى أربعين وجها. وقد تختلف أعداد أنواع الخطاب طبقا لمباحث الألفاظ وقواعد البلاغة^(٤). وبالنسبة للرسول هناك خطاب للنبي، وآخر يعزه، وثالث لكليهما.

ويمكن التصنيف إلى عشرة: نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام. ويمكن تسعة بعد إسقاط الاستفهام مع أنه قسم رئيسى من أقسام الكلام. ويمكن ثمانية وإسقاط التشفع مع أنه قسم رئيسى فى الكلام خاصة فى ثقافة تركز على الشفاعة من موروث الأشاعرة. ويمكن سبعة بعد إسقاط الشك لأنه متضمنه فى الخبر مع أن الشك قسم من أقسام الكلام له أهمية خاصة فى

(١) ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ليتمكن بها من اتباع التصديق به وإذعان النفس له، البرهان جـ ١/ ٣١٢-٣١٧.

(٢) فى وجوه مخاطباته، الإتيان جـ ٣/ ٩٩-١٠٧، البرهان جـ ٢/ ٢١٧-٢٥٣/ ٣١٦-٣٨١.

(٣) هناك عام يراد به العموم، وعام يراد به الخصوص، وخاص يراد به الخصوص، وخاص يراد به العموم، وخطاب الجنس والنوع والعين، السابق ص ٩٩.

(٤) ومنها المقطوع والموصول، السبب والإضمار، الوعد والوعيد، الحدود الأحكام، الخبر والاستفهام والأبهة، والحروف المضرفة، والأعذار والإنذار، والحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال، والقسم، السابق ص ١٠٦-١٠٧.

ثقافة يغلب عليها اليقين. ويمكن ستة بعد حذف التشفع والتعجب والقسم والشرط والوضع والمسألة وإبقاء النداء وإضافة الأمر والنهي والخبر والاستخبار والتمنى. ويمكن خمسة بحذف التمنى والاستخبار وإضافة التصريح والطلب^(١).

وهناك خطابات أخرى بلاغية مثل خطاب التلوين وهو خطاب الالتفات عند أهل المعاني، وخطاب العقل للجهاديات، وخطاب المعدوم. وهو نوع من أنسنة الطبيعة. وهناك الخطاب المباشر للحث على الفعل مثل خطاب التهيج، والإغضاب، والتشجيع، والتحريض، والتفجير، والتحنن، والاستعطاف، والتحيب، والتعجيز، والتحسير، والتلهف، والتكذيب، والتشريف. وهو خطاب شعوري للانفعالات الإنسانية المتضادة^(٢). وقد يكون الخطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في نفس الأمر. فالخطاب لغة^(٣). والتصديق يخرج عن إطار اللغة، اللغة للتخاطب، والتصديق في الواقع، ويقرب منه التهكم^(٤).

ب- أقسام الكلام: الكلام خبر أو إنشاء^(٥). الخبر ما يحتمل الصدق والكذب. والإنشاء يضم النداء والمسألة والأمر والتشفع والتعجب والقسم والشرط والوضع والشك والاستفهام. وقد يضاف إلى الاستخبار وهو طلب الفهم والنهي مع الأمر والتمنى والتصريح. ولا يعنى التمييز بين الخبر الإنشاء الفصل التام بينهما. فالقصد بالخبر إفادة المخاطب. وقد يرد بمعنى الأمر والنهي والدعاء والتعجب والدعاء، والتمنى والوعد والوعيد والإنكار، والنفي في الماضي والمستقبل، والجحد. وقد يفضل الاستفهام في صيغ عديدة^(٦). قد توجد مباشرة أو بطريق غير مباشر. والتفصيلات العديدة للإنشاء تدل على أنه هو السائد في الخطاب القرآني^(٧).

(١) السابق جـ ٢/ ص ٣١٦.

(٢) السابق جـ ٢/ ص ٢٤٦-٢٥٣.

(٣) السابق جـ ٤/ ٥٥-٥٨. مثل (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون).

(٤) السابق ص ٥٨، مثل (ذق إنك أنت العزيز الحكيم).

(٥) الإتيان جـ ٣/ ٢٢٥-٢٤٨، السابق جـ ٢/ ص ٣١٧-٣٢٦.

(٦) مثل: الإنكار، التوبيخ، الاعتراف، التعجب، العتاب، التذكير، الافتخار، التفتيح، التهويل، التخويف، التسهيل، والتخفيف، التهديد، والوعيد، التكرير، التسوية، الأمر، التنبه، الترغيب، النهي، الدعاء، الاسترشاد، التمنى، الاستبطاء، العرض، التحضيض، التجاهل، التعظيم، التحقير، الاكتفاء، الاستبعاد، الإيناس، التهكم، الاستهزاء، التأكيد، السابق ص ٢٣٥-٢٤٠.

(٧) السابق جـ ٢/ ص ٣١٧.

ويوضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي^(١). كما يوضع الطلب موضع الخبر^(٢).
فصيغ الكلام متداخلة. قد يكون الخبر طلبا غير مباشر. وقد يكون الطلب خبرا لا يقتضى الفعل.

والأمر هو اقتضاء الفعل. وله عدة أقسام مجازا. والنهي صيغته لا تفعل. وهو التحريم والخطر والمنع. ويرد مجازا في عدة صيغ^(٣). والتمنى هو طلب على سبيل المحبة^(٤). ويعبر عنه بحروف «ل» و«ولعل» و«وهل». والترجى في الممكن، والتمنى في المستحيل^(٥). وقد يرد النداء مجازا في الإغراء والتحذير والاختصاص والتنبيه والتحسر^(٦). والاستعطاف ليس قسما^(٧). ويوضع النداء موضع التعجب. فكلاهما صيغتان إنشائيتان انفعاليان وجدانيتان^(٨).

ويمكن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، وعن الماضي بلفظ المستقبل. فالزمان متصل الحلقات. وقسمته إلى ماضى وحاضر ومستقبل قسمة وهمية. فالماضى هو مستقبل الحاضر، والحاضر هو مستقبل الماضي، والمستقبل هو ماضى الحاضر. فالحقائق في الزمان وخارجه بنية تند عن التطور^(٩).

٢- طرق التوكيد:

التوكيد أهم أسلوب بلاغى في القرآن من أجل مزيد من اليقين. والقصد منه العمل

(١) السابق جـ ٣/ ص ٣٤٧-٣٤٩.

(٢) السابق ص ٣٥٠-٣٥٢.

(٣) مثل: الندب، الإباحة، الدعاء، التهديد، الإهانة، التسخير، التعجيز، الامتنان، المعجب، التسوية، الإرشاد، الاحتقار، الإنذار، الإكرام، التكوين، الإنعام، التكذيب، المشورة، الاعتبار، التعجب، الإيقان، جـ ٣/ ٢٤٢-٢٤٣، البرهان جـ ٢/ ٣٢٠-٣٢٦.

(٤) مثل: الكراهة، الدعاء، الإرشاد، التسوية، الاحتقار والتقليل، وبيان العاقبة، واليأس، والإهانة، السابق ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٥) البرهان جـ ٢/ ٣٢٣.

(٦) السابق ص ٣٢٣-٣٢٦.

(٧) السابق ص ٣٢٦.

(٨) السابق جـ ٣/ ٢٥٣-٣٥٤.

(٩) السابق جـ ٣/ ٣٧٦-٣٧٦.

على ما لم يقع ليصير واقعا. لذلك لا يؤكد الماضي ولا الحاضر لوقوعها. إنها التأكيد في المستقبل. فإذا وقع فهو حقيقة^(١). الماضي حدث. والحاضر المشاهد. والمستقبل هو الحامل لأمر المعاد الذي يحتاج إلى توكيد الماضي في قصص الأنبياء. والحاضر مدرك بالحس والمشاهدة. والتوكيد نوعان باصطلاح النحاة، صناعي ومعنوي^(٢). والصناعي نوعان لفظي ومعنوي. اللفظي بالمرادف^(٣). ويكون في الاسم النكرة بالإجماع، وفي اسم الفعل، وفي الجملة، وفي فصل الجملتين، وقصد تحقيق المخبر، وقصد إغاظه السامع، والإعلام بأن المخبر به كله من عند المتكلم، والتعريض بأمر آخر، والحاجة للتحرر من ذكر ما لا فائدة له، ونزول المنكر لغير المنكر وعكسه^(٤). ويلحق بالتأكيد الصناعي تأكيد الفعل بالمصدر. والسؤال هو: هل الأولى التأكيد بالمصدر أو الفعل؟ المصدر أولى. وينعت المصدر بالوصف^(٥). وقد يقع الحال بعد الجملة الأسمية فتلزم مؤكداتها بحروف «إن» و«أن» و«كأن» و«لكن» و«لام الابتداء» والفصل، وضمير البيان للمذكر والقصة للمؤنث، وتأكيد الضمير، وتصوير الجملة بضمير مبتدأ يفيد التأكيد، وهاء التنبيه في النداء، و«ياء» الموضوع للبعيد، و«واو» التأكيد، و«إما» المكسورة، و«أما» المفتوحة، و«ألا» الاستفتاحية و«ما» النافية، و«الباء» في الخبر^(٦). أما مؤكدات الجملة الفعلية فهي «قد»، «السين» للتنفيس، النون «الشديدة»، «لن» لتأكيد النفي^(٧). والنون للتوكيد، خفيفة لتأكيد الفعل مرتين أو شديدة لتأكيد ثلاثا.

والخطاب درجة من اليقين في الشعور. تعبر عنه حروف التوكيد مثل «إن» التي تفيد التأكيد والتحقيق. وقد تفيد التعليل ومعنى نعم. ومثلها «أن». وقد تفيد التعليل. فالتوكيد لعله. ويفيد «أنها» قصر الصفة على الموصوف^(٨). و«ظن» تفيد الاعتقاد

(١) السابق ج٢/ ٣٨٤-٥١٦ ج٣/ ٣-١٠٢.

(٢) السابق ص ٣٨٥.

(٣) السابق ص ٣٨٥-٤٢٢.

(٤) السابق ص ٣٨٥-٣٩١.

(٥) السابق ص ٣٩١-٤٠٤.

(٦) السابق ص ٤٠٥-٤١٧.

(٧) السابق ص ٤١٧-٤٢٢.

(٨) الإيتقان ج٢/ ١٧٣-١٧٤، البرهان ج٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

الراجع^(١). وهو الشك والحسبان. وهو درجة من درجات اليقين العلمى^(٢).

والصفة هو القسم الثانى من التأكيد، التأكيد المعنوى^(٣). وتأتى لعدة أسباب منها، مجرد المدح والثناء، ولزيادة البيان، ولتعيينه للجنسية^(٤). والصفة العامة لا تأتى إلا بعد الصفة الخاصة. وتأتى لازمة لا للتقييد. وقد تأتى بلفظ والمراد غيره. وقد نجىء للتنبيه على التعميم. وقد يحتمل اللفظ أكثر من سبب، وإذا اجتمع مختلفان فى الصراحة والتأويل، وإذا اجتمع التابع والمتبوع، وعندما تتكرر النعوت لواحد. وفصل الجمال فى مقام المدح والذم أبلغ من جعلهما نمطا واحدا. ويوصف الجمع بالمفرد. وتدخل «الوا» وعلى الجملة الواقعة صفة للتأكيد. ولا تقوم الصفة مقام الموصوف إلا على استكراه^(٥).

والبدل نوع من أنواع التأكيد والقصد به الإيضاح بعد الإيهام. يفيد البيان. وهو نوعان: بدل البعض وبدل الاشتغال. وقد ينقسم إلى بدل مفرد عن مفرد، وجملة عن جملة. ويبدل الفعل من الفعل الموافق له فى المعنى لزيادة بيان. وقد يتكرر البدل^(٦). وللتأكيد وسائل كثيرة منها:

أ- عطف البيان: وهو كالنعت فى الإيضاح وإزالة الاشتراك الكائن فيه^(٧). وينقسم العطف ثلاثة أقسام: عطف على اللفظ وهو الأصل، وعطف على المحل، وعطف التوهم، ولا يعنى التوهم الغلط. ويجوز عطف الخبر على الإنشاء، والإنشاء على الخبر. ويجوز عطف المفرد على مثله، وعطف الجملة على مثلها. وللجملة ثلاثة أحوال: أن يكون ما قبلها بمنزلة الصفة من الموصوف أو أن يغير ما قبلها أو أن يغير مع نوع ارتباط أو أن يكون بتقدير الاستئناف. فالأصل فى العطف التغير. وقد يعطف الشيء

(١) البرهان ج٤/ ٢٣١.

(٢) الإقتان ص ٢٠٠-٢٠١.

(٣) البرهان ج٢/ ٤٢٢-٤٥٣.

(٤) السابق ج٢/ ٤٢٢-٤٢٩.

(٥) السابق ج٢/ ٤٢٩-٤٥٣.

(٦) السابق ص ٤٥٣-٤٦٢.

(٧) السابق ص ٤٦٢-٤٦٤.

على نفسه للتأكيد^(١). وربما لا يجوز عطف على معمولي عاملين^(٢).

ويجوز عطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل. ويجوز عطف الفعل على الاسم، والاسم على الفعل^(٣). ويجوز في الحكاية عن المخاطبين إذا طالت الاستغناء عن الواو والفاء^(٤). ويجوز العطف على ضمير إن كان منفصلاً مرفوعاً^(٥). وقد يعطف أحد المترادفين فيه على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى من أجل التأكيد^(٦).

والتعديد مثل العطف هو إيقاع الألفاظ المعددة على سياق واحد. وأكثرها في الصفات، وعدم عطف بعضها على بعض لاتحادها في المحل. لذلك يقل العطف في الصفات^(٧).

ومن طرق التأكيد ذكر الخاص بعد العام. والعام بعد الخاص بالعطف بالواو للتنبيه على فضله. وذكر العام بعد الخاص جائز لفائدته. ويقع النوعان في الأفعال والأسماء، في الأفعال في النفي، وفي الإثبات في عطف المطلق على المقيد أو المقيد على المطلق^(٨).

ب- ومن وسائل التأكيد الإيضاح بعد الإيهام: مثل التأكيد للعدد بياثة إلا واحداً^(٩). والتعبير عن المثني بإرادة الواحد يعنى وجود إرادة كيفية كلية وراء الإرادة الكمية العددية^(١٠). كما يعبر عن الجمع بإرادة الواحد^(١١). ويطلق لفظ التثنية ويراد به الجمع^(١٢). وقد يحىء لفظ دال على التكثير والمبالغة بإحدى صيغ المبالغة مثل «فعال»

(١) الإنقان ج٢/ ٣١٩-٣٢٣، البرهان ج٤/ ١٠١-١١٧.

(٢) البرهان ج٤/ ١١٧.

(٣) السابق ص ١٠٧-١١٠.

(٤) السابق ص ١١٣-١١٤.

(٥) السابق ص ١١٤-١١٧.

(٦) السابق ج٢/ ٤٧٢-٤٧٧.

(٧) السابق ج٣/ ٤٧٥-٤٧٧ مثل الخالق البارئ المصور.

(٨) السابق ج٢/ ٢٤٦-٤٧٢.

(٩) السابق ص ٤٧٧-٤٨٢.

(١٠) السابق ج٣ ص ٣-٦.

(١١) السابق ص ٦-٨.

(١٢) السابق ص ٨.

و«فعليل» و«فعلان» فإنها أبلغ من فاعل^(١). وصيغ أخرى «فعال»، «فعلول»، «فعليل»، «فُعل»، «فعللى».

ج- وقد يتم التأكيد بالتكرار: وهو من أساليب الفصاحة^(٢). ويكون مرتين. وحقيقة إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية نسيان الأول لطول العهد به. وفائدته التأكيد بإعادة التقرير، وزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة. وإذا طال الكلام وخشى تناسي الأول أعيد ثانيا تذكيرا به، وفي مقام التعظيم والتهويل، ومقام الوعيد والتهديد، والتعجب، ولتعدد المتعلق. والتكرار على أنواع. منه تكرار الإضراب بحرف «بل» لإبطال ما قبله، وتكرار الأمثال، وتكرار القصص^(٣). وفي كل مرة يبرز جانب جديد من الموعظة. وبسبب الهجرة والسفر تتكرر القصة حتى يسمعها أكبر عدد ممكن من الناس. وهو أحد أشكال الفصاحة، التعبير عن المعنى بأساليب كثيرة. وهو أقرب إلى الفن الشعبي الذي يجمل تكراره على غير الأحكام الثقيلة على النفس. والقصص في النهاية نوع من التسلية والتذوق الفني. وإذا كان المقصود هو الإعجاز فتكرار القصة يثبت الإعجاز. وفي كل رواية زيادة ونقصان وتقديم وتأخير^(٤).

ولم تتكرر سورة يوسف لحكمة وحدة الموضوع، التشبيب بالنسوة، حصول الفرج بعد الشدة، بيان الإعجاز دون التكرار^(٥). ولا يوجد نظام خاص ظاهر لتكرار القصص إلا وحدة الموضوع الشامل للقصص مثل هلاك الأمم أو امتحان المؤمنين، ورسم صورة متكاملة لكل نبي، إبراهيم الرحيم، محمد العادل. وقد يصبح تكرار اللفظ ثقيلا فيحول إلى معناه باشتقاق آخر^(٦).

(١) السابق ج-٢ ص ٥٠٢-٥١٦.

(٢) وفي المثل الشعبي «التكرار يعلم الشطار» وفي نقل آخر بالرغم من قلة ذوقها «التكرار يعلم الحمار».

(٣) مثل قصة إبليس في السجود لأدم، وقصة موسى (٧٠ مرة)، وقصة نوح (٢٥ مرة).

(٤) البرهان ج-٣ ص ٢٥-٢٩.

(٥) السابق ص ٢٩-٣٠.

(٦) السابق ص ٣٠-٣٣. تذكر قصص قوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى في سورة الأعراف وهود والشعراء دون قصة إبراهيم المذكورة في سور الأنبياء ومريم والعنكبوت والصفافات.

د- ومن طرق التأكيد الزيادة في بنية الكلمة لزيادة في التأكيد على المعنى^(١): وقد تكون الزيادة بالتشديد والتضعيف والتكثير^(٢). والزيادة للتأكيد. وكيف تكون زيادة في الوحي بمعنى ما لا لزوم له أو حتى اللغو؟ كذلك تسمى الصلة أو المقحم. ويكون الزائد إقحاما للتأكيد، في الحروف والأفعال، وليست بالضرورة حشوا. وتكون لتأكيد النفي أو الإثبات. وحروف الزيادة سبعة: إن، أن، ما، من، الباء، اللام. وقد تكون مؤكدة في موضع، وتحذف في آخر لاقتضاء المقام^(٣).

ومثل الزيادة التذييل للمبالغة عن طريق جعل شيء ذيلًا لآخر. ويعنى في الاصطلاح أن يأتي بعد الكلام كلام مستقل في معنى الأول تحقيقًا للدلالة، منطوقة أو مفهومة^(٤). وهو مثل التذييل وهو أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله مبالغة أو احترازا أو احتياطًا^(٥).

ومن طرق المبالغة التوكيد بإبراز الكلام في صورة المستحيل على طريق المبالغة ليدل على بقية جملة^(٦). والمبالغة عن طريق الزيادة والتكثير والتضخيم والتضعيف أحد طرق المبالغة^(٧). والمبالغة من محاسن الكلام. ويخرج اللفظ مخرج الغالب للتأكيد دون ما حاجة إلى زيادة^(٨).

هـ- والتفسير أيضا للتوكيد والتعظيم وبيان العلة والسبب^(٩): وبالرغم من أن التعليل ليس من مباحث الألفاظ إلا أنه مقرر به لأن برهانه لفظ. وهو إضافة الحكم إلى الوصف المناسب^(١٠). وذكر العلة أبلغ من عدم ذكرها. والعلة المنصوصة قاضية

(١) مثل (فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)، السابق ص ٣٣-٣٤.

(٢) السابق ص ٣٤-٣٦.

(٣) السابق ص ٧٠-٩٠.

(٤) السابق ص ٦٨-٧٠.

(٥) السابق ص ٧٠.

(٦) السابق ص ٤٧-٤٨.

(٧) السابق ص ٥٢-٥٦.

(٨) السابق ص ٣٨-٤٠.

(٩) السابق ص ٣٦-٣٨.

(١٠) السابق ج ٢/ ٩ / ٣ / ٩١-١٠١.

بعموم المعلول. كما أن النفوس تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة. والحرف الثانى للتعليل فاء السببية. وطرق التعليل متعددة: التصريح بلفظ الحكم، الدخول بلام التعليل مع واو العطف، ظهور الحرف «كى» مع باقى أدوات التعليل، ظهور المفعول له علة للفعل، اللام فى المفعول له، حرف «إنّ»، «أنّ» والفعل، من أجل، لعل، الوصف المناسب، غياب المانع، ذكر الغاية. فالعلة قد تكون غائية كما قد تكون فاعلة.

و- والقسم جملة لتأكيد الخبر: ويعنى الحلف. ولا يكون إلا باسم معظم لكمال الحجة وتأكيدها مع أن الله لا يحتاج إلى قسم ولكن لمزيد من إقناع الناس. وقد ينقسم القسم إلى مظهر ومضمّر. وقد يكون مثل الخبر وبالتالى لا تميز فيه. وأكثر الأقسام بواو القسم. وهو جملتان مثل الشرط وجوابه. والقسم بالمخلوقات جائز من باب حذف المضاف مثل (والفجر)، والأصل «ورب الفجر»، كما أن مخلوقات الله دليل على صنعه. وقد أقسم الله بذاته وفعله ومفعوله^(١). والقسم فى القرآن بالمخلوقات. يعنى القسم برب المخلوقات. وقسم الله بنفسه تحصيل حاصل لأن الله وقسمه من نفس درجة اليقين. وقد يعنى القسم بالمخلوقات تعظيمها حتى توحى للإنسان بعظمتها وتقديرها. ومن ضمنها القسم بالنبي. وقد يكون القسم بذات الله أو بفعل أو بمفعوله. وكلها لا تخرج عن ذاته. وقد يكون القسم بواو القسم^(٢).

والقسم إما لفضيلة أو منفعة. والحسن فى ذاته أو القبيح فى ذاته لا يحتاج إلى قسم^(٣). والقسم ليس دليلا على الصدق. بل إنه من الأفضل عدم القسم حتى يكون الصدق داخليا ذاتيا وليس اعتمادا على سلطة خارجية^(٤).

ز- ووجه التأكيد فى الاستثناء والاستدراك أنه ذكر للموضوع مرتين، مرة إجمالا بالنفى، ومرة تفصيلا بالاستثناء^(٥). والمثل الأول على ذلك «لا إله إلا الله».

(١) السابق جـ ٣/ ٤٠-٤٦.

(٢) الإتيان جـ ٢/ ١٨٨.

(٣) السابق جـ ٤/ ٤٦-٥١، البرهان جـ ٢/ ٣٧٤. صنف فيه ابن القيم «التيان» (مجلدان).

(٤) وهذا مثل نظرية الصدق الإلهى عند ديكرت الذى جعل يقين العلوم معتمدا على الصدق الإلهى.

(٥) البرهان جـ ٣/ ٤٨-٥١.

ح- والاعتراض هي الجملة الاعتراضية عند النحاة: تخلل جملة صغرى جملة كبرى. ويسمى عند البلغاء «التفات». وأسبابه تعزيز الكلام، وقصد التنزيه، وقصد التبرك، وقصد التأكيد، وبيان الثاني للأول، وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد، وزيادة الرد على الخصم، والإدلاء بالحجة. ويمكن الاعتراض في الاعتراض وهو الاعتراض المزدوج^(١).

ط- والاحتراس أن يكون الكلام محتملاً لشيء بعيد فيأتي ما يدفع ذلك الاحتمال^(٢).

٣- الحذف والإيجاز والإطناب:

أ- الحذف:

ويعنى لغة الإسقاط. ويقال على الشعر أولاً. واصطلاحاً هو إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل. وشرطه الإيجاز. والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمهر بقاء أثر المقدّر في اللفظ في حين أن الحذف إسقاط له. وهو نوع من الإيجاز. وهو خلاف الأصل. فإذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان العدم أولى لأن الأصل عدم التغيير^(٣). وإذا دار الأمر بين القليل والكثير فإن القليل أولى^(٤).

وللحذف أنواع كثيرة يصعب جمعها في أنواع أقل^(٥). وتارة يقوم مقام المحذوف شيء وتارة أخرى لا يقوم.

(١) السابق ص ٥٦-٦٤.

(٢) السابق ص ٦٤-٦٨.

(٣) السابق ص ١٠٢-٢٣٢.

(٤) السابق ص ١٠٢-١٠٤.

(٥) مثل: الاقتطاع لبعض حروف الكلمة، الاكتفاء بذكر شيء من شيئين بينهما تلازم، والاحتباك وهو الحذف المقابل، حذف من الأول، ثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما ثبت نظيره في الأول، والاختزال. لحذف الاسم أو الفعل أو الحرف أو أكثر من ذلك، وحذف الاسم مثل المضاف والمضاف إليه والمبتدأ والموصوف والصفة والمعطوف عليه والبدل والفاعل والمفعول والحال والعائد والحال. وحذف الفعل إذا كان مفسراً أو يكثر في جواب الاستفهام والقول، وحذف الحرف مثل همزة الاستفهام وحرف الجر والعاطف وإلغاء حرف النداء، وقد ولا النافية ولام الأمر ونون التوكيد والتنوين ونون الجمع وحركة الإعراب والبناء، وحذف أكثر من كلمة مثل حذف مضافين أو ثلاث والجار والمجرور والعاطف والمعطوف، وفعل الشرط وجواب الشرط، وجملة القسم، الإتيان ج ٣/ ١٨٠-١٩٢.

وفوائد الحذف متعددة. منها: التفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام، زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، زيادة الأمر بسبب الاجتهاد، طلب الإيجاز والاختصار، التشجيع على الكلام، موقعه في النفس^(١).

وإيجاز الحذف له أسبابه. ويمثل شجاعة لغوية تنم عن الشجاعة العربية^(٢). وله شروطه^(٣). ويمكن الحذف تدريجيا قدر الإمكان. والأصل وضع الشيء في محله. والحذف هو لوضع الشيء في غير محله. وتقليل المتن قدر الإمكان لتقليل مخالفة الأصل. وإذا كان المحذوف بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، فالثاني أولى بالحذف^(٤).

وأسباب الحذف أيضا متعددة منها: الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، والتنبيه على أن الزمن يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يقضى إلى تفويت المهم وهي فائدة التحذير، والتفخيم والإعظام، والتخفيف، ورعاية الفاصلة، والصيانة للمحذوف، صيانة اللسان، وعدم الصلاحية لإلا له، وشهرته بحيث يكون ذكره وعدمه سواء^(٥). وأدلة الحذف أيضا متعددة. ويدل الدليل إما على محذوف مطلق أو محذوف معين. وفي كلتا الحالتين أدلة الحذف العقل حيث لا يصح الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف. فالعقل يدل على أصل الحذف. والعادة تدل على تعيين المحذوف. كما يدل اللفظ واللغة والسياق وسبب التزول^(٦). وشروط الحذف متعددة. منها أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف من اللفظ والسياق. والدلالة مقالية من إعراب اللفظ، أو حالية من النظر في المعنى، وألا يكون الفعل طالبا له بنفسه، وأن يكون في الأطراف لا في الوسط^(٧).

(١) البرهان ج ٣/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) مثل مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث، والتنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، والتفخيم والإعظام، والتخفيف لكثرة الدوران في الكلام، أنه لا يصلح إلا له، وشهرته، والصيانة عن الذكر تشريفا، صيانة اللسان، وقصد العموم، ورعاية الفاصلة، وقصد البيان بعد الإيهام، الإتيان ج ٣/ ١٧٠-١٧٤.

(٣) مثل: وجود دليل مثل العقل على التعيين والعادة والشروع في الفعل والصناعة النحوية، ألا يكون المحذوف كالجزم، ألا يؤدي المحذوف إلى اختصار المختصر، ألا يكون عاملا ضعيفا، ألا يكون عوضا عن شيء ألا يؤدي إلى تهيئة العامل القوي، السابق ص ١٧٤-١٧٨.

(٤) السابق ص ١٧٨-١٨٠.

(٥) البرهان ج ٣/ ١٠٥-١٠٨.

(٦) السابق ص ١٠٨-١١١.

(٧) السابق ص ١١١-١١٧.

وينقسم الحذف إلى اقتطاع، واكتفاء وضمير أو تمثيل أى إضمار القول لبيان أحد أجزائه الأخرى، واستدلال بالفعل لشيئين وهو فى الحقيقة لأحدهما، واقتضاء الكلام شيئين والاقتصار على أحدهما، وذكر شيئين ثم عود الضمير إلى أحدهما دون الآخر، حذف مقابلى وهو اجتماع متقابلين فى الكلام فيحذف من أحدهما مقابلة لدلالة الآخر عليه. قد يحذف من الأول لدلالة الثانى عليه أو العكس. والاختزال وهو الافتعال أى حذف كلمة أو أكثر. وتكون الكلمة اسماً أو فعلاً أو حرفاً^(١).

١- حذف الاسم: وقد يكون الاسم المبتدأ أو الخبر أو كلاهما أو الفاعل أو المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه أو استمرار الالتفات إلى المضاف أو المضاف إليه أو كلاهما أو الجار والمجرور أو الموصوف أو الصفة أو المعطوف أو المعطوف عليه أو المبدل منه أو الموصول أو المخصوص فى باب نعم إذا علم من سياق الكلام أو الضمير المنصوب المتصل مع تفاوت الأنواع أو المفعول اختصاراً أو احتقاراً مع ذكر مفعول المشيئة والإرادة عندما يكون المقصود محذوفاً أو غير محذوف، وحذف الحال والمنادى خاصة المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، وحذف الشرط وجوابه والأجوبة، وحذف جواب القسم، والجملة المسببة أو غير المسببة، وحذف القول^(٢).

٢- حذف الفعل: وينقسم إلى خاص وعام. الخاص مثل «أعنى» مضمراً. ويُنصب به المفعول فى المدح. والعام كل منصوب دال عليه الفعل لفظاً أو معنى أو تقديراً. ويحذف لعدة أسباب منها: أن يكون مفسراً، وأن يكون هناك حرف جر، وأن يكون جواباً لسؤال، وأن يدل عليه معنى الفعل الظاهر، وأن يدل عليه العقل، ذكره فى موضع آخر، والمشاكلة، وأن يكون بدلاً من المصدر^(٣).

٣- حذف الحرف: وذلك لأن الحرف نائب عن الفعل بفاعله. ومنه الواو مثل واو العطف، والفاء فى جواب الشرط، وهمزة الاستفهام، وألف ما الاستفهامية، والياء،

(١) السابق ص ١١٧-١٣٤.

(٢) السابق ص ١٣٥-١٩٨.

(٣) السابق ج ٣/ ١٩٨-٢٠٩.

وحرف النداء، و«ل» و«قد» و«أن» و«لا». وقد يحذف الجار لإيصال الفعل إلى المجرور. وقد يحذف في آية ويثبت في أخرى إما لأنه محمول على مذكور أو لأنه غير مراد^(١).

ب- الإيجاز والإطناب:

ليس من المبادئ اللغوية بل من أساليب البلاغة^(٢). فالبلاغة هي الإيجاز والإطناب. الإيجاز محمود، والإطناب مذموم. وهناك درجة المساواة بينهما. القول على قدر المقام. وهو أقرب إلى الإيجاز المحمود أو لا هو محمود ولا مذموم بل من فنون القول العادي. والإيجاز والاختصار بمعنى واحد. وقد يكون الاختصار بحذف الجمل، والإيجاز بتركيز المعنى^(٣). فالإيجاز إيجاز حذف أو إيجاز قصر. إيجاز القصر هو الوجيز بلفظه. تكثير المعنى وتقليل اللفظ. وهو إيجاز القصر. وهو أن يقصر اللفظ على معناه أو التصوير. وهو إيراد معنى زائد على المنطوق أو الجامع وهو احتواء اللفظ على معان متعددة. ومن أنواع الإيجاز الإشارة. وهو ذكر معنى زائد في اللفظ دون ذكر لفظ له. والحصر بأدوات الاستثناء وطرح المفعول وجميع أدوات الاستفهام والشرط وألفاظ العموم^(٤).

والإيجاز قسم من الحذف. ويسمى إيجاز القصر. فالإيجاز قسمان وجيز بلفظ، ووجيز بحذف. الوجيز باللفظ وهو أن يكون أقل من المعنى. وهو من «جوامع الكلم». اللفظ المساوي للمعنى هو المقدر، الأقل منه هو المقصود. ومن أقسام الإيجاز الاقتصار على السبب الظاهر للشيء دون باقي الأسباب، والاقتصار على المبتدأ دون الخبر والنائب عن الفاعل، وألفاظ العموم، ولفظ الجمع، وباب الضمائر ولفظ «فعل»^(٥).

(١) السابق ص ٢٠٩-٢٢٠.

(٢) الإتيان ج ٣/ ١٦١-٢٢٤.

(٣) وهذا المعنى يكون اختصار ابن سينا «الشفاء» في «النجاة» اختصارا وليس إيجازا في حين أن الملخصات بالنسبة للشروح عند ابن رشد، والجوامع بالنسبة للملخصات إيجاز.

(٤) السابق ص ١٦١-١٧٠.

(٥) البرهان ج ٣/ ٢٢٠-٢٣٢.

والإطناب أيضا نوعان: بسط وزيادة. البسط تكثير الجمل أو الزيادة. وتتفصل أنواعها إلى عشرين مما يقضى على وحدة الموضوع والتأثير المباشر للنص دون تقسيماتها العقلية. وتظهر بعض مصطلحات الأصول مثل الطرد والعكس^(١).

والاستطراد هو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره مثل (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود)^(٢). وقد يوضع موضع المضمحل لزيادة التقرير. وهو من أقسام الإطناب أيضا. والأصل في الأساء أن تكون ظاهرة. ومع ذلك يمكن الخروج عليها لعدة أسباب مثل: قصد التعظيم، وقصد الإهانة والتحقير، الاستلذاذ بذكره، زيادة التقرير، إزالة اللبس حين يوهم الضمير أنه غير المراد، قصد تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع، قصد تقوية داعية المأمور، تعظيم الأمر، قصد التوصل بالظاهر إلى الوصف، التنبيه علة الحكم، قصد العموم، قصد الخصوص، مراعاة التجنيس، تحمل ضمير لا بد منه، كونه أكثر أهمية من الضمير، ما يصلح للعود ولم يُسق الكلام له، الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى^(٣). والاشتغال هو إضمار الشيء ثم إظهاره وتفخيمه وتعظيمه^(٤).

٤ - التقديم والتأخير:

وقد تتقدم بعض الألفاظ أو الآيات على أخرى. يقدم الأهم على المهم. وقد يكون للבלاغة أثر في ذلك. فهو أحد أساليبها. وقد يكون السبب في ذلك التبرك، والتعظيم،

(١) وتكون الزيادة بحروف التوكيد والأحرف الزائدة. والتأكيد الصناعي بالمعنى واللفظ والفعل والحال. والتكرار بالتقرير والتنبيه والتذكير والتعظيم والتهويل. والصفة للتخصيص في الفكرة والتوضيح والمدح والثناء والذم، والبدل، وعطف البيان، وعطف أحد المترادفين فيه على الآخر، وعطف الخاص على العام والعام على الخاص، والإيضاح بعد الإيهام والتفصيل بعد الإجمال، والتفسير، ووضع الظاهر موضع المضمحل لزيادة التقرير، والتعظيم والإهانة والتحقير وإزالة اللبس، وتربية المهابة وتقوية داعية المأمور، والاستلذاذ بالذكر، والتوصل من الظاهر إلى الوصف، وقصد العموم والخصوص، والإشارة والجناس واستبدال الضمير، والإيغال وهو الإمعان، والتذليل، والطرد والعكس، والتكميل، والتسيم، والاستقصاء، والاعتراض، والتعليل، الإتيان جـ ٣/ ١٩٣ - ٢٢٤.

(٢) البرهان جـ ٣/ ص ٣٠٠.

(٣) السابق جـ ٢/ ٤٨٢ - ٤٩٩.

(٤) السابق جـ ٣/ ٩٠.

والتشريف، والمناسبة، والحث والحض، السبق، والسببية، والكثرة والترقى من الأدنى إلى الأعلى، والتدلى من أعلى إلى أدنى^(١). وقد يُعد من المجاز بالمعنى الواسع.

وقد تكون هناك أسباب أخرى أكثر صورية وأقل وجدانية وأقرب إلى بنية اللغة منها إلى أثرها النفسى مثل: أن يكون أصله التقديم، وأن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، وأن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، ولعظمه والاهتمام به، وأن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به، وأن يكون التقديم والتأخير لإرادة التبكيت والتعجيب، والاختصاص بتقديم المفعول والخبر والظرف والجار والمجرور ونحوها على الفعل^(٢).

وهما على ثلاثة أنواع: إما أن يُقدم والمعنى عليه، أو يقدم وهو في المعنى مؤخرا أو العكس. الأول ما يقدم والمعنى عليه مثل سبق الزمان والإيجاد والتقدم بالذات، وبالعلة والسببية، وبالرتبة، وبالداعية وبالتعظيم، وبالشرف، وبالغلبة والكثرة، وسبق ما يقتضى تقديمه، ومراعاة اشتقاق اللفظ، والحث عليه خيفة من التهاون به، وتحقيق ما بعده واستغناؤه هو عنه في تصوره، والاهتمام عند المخاطب، والتنبيه على أنه مطلق لا مقيد، والتنبيه على أن السبب مرتب، والتنقل، والترقى، ومراعاة الأفراد، والتحذير منه والتنفير عنه، والتخويف منه، والتعجب من شأنه، وكونه أدل على القدرة، وقصد الترتيب، وخفة اللفظ، ورعاية الفواصل. وقد يجتمع أكثر من سبب للتقديم، فيكون الترجيح لأقوى الأسباب وإن تساوى فالخيار^(٣). والثاني ما قدم بنية التأخير كما يدل على ذلك الإعراب كتقديم المفعول على الفاعل، والخبر على المبتدأ، وما يدل على المعنى وللعناية^(٤). والثالث ما قدم في آية وآخر في أخرى بقصد البداية والختام به ويقصد الفصاحة^(٥).

(١) السابق ص ٣٣-٤١، الإتيان ج ٣/ ٢٣٣-٣٨٧.

(٢) البرهان ج ٣/ ٢٣٣-٣٣٧.

(٣) السابق ص ٢٣٨-٢٧٥.

(٤) السابق ص ٢٧٥-٢٨٣.

(٥) السابق ص ٢٨٤-٢٨٧.

والترقى نوع من التقديم مثل (لا تأخذه سنة ولا نوم)، وهو نوع من تجاوز صورية اللغة ورتابة النحو ونمطية البلاغة^(١). والترقى والتدلى نوعان من التقديم والتأخير. وهو أيضا العكس. والتقسيم هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة لا الممكنة^(٢). والترتيب هو إيراد الأوصاف على ترتيب الخلقة الطبيعية^(٣). وحسن النسق أن تأتي الكلمات متاليات معطوفات متلاحمات.

والجمع هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم جمع المؤنث والمختلف للتسوية. وقد يقرن بالتقسيم أولا. والتفريق وهو العكس^(٤). واللف والنشر إما تفصيلا بالنص على كل واحد أو إجمالا بذكر لفظ يشمل على متعدد ثم تذكر أشياء على حسب العدد. والمزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء^(٥).

٥- التورية والإيهام، والكناية والتعريض، والتشبيه والاستعارة:

أ- التورية:

التورية هي الإيهام والتخيل والمغالطة والتوجيه. هي التكلم بلفظ مشترك بين معنيين، قريب وبعيد. يريد البعيد ويوضح بالقريب. والفرق بين التورية والاستخدام أن التورية استعمال المعنيين في اللفظ وإهمال الآخر. وفي الاستخدام استعمالهما معا بقريتين^(٦).

والإيهام هو التورية، ذكر لفظ له معنيان بالاشتراك أو بالتواطؤ بالحقيقة أو المجاز. والتورية أشرف أنواع البديع^(٧). والالتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، من المتكلم إلى المخاطب أو إلى الغائب للتخفيف من حدة التقابل بين ضمائر الخطاب^(٨).

(١) السابق ص ٢٩٦.

(٢) الإتيان ج ٣ / ٢٦٧.

(٣) السابق ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) السابق ص ٣٧٤-٣٧٧.

(٥) السابق ص ٢٧٩-٢٨٢.

(٦) البرهان ج ٣ / ٤٤٤-٤٤٧.

(٧) الإتيان ج ٣ / ٢٥٠-٢٥٢.

(٨) السابق ص ٢٥٣-٢٥٩.

والاطراد هو ذكر أسماء آباء الممدوح بترتيب الولادة^(١). والانسجام هو انسياب الكلام كسيلان الماء لعذوبة الألفاظ وكأنها أشعار عوبية تخضع لأوزان العرب وبحورهم^(٢). والإدماج هو دمج غرض في غرض، والكلام في أحد الغرضين. والافتتان هو الإتيان بفنين مختلفين مثل الفخر والتعزية^(٣). والاقتصاص هو أن يكون كل كلام في سورة مقتصا في سورة أخرى أو في تلك الصورة. والإبدال هو إقامة بعض الحروف مقام بعض^(٤). والجناس تشابه اللفظين في اللفظ. وهو من المحاسن اللفظية لا المعنوية^(٥).

ب- الكناية والتعريض:

وهما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة. والكناية أبلغ من التصريح. وهو لفظ أريد به لازم معناه في الدلالة على الشيء من غير تصريح باسمه. وإنكار المجاز إنكار للكناية. وأسباب الكناية عدة: التنبيه على عظم القدرة، ترك اللفظ لما هو أجمل، التصريح عما سيستقبح ذكره، قصد البلاغة والمبالغة في التشنيع، قصد الاختصار، التنبيه على المصير، واستعمال جملة ورد معناها على خلاف الظاهر^(٦). ومن أنواع البديع التي تشبه الكناية الأرداف وهو إرادة معنى دون لفظه أو إشارته بل بلفظ يرادفه. استعمل في القرآن وفي الحديث^(٧). ومن عادة العرب أنها لا تكنى عن الشيء بغيره إلا إذا كان يقبح ذكره^(٨).

والفرق بين الكناية والتعريض. أن الكناية ذكر الشيء بغير لفظه. والتعريض ذكر شيء للدلالة به على شيء لم يُذكر. هي ما دل على معنى حقيقة أو مجازاً لوصف جامع. وهو لفظ دال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي. والسؤال هو: هل

(١) السابق ص ٢٥٩.

(٢) مثل الطويل والبيسط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل... الخ، السابق ص ٢٥٩-٢٦١.

(٣) السابق ص ٢٦١.

(٤) السابق ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٥) السابق ص ٢٧١-٢٧٤.

(٦) السابق ص ١٤٣-١٤٧، البرهان ج ٢/ ٣٠٠-٣١٥، ألف فيها أبو عبيد وغيره كتابا في الأمثال.

(٧) كنى الرسول بشد المنزر عن الامتناع عن الجماع، وكنى بالعيلة عن الجماع حياء، البرهان ص ٣٠٠.

(٨) السابق ص ٣١٠-٣١١.

يشترط في الكناية قرينة كالمجاز؟. هو لفظ استعمل في معناه، والتعريض لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره. والغاية إما التلطف أو استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم أو للذم أو للإهانة والتوبيخ^(١). أما التعريض فهو للدلالة على المعنى عن طريق المفهوم مثل مخاطبة الشخص والمراد غيره، وإعلام السامع على صورته لا تقتضي مواجهته بالمخاطب^(٢). والتوجيه ما احتمل معنيين ويؤتى به عند فطنة المخاطب^(٣).

ج- التشبيه والاستعارة:

التشبيه من أرفع أساليب البلاغة^(٤). وهو الدلالة على مشاركة أمرين في أمر ما. هو الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار. وإذا كان المجاز أبلغ فإن الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة. الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، والفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة، أن من شرط الاستعارة إمكان حمل الكلام على الحقيقة. وقد تكون الاستعارة أبلغ لأنها مجاز، والتشبيه حقيقة. أدواته حروف وأسماء وأفعال^(٥). في الحروف يدخل حرف التشبيه أو يضاف إليه حرف توكيد. والتشبيه بغير حرف يقصد به المبالغة، وينقسم باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام لأنها إما حسيان أو عقليان أو المتشبه به حسي والمتشبه عقلى أو العكس. ولم يقع في القرآن القسم الرابع لأن العقل مستفاد من الحس، والمحسوس أصل المعقول^(٦). وينقسم إلى مفرد ومركب، والمفرد تشبيه شيء بشيء^(٧). والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور مجموع بعضها إلى بعض^(٨).

التشبيه إلحاق شيء بذى وصف في وصفه أو إثبات حكم للمشبه من أحكام المشبه

(١) السابق ص ١٤٧-١٤٨، البرهان ج ٢ ص ٣٠١/٣١٠.

(٢) البرهان ج ٢/٣١٢-٣١٤.

(٣) السابق ص ٣١٤-٣١٥.

(٤) الإتيان ج ٣/١٢٨-١٤٢.

(٥) السابق ص ١٢٨-١٢٩، البرهان ج ٣/٤١٦.

(٦) الإتيان ص ١٢٩، البرهان ج ٣/٤٢٠-٤٢١.

(٧) الإتيان ص ١٣٠، البرهان ج ٣/٤٢٢-٤٢٣.

(٨) وصف فيه أبو القاسم بن البندار البغدادي «الجهان»، الإتيان ج ٣/١٢٨، البرهان ج ٣/٤١٤-٤٣١.

به^(١). والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفى إلى جلى، وإدناء البعيد من القريب كمزيد من البيان. وهو الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار. وهو حقيقة لا مجازا. وكما كان من فنون البلاغة فقد يكون مجازا أيضا. وقد يرد التشبيه في المعنى.

وينقسم أيضا إلى خمسة أقسام. الأول تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد مثل التشبيه برؤوس الشياطين. والثاني عكسه تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما تقع عليه مثل التشبيه بسراب بقيعة. والثالث إخراج ما لم تجر به العادة به إلى ما جرت مثل التشبيه بارتفاع الجبل فوق الرؤوس كظل. والرابع إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها مثل تشبيه الجنة بعرض السموات والأرض. والخامس إخراج ما لا قوة له إلى حالة قوة مثل التشبيه بالسفن في البحر^(٢).

وينقسم أيضا إلى مؤكد وهو ما حذفت فيه الأداة، ومرسل وهو ما لم تحذف فيه الأداة، والأول أبلغ. فالاستعارة بلاغة، والبلاغة تركيز. والأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به. وقد تدخل على المشبه بقصد المبالغة فيقلب التشبيه، ويصبح المشبه به هو الأصل مثل تشبيه البيع بالربا أو لوضوح الحال مثل تشبيه الذكر بأنه ليس كالأنثى أو لمراعاة الفواصل أو اعتمادا على فهم المخاطب^(٣).

وهناك بعض قواعد في التشبيه مثل المدح، تشبيه الأدنى بالأعلى، وفي الذم، تشبيه الأعلى بالأدنى^(٤). ولا يشبه شيان بشيئين بل شيء بشيء. فالتشبيه فردي. وقد تشبه أشياء بأشياء. وأعلى درجة في التشبيه في البلاغة ترك وجه الشبه وأدواته. وقد تدخل الأداة على شيء ليس هو عين المشبه. وإذا كانت فائدته تقريب الشبه في فهم السامع وإيضاحه له فحقه أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم. وتدخل أداة التشبيه على المشبه به وهو الكامل. وقد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف.

(١) البرهان ج٣/ ٤١٤-٤٢٠.

(٢) الإيقان ج٣/ ١٣١-١٣٢، البرهان ج٣/ ٤٢١-٤٢٢.

(٣) الإيقان ج٣ ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) السابق ج٣/ ١٣٣، البرهان ج٣/ ٤٢٣-٤٣١.

وإنكار المجاز يؤدي إلى إنكار الاستعارة^(١). وهى نوع من المجاز العقلى. وإطلاقها إيهام للحاجة. وهى نوع من أنواع البلاغة، وكثيرة فى القرآن. وهى من العادية ثم نقلت إلى نوع من التخيّل لقصد المبالغة والتشبيه مع الإيجاز. وهى استعارة شىء معروف إلى شىء غير معروف من أجل إظهار الخفى أو للمبالغة. حكمتها جعل ما ليس بمرئى مرئيا لأجل حسن البيان. وتنقسم إلى مرشحة، وهى أحسنها وهى مراعاة جانب المستعار، وتجريدية وهى النظر إلى جانب المستعار له ثم الإتيان بما يناسبه. والاستعارة بالكناية عدم التصريح بذكر المستعار بل تذكر بعض لوازمه فقط^(٢).

والاستعارة جمع بين المجاز والتشبيه. هى مجاز لغوى لأنها موضوعة للمشبه به وليس للمشبه. هى قسم من أقسام المجاز لاستعمال اللفظ فى غير ما وضع له. وهى مجاز عقلى لأن التصرف فى أمر عقلى لا لغوى. وحقيقتها استعارة كلمة من شىء معروف إلى شىء غير معروف مثل تفجير الأرض عيوننا^(٣). وقد تكون الاستعارة بلفظين مثل القوارير من فضة وسوط العذاب. وأركانها ثلاثة: مستعار وهو لفظ المشبه به ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه، ومستعار له وهو المعنى الجامع^(٤). وتنقسم هذه الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام: استعارة محسوس لمحسوس مثل اشتعال الرأس شيئا، واستعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى مثل سلخ الليل من النهار، واستعارة معقول لمعقول بوجه عقلى مثل البعث من الرقاد، واستعارة محسوس لمعقول لوجه عقلى مثل الحس بالبأساء والضراء، واستعارة معقول لمحسوس لجامع عقلى مثل طغيان الماء. والكل علاقة بين الحس والعقل^(٥).

وتنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ إلى أصلية وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس مثل «جبل الله»، وتبعية وهو ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس فعلا أو حرفا مثل (التقطه آل فرعون). وتنقسم أيضا إلى مرشحة وهى الاقتران بما يلائم المستعار منه،

(١) الإيتقان جـ ٣/ ١٤٠-١٤١، البرهان جـ ٣/ ٤٣٢-٤٣٤.

(٢) البرهان جـ ٣/ ٤٣٨.

(٣) الإيتقان جـ ٣/ ١٣٣-١٣٥، البرهان جـ ٣/ ٤٣٢-٤٤٤.

(٤) الإيتقان ص ١٣٥-١٣٧، البرهان جـ ٣، ص ٤٣٥-٤٣٧.

(٥) الإيتقان ص ١٤٠، البرهان جـ ٣/ ٣٤١-٣٤٤.

ومجردة وهى الاقتران بما يلائم المستعار له، ومطلقة وهى ما لا يقترن بشيء. وتنقسم أيضا إلى تحقيقية وهى ما تحقق معناها حسا، وتخيلية بإضمار التشبيه فى النفس وممكنة لأنه لم يصرح به، وتضريبية للتصريح به. وتنقسم إلى وفاقية بأن يكون الاجتماع فى شىء ممكن، وعنادية وهو ما يستحيل اجتماعها ومنها التهكمية والتحليلية مثل البشارة بالعذاب الأليم. وقد تكون تمثيلية وهو ما كان الشبه من متعدد مثل الاستمساك بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه. وأبلغ الأنواع التمثيلية ثم الممكنة. الترشيحية أبلغ من المجردة والمطلقة. والتخيلية أبلغ من التحقيقية. وتعنى أبلغ زيادة التأكيد والمبالغة فى كمال التشبيه لا زيادة فى المعنى^(١).

٦- الشرط والنفى:

أ- الشرط:

الشرط يلزم جملتين فعليتين واسمية أو فعليتين جازمة وغير جازمة، ظرفية أو شرطية. الأولى شرط، والثانية جزاء. الأولى مقدمة والثانية نتيجة. ويتوقف الثانى على الأول. ولا يتعلق إلا بمستقبل. وأحيانا يتعلق بحاضر لجعل غير الحاصل كالحاصل، وإظهار رغبة المتكلم فى وقوعه، والتعريض^(٢).

أدوات الشرط مثل حروف: «إن» وأسماء فى معناها. ومنها ما ليس بظرف مثل «من»، «ما»، «أى»، «مهما». ومنها أسماء هى ظروف مثل «أين»، «أينما»، «متى»، «حيثما»، «إذا ما». وأقواها «إن» لبساطتها. وقد تستعمل فى مقام الجزم على طريق الشرطى المتصل أو تبين الحال أو لتصوير المقام أو للتوبيخ والتجهيل أو تنبيه المخاطب. ولا تستعمل إلا فى المعانى المحتملة إذا كان الفعل مضارعا أو المعانى المحققة الواقعة إذا كان الفعل ماضيا. وتدل «إذا» على المضارع والماضى معا فى المعانى المحققة. فالشرط فى الزمان وليس صوريا خارج الزمان. والزمان متصل بين الماضى والحاضر والمستقبل^(٣). وإذا تعلق الشرط بفعل محال كان الجواب محالا آخر^(٤).

(١) الإتيان ج٣/ ١٣٧-١٤١.

(٢) البرهان ج٢/ ٣٥٩-٣٥١.

(٣) السابق ص ٣٥٩-٣٦٤.

(٤) السابق ص ٢٦٤-٢٦٥.

وقد يدخل الاستفهام على الشرط جمعا بين التحقق والتساؤل^(١). وقد يذكر فعل الشرط دون جوابه لإثارة الوضع والتنبيه عليه وعدم تقدير جوابه في اتجاه معين وترك ذلك لعدة احتمالات^(٢). وكذلك إذا دخلت واو الحال على أداة الشرط لا يتطلب جوابا ويكون أقرب إلى الحكم الأخلاقي^(٣).

ويتغير الشرط والجزاء لفظا. وقد يتحدان ويكونان في حاجة إلى تأويل. وقد يتقاربان في المعنى. وقد يعترض الشرط على الشرط، ويكون شرطين وجوبا واحدا. ويمكن ضبط ذلك بحرف «الفاء»^(٤). وقد يسمى الشرط يمينا^(٥). وكلها مباحث لغوية ناتجة عن إسقاط علم اللغة، تراث القدماء على القرآن، والعصر الآن عصر العلوم الإنسانية التي تسقط أيضا على القرآن^(٦).

ب- النفي:

إذا كان الشرط يمثل الإيجاب فإن النفي يمثل السلب، قد يكون نفي الذات الموصوفة نفيا للصفة دون الذات نظرا للتمييز بينهما عند الأشاعرة. وقد يكون نفيا للذات بناء على التوحيد بينهما عند المعتزلة. وهي مشكلة لغوية قبل أن تكون مشكلة كلامية. وهو على أربعة أقسام: نفي المسند، نفي المسند إليه فينتفى المسند، نفي المتعلق دون المسند والمسند إليه، نفي قيد المسند إليه أو المتعلق^(٧). وقد ينفي الشيء رأسا لأنه عدم كمال وصفه أو لانتفاء ثمرته^(٨). ونفي العام يدل على نفي الخاص. وثبوت لا يدل على ثبوت. وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه على نفيه. ولما كانت زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به كان نفي العام أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من

(١) السابق ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٢) السابق ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٣) السابق ص ٣٦٧.

(٤) السابق ج ٢/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٥) السابق ص ٣٦٩-٣٧٤.

(٦) السابق ص ٣٧٤.

(٧) السابق ج ٣/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٨) السابق ص ٣٩٥-٤٠١.

إثبات العام^(١). والمجاز يصح فيه بخلاف الحقيقة^(٢). ونفى الاستطاعة قد يراد به نفي الامتناع أو عدم إمكان وقوع الفعل مع إمكانه^(٣). فالنفي ليس فقط نظريا بل هو نفي عملي، ليس حكما منطقيا بل هو توجه عملي.

٧- الالتفات والتضمين والتجريد والمقابلة:

أ- الالتفات:

وتتكاثر أساليب البلاغة بحيث يصبح لا شيء بليغا. منها الالتفات وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر نظرية واستدرازا للسامع وتجديدا لنشاطه وصيانة لحاظه من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سماعه^(٤). وأقسامه عديدة: الالتفات من المتكلم إلى المخاطب، ومن المتكلم إلى الغائب، ومن المخاطب إلى المتكلم، ومن المخاطب إلى الغائب، ومن الغائب إلى المتكلم، ومن الغائب إلى المخاطب في حوار بين المتكلم والمخاطب والغائب. وقد بينى الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه^(٥).

وأساببه عديدة، عامة وخاصة. من العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لتنشيط السامع واستجلاب صفائه، واتساع مجارى الكلام، وتسهيل الوزن والقافية، والتنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه، وأن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود المتكلم، وقصد المبالغة، وقصد الدلالة على الاختصاص، وقصد الاهتمام، وقصد التوبيخ^(٦). وشرط الالتفات أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المتنقل عنه، وأن يكون في جملتين أى كلامين مستقلين^(٧).

(١) السابق ص ٤٠٢-٤٠٧.

(٢) السابق ص ٤٠٨.

(٣) السابق ص ٤٠٧.

(٤) السابق ج ٣/ ٣١٤-٣٣٧.

(٥) السابق ص ٣١٤-٣٢٥.

(٦) السابق ج ٣/ ٣٢٥-٣٣١.

(٧) السابق ص ٣٣١-٣٣٣.

ويقرب من الالتفات نقل الكلام إلى غيره^(١). ويحدث ذلك إذا ما ابتلى العاقل بخصك جاهل متعصب فيقطع مع الكلام. فالخوض معه يبعده ولا يفيده. ومثله الانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر. وهو ستة أقسام: الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الاثنين، ومن خطاب الواحد إلى خطاب الجمع، ومن الاثنين إلى الواحد، ومن الاثنين إلى الجمع، ومن الجمع إلى الواحد، ومن الجمع إلى الاثنين. ويقوم كله على التبادل بين الأفراد والجمع. ومن الالتفات تعقيب الكلام جملة مستقلة ملاقية له في المعنى عن طريق المثل أو الدعاء. ومن الالتفات التحول من الماضي إلى الأمر أو من المستقبل إلى الأمر أو من الماضي إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضي بإدخال عامل الزمان بأبعاده الثلاثة.

ب- التضمين:

والتضمين إعطاء الشيء معنى الشيء في الأسماء أو الأفعال أو الحروف. ويراعى في التضمين المحذوف لا المذكور. ويطلق على غير ما سبق، وإدراج كلام الغير أثناء الكلام لتأكيد المعنى أو ترتيب نظم، وإيقاع الظن موقع اليقين في الأمور المحققة^(٢).

وهناك عشرات أخرى من المفاهيم الموازية بحيث يصعب تطبيقها كلها في أساليب البلاغة. منها الاقتدار وهو إبراز المعنى الواحد في عدة صور، واتلاف اللفظ مع اللفظ، واللفظ مع المعنى. والاستدراك والاستثناء. هو تضمن ضرباً من المحاسن زيادة على ما يدل عليه المعنى اللغوي^(٣). والتفويف إتيان المتكلم بمعانٍ شيء من المدح والوصف في جمل منفصلة^(٤). والتعديد إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد^(٥). والتضمين إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه مثل المجاز أو حصول معنى فيه من غير ذكر اسم له مثل الإيجاز، وإدراج كلام الغير أثناء الكلام. والفرائد تختص بالفصاحة دون البلاغة وهو

(١) السابق جـ ٣/ ٣٣٣-٣٣٧.

(٢) السابق جـ ٣/ ٣٣٨-٣٤٦.

(٣) الإتيان جـ ٣/ ٢٦٢-٣٦٤.

(٤) السابق ص ٢٦٦.

(٥) السابق ص ٢٦٩-٢٧١.

الإتيان بلفظة تنزل منزلة الفريدة من العقد^(١). والمشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقريراً^(٢).

ج- التجريد:

التجريد هو الاعتقاد بأن في الشيء من نفسه معنى آخر كأنه مبين له فتخرج ذلك إلى ألفاظه بما اعتقدت ذلك^(٣). وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أخرى مثله مبالغة في كمالها^(٤).

وهناك عدة مفاهيم أخرى موازية تشعب وتتعدد بحيث يصعب معرفة أين أساليب البلاغة فيها منها التدبيج وهو ذكر المتكلم ألوانا يقصد التورية بها والكناية. والتنكيث هو قصد المتكلم شيئا بالذكر دون غيره، والمبالغة ذكر وصف مع زيادة لتكون أبلغ في المعنى^(٥). لذلك كانت صفات الله على المبالغة. والمطابقة الطباق. وهو الجمع بين متضادين في الجملة. وهو قسمان: حقيقي ومجازي، لفظي أو معنوي، إيجابي أم سلبي، والمواربة قول شيء يتضمن الإنكار عليه. المراجعة في الحوار لاختيار عبارة أو خبر وألفاظ أغرب. والتزاهة خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش. والإبداع شمول الكلام عدة ضروب من البديع^(٦).

د- المقابلة:

هو ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها. والفرق بينها وبين الطباق أن الطباق لا يكون في الغالب إلا بين ضدّين، والمقابلة تكون بين أكثر من ذلك. الطباق لا يكون إلا بين الأضداد والمقابلة بالأضداد وبغيرها. وهي ثلاثة أنواع: نظري ونقيضي وخلافي. والخلافي أتمها في التشكيك، وألزمها بالتأويل ثم النقيضي

(١) السابق ص ٢٧٨.

(٢) السابق ص ٢٨١-٢٨٢.

(٣) البرهان ج ٣/ ص ٤٤٨-٤٤٩.

(٤) الإتيان ج ٣/ ٢٦٨-٢٦٩.

(٥) السابق ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٦) السابق ص ٢٨٤-٢٨٩.

ثم النظرى. وقد تقسم المقابلة إلى أربعة أنواع: أن يأتى بكل واحد من المقدمات مع قرينه من الثوانى، أن يأتى بجميع الثوانى مرتبة من أولها، أن يأتى بجميع المقدمات ثم بجميع الثوانى مرتبة من آخرها وهو رد العجز على الصدر، أن يأتى بجميع المقدمات ثم بجميع الثوانى مختلفة غير مرتبة، وهو اللف. وقد يكون التقابل نوعين فقط، مقابلة في اللفظ دون المعنى ومقابلة في المعنى دون اللفظ^(١).

وقد تكون المقابلة اثنين باثنين، وأربعة بأربعة، وخمسا بخمسة وستا بست^(٢). وقد يكون نظم الكلام على غير صورة المقابلة في الظاهر وهو من أكملها. والعكس أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر^(٣). ويقابل الجمع بالجمع، والمفرد بالمفرد. ويقابل كل فرد من الجمع بكل فرد من الجمع. ويقابل الجمع بالمفرد، بشبوت الجمع لكل واحد^(٤).

ويشمل جمع التكسير أولى العلم^(٥). إذ يمكن مخاطبة غير العاقل من ظواهر الطبيعة باعتبارها أقل لأن العقل مثل التأنيس هو الأساس. ونون ضمير الجمع في جميع العلاقات^(٦). ويعامل جمع التكسير باعتباره مفردا.

٨- الإبدال، والنحت، والمحاذاة، والتجنيس، والمدرج، والاقتصاص، والترديد، ومشكلة اللفظ، والطباق، والترادف، والعدد:

أ- الإبدال:

ويتم إبدال الحروف بعضها مكان بعض مثل الحاء والهاء في «مدحه» والجيم والحاء في «حاس». ويرجع ذلك إلى اللهجات العربية مثل الجيم والغين في «هيجل»، والجيم والقاف في «قاموس»، «عقول» والتي يتندر بها البحاروة والصعايدة كل منهما على الأخرى^(٧).

(١) البرهان جـ ٣/ ٤٥٨-٤٦٦ مثال النظرى (لا تأخذه سنة ولا نوم).

(٢) السابق جـ ٣/ ٤٦٤-٤٦٦.

(٣) السابق ص ٤٦٧ مثل (لا من حل لهم، ولا هم يحلون لمن).

(٤) السابق جـ ٤/ ٣-٢٢ مثل ساء وسموات، جنة وجنات.

(٥) السابق جـ ٤/ ٢٢. مثل «إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين».

(٦) السابق ص ٢٣-٢٤ مثل (وأزواج مطهرة).

(٧) السابق جـ ٣/ ٣٨٨-٣٩٠.

ب- النحت:

هو صياغة لفظ من أوائل حروف لبعض الكلمات مثل «الحوقلة»، «البسملة»، «الحمدة»^(١). فعلم القرآن تسمح بالصياغات اللفظية. فاللغة عامل مشترك بين الوحي والكلام، وهو ما يحاوله بعض المحدثين مثل «بخمسة» أى كتب الإصحاحات الخمسة.

ج- المحاذاة:

وتعنى الإتيان بلفظ على وزن لفظ آخر للانضمام إليه توصيفا للسمع. وهو أحد أساليب البديع (لأعذبه)، (لأذبحنه)^(٢). وذلك من أجل استمرار موسيقى القرآن.

د- التجنيس:

هو تساوى حرفي الكلمتين، وأن يجمع الكلمتين أصل واحد مثل الروح والريحان. وهو من المحاسن اللفظية. وإذا نفى التجنيس أصبح طباقا^(٣).

هـ- المدرج:

وهو مصطلح من الحديث وهو زيادة لفظ من الراوى فى فن الحديث فتشغل وكأنها منه^(٤). وفى علوم القرآن أن تحيىء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها فى الظاهر معها وهى فى الحقيقة غير متعلقة بها^(٥).

و- الاقتصاص:

وهو أن يكون كلام فى سورة مقتصا من كلام فى سورة أخرى أو فى السورة نفسها^(٦). فالقرآن وحدة واحدة. تتكرر معانيه بصيغ مختلفة حسب سياق الكلام.

(١) السابق ج-٣/ ٣٨٧.

(٢) السابق ص ٣٩١-٣٩٢.

(٣) السابق ج-٣/ ٤٥٠-٤٥٤. مثل «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ».

(٤) ظاهريات التأويل ص ١٨٦-٢١٠.

(٥) البرهان ج-٣/ ٢٩٤-٢٩٥.

(٦) السابق ج-٣/ ٢٩٧-٢٩٨.

ز- الترديد:

وهو تعليق لفظة من الكلام ثم ترد لتعليقها بمعنى آخر^(١).

ح- مشاكلة اللفظ باللفظ:

وهي قسمان: مشاكلة الثاني للأول وهو الأكثر، ومشاكلة الأول للثاني وهو الأقل، مثل الفعل المتعدي لمفعولين^(٢). وقد يشاكل كل اللفظ المعنى. فإذا كان اللفظ خبر «لا» أصبح المعنى كذلك. فالمعنى محمول على اللفظ، واللفظ حامل للمعنى. ويقدر ما يكون الحامل لينا يكون المعنى أيضا مستريحا. وإذا اجتمع الحمل على اللفظ والمعنى بدأ باللفظ ثم بالمعنى^(٣).

ط- الطباق:

هو الجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل. وهو قسمان: لفظي ومعنوي^(٤). والطاق الخفي مثل الجمع بين الماء والنار^(٥).

ي- الترادف:

وقد يظن ببعض الألفاظ الترادف وهي ليست كذلك مثل الحذف والتشبيه، والخشية أعلى وأعمق، والسبيل والطريق، الأول للحيز غالبا. وجاء وأتى، ومد وأمد، وعمل وفعل، والقعود والجلوس، والتهام والكمال، والإعطاء والإتيان، والضياء والنور، والغبط والمنافسة، والحسد والحقد، والشح والبخل، سواء في الأفعال أو في الأسماء^(٦).

ك- العدد:

والاسم الفاعل المشتق من العدد له استعمالان: الأول أن يراد به واحد من هذا

(١) السابق جـ ٣/ ٣٠١ مثل ﴿حَتَّى تَوَفِّيَ وَشَلَّ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ عِلْمُهُ﴾، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) السابق جـ ٣/ ٣٧٧.

(٣) السابق ص ٣٧٨-٣٨٦.

(٤) السابق ص ٤٥٥-٤٥٧. مثل ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾.

(٥) مثل ﴿مَنْ خَطَبْتُمْ أَغْرَقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾، ﴿مَنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾.

(٦) الإتيان جـ ٢/ ٣٠٦-٣١٠، البرهان جـ ٤/ ٧٨-٨٧.

العدد، والثاني أن يكون بمعنى التصيير^(١). ما يضاف إليه العدد من الثلاثة إلى العشرة اسم جنس أو اسم جمع^(٢). وألفاظ العدد نصوص، لا يدخلها التأكيد لدفع مجاز^(٣).

٩- منطق العواطف:

أ- الشك للمساهمة وحسم المضاد: وقد يخرج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد. فاللغة ليست آلية صورية بل هي جدل العواطف في الحوار بين الذات^(٤).

ب- الإعراض عن صريح الحكم: ويمكن الإعراض عن صريح الحكم تركا آياه للقارئ. فالتأكيد على الفعل وليس نتيجته، وعلى القصد وليس جزاءه^(٥).

ج- الألفاظ: والألفاظ اشتقاقا من اللغز وهو الطريق المنحرف. سمي كذلك للانحراف عن نمط الكلام. ويسمى أيضا الحجية من الحجى أى العقل لأن هذا النوع يقوى العقل بالتمرن عليه والارتياض بحله والتفكر فيه مثل قول إبراهيم (بل فعله كبيرهم هذا)، أو قول نمرود (أنا أحى وأميت)^(٦).

د- الهدم: وهو أن يأتي الخبر بكلام يتضمن معنى ثم يأتي الثاني بضده لهدم ما بناه^(٧).

هـ- التغليب: وهو إعطاء الشيء حكم غيره أو ترجيح أحد المغلوبين على الآخر أو

(١) البرهان جـ ٤ / ١١٧-١٢٠. مثل ثانى اثنين).

(٢) مثل (وخذ أربعة من الطير).

(٣) مثل تلك عشرة كاملة).

(٤) السابق جـ ٣ / ٤٠٩-٤١٠، مثال ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّا أُرِيتَا كُفْرَهُمَا لَقَدْ وَجَدْنَا فِي صَافِيَةِ قُلُوبِهِمَا﴾، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْمَوَدِّينَ﴾.

(٥) السابق جـ ٣ / ٤١١ مثل ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

(٦) السابق جـ ٣ / ٢٩٩.

(٧) السابق جـ ٣ / ٤١٢ مثل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا...﴾ ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، ﴿قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

إطلاق لفظ عليهما معا أو إجراء للمختلفين بجري المتفقين. وهو من المجاز، ومراعاة الأشرف. وهو على أنواع: تغليب المذكر، تغليب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب، تغليب العاقل على غيره، تغليب المتصف بالشئ على ما لم يتصف به، تغليب الأكثر على الأقل، تغليب الجنس الكثير الأفراد على فرد من غير هذا الجنس مضمون فيما بينهم بأن يطلق اسم الجنس على الجميع، تغليب الموجود على ما لم يوجد، تغليب الإسلام، تغليب ما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه، تغليب الأشهر^(١).

و- القلب: وهو أحد أساليب البلاغة. ولا يعيب القرآن أو ينال من التنزيه والعبث والتهكم والمحاكاة أو الحال. وهو على أنواع: قلب الإسناد، وهو أن يشمل الإسناد إلى شئ والمراد غيره، وقلب المعطوف عليه معطوفا والمعطوف معطوفا عليه، والعكس وهو أمر لفظي، والمستوى وهو أن تقرأ الكلمات من أولها إلى آخرها ومن آخرها إلى أولها، ومقلوب البعض وهو أن تكون الكلمة الثانية مركبة من حروف الأولى مع بقاء بعض حروف الأولى^(٢).

ز- التقسيم: وهو القسمة العقلية عند المتكلم لأنها قد تقتضى أشياء مستحيلة^(٣).

ح- الحصر والاختصاص: الحصر أو القصر هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصص. وهو إثبات الحكم للشئ ونفيه عما عداه. وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف حقيقة أو مجازاً. وينقسم أيضاً لثلاثة أقسام: حصر أفراد لمخاطبة من يعتقد الشركة، وقصر قلب لمخاطبة من يعتقد إثبات الحكم للغير، وقصر تعيين لمخاطبة من تساوى عنده الأمران. وطرق الحصر كثيرة^(٤). وقد يكون تقديم المعمول منها وقد يختصر الحصر إلى ثلاثة أقسام: «ما» و«إلا»، «إنها»، «التقديم»^(٥).

(١) السابق جـ ٣/ ٣٠٢-٣١٣.

(٢) السابق جـ ٣/ ٢٨٨-٢٩٣.

(٣) السابق جـ ٣/ ٤٧١-٤٧٤.

(٤) الإقتان جـ ٣/ ١٤٩-١٦٠.

(٥) مثل النفي والاستثناء، إنها للتعريض، إن للإثبات وما للنفي، إن للتأكيد، تقديم المعمول، ضمير الفصل، تقديم المسند إليه، تقديم المسند، ذكر المسند إليه، تعريف الجزأين، التأكيد بالنفس، قلب بعض حروف الكلمة.

ط- وضع جمع القلة موضع الكثرة: ويوضع جمع القلة موضع الكثرة لاشتراكهما في الجمع. فالجمع جمع لا يهيم المقدار. ويكون ذلك في النكرة غالباً. أما في المعرفة فيستكفى بالعموم^(١). ويعنى تنبيه الخطاب على الطلب أو في الخبر بالتنبيه بالقليل على الكثير أو بالكثير على القليل. وهو نوع من أنواع البديع. وفي القرآن أفراد وجمع لأرض دون جمع، في حين أن السماء مفرد وجمع. وتختلف الدلالات. الجمع أكثر قوة من المفرد مثل ريح ورياح. ومقابلة الجمع بالجمع تقضى بمقابلة الفرد بالفرد^(٢).

١٠- المتشبهات والمبهمات والأمثال والجدل والعلوم المستنبطة. والتأدب في الخطاب:

أ- المتشبهات: وتعنى الآيات المشابهات الآيات المتشابهة في الموضوع أو الصياغة أو ما يسمى بظاهرة التكرار في القرآن، مثل إيراد القصة بصياغات شتى وفواصل مختلفة، بالتقديم والتأخير وبالإضافة والنقصان أو بالتصريف والتكثير أو بالجمع والأفراد أو بالإدغام والفك أو بحروف دون حرف أو كلمة مكان أخرى، وأن يكون في وضع على نظم وفي آخر على عكسه^(٣). والسبب اختلاف السياق، وإظهار القدرة على التعبير على الحدث بطرق عديدة. فلا توجد رؤية واحدة للحدث الواحد أو صياغة واحدة له. ويدخل في أساليب البلاغة أكثر مما يدخل في التدوين. وتسمى أيضاً علم التشابه. ومنها ما يجيء على حرفين أو على ثلاثة أو على أربعة أو على خمسة أو على ستة أو على سبعة أو على ثمانية أو على تسعة أو على عشرة أو على أحد عشر حرفاً. ومنها ما يجيء على خمسة عشر وجهاً أو ثمانية عشر وجهاً أو عشرين وجهاً أو ثلاثة وعشرين وجهاً^(٤).

(١) البرهان جـ ٣/ ٣٥٥-٣٥٨.

(٢) الإتقان جـ ٢/ ٢٩٩-٣٠٦، وقد ألف أبو الحسن الأخفش كتاباً في الأفراد والجمع مع أمثلة كثيرة.

(٣) السابق جـ ٣/ ص ٣٣٩-٣٤٤، البرهان جـ ١/ ١١٢ ألف فيه كثيرون مثل الكسائي، ونظمه السخاوي. وألف الكرمانى في توجيهه «البرهان في مشابه القرآن»، والرازي «درة التزليل غرة التأويل» وأبو صقر بن الزبير «ملاك التأويل»، وابن جماعة «كشف المعاني من مشابه المثنى»، وألف السيوطي «قطف الأزهار في كشف الأسرار».

(٤) البرهان جـ ١/ ١٣٣-١٥٤.

ب- المبهات: لا تعنى المبهات المتشابهات بل تعنى العموم دون الخصوص، عموم الحكم دون خصوص السبب. فالمحمول أهم من الحامل، والروح أهم من البدن وإن كانت محمولا فيه. وأسبابه كثيرة مثل الاستغناء ببيانه في موضع آخر، عدم التعيين لاشتهاره، التستر عليه، غياب الفائدة في التعيين، العموم دون الخصوص، التعظيم بالوصف الكامل دون الاسم للمعنى وليس للشخص، تحقيره بالوصف الناقص. ولا تعرف إلا بالنقل والرواية دون العقل وهو مما لا فائدة منه، لا نقلا وعقلا. ويمكن تصنيفها إلى قسمين: الأول فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنى أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم والإشارة إليهم بكلمات مثل «من» أو «الذى». وإذا كان القرآن قد اكتفى بالمحمول دون الحامل فإن تعيين الحامل يكون ضد قصد القرآن^(١). والثاني المتعينات في الغالب لأشخاص أفرادا أو مجموعات أو الملاك، ذكرا أم أنثى، إنسانا أو حيوانا، مكانا أم زمانا^(٢). وقد يكون للشخص إسمان ويقتصر على أحدهما دون الآخر. وقد يبالغ في الصفات لتعيين إنسان بعينه. لم يذكر القرآن اسم امرأة إلا مريم في حين ذكر كثيرا من أسماء الرجال^(٣).

ج- الأمثال: والمثل حكم يتضمن في ذاته وسائل الامتناع عن طريق التخييل والتشبيه والمقارنة وتحويل الأمر والنهى إلى إحساس بالجمال والقبح وإلى قبول أو نفور بالطبيعة. فالغاية من المثل عند القدماء التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المواد إلى العقل، وتصويره بصورة المحسوس. والمثل قادر على كشف المعانى وبيان إمكانياتها وإشعاعاتها. وهى نوعان: ظاهر مصرح به وكامن^(٤).

د- الجدل: وهو أدخل في علم أصل الدين والفرق والرد على الخصوم^(٥). ويضم أنواع البراهين والأدلة وتقسيم وتحذير ودلالة. فالقرآن كتاب حوار واستدلال، مقدمات

(١) الإتيان ج٤/ ٧٩-١٠٠، البرهان ج١/ ١٥٥-١٦٣، ألف فيه السهيل «التعريف والإعلام» وابن

عساكر «التكميل والإتمام»، وابن جماعة والسيوطى.

(٢) يعطى السيوطى ٢٤٣ مثلا.

(٣) البرهان ج١/ ١٦٠-١٦٣.

(٤) الإتيان ج٤/ ٣٨-٤٥. وصنف فيه أبو الحسن الماوردى.

(٥) الإتيان ج٤/ ٥٢-٥٧. صنف فيه الطوخى.

ونتائج، لذلك استخرج المتكلمون من القرآن الأدلة على وجود الله وخلق العالم وخلود النفس والثواب والعقاب. واعتمد على عديد من الأقيسة مثل قياس الأولى، وقياس الإعادة على الابتداء، ودليل التمانع لإثبات الوحداية. ومن ضمن علم الجدل السبر والتقسيم الذى اعتمد عليه علماء أصول الفقه، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب فى علم أصول الفقه، وحمل اللفظ على خلاف مراده، والتسليم والاسجال وهو الإتيان بالفاظ تسجل على المخاطب، والانتقال من استدلال إلى آخر، والمناقضة، ومجازاة الخصم ليعتبر. وهو ما تحول إلى علم مستقل وهـ «الحجاج» أو «الجدل والمناظرة». وقد عرفه المتكلمون مثل الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدليل التمانع، والاستدلال على المعاد الجسمانى بقياس الإعادة على الابتداء، وبطريق الأولى فى خلق السموات والأرض وإحياء الأرض بعد موتها، وإخراج النار من الشجر الأخضر. وهى استدلالات اضطرارية^(١). وإلجام الخصم الحجة هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه. ومنه نوع منطقى وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين^(٢).

هـ- العلوم المستنبطة: والقرآن به كل شىء^(٣). ويمكن استنباط كل العلوم منه. وهو الأصل فيما يقال هذه الأيام من أن كل العلوم والتقنيات الحديثة فى القرآن عند أصحاب الإعجاز العلمى فى القرآن^(٤). من العلوم الإنسانية علوم اللغة وعلم أصول الدين مع علم الجدل وعلم أصول الفقه وعلوم التصوف علوم أصحاب الحقيقة. ومن العلوم العقلية علم الفقه وعلم التاريخ والقصص وعلم التعبير أى تفسير الأحلام أى تعبیر الرؤيا، والعلوم العقلية الخالصة الرياضية والطبيعية، الرياضية الهندسية الجبر والمقابلة والحساب وفروع الحساب مثل الجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتصنيف والمضاعفة. والطبيعية مثل الطب والهيئة أى الفلك والنجامة. والتطبيقية

(١) البرهان ج٣ / ٢٤-٢٧.

(٢) السابق ج٣ / ٦٨-٤٧٠.

(٣) الإتيان ج٤ / ٢٤-٣٧.

(٤) «قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء. أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل إلا وفى القرآن ما يدل عليها...»، السابق ج٤ / ٣٣.

مثل أصول الصنائع وأسماء الآلات^(١). وهو من أوجه الإعجاز. وقد تنفصل العلوم إلى خمسين أو أربعمائة أو سبعة آلاف أو سبعين ألفا على عدة كلمات القرآن مضمومة في أربعة. إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد مطلع. وقد يصغر العدد إلى ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام أو التوحيد والإخبار والديانات^(٢). وقد تكون العلوم ثلاثين علما تجمع بين العلوم الإنسانية والعقلية والعقلية النقلية^(٣). وهى موضوعات في علوم مثل الأخلاق أو أصول الفقه أو أصول الدين وليس علوما.

و- التأدب في الخطاب: وقد يكون بإضافة الخير إلى الله^(٤). فالله هو المثل الأعلى. والقاعدة ذكر الرحمة قبل العذاب، والخير قبل الشر، والعدل قبل الظلم. والاستثناء تقديم العذاب ترحيبا وزجرا^(٥). ويعنى التوسع الاستدلال بالنظر في الملكوت. ويكون ذلك عادة في العقائد الإلهية لتتمكن في النفوس. كذلك يتوسع في ترادف الصفات^(٦).

١١- إعجاز القرآن:

أ- التأليف في الموضوع:

١- «إعجاز القرآن» للباقلاني (٤٠٣هـ)

وبدأ موضوع إعجاز القرآن عند المتكلمين الأشاعرة مثل الباقلاني. وهى

(١) كالخياطة والحدادة والنجارة والغزل والنسيج والفلاحة، وعلوم الصيد مثل الغوص والصياغة والزجاجة والفخارة والملاحة والكتابة والحيز والطبخ والغسل والقصارة والحزارة والبيع والصنع والحجارة والكيالة والوزن والرمي، وضروب من المأكولات والمشروبات والمنكوحات.

(٢) فى التوحيد معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق أسماؤه وصفاته وأفعاله. والتذكير هو الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن. والأحكام هى التكليف وبيان النافع والضار والأمر والنهى والتدب.

(٣) وهى: الإعلام، التشبيه، الأمر والنهى، الوعد والوعيد، الجنة والنار، الإقرار باسم الله وصفاته أفعاله، الاعتراف بإنعامه، الاحتجاج على المخالفين، الرد على الملحددين، الرغبة والرغبة، الخير والشر، الحسن والقبح، نعت الحكمة، فصل المعرفة، مدح الأبرار، ذم الفجار، التسليم، التحسين، التوكيد والتفريق، ذم الأخلاق، شرف الأدب، السابق جـ ٤ / ٣٢-٣٣.

(٤) السابق جـ ٤ / ٥٩-٦٣.

(٥) السابق جـ ٤ / ٦٣-٦٦.

(٦) السابق جـ ٣ / ٤١٣، هُوَ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَتَحْلِفِ الْيَتْلِ وَالْهَكَارِ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَبَصْرِيْفِ الرِّجِّجِ وَالشَّجَابِ السُّخَّرِيْنَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾

نفس المادة التي دخلت فيما بعد في علوم المتأخرين عندما استقلت علوم الدين عند الزركشى (٧٩٤هـ) في «البرهان» والسيوطي (٩١١هـ) في «الإتقان»، نفس الفصول والأبواب مع نفس الترتيب المنطقي. وهو من الموضوعات الكلامية في الدليل على صدق النبوة والفرق بين المعجزة والإعجاز، في إطار من الأشعرية السائدة^(١). ويبدأ الحجاج الكلامي بصياغة «فإن قال... قيل». وقد أصبحت موضوعا في النبوة في علم الكلام^(٢).

وتفاوتت الفصول كما. أكبرها كيفية الوقوف على إعجاز القرآن «ثم» البديع من الكلام «حتى أصغرها»، «رد شبهة حول الإعجاز»^(٣). تمتلئ بالآيات القرآنية والشواهد الشعرية ما يزيد على المئات مما يدل على أن أهم تجربة في علوم القرآن البلاغة والشعر كرابطين بينهما. وعندما تكثر الآيات يقل الشعر. وعندما يكثر الشعر تقل الآيات^(٤). وموضوع الشعر والقرآن موضوع من موضوعات علوم القرآن. فقد ورث القرآن الشعر بلغته وبلاغته. واستطاع إثارة خيال العرب أهل الفصاحة والبيان وثقافة الشعر والشعراء. ويذكر الشعراء وعلوم النحو والبلاغة أكثر الفقهاء والمتكلمين والمفسرين. ويتنقد الشعر كما ينقد القرآن^(٥). ويظهر النثر الفني أيضا في خطابة الرسول وبلاغته، وخطب الصحابة والتابعين لبيان مظاهر التواصل والانقطاع في الخطابين، ما تفرد به

(١) كيفية الوقوف على إعجاز القرآن (١٢٩)، البديع من الكلام (٤٤)، الدلالة «على أن القرآن معجز»، وصف وجوه البلاغة (١٩)، جملة وجوه إعجاز القرآن (١٨)، نفى السجع عن القرآن (١١)، نفى الشعر عن القرآن (٨)، الإعجاز (٦)، كلام الرسول وأمور تتصل بالإعجاز (٥)، نبوة النبي معجزتها القرآن، قدر المعجز من القرآن، حقيقة المعجز (٤)، شرح ما بينا من وجوه الإعجاز (٣)، التحدى، ما ينطق به الإعجاز (٢).

(٢) الشعر ص ٦٧-٦٩ / ٧٠ / ٧٦ / ٨٢-٨٤ / ٩٠ / ٩٢-٩٣ / ٩٦ / ١٠٣ / ١٤١ / ١٤٥ / ١٤٦ / ١٤٨ / ١٥٠ / ١٧١ / ١٧٨ / ١٨٦ / ١٩٥ / ١٩٧-٢٠٨ / ٢٣٣-٢٣٥ / ٢٣٧-٢٦٣ / ٢٦٥. ولا تكاد تخلو صفحة من عدة آيات.

(٣) يذكر أبو الحسن الأشعري (٤) مرة، إعجاز القرآن ص ٨٩ / ٢٧٥ / ٢٧٦ / ٢٧٩، والمعتزلة مرة واحدة ص ٢٧٥، ويشار إلى المتكلمين.

(٤) من العقيدة إلى الثورة جنة النبوة والمعاد ص ١٨٢-٢٠٤.

(٥) الباقلاني، إعجاز القرآن ص ١٤٤.

النثر القرآني عن النثر النبوي، والنثر النبوي عن نثر الصحابة والتابعين^(١). وإذا كان الشعر تجربة القدماء الفنية والثقافية والاجتماعية فإن أزمة العصر هي تجارب المحدثين الاجتماعية والسياسية. تؤثر فيهم كما أثر الشعر في القدماء^(٢). وقد كان «إعجاز القرآن» نفسه جزءاً من مشروع أهم للدراسة «معاني القرآن» والأصول^(٣).

٢- «أسرار البلاغة» للجرجاني (٤٧١هـ)

«أسرار البلاغة» «ودلائل الإعجاز» هما الشهيران التكوينيان، واجهتان لعملة واحدة. أسرار البلاغة، النظرية «ودلائل الإعجاز» التطبيق. الأول تنظير للغة، والثاني تنظير للشعر. وكلاهما تنظير لإعجاز القرآن. وقد أصبح الحامل اللغوي أحد الحوامل الرئيسية للوحي، الألفاظ والمعاني، وأساليب البلاغة، والتفسير^(٤). وقد اعتنى به المصلحون، محمد عبده ورشيد رضا. درسه الأول في الأزهر، ونشره الثاني في «المنار». عند رشيد رضا تدرسه في الأزهر أحد علامات النهضة ورفعته من البرنامج أحد عوامل الانهيار. كما اهتم به المحدثون المعاصرون لأنه «بنوي» قبل النبوية. وقارنوه بالمذاهب الغريبة^(٥). تم فيها التحول من التعليل كمفهوم أصولي إلى «التخيل» كمفهوم نقدي. وبالرغم من أن المؤلف أشعري إلا أن اتجاهه معتزلي، ليس فقط لاعتماده على نظرية الحُسن والقُبْح ولكن أيضاً لاعتماده على التصوير الفني والتأويل حرصاً على التنزيه وتجنباً للتشبيه كما فعلت المعتزلة^(٦). والعنوان الفرعي لكتاب «أسرار البلاغة»، «في علم البيان». والبيان والبديع من علوم البلاغة. ويعتمد على الشعر أكثر من اعتماده على

(١) السابق ص ١٥٩-١٦٤.

(٢) السابق ص ٧٧/٢٣٤/٢٦٨.

(٣) وقد جمع سيد قطب بين تجارب الشاعر والناقد والمفسر والسياسي.

(٤) الإمام عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان. صححها على نسخة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده التي قرأها ودرسها في الجامع الأزهر وأودع فيها جل تعليقاته على حواشيه ووضع بجانبها حرف (ش) المقتطع من كلمة شيخنا، وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، منشى المنار، رحمه الله تعالى محمد على صبيح وأولاده، ط ٦، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.

(٥) ذلك مثل كمال أبو الديب، وجابر عصفور في أحد مراحل حياته العلمية.

(٦) أسرار البلاغة ص ٣/٢٣٨/٢٤٣.

القرآن عشرات المرات أو الحديث مئات المرات^(١). وهذا يدل على أولوية المادة الشعرية. ومن الشعراء يتقدم الشعر المجهول المؤلف. فالشعر أهم من قائله. دلالاته من طبيعة الشعر وليس من ذوق الشاعر^(٢).

٣- «دلائل الإعجاز» للجرجاني (٤٧١هـ) (٣)

وإذا كان «أسرار البلاغة» في علم البيان فإن «دلائل الإعجاز» في علم المعاني. وفيه صاغ عبد القاهر نظرية «النظم». وقد كان أحد مواطن الاهتمام في الحركة الإصلاحية عند محمد عبده ورشيد رضا «النظم» أولا نظرية في البلاغة ثم طبقت في الشعر. فقد استعمل القرآن أساليب البلاغة العربية كما استعملها الشعر. لذلك يفسر القرآن بالشعر، والشعر بالبلاغة. فاللغة هي الحامل الرئيسى للشعر والقرآن. وقد ساعدت نظرية النظم على نقد الشعر وفهم بلاغة القرآن. ويستعمل القرآن قبل الشعر كمادة تطبيقية للبلاغة، شعر أكثر، وآيات أقل، وأحاديث نادرة^(٤). استعمل الشعر أولا والقرآن ثانيا أساليب البلاغة العربية. لا فرق بين الشعر الجاهلي والشعر العربي بعد الإسلامى، بين شعراء الجاهلية، امرؤ القيس وشعراء العرب بعد الإسلام كالمجنبي والشعراء المخضرمين كجسان كعبان زهير. لذلك يفسر القرآن بالشعر «عليكم بديوان جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم» كما قال عمر. كما يفسر الشعر بأساليب البلاغة العربية. وإذا كان القرآن قد نقد الشعراء وليس الشعر لإسرافهم في الخيال، وانفصال قولهم عن عملهم إلا أنه استثنى الشعراء المؤمنين. كما أيد الرسول الشعر والشعراء ومدحهم

(١) الأشعار (٤٣٧)، الآيات (٤٤)، الأحاديث (٦).

(٢) الشعر المجهول المؤلف (١٠٠)، ابن المعتز (٤٤)، ابن الرومي، البحتري (٢٨)، امرؤ القيس (١٦)، قيس ابن الخطيم (١٥)، المتنبي (١٤)، الفرزدق (١٢)، ابن لئك، ابن نباتة (٦)، مَزْرَد، الصنوبري، النسبي (٤)، الخطبة، ليلى، رؤية، الخوارزمي، القاضي أبو الحسن، أبو العتاهية، كشاجم، ابن فارس، المهيل، الوزير، على محمد بن جعفر، التنوخي (٢).

(٣) الإمام عبد القاهر الجرجاني. صحح أصله علامتنا المعقول والمنقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية، والأستاذ اللغوى المحدث الشيخ محمد محمود التركزى الشنقيطى. ووقف على تصحيح طبعه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا، منشى المنار، رحمه الله ورضى عنه، مكتبة القاهرة ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

(٤) الأشعار (٤٢٧)، الآيات (١١٩)، الأحاديث (١٩).

وقربهم إليه واستعملهم في نشر الدعوة^(١).

وعند عبد القاهر إحساس بالجدّة، جدّة المحدثين بالنسبة لتقليدية القدماء^(٢). والأسلوب هو أسلوب «قيل... قلنا»، الرد على تساؤلات واعتراضات متخيلة، ويخاطب القارئ. فالقضية مشتركة بين المؤلف والقارئ. وهو أسلوب مسهب غير مركز وكان الكتاب أمالي أو محاضرات شفهية. ونظرية النظم في النهاية نظرية «شكلائية» تجعل الكلام بليغا في صياغاته وتأليفه وتراكيبه وأساليبه باعتبار اللغة عالما مغلقا بذاته وعلى ذاته كما هو الحال في «تحليل الخطاب» في الغرب المعاصر دون بيان الآثار النفسية والاجتماعية كما هو الحال في «علم اللغة النفسى وعلم اللغة الاجتماعى». وإذا كانت اللغة والبلاغة والشعر ثقافة القدماء فإن العلوم الإنسانية، النفس والاجتماع والانثروبولوجيا والسياسة والفلسفة والثقافة والحضارة والتاريخ والقانون علوم المحدثين.

٤- «معترك الأقران في إعجاز القرآن» للسيوطى (٩١١هـ)

ويدخل موضوع إعجاز القرآن في علوم كثيرة، علم أصول الدين في موضوع النبوة والدليل عليها، وفي علوم البلاغة لمعرفة أسرارها، وفي علوم القرآن في الحوامل الذاتية وهى اللغة، في أساليب البلاغة. والعنوان غريب «معترك الأقران». وهو كتاب تعليمى. يجمع أقوال القدماء كما هى العادة في مؤلفات السيوطى عصر التدوين الثانى في مصر وتركيا. وقد بلغت مؤلفاته أكثر من ثلاثمائة بعد أن تفرغ للتأليف والكتابة وترك الفتيا والتدريس^(٣). ويبدأ الكتاب بمقدمة نظرية في التأليف، لا صلة لها بموضوع الإعجاز^(٤). أهميتها بيان الحوامل الذاتية للوحى المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسنة

(١) الشعراء: المتنبي (٣٦)، البحتري (٣٣)، أبو تمام (٣١)، الفرزدق (١٢)، أبو نواس (١١)، بشار (٨)، امرؤ القيس، ابن المعتز (٦)، ابن الرومى، حسان، لبّيد (٤)، جرير، ابن هرمة (٣)، النابغة الجعدي، أرتا بن سهية، كعب، الخنساء، الأعشى، دعلج، الخطيب (٢)، الحسن البصرى، ذو الرمة، أمية بن أبى الصلت، خالد بن يزيد، مصعب بن الزبير، الحميرى، قس بن الحصين، وعشرات آخرون (١).

(٢) دلائل الإعجاز ص ٤٣.

(٣) الشيخ الإمام العلامة حافظ عصره ووحيد دهره أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطى: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين (ثلاثة أجزاء)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٤) السابق ج١/ ٣-١٢.

المكتوب في المصاحف لأن الشيء له وجودات أربع: في الأذهان، وفي الأعيان، وفي اللسان، وفي البنان^(١). ومراتب تأليف الكلام خمس: ضم الحروف لتحصل الكلمات، الاسم والفعل والحرف، تأليف الكلمات فتحصل الجمل المفيدة، ضم الجمل في منظوم، تأليف أواخر المنظوم في السمع، إخضاع ذلك للوزن فيصبح شعرا. والمنظوم إما محاورة وهي الخطابة أو مكاتبة وهي الرسالة. والقرآن جامع لأنواع هذه الأشكال الأدبية^(٢).

وأوجه الإعجاز خمسة وثلاثون وجها. أكبرها الأخير الذي يشمل تقريبا جزأين من ثلاثة أجزاء^(٣). فكل شيء معجز في القرآن: العلوم المستنبطة منه مع أنها من وضع العقل واجتهاد العلماء، حفظه من الزيادة والنقصان مع أنه من وضع مناهج النقد التاريخي وشروط التواتر، أحسن تأليفه مع أنه من إدراك علوم البلاغة وفنون القول، مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض مع أن ذلك جهد بشري في الفهم، افتتاح السور وخواتيمها مع أن ذلك من فنون القول وأساليب البلاغة، مشتبهات آياته وتعارضها وذلك خاضع لمنطق الألفاظ، ناسخه ومنسوخه، والزمان أحد الحوامل الموضوعية للوحى، والمحكم والمتشابه جزء من منطق الألفاظ، واختلاف الألفاظ في الحروف وكيفياتها وتقديم بعض ألفاظه وتأخيرها وهو خاضع أيضا لمنطق الألفاظ، حصره واختصاصه واحتواؤه جميع لهجات العرب وذلك لهجات القبائل العربية نحو طرق الحجيج، والعموم والخصوص، والإجمال والتبيين، والمنطق والفهوم، ووجوه المخاطبات، كل ذلك جزء من مباحث الألفاظ عند الأصوليين، والإخبار عن الأمم السالفة جزء من قصص الأنبياء، روعته وهيبته، وأن سامعه لا يمجّجه، وتيسير حفظه كلها أمور نفسية لا إعجاز فيها، والحقيقة والمجاز، والتشبيهات والاستعارات، والكناية والتعريض، والإيجاز والإطناب، والبلاغة، والخبر والإنشاء كلها من أساليب

(١) السابق جـ/٤.

(٢) السابق جـ/٦.

(٣) التحليل الكمي للأبواب: ١- (١٠)، ٢- (١)، ٣- (٢٠)، ٤- (١٥)، ٥- (١٨)، ٦- (٧)، ٧- (١٠)، ٨- (٢٠)، ٩- (١٨)، ١٠- (٧)، ١١- (٨)، ١٢- (١١)، ١٣- (٩)، ١٤- (٨)، ١٥- (٦)، ١٦- (٣)، ١٧- (٨)، ١٨- (١)، ١٩- (١)، ٢٠- (٢)، ٢١- (١)، ٢٢- (١)، ٢٣- (١٦)، ٢٤- (١٤)، ٢٥- (٦)، ٢٦- (٨)، ٢٧- (٤١)، ٢٨- (٣٨)، ٢٩- (٢٢)، ٣٠- (٥)، ٣١- (٥)، ٣٢- (٦)، ٣٣- (٩)، ٣٤- (١٩)، ٣٥- (٢)، ٣٦- (٢)، ٣٧- (٢)، ٣٨- (٢)، ٣٩- (٢)، ٤٠- (٢)، ٤١- (٢)، ٤٢- (٢)، ٤٣- (٢)، ٤٤- (٢)، ٤٥- (٢)، ٤٦- (٢)، ٤٧- (٢)، ٤٨- (٢)، ٤٩- (٢)، ٥٠- (٢)، ٥١- (٢)، ٥٢- (٢)، ٥٣- (٢)، ٥٤- (٢)، ٥٥- (٢)، ٥٦- (٢)، ٥٧- (٢)، ٥٨- (٢)، ٥٩- (٢)، ٦٠- (٢)، ٦١- (٢)، ٦٢- (٢)، ٦٣- (٢)، ٦٤- (٢)، ٦٥- (٢)، ٦٦- (٢)، ٦٧- (٢)، ٦٨- (٢)، ٦٩- (٢)، ٧٠- (٢)، ٧١- (٢)، ٧٢- (٢)، ٧٣- (٢)، ٧٤- (٢)، ٧٥- (٢)، ٧٦- (٢)، ٧٧- (٢)، ٧٨- (٢)، ٧٩- (٢)، ٨٠- (٢)، ٨١- (٢)، ٨٢- (٢)، ٨٣- (٢)، ٨٤- (٢)، ٨٥- (٢)، ٨٦- (٢)، ٨٧- (٢)، ٨٨- (٢)، ٨٩- (٢)، ٩٠- (٢)، ٩١- (٢)، ٩٢- (٢)، ٩٣- (٢)، ٩٤- (٢)، ٩٥- (٢)، ٩٦- (٢)، ٩٧- (٢)، ٩٨- (٢)، ٩٩- (٢)، ١٠٠- (٢).

البلاغة العربية التي وضعها البلغاء، وأقسام الكلام، وأنواع البراهين والأدلة، وضرب الأمثال، والآيات الجامعة للرجاء والخوف، والآيات المبهمة، واحتواؤه على أسماء الأشياء، والألفاظ المشتركة، كلها علوم وضعها علماء القرآن، وأخضعوها لقوانين البلاغة أو المنطق. فأين الإعجاز على وجه الخصوص؟ وإذا كان كل شيء معجز فلا شيء معجز. إذ يستوى الكل ولا شيء. وكيف يكون كل شيء فيه معجزا ولا يكون للإنسان أى دور في حفظه وروايته وقراءته وكتابته وفهمه وتفسيره؟ أصبح مفهوم الإعجاز فضفاضاً يضم كل شيء ولا شيء.

والوجه الخامس والثلاثون مجرد شرح لألفاظ القرآن طبقاً لترتيب الحروف الأبجدية. فأين الإعجاز؟ والحروف الأبجدية تصنيف عرضي غير دال مثل الأرقام المتوالية. وبعض الحروف مثل الكاف بها تنبيه ومسألة وفائدة^(١). وكذلك اللام بها فائدة وتنبيه ونكتة ووصل وتذنيب وإعلام^(٢). تضخم الوجه الخامس والثلاثون لأنه مجرد شرح لألفاظ القرآن، تجميعاً من كتب المفسرين مثل القواميس والمعاجم. تناثرت الموضوعات وتفككت دون رابط بينها. وربما يكون هذا التجميع والرصد والحشد والنقل عن السابقين هو المقصود بعنوان «معترك الأقران»، والاعتماد على المفسرين واللغويين، نحة وبلاغيين يجعل القرآن قابلاً لأن يوضع فى أى علم، ويخضع لقوانين مثل قوانين النحو وأساليب البلاغة. وتظهر بعض موضوعات علوم القرآن من خلال النقل للمفسرين مثل أسباب النزول^(٣). ويختلف تفسير الألفاظ كما بين الطول والقصر، والغالب هو القصر.

ويستمد المؤلف مادته من كتب التفسير^(٤). ويقتبس نصوصاً من السابقين. ويعتمد على الشعر الذى يخضع هو الآخر لقواعد البلاغة العربية^(٥). ويقسم وجه الإعجاز

(١) السابق جـ ٢٢٦٢-٢٥١.

(٢) السابق جـ ٢٥٢-٢٩٩.

(٣) السابق جـ ٢/٣٨٧/٦١٦.

(٤) السابق ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٥) السابق جـ ١/١٩/٤٤/٦٣/١١٥/١١٧/٢٧٧/٣١٢ جـ ٢/١٧/٣٦/٧٦/٢٤١/٢٤٣

٢٩٥/٣٤٦/٣٧٠/٣٨٨/٤٧١/٥١٠/٥١١ جـ ٣/١٥/٩٥/١٠٥/١٧٧/١٩٤/٢٢٥/٢٧٠-

٢٧١/٣٠١/٣٠٤/٣١٨/٣٢٤/٤٧٣/٤٩٨.

إلى قاعدة وتبنيه وفصل وفرع. كما يعتمد على الحديث ولكن بصورة أقل. وبعضها ضعيف مثل تلك التي تتدخل فيها الملائكة ويتحدث فيها الله، مثل الأحاديث القدسية التي تفرق في الخيال والإخراج المسرحي لمزيد من التأثير. ويظهر في رواياتها وصياغتها التوجهات السياسية مثل حديث القدرية مجوس هذه الأمة^(١). وأحيانا يتم الاعتماد على الحديث وحده في التفسير^(٢). وكثير منها معلومات خارج موضوع الإعجاز مثل أسماء السور، مجرد تجميع لمعلومات قديمة^(٣). ربما أراد المؤلف إعطاء غطاء نظري خلا الكتاب منه في المقدمة تحت عنوان «أقوال كلية محتوية على ألفاظ قرآنية»^(٤). تعطى المعية الزمانية بعد التوالى الزماني^(٥). وتضم عدة فصول منها «قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها» مثل قاعدة الضمير، وهي قاعدة لغوية والتعريف والتذكير^(٦). هل هي محاولة لوضع منهج في التفسير؟

٥- «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية» لمصطفى صادق الرافعي (١٩٨١هـ)^(٧)

ويستمر موضوع إعجاز القرآن عبر مراحل التاريخ من الماضي حتى العصر الحاضر. وهما موضوعان مستقلان. الأول «إعجاز القرآن» وهو جزء من تاريخ آداب العرب (ثلاثة أجزاء). والثاني دراسة ملحقة بالأولى وتدل على استمرار بلاغة القرآن إلى بلاغة الحديث. فقد أوتي الرسول جوامع الكلم. وهو أفصح فصحاء العرب. فالبلاغة تنسب إلى النبي وليس إلى اللغة العربية، وكأنها مستقلة عنها. فالإعجاز ليس فقط في القرآن بل أيضا في الحديث.

والأسلوب أدبي أخلاقي مثل كتب السيرة المعاصرة «على هامش السيرة» لطف

(١) السابق ج ٣/ ١٦/ ٢٧/ ١٤٩.

(٢) السابق ج ٣/ ٥٠١.

(٣) السابق ج ٣/ ١٩٧-٢٠٠.

(٤) السابق ج ٣/ ٤٥٢-٤٦٢.

(٥) المعية الزمانية Synchronic، التوالى الزماني Diachronic.

(٦) السابق ج ٣/ ٤٦٣-٤٧٢.

(٧) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١. ٢٠٠٣-

١٤٢٤هـ

حسين و«حياة محمد» و«في منزل الوحي» لمحمد حسين هيكل. لا فرق بينه وبين «تحت راية القرآن». ولا يخلو من منهج الدفاع والتفريط ضد اتهامات المستشرقين بالرغم من اتباع التاريخ الميلادي بين الحين والآخر بدلا من الهجري. ويستعمل أسلوب المقال الأدبي وليس البحث العلمي. فالمؤلف أديب. ومعظم أعماله في الأدب والبلاغة. والموضوع لغوي. يعتمد على تحليل التجارب الإنسانية أكثر من الاعتماد على الحجج النقلية، القرآن أو الشعر^(١). لذلك لا تُنقل أقوال القدماء. وقد تستعمل الآية كأدب. فاللغة والقرآن، كلاهما يعودان إلى الفطرة. وفي الإشارة إلى القدماء، يميز بين القدماء والمحدثين إحساسا بالتطور^(٢). ويشير إلى بعض الفرق الكلامية القديمة مثل المعتزلة^(٣). والفصول أقل لصالح تجميع الموضوعات^(٤).

ويقدم للكتاب ثلاثة كتاب من التيارات الفكرية الثلاثة الرئيسية الإصلاحية (رشيد رضا)، والليبرالية (سعد زغلول)، والعلمية العلمانية (يعقوب صروف)^(٥).

ويخلو الكتاب من أى موقف. بل هو أقرب إلى الدراسات الموضوعية العارضة الحديثة المعتمدة على المصادر والمراجع والتي لا تظهر في الغالب في الهامش كالعادة بل في صلب الصفحة مع اقتباسات مباشرة مع التنبيه عليها بلفظ «انتهى» أو بالحرفين «أه» أو تلخيص غير مباشر لمضمونها وأحيانا أخرى لا يشار. يحلل الكتب كموضوعات في ذاتها^(٦). وتشرح الألفاظ في الهامش مساعدة للقارئ. وتتم المقارنة مع الوافد الغربي سواء الكتب المقدسة مثل التوراة والإنجيل دون تقدير كاف لهما بمناسبة شبهة التحريف أو أعلام الأدب والفلسفة الغربية أو القواد مثل نابليون. ويميل إلى علم اللسانيات النفسي والمنطق^(٧). والإعجاز ليس بلاغيا فقط بل هو تشريعي أيضا. بل يمتد الإعجاز الأدبي إلى الإعجاز العلمي السائد في هذا العصر^(٨).

(١) استعمل الشعر خمس مرات، السابق ص ١٤٣/١٠٣/٢٠١/٢١٢/٢١٦، والقرآن والحديث مرات عديدة.

(٢) السابق ص ٨٤.

(٣) السابق ص ١٠١.

(٤) خمسة في إعجاز القرآن، واثنان في البلاغة النبوية.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النحوية ص ١٢/٥-١٧.

(٦) السابق ص ٢١٩.

(٧) الفلاسفة الغربيون، السابق ص ٧٣/٧٥-٧٦/٧٨، الأدب الفرنسي ص ٦٧، نابليون ٦٩.

(٨) السابق ص ١٨٤-١٨٧.

ب- وجوه الإعجاز:

والتعرف على أسرار البلاغة في القرآن وردّها إلى فنون البلاغة العربية هو محاولة لفهم أسرار الإعجاز. والتناقض هو إذا كان القرآن يسير وفقا لأساليب البلاغة العربية الإعجاز؟

والإعجاز غير المعجزة^(١). المعجزة السابقة خرق لقوانين الطبيعة التي يعرفها الإنسان. فإذا ما ازدادت معرفته بها عرف أن كل حادثة تقع طبقا لها. ولا شيء بمعجز في الطبيعة. كانت مهمتها قديما إثارة الخيال واسترعاء الانتباه وإدخال الناس في الإيمان^(٢). ونجحت للأقلية، البقية الصالحة دون الأغلبية. ولما أتت أكبر معجزة، المسيح، بولادته وحياته ومعجزاته ورفعته إلى السماء ولم يؤمن بنو إسرائيل وظلّوا على ماديتهم تغير طريق الوحي إلى العرب. وتحولت المعجزة إلى إعجاز، والدليل الحسى إلى دليل عقلى. ففي آخر مرحلة من تطور الوحي أصبح العقل قادرا على الفهم، والإرادة قادرة على الاختيار. ولم يعد في حاجة إلى معجزة حسية تحلب اللب، وتثير الخيال، بل إلى إعجاز يتحدى العقل والإرادة. المعجزة الحسية توقفت والمعجزة العقلية مستمرة إلى يوم الدين^(٣).

ليس الإعجاز في كلام الله كصفة للذات بل في الوحي بعد أن تمت صياغته باللغة العربية في الزمان والمكان، ولدى شعب معين، وفي ثقافة محدودة. فلا يجوز التحدى

(١) الإتيان ج ٤/ ٢٣-٣. البرهان ج ٢/ ٩٠-١٢٤. ألف فيه الخطايب، والرماني، والزملكاني، والرازي وابن سراقه، والباقلاني، وعزيزي.

(٢) «اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى، سالم عن المعارضين. وهى إما حسية وإما عقلية. وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم. وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة ضحت بالمعجزة العقلية الباقية ليرأها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم، «ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا»، السابق ص ٣.

(٣) «إن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم. فلم يشهدوا إلا من حضرها. ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة. وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته...»، السابق ص ٣.

بشيء غير معلوم^(١).

ليس الإعجاز بتحدى العرب بالكلام القديم الذى هو صفة للذات. فقد خرج هذا الكلام من العلم الإلهى، وتم تدوينه فى اللوح المحفوظ المخلوق، ولم يعد قديما. ثم خرج من اللوح المحفوظ إلى ذهن جبريل المخلوق. فلم يعد قديما مرة ثانية. ثم خرج من ذهن جبريل على لسانه باللغة العربية إلى محمد المخلوق، فلم يعد قديما للمرة الثالثة، ثم خرج من ذهن محمد على لسانه وبلغته للآخرين ومستوى فهمهم وثقافتهم فلم يعد قديما للمرة الرابعة^(٢). ويقوم الكلام بثلاثة أشياء: لفظ حاصل، ومعنى قائم، ورباط ناظم^(٣).

وينظر إلى الإعجاز من وجهين. الأول الإعجاز فى نفسه، والإعجاز بصرف الدواعى عن معارضة. الأول داخلى، والثانى خارجى^(٤). ولا يعنى الإعجاز الصرفة لأن التحدى يتطلب الحرية. والصرف قيد منذ البداية، وتقييد الإنسان ومطالبته بالسير. فالصرفة تعنى زوال الإعجاز بانقضاء زمن التحدى. وقد انقضى الزمن، والتحدى مازال موجودا^(٥).

الإعجاز مقولة إنسانية للإنس وليس لموجودات أخرى متعالية على الحس وهو ما يسمى الجن^(٦). وشروطه العلم باللغة العربية والذوق العربى والفترة العربية السليمة^(٧).

والإعجاز صفة للوحى فى آخر مرحلة فى تطوره خلال مراحل النبوة وتدوين الوحى فى التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وكل ما يذكره القرآن. إذ لم تدون هذه الكتب فى لحظة إعلانها. ولم تحفظ بألفاظها بل بمعانيها. فهى أشبه

(١) السابق جـ ٢/ ٩٣.

(٢) الإتيقان جـ ٤/ ١١/ ٦.

(٣) السابق ص ١٣.

(٤) البرهان جـ ٢/ ٩٢.

(٥) الإتيقان جـ ٤/ ٦- ٧/ ١١/ ١٥، البرهان جـ ٢/ ٩٣- ٩٥/ ١٢٣ وهو تول النظام.

(٦) الإتيقان جـ ٤/ ١٩، البرهان جـ ٢/ ١١١.

(٧) البرهان جـ ٢/ ١١١- ١١٢/ ١٢٣.

بالتواتر المعنوى وليس بالتواتر اللفظى. والبعض منه لم يحتفظ بلغته الأصلية مثل الإنجيل. فقد تحدث المسيح بالآرامية. وفقدت الأناجيل الآرامية. ولم تبق إلا الصيغ اليونانية (السبعينية)، ثم ترجمت إلى اللاتينية (الفولجات)، ثم ترجمت إلى باقى اللغات الأوروبية والشرقية^(١).

ليس الإعجاز فى الإخبار عن تاريخ الأولين من خلال القصص. فليس الوحي كتاباً فى التاريخ. والتاريخ نفسه ليس معجزاً إذا ما توفرت الوثائق والحفريات. غاية القصص هو العبرة بالتاريخ، وبلورة الوعي التاريخي للعرب والمسلمين، ومعرفة قوانين التاريخ، والوحي فى تطوره فى آخر مرحلة تمت صياغته بناء على التجريب فى الزمان التاريخي^(٢).

ولا يعنى الإعجاز الغيبي التنبؤ بالمستقبل. فتلك كانت وظيفة النبي عند بنى إسرائيل. وما زالت بقاياها مستمرة عند قدماء المفسرين. بل يعنى معرفة قوانين التاريخ ابتداء من التحقيقات الماضية والحاضرة وإمكانية استشراف المستقبل. والإخبار بقصص الأولين لإثبات تحقق قوانين التاريخ فى الماضى، وتحويل الوحي إلى وعى بالتاريخ. والإخبار بالغيب عن أمور المعاد جزء من العقائد مثل النبوة، يمثل مسار التاريخ من الماضى إلى المستقبل، وتؤكد التجربة الإنسانية. فكل مقدمات لها نتائج، وكل عمل له جزاء، وكل سبب له نتيجة. وكل نقص له تعويض، وكل ظلم له يوم يسود فيه العدل، «لك يوم يا ظالم»^(٣).

والإخبار عن الضمائر دون إظهارها ليس إعجازاً منفصلاً عن الإعجاز البلاغى^(٤). وقد انتبه القدماء إلى أن الإعجاز بلاغى لما فى القرآن من نظم وتأليف وترصيف من أصناف البديع الموجودة فى الشعر والحدق فى البلاغة. وجه الإعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من العيوب. هو التأليف الخاص وليس التأليف على الإطلاق، نظمته وصحة معانيه وفصاحة الألفاظ. وهى باقية بالرغم من تغير العصور وضعف

(١) الإتيقان جـ ٤/ ٢١.

(٢) البرهان جـ ٢/ ٩٦.

(٣) الإتيقان جـ ٤/ ٧/ ١٥-١٦، البرهان جـ ٢/ ٩٥.

(٤) البرهان جـ ٢/ ٩٦.

التمكن من اللغة العربية وأساليب البلاغة وعلوم البيان جيلا وراء جيل^(١). الإعجاز في النظم المخصوص في مراتب تأليف الكلام^(٢). وهى خمس: ضم الحروف في كلمات، ثم ضم الكلمات في جمل، ثم ضم الجمل في مقاطع لها بدايات ونهايات، مداخل ومخارج وهو المنظوم، ثم تطابق آخر الجمل في السجع وهو المسجوع ثم جعل له وزن مثل الشعر وهو النظم أو الشكل الأدبي، المحاورة أو المخاطبة والمكاتبة أى الرسالة. وجه الإعجاز هو الإيجاز مع البلاغة، والرصف مع النظم، والتفرد كجنس في كلام العرب من نظم ونثر وخطب وشعر^(٣). وجه الإعجاز في التأليف الخاص وليس مطلق التأليف^(٤). وهو إعجاز دائم غير محدد بفترة زمنية محددة^(٥). ويكون الإعجاز في اللفظ والمعنى والملاءمة^(٦). الألفاظ بالنقل، والمعانى بالعقل.

والتحدى ليس فقط بلاغيا أسلوبيا أدبيا بل هو أيضا تحدٍ تشريعى فى العلوم الإنسانية. فلا يوجد حكم شرعى إلا ويطابق التجربة البشرية الفردية والجمعية. يجمع بين المثالية والواقعية، بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن، بين القيم الإنسانية العامة والخصوصيات الثقافية، بين العزائم والرخص. ركز القدماء على الإعجاز البلاغى لأن العصر كان عصر لغة. فى حين ينتبه المحدثون إلى الإعجاز التشريعى الإنسانى لأن العصر عصر العلوم الإنسانية. وهو ما يسمى بالإعجاز العلمى. ليس بمعنى العلوم الطبيعية كما هو سائد هذه الأيام، بل بمعنى احتوائه لعدد من العلوم الإنسانية كعلوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون^(٧).

وقد يكون الإعجاز فى اختلاف المقامات وفى نفس الوقت وضع كل شىء فى موضع يلائمه. وهو تعدد وتوحد فى نفس الوقت مثل الموسيقى المتعددة الأصوات "البوليفونية"

(١) الإتقان ج٤/ ٨/ ١٦، البرهان ج٢/ ٩٧-١٠٠.

(٢) السابق ص ١٠-١١.

(٣) السابق ص ١٤.

(٤) البرهان ج٢/ ٩٥.

(٥) السابق ج٢/ ١٠٥.

(٦) السابق ج٢/ ١٧٤-١٧٥.

(٧) من العقيدة إلى الثورة ج٤، النبوة والمعاد ص ٢٠١-٢٠٤.

التي تجمع بين التقابل الصوتي «الكونترابونت» والانسجام «الهارموني». والأمثلة في القرآن على ذلك كثيرة^(١).

ويشتمل القرآن على أعلى أنواع الإعجاز^(٢). وهو التركيب القائم على النسبة والاعتدال في إفادة المعنى. وتتفاوت مراتب الفصاحة. فالقرآن هو الأفصح والأصلح والأرشق والأجلى والأعلى.

وقد يكون الإعجاز بكل الوجوه السابقة. فالإعجاز مقصد، ومداخله متعددة^(٣). والقرآن معجز كله وليس كما. وليس الإعجاز في السور الطوال وحدها دون القصار بل إن القصار قد تكون أبلغ من الطوال. صحيح أن التحدى وقع بجزء أو بسورة منه، فالعاجز عن القليل عاجز عن الكثير^(٤).

وقد يدرك الإعجاز ولا يمكن وصفه. يُدرك بالفطرة السليمة وبالأثر المباشر في النفس^(٥). يُدرك بالذوق وليس بالتحليل العقلي لأساليب البلاغة وعلوم البيان والبدیع. هو صنعة في القلوب وتأثير في النفوس، لذة وحلاوة، وروعة ومهابة^(٦). لذلك يعلم الإعجاز بالإحساس والشعور والوجدان وليس بالاستدلال العقلي والتحليل اللغوي أى عن طريق علوم القرآن، وقد لا يمكن التعبير عنه^(٧).

والقرآن فن من القول لا يدركه إدراكا مباشرا إلا ذوو الفطر السليمة أو الشعراء. فقد أتى ليرث الشعر والقول الشعري^(٨). الفرق عملي صرف، في تحول القرآن إلى عمل، وإقامة العمل على الأخلاق. في حين أن الشعر خيال، والخيال لا حدود له. وهو معنى الآية الشهيرة ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٣١) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

(١) البرهان ج٢/ ١١٨-١٢٠.

(٢) السابق ج٢/ ١٢١-١٢٣.

(٣) السابق ج٢/ ١٠٦-١٠٧.

(٤) الانتقان ج٤/ ١٧-١٨/ ٢٣، البرهان ج٢/ ١٠٨-١١١.

(٥) الانتقان ج٤/ ١٢/ ١٤/ ١٦-١٧، البرهان ج٢/ ١٢٤.

(٦) «قارؤه لا يكل، وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته»، السابق ص ١٥، البرهان ج٢/ ١٠١-١٠٢.

(٧) السابق ص ١٨، البرهان ج٢/ ١٠٠-١٠٦.

(٨) السابق ج٢/ ١١٢-١١٣.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾. ومع ذلك يلتقى الوحي والشعر إذا ما ارتبط بعض الشعراء بالأخلاق ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾. كلاهما يتبع صناعة الإيقاع وصناعة العروض. كلاهما يلتقى في موسيقى القرآن. والإيقاع ليس من فنون الملهي بل هو إيقاع النفس. كتب فيه إخوان الصفا «رسالة الموسيقى». تجمع بين الذوق والرياضيات والإحساس النفسى كما هو الحال في تصور القدماء للموسيقى عند الفارابى وغيره^(١). وكان الرسول إذا أنشد شيئا موزونا على إيقاع معين غيره. فالشعر والوحي يقومان على نفس الذوق.

وتنزيه القرآن عن أن يكون شعرا، والنبي عن أن يكون شاعرا، رغبة طبيعية في إعلاء القرآن على حساب الشعر، والنبي على حساب الشاعر، تأكيداً على الانفصال بين الماضى والحاضر، بين الجاهلية والإسلام، بين الأصالة والمعاصرة، وهو غير طريق الوحي الذى يؤكد على التواصل بين الماضى والحاضر، بين مراحل الوحي السابقة والمرحلة الأخيرة، بين اليهودية والمسيحية من ناحية والإسلام من ناحية أخرى^(٢). والفصل بين الوحي والشعر هو فصل بين المحمول والحامل، بين النفس والبدن، بين المثال والواقع. ولا يعنى ذلك إدخال القرآن في الشعر في صياغة واحدة. حيثذ يبدو الشعر ركيكا، ولا يبدو القرآن شعرا^(٣). بل يعنى أن كليهما يقومان على الروح الشعرية^(٤).

(١) يروى عن الرسول قوله «لست من دد، ولا دد منى» ويعنى الإيقاع.

(٢) البرهان ج٢/ ١١٣-١١٧.

(٣)

وقلت لما حاولوا سلوتي
أو : وفتية في مجلس وجوههم
هيهات هيهات لما نعوذون
رجائهم، قد عدموا الثقيل
دانبة عليهم ظلالها
وذلت لهم قطفونها تذليل
السابق ص ١١٤.

(٤) وهو الفرق عند المحدثين بين الشعر Poetry والشعرية Poetics.

الفصل الثالث

التفسير

١- التفسير وعلوم القرآن:

أ- علوم القرآن والتفسير:

وبعد أن ثبت القرآن تدوينا وقراءة أصبح منطق النقل الشفاهى وعلم القراءات ومنطق النقل الكتابى من العلوم القديمة التى أدت غايتها. ولن يتقدم أحد بإعادة النظر فى نتائجها وتقديم قراءة شفاهية جديدة أو نقلا كتابيا جديدا. ما يبقى إذن هو علم التفسير الذى يتطور بتطور كل عصر. ما يمكن هو التفسير أى فهم النص. والفهم مرتبط بظروف المعرفة فى كل عصر.

بعد الألفاظ والمعانى وأساليب البلاغة يأتى التفسير وهو ضم اللفظ والمعنى فى الذهن، والتحول من المنظوم والمفهوم إلى المعقول بلغة الأصوليين^(١).

ونظرا لشدة الارتباط بين علوم القرآن وعلم التفسير كان «الإتقان» كان فى الأصل مقدمة لتفسير السيوطى، «مجمع البحرين ومطلع البدرين» كما كان علم أصول الفقه مقدمة لبعض كتب الفقه. وصنف كتابا آخر «التحجير فى علوم التفسير»^(٢). وهو أقرب إلى التفسير بالمأثور منه إلى التفسير بالمعقول.

(١) من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص ٢٤٧-٤٤١.

(٢) الإتقان ج١/٦-٨.

ب- التأليف في الموضوع:

أ- «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (٢٧٦هـ)^(١)

يعرض للحامل اللغوي، النحو والبلاغة دفاعاً عن القرآن العربي مثل «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضي عبد الجبار. ويركز على مباحث الألفاظ، الحروف والأفعال. يتكون من خمسة عشر باباً. العشرة الأولى مجملة في النحو والبلاغة وخصوصية العرب في البيان والمجاز والاستعارة والمقلوب والحذف والاختصار والكناية والتعريض، والرد على وجوه القراءات، والتناقض والاختلاف والمتشابه^(٢). وأكبر الفصول تأويل الحروف التي ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم. وتعرض الحروف في سورة سورة وآية آية^(٣). وتعرض الألفاظ طبقاً لجدل اللفظ والمعنى، لفظ واحد، ومعايير متعددة. ويضرب المثل بأربعة وأربعين لفظاً^(٤). وهناك حروف مثل الأفعال لا تنصرف^(٥). وتدخل حروف الصفات مكان بعض^(٦). ويفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث، والقرآن بالشعر والأزجال والأمثال العربية وعادات العرب في الكلام وهو الأكثر. والشعر يتجاوز قسمة التاريخ إلى عصرين، جاهلي وإسلامي. والاستشهاد بالشعر الجاهلي أكثر طبقاً للقول المأثور «عليكم بديوان جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم». وقد يحال إلى طرق فهم التوراة والإنجيل وتفسيرها. فالموضوع اللغوي والبلاغي يقود إلى التفسير^(٧). وقد يختلف كل عصر عن العصر السابق في إحساساته بالآية لغوياً وبلاغياً عند القدماء، واجتماعياً وسياسياً عند المحدثين مثل تفسير آية (وبئر معطلة وقصر مشيد)^(٨).

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرآن، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) السابق ص ١٧-١٨١.

(٣) السابق ص ١٨٢-٢٤٦.

(٤) السابق ص ٢٧٨-٢٩٧.

(٥) السابق ص ٢٩٨-٣٠٩.

(٦) أمثال العرب، السابق ص ٦١-١٤١/١٦٧/٢٥٨. عادة العرب، السابق ص ٦٩/٨٦/٨٨/٩٣/٩٧/٩.

٩/١٠٣/١١٣/١٣٠/١٤٢/١٧٨/١٨٠/٢٧١/٣٠٦/٣٠٠.

(٧) السابق ص ٦٩-٧٠.

(٨) السابق ص ١٥.

ب- «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضي عبد الجبار (٤١٥هـ)

وهو مؤلف بين علم الكلام وعلوم القرآن. يتم فيه الدفاع عن القرآن وتبرئته عن المطاعن. وهي التناقض بين الآيات في العقائد أو الشرائع، بين التشبيه والتنزيه، بين الرحمة والعدل، بين الكسب وخلق الأفعال، بين الإيثار والعمل. وعلى هذا النحو هو أقرب إلى علم الكلام منه إلى علوم القرآن لأنه يتعامل مع الموضوع وليس مع النص، مع المحمول وليس مع الحامل. لا تهمه الصحة التاريخية في القراءة والتدوين بل التفسير والتأويل. لذلك يدخل أيضا في موضوع التفسير. وهو أحد جوانب علوم القرآن قبل أن يستقل بنفسه ويصبح علما. وهو أيضا أحد أبواب علوم القرآن في الآيات المبهمة. ويفسر القرآن بالقرآن. ونادرا ما يذكر الحديث أو الشعر. كتب بطريقة المسألة والرد عليها. وليس له تبويب نظري مستقل توضع فيها هذه المطاعن بل تستعرض سورة سورة، وآية آية، من الفاتحة والبقرة حتى المعوذتين. وتكثر المسائل في السور الطوال. ويقل العدد في السور الصغار. دون تبويب موضوعي عرضي للمطاعن يخترق السور^(١). وهو من آثار كتب التفسير التي تتبع المنهج الطولي وليس المنهج العرضي، المنهج النصي وليس المنهج الموضوعي^(٢).

هو نوع من الدفاع عن القرآن أسوة بمنهج الجدل عند المتكلمين، الذب عن الإسلام ودحض أباطيل خصومه. فهو بين علم الكلام وعلوم القرآن، وإن كان إلى علم الكلام أقرب. ولفظ «تنزيه» لفظ اعتزالي. تنزيه القرآن عن المطاعن مثل تنزيه الله عن التجسيم والتشبيه. ولا فرق بين المعتزلة والأشاعرة في الدفاع. فكلهم متكلمون.

والمطاعن في العقائد والمعاني وليس في النصوص والصحة التاريخية، في الرواية والجمع والقراءة والتدوين. وقد كتب بطريق السؤال والجواب، المسألة والرد عليها دون ترقيم للمسائل بطريقة «قليل»، «قالوا». وهو أقرب إلى التفسير، تفسير القرآن بالقرآن. وتفسير القرآن بالحديث أو الشعر لا يأتي إلا نادرا. والكتاب خال من التبويب.

(١) أكثر المسائل في البركة (٩٢) وفي الناس (١).

(٢)

ويقتصر على ذكر المطاعن سورة سورة، وآية آية كما هو الحال في التفسير الطولى. وفي حاجة إلى إعادة تبويب طبقا لموضوعات المطاعن كما هو الحال في التفسير العرصى أو الموضوعى للقرآن. لذلك وقع في الجزئيات دون الكلّيات، وفي الرد المتناثر دون تجميع مجموع الردود في أصول عامة حتى لا تتكرر. لذلك سادت الرتابة، وتكرار النمط، والسير الحثيث وراء كل سورة وآية دون استدراك، عودا على بدء^(١).

ج- «درة التنزيل وغرة التأويل» للخطيب الإسكاني (٤٢٠هـ)^(٢)

وهو عرض لقضية الآيات المتشابهات كما يوحى بذلك العنوان الفرعى أو لموضوع التكرار في القرآن، أحد موضوعات علوم القرآن^(٣). التنزيل متشابه ومتكرر في حاجة إلى فهم وتأويل لدرء التشابه والتكرار. وهو أقرب إلى تفسير المعانى مثل «تنزيه القرآن عن المطاعن» للقاضى عبد الجبار (٤١٥). يجمع بين آيتين متشابهتين أو أكثر بعد ذكر أول آية لرفع التناقض بين الآيات خاصة إذا تشابهت لفظا وعبارة لدرجة التكرار دون أى تفرد في الصياغة أو في ظلال المعنى. وهو قريب من المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لتجميع الآيات المتشابهة حول موضوع واحد.

وقد يكون التكرار ظاهريا ولكنه في الحقيقة ليس تطابقا كاملا في الألفاظ أو في المعانى. إذ تعدد الصياغات اللغوية لمنع الرقابة والتكرار الكمى. ولكل صيغة ظلال من المعنى للتركيز عليه والإيحاء به. وتختلف طبائع الناس. وتحتاج إلى مؤثرات لفظية متعددة طبقا لتأثير كل منها. كما أنها تسمح بحرية الفهم والتعددية في اقتناص المعانى.

ويخلو الكتاب من التبويب الموضوعى إلى فصول. بل يتم استعراض الآيات المتشابهة سورة وراء سورة، وآية بعد آية طبقا لترتيب المصحف وليس أسباب النزول. وهو امتداد لمنهج التفسير الطولى عند الطبرى وابن كثير والزخشرى. ويختلف عدد

(١) قاضى القضاة عماد الدين أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد (إملاء): تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة.

(٢) السابق ص ٥٣٦.

(٣) الخطيب الإسكاني: درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز برواية أبى الفرج الاردستاني، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

الآيات المتشابهة في كل سورة طبقاً لطولها وقصرها مع بعض الاستثناءات^(١). وهناك سور تخلو من الآيات المتشابهة مثل بعض السور القصار لأنه لا توجد مساحة تعبيرية للتكرار. كما أن وضوح المعنى وتركيزه وتوجيهه إلى الذهن والشعور والعمل لا يحتاج إلى شرح أو إسهاب أو تعددية نظرية^(٢). كما يتم التخفيف. ويفسر القرآن بالقرآن أولاً. القرآن يفسر بعضه. ثم يعتمد على الشعر ثانياً^(٣). ويقل الحديث للغاية لدرجة الغياب المطلق. والسؤال هو: إذا كانت هذه مشاكل القدماء، حل المتشابهات وفهم التكرار، ورفع المتناقضات. فإن مشاكلنا فهم الواقع والدخول في تناقضاته.

د- «مسائل مثورة في التفسير والعربية والمعاني» لابن بري (٥٨٢هـ)^(٤)

وهي كما يدل العنوان مجرد مسائل مثورة تتضمن إجابات لغوية ونحوية. تدور كلها حول الإعراب والقراءات. تخلو من أي تحليلات نظرية في المقدمة أو الخاتمة. ويتضح عدم بروز موضوع التفسير كموضوع مستقل داخل علوم القرآن نظراً لارتباطه بالقراءات والتدوين^(٥).

هـ- «ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل في توجيه التشابه اللفظ من آي التنزيل» لابن الزبير الغرناطي (٧٠٨هـ)^(٦)

(١) الأعراف (٢٩)، البقرة (٢٣)، الأنعام (١٩)، هود (١١)، العنكبوت (٩)، النحل (٨)، آل عمران، المائدة، براءة (٧)، الكهف، الأنبياء، فصلت (٦)، النساء، الحج، المؤمنون، الزمر (٥)، يونس، يوسف، الشعراء، الروم (٤)، السجدة، الصافات، الشورى، الزخرف، الفتح (٣)، الأنفال، الحجر، الإسراء، مريم، النور، الفرقان، النمل، القصص، سبأ، يس، ص، ق، الذاريات، الرحمن، الحشر، التغابن، المائدة، النبا، التكوين، المطففين، الانشقاق، البلد (٢)، الرعد، إبراهيم، لقمان، فاطر، الطور، القمر، الواقعة، المجادلة، المتحنة، الصف، المنافقون، الطلاق، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الإنسان، المرسلات، النازعات، الشرح، العلق، التكاثر، الكافرون، الناس (١).

(٢) الأحزاب، الدخان، الأحقاف، محمد، الحجرات، الجمعة، التحريم، الجن، الزمل، عبس، الانفطار، الطارق إلى الفجر، الشمس، الليل، الضحى، التين.

(٣) الأشعار (١٣).

(٤) أربعة كتب في علوم القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ص ١٣-٣١.

(٥) مسألة (٣٣)، سؤال (٦).

(٦) الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي: ملك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل

بالرغم من أن التفسير هو الموضوع الآخر في علوم القرآن في الحوامل الذاتية بعد اللفظ والمعنى وأساليب البلاغة إلا أنه أصبح موضوعاً مستقلاً بعد ذلك في التفسير الطولية الكبرى التي تبدأ من الفاتحة حتى الناس. أما التفسير الجزئي لشرح الألفاظ فإنه أدخل في علوم القرآن. ويتضح من العنوان التحول من التفسير إلى التأويل أى من ضبط المعنى عن طريق شرح الألفاظ إلى تعدد المعنى عن طريق التأويل. كما تتضح بداية الدخول في المعارك الكلامية والدفاع عن العقيدة ضد الإلحاد والتعطيل وهو الاتهام الموجه إلى المعتزلة بإنكار الصفات. والسبب في ذلك تشابه الألفاظ في التنزيل. فالتفسير له جانبان: التأويل والتنزيل، الذات والموضوع.

وطريقة العرض السؤال والجواب، سورة سورة وبعض الآيات المختارة داخل كل سورة. تتضح فيها بداية الجدل. والاعتماد على الشعر النسق البلاغى الأول قبل القرآن.

و- «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي الكلبي (٧٤١هـ)^(١)

لم يعد «التنزيل» يعنى أسباب النزول بل «التفسير». وما زال موضوعاً من علوم القرآن كما تكشف عن ذلك المقدمة. فالغرض جمع أكبر قدر ممكن من العلم في أقل حجم، وذكر بعض النكت العجيبة في الموضوع في هذا الوقت المتأخر، القرن الثامن، المولع بالغرائب، وإيضاح المشكلات وبيان المجملات، والتحقق من أقوال المفسرين، الصحيح منها والسقيم^(٢). وفي مقدمة ثانية يتم التعرض إلى علوم القرآن من جديد مما يدل على أن علوم التنزيل مازالت جزءاً منها. فقد نزل القرآن على الرسول في مكة والمدينة. وتضمن معاني وعلومها في العقائد والتشريعات والقصص وعلوم القرآن ذاتها. ووقع خلاف بين المفسرين. والبعض الآخر لم يشأ أن يدلى في القرآن برأيه. ويبرز الناسخ

في توجيه التشابه اللفظ من آى التنزيل، وضع حواشيه عبد الغنى محمد على الفاسى (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

(١) الشيخ الإمام العلامة المفسر أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل. ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم (جزءان)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) السابق ص ٣-٥.

والمسنوخ باعتباره علماً، وكذلك علم القراءة المشهورة والشاذة والوقف والابتداء، والفصاحة والبلاغة والبيان، وإعجاز القرآن وفضل القرآن، تعلماً وتعليماً^(١). ثم تأتي مقدمة ثانية في تفسير معنى اللغات مرتبة طبقاً للترتيب الأبجدي، أشبه بقاموس لشرح ألفاظ القرآن^(٢). ثم يبدأ بعد ذلك تفسير التنزيل، سورة سورة، وآية آية اعتماداً على التفسيرات الكبرى السابقة.

٢- التفسير والتأويل:

التفسير هو البيان والكشف من السفر أى الضوء. هو كشف المغلق وإطلاق المحتبس، وفي الاصطلاح هو علم نزول الآية، سورتها وأقاصيصها، إشارتها وترتيبها، محكمها ومتشابهها، ناسخها ومنسوخها، خاصها وعامها، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر طبقاً لمباحث الألفاظ. وقد يزداد الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، والعبر والأمثال^(٣).

هل المعنى هو القصد والمراد أم الشيء؟ قد يجمع القصد بين الاثنين^(٤). أعنى تعنى أقصد. وهو مشتق من الإظهار مثل عنوان الكتاب أو عنت القربة إذا أظهرت الماء، وعنت الأرض أى أنبتت. لذلك فسر البعض معانى القرآن^(٥).

وهناك ثلاثة دوافع وراء الحاجة إلى التفسير^(٦). الأول كمال فضيلة المصنف فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز. والثانى إغفال بعض تنمات المسائل أو شروطها. ويحتاج الشارح لبيان المحذوف. والثالث احتمال اللفظ لمعانى مثل المجاز والإشراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه. والتفسير علم شريف من ثلاث جهات: الموضوع وهو الوحي كلام الله، والغاية والفرض أو شدة الحاجة^(٧).

(١) السابق ص ٢٠-٢١.

(٢) السابق ص ٢١-٣٩.

(٣) البرهان ج ٢/ ١٤٨-٥٢.

(٤) السابق ج ٢/ ١٤٦.

(٥) مثل الزجاج فى «معانى القرآن» والواحدى والفراء وابن الانبارى. السابق ج ٢/ ١٤٦-١٤٧.

(٦) الإتيقان ج ٤/ ١٧٠-١٧١.

(٧) السابق ج ٤/ ١٧١-١٧٣.

والتفسير أعم من التأويل. التفسير للألفاظ، والتأويل للمعاني، والرؤيا التفسير لكل النصوص. التأويل خاص بالكتب المقدسة. والتفسير لغريب الألفاظ. والتأويل قد يكون لمألفها. التفسير للألفاظ، والتأويل للمعاني. التفسير يتعلق بنطق الألفاظ، والتأويل بالمعاني، والفهم للأشياء بناء على مستويات اللغة الثلاثة: اللفظ والمعنى والشيء^(١). التفسير بيان لفظ له احتمال واحد، والتأويل لفظ له معان مختلفة طبقاً للدلالة، صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية ومتفق مع الكتاب والسنة عن طريق الاستنباط. التفسير للظاهر، والتأويل للباطن. التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر. التفسير يتعلق بالدراية، والتأويل بالدارين. التفسير مقصور على الاتباع والسباع، والتأويل مقصور على الاستنباط والاجتهاد^(٢).

التأويل من «أول» أى الرجوع إلى المصدر الأول. وقد يعنى النقيض أى المآل والمصير والذهاب إلى الآخر. وقد يكون من الأيالة أى السياسة، سياسة الكلام وتوضيح معانيه^(٣). والتأويل نوعان: منقاد ومستكره^(٤). الأول ما لا تقع فيه بشاعة أو يحدث فيه استقباح. وقد يقع فيه خلاف بين الأئمة إما لاشتراك اللفظ أو لأمر راجع إلى النظم أو لغموض المعنى. والثانى هو البشع إما لتخصيص لفظ أو لتلفيق بين اثنين أو ما يحدث فيه من استعارة أو اشتقاق بعيد. ولا يوجد تأويل مخالف أو متفق مع الشرع محظور أو مباح، عالم أو جاهل بل التأويل مطابقة معنى النص مع تجربة ذاتية للفرد أو الجماعة. فالخلاف فى مدى اتساع التجربة الذاتية وصدقها فردية أو مشتركة، مصلحة خاصة أم مصالح عامة^(٥).

(١) الإتيان ج ٤/ ١٦٧-١٧٣، البرهان ج ٢/ ١٤٦-٢١٦.

(٢) من النقل إلى الإبداع ج ١ النقل ج ٣ الشرح ص ٩-٣٢، تأويل الظاهريات ص ١٤٥-١٦٣.

(٣) البرهان ج ٢/ ١٤٨-١٤٩.

(٤) السابق ج ٢/ ١٧٨-١٨٠.

(٥) السابق ج ٢/ ١٥٢-١٥٣.

٣- الأدوات، والأسماء، والأفعال، والأزمان:

أ- الأدوات:

والمفردات من الأدوات والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها^(١). وهى أمور تفصيلية، حوالى مائة أداة فى حاجة إلى إعادة تصنيف وتجميع. مثال ذلك استعمال «على» و«فى»^(٢).

و«معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر» من حروف وأسماء وأفعال وظروف بين الألفاظ لأنها كذلك والمعانى لأنها تفيد معنى والتفسير لأنها تساعد المفسر على ضبط المعانى^(٣). وهى من أكبر الأنواع حجما مما يدل على أهميتها. وتدخل أيضا فى الأسلوب والنواحي البلاغية. ويذكر منها مائة وعشر أدوات وحروف وأسماء وأفعال وظروف. ويمكن توزيعها أيضا طبقا لحوامل اللغة، الزمان والمكان أو التعبير عن حالات الشعور أو منطق الحوار^(٤). ولا تحدد هذه المعانى المتعددة سلفا بمنطق اللفظ وحده بل فى الموقف النفسى والاجتماعى للقارئ والمفسر، طبقا للحالة النفسية ومستوى التعليم والثقافة. فهى معانٍ بعدية وليست قبلية، تجريبية وليست عقلية^(٥). ولا تهم التحليلات الجزئية للأدوات ورصد اختلافات علماء العصر كسيبويه والفراء والكسائى أو استعمالات المفسرين كالزنجشى بل الدلالات العامة لها مع تعدديتها^(٦).

ب- الأسماء:

وقد يكون الاسم فى صيغة فعلية من «أن» والفعل ليذكر بأن الفعل أصل الاسم^(٧).

(١) السابق ج٤/ ١٧٥-٤٤٦. مثل (وإنا أو إياكم لعل هدى أو فى ضلال مبين).

(٢) السابق ص ١٧٥-١٧٧.

(٣) الإتيان ج٢/ ١٤٠-٢٥٩.

(٤) السابق ص ١٤٠-١٤١.

(٥) وهو ما يسمى فى العلوم الاجتماعية فى الغرب الحديث اللسانيات النفسية Psycho-Linguistics أو اللسانيات الاجتماعية Socio-Linguistics.

(٦) «ها قد أثبت على شرح معانى الأدوات الموقعة فى القرآن على وجه مرجز مفيد محصل للمقصود منه. ولم أبسطه لأن عمل البسط والإطناب إنما هو تصانيفنا فى فن العربية وكتبنا النحوية. والمقصود فى جميع أنواع هذا الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول، لا استيعاب الفروع والجزئيات»، الإتيان ج٢/ ٢٥٩.

(٧) السابق ج٢/ ١٧٠-١٧٣.

و«ذو» أو «ذوات» اسم بمعنى صاحب لوصف الذوات بأسماء الأجناس^(١). و«الذي» و«سواء» تعني السوية والمساواة^(٢). و«غير» اسم للإضافة والإبهام بين ضدين. وقد تفيد الاستثناء والبدل أو النفي^(٣). و«كل» تفيد الاستغراق والإحاطة، نعتاً أو توكيداً أو مضافة. وقد تتصل بها المصدرية للتكرار^(٤). وهى مشتقة من لفظ «الإكليل» و«الكلالة» أى الإحاطة بالشئ. أو انضمام الذوات المفيد للاستغراق. ويلزم الأسماء ولا يدخل على الأفعال، لازم المعنى وليس للفظ. ويضاف إلى الجمع المعرف والجنس والنكرة المفردة. وتحصل لها ثلاثة أحوال: مؤكدة، ومبتدأ بها مضافة، ومقطوعة عن الإضافة. وتوضع لألفاظ التذكير إضافة إلى نكرة أو إلى معرفة أو تقطع عن الإضافة لفظاً. وتتصل «ما» بكل في «كلما». وهى مصدرية تفيد ظرف الزمان أى كل وقت. ويأتى «كل» صفة.

و«كلا» و«كلتا» يفيدان التثنية في الجمع^(٥). وبهما معنى الإحاطة. وتفيد ألف لام التعريف. وهو ما يفيد في تحليل المضمون ودلالة الفكرة والمعرفة^(٦). ويشمل التعريف الاستغراق. وتضاف إلى «إله» لتصبح «الله». وتكون نياية عن الضمير في التعريف.

وتدل بعض الأسماء على درجات التفضيل مثل «أحد». فهو أقوى من واحد. الأحد ينفى دون غيره في حين أن الواحد لا ينفى غيره. هناك الواحد الرياضى والواحد الميتافيزيقى والواحد الطبيعى، «الأحد» هو المتفرد بالوحدانية. وهو الأول. له جمع وهو الآحاد في حين أن الواحد ليس له جمع. ولا يدخل الأحد في الضرب. ويستعمل في النفي والإثبات. ويستعمل وصفاً مطلقاً لله^(٧). وهناك أفعال لا تطلق إلا على الله

(١) السابق ص ١٩٥-١٩٦، البرهان ج٤/ ٢٧٧-٢٧٩.

(٢) الإتيان ج٢/ ١٩٨-١٩٩.

(٣) السابق ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) السابق ص ٢١٨-٢٢١، البرهان ج٤/ ٣١٧-٣٢٥.

(٥) البرهان ج٤/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٦) الإتيان ج٢/ ١٥٦-١٥٨.

(٧) الإتيان ج٢/ ١٤٣-١٤٤.

مثل «تبارك»، «تعالى»^(١). و«ما شاء» اسم يعنى التنزيه^(٢). و«مبحان» للتسبيح^(٣).

و«ما» على اثنى عشر وجها، ستة أسماء، وستة حروف^(٤). الاسمية ضربان: معرفة ونكرة. والنكرة ضربان: الأول يلزم الصفة، والثانى لا يلزمه. وما يلزمه استفهامية وشرطية وتعجب. الأول أسماء خبرية وهى الموصولة، بها تذكير وتأنيث، وإفراد وتثنية وجمع. والثانية شرطية ولها صدر الكلام، وبعدها فعل. والثالثة استفهامية بمعنى أى شىء. والرابع تعجبية. والخامس نكرة يلزمها النعت. والسادس نكرة بغير صفة ولا صلة. والحرفية ستة. الأول نافية ولها صدر الكلام. والثانية مصدرية، وقتية نائب عن ظرف الزمان وغير وقتية تقدر مع الفعل. والثالث كافة للعامل عن عمله. والرابع المسلطة تجعل اللفظ متسلطا بالعمل والخامس مغيرة للحرف عن حالة. والسادس مؤكد للفظ. ويسمى صلة أو زائد.

و«من» لا تكون إلا اسما فاعلة ومفعولة، مبتدأ وهى أربعة أقسام: موصولة واستفهامية، وشرطية، ونكرة موصوفة^(٥). «من» للعاقل، و«ما» لغير العاقل.

جـ- الأفعال:

جعل، فعل، لازم أو متعد يفيد التكوين وتصيير الشىء على حالة دون حالة، والحكم على الشىء^(٦). ويفيد «كان» الزمان الماضى والتوكيد والقدرة. وتأتى بمعنى «ينبغى». وقد تأتى زائدة^(٧). وتعنى «كاد» قارب^(٨).

وقد تشير بعض الأدوات مثل «إذا» إلى زمن الفعل أو المفاجأة. وقد تشير إلى التحول من الاستقبال إلى الحال. وقد تكون شرطية تفيد اليقين والظن. وقد تفيد العموم. وقد

(١) السابق ص ١٨٨.

(٢) السابق ص ١٩١، البرهان ج٤ / ٢٧١.

(٣) الإتيقان ص ١٩٩.

(٤) البرهان ج٤ / ٣٩٨-٤١٠.

(٥) السابق ج٤ / ٤١١-٤١٤.

(٦) الإتيقان ج٢ / ١٩٠-١٩١.

(٧) البرهان ج٤ / ٣١١.

(٨) السابق ص ٣١٢.

تكون زائدة طبقا للضرورة البلاغية^(١). و«هيت» اسم فعل بمعنى أسرع وبادر. وتقرأ أيضا «هَيْتَ» و«هَيْتَ»^(٢).

وتفيد «رب» الاحتمال، للتكثير تفخيا أو للتقليل تصغير أو للتسوية^(٣). وتفيد «اللهم» النداء. وأصلها «يا الله» ثم حذفت يا النداء. والنداء أيضا بحرف النداء «يا»^(٤). «هات» فعل أمر لا يتصرف^(٥). و«هلم» دعاء إلى الشيء^(٦).

د- الأزمان:

وأدوات الزمن كثيرة وليس فقط «الناسخ والمنسوخ». إذ تشير إلى الماضي^(٧). وقد تفيد التعليل والتوكيد والتحقيق. فالزمن ليس خاويا بل هو حامل لحالات النفس ومنطقها الذاتى فى أنماط اليقين، والموضوعى فى علاقات الوجود مثل التعليل والسببية. وتأتى مضافة إلى جملة^(٨).

وهى نوعان: ظرف زمان مفاجأة. ونجىء اسما وحرفا. ونجىء للحال. وتستعمل للاستمرار. والظرفية ضربان: ظرف محض، وظرف يفيد معنى الشرط. وقد نجىء لا ظرفا ولا شرطاً. والظرفية للزمان الحاضر والماضى والمستقبل. وتجاب الشرطية بثلاثة أشياء: الفعل والفاء وإذا المكانية. وتوافق «إذا» «إن» فى بعض الأحكام. وقد تأتى للقدرة. وقد تأتى بعد «واذكر».

و«الآن» اسم للزمن الحاضر^(٩). هو اسم للوقت الحاضر بالحقيقة^(١٠). وقد تستعمل

(١) الإتيان ج٢/ ١٤٧-١٥٢.

(٢) السابق ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) السابق ج٢/ ١٩٦-١٩٧.

(٤) السابق ج٢/ ١٦٣-٢٥٩.

(٥) السابق ص ٢٥٣.

(٦) السابق ص ٢٥٤.

(٧) السابق ج٢/ ١٤٤-١٤٧، البرهان ج٤/ ١٩٠-٢٠٨.

(٨) البرهان ج٤/ ٢٠٧-٢٠٨.

(٩) الإتيان ص ١٦١.

(١٠) السابق ص ١٧٥.

في غيره مجازاً^(١). وتفيد «أنى» الاستفهام والشرط داخل الزمان بمعنى «متى» أو «أين»^(٢).
وتفيد «ثم» الترتيب والتوالى وتفصيل المهلة مثل «الفاء» و«الواو»^(٣). وتأتى مع التراخى
في الزمان. وفي العطف تكون للترتيب أى التراخى في الرتبة. و«رويداً» اسم مصغر من
«رود» وهو المهل أى الزمان التدريجى^(٤).

و«السين» حرف يفيد المضارع والمستقبل. فلا حاضر بلا مستقبل، ولا مستقبل بلا
حاضر ضد تهمة «الماضوية»^(٥). ومنها «سوف»^(٦). ويدل على التأخير والتنفيس. وزمانه
أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف. و«قد» حرف يختص بالفعل. يعبر
عن الماضى والمضارع. التحقيق مع الماضى. والتقليل مع المضارع، والتكثير، والتوقع.
و«كاد» فعل ناقص يفيد الماضى والمضارع. ويعنى «قارب» أو «أراد»^(٧). و«كان» فعل
ناقص يدل على الماضى والانقطاع. وقد يفيد الأزل والأبد أو الحال والاستقبال أو
التأكيد. و«لات» فعل ماض بمعنى نقص بصرف النظر عن أصلها «ليس» أو «لا
النافية»^(٨). و«لا جرم» مركبة من لا النافية و«جرم» أى «كسب» أو «حق». تأتى بعدها
إن واسمها وليس فعلاً. ويفيدان معا «لابد»^(٩).

والزمان ليس فقط في الأسماء وفي الأفعال بل أيضاً في الحروف. «لم» حرف جزم
لنفي المضارع وقلبه ماضياً. و«لما» حرف جزم أيضاً لنفي المضارع وقلبه ماضياً. وتدخل
على الماضى. وقد تكون حرف استثناء. و«لما» المخففة من حرفين اللام وما النافية. و«لن»
حرف نفى ونصب واستقبال. ونفى المظنون بلن والمشكوك بلا. وقد ترد للدعاء. و«ل»
وحرف شرط في الماضى بصرف في المضارع. وترد شرطية في المستقبل، ومصدرية،

(١) البرهان ج٤/ ٢٤٧.

(٢) السابق ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٣) الإتيان ص ١٨٩، البرهان ج٤/ ٢٦٦-٢٧٠.

(٤) السابق ص ١٩٦، البرهان ج٤/ ٢٨٠.

(٥) الإتيان ج٢/ ١٩٧-١٩٨، البرهان ج٤/ ٢٨٠-٢٨١.

(٦) البرهان ج٤/ ٢٨٢-٢٨٤.

(٧) السابق ص ٢١٢-٢١٣، البرهان ج٤/ ٣٠٥-٣٠٩.

(٨) السابق ص ٢١٥-٢١٧.

(٩) السابق ص ٢٣٠-٢٣١.

وللتمنى، وللتعليل^(١). و«متى» استفهام عن الزمان^(٢). وتشير «هيهات» إلى بعد الزمان^(٣). و«أيان» هي «أى» على وزن «فعلان» وتعنى «أى وقت». وقد يكون الأصل «أى أوان». وهى مثل «متى» مع مزيد من التعظيم فى حين أن متى أشهر. وتستعمل حين التفخيم^(٤). وربما لا يأتى بعدها إلا الماضى^(٥).

وكما تدل ظروف الزمان على الزمان تدل ظروف المكان على المكان. وذلك مثل «بين» للتوسط بين شيئين^(٦). و«ثم» ظرف مكان يشير إلى المكان البعيد^(٧). و«حيث» ظرف مكان^(٨). و«دون» ظرف مكان تعنى «أدنى»، ونقيض فوق. وقد تعنى «غير»^(٩). وقد تكون اسما أو صفة. و«عند» ظرف مكان للحضور والقرب الحسين أو المعنويين^(١٠). وقد تأتى مجرورة بمن. وتلوه «لدى» و«لدى» و«وراء» و«أمام». و«هنا» اسم يشير إلى المكان القريب، و«هناك» للمكان البعيد. وقد يشار به إلى الزمان توسعا. فالمكان والزمان قرينان^(١١). و«فى» ظرف مكان. وقد يكون المكان معنويا. وقد يعنى «مع» و«عند» و«بعد» و«عن» و«من» و«إلى» و«على». وقد يأتى للتعليل. وقد تأتى للمقايسة والتوكيد. و«كأين» تعنى كم للتكثير، كناية عن العدد^(١٢).

٤- الحروف العقلية:

أ- السببية والشرط:

وتعنى الحروف العقلية الحروف التى تفيد السببية، والشرط، والغاية، والجر،

(١) الإتيان جـ ٢/ ٢٣٣-٢٣٩، البرهان جـ ٤/ ٣٨٠-٣٨٨.

(٢) السابق ص ٢٤٦.

(٣) السابق ص ٢٥٥.

(٤) البرهان جـ ٤/ ٢٥١.

(٥) السابق ص ٢٨٠.

(٦) الإتيان جـ ٢/ ١٨٧-١٨٨.

(٧) السابق ص ١٩٠، البرهان جـ ٤/ ٢٧٠.

(٨) الإتيان جـ ١/ ١٩٤-١٩٥، جـ ٤/ ٢٧٤-٢٧٦، مثل (من دونه).

(٩) السابق ص ٢٠٦-٢٠٧، البرهان جـ ٤/ ٢٩٠-٢٩٢.

(١٠) الإتيان جـ ٢ ص ٢٥٤.

(١١) البرهان جـ ٤/ ٣٠٢-٣٠٤.

(١٢) السابق ص ٣١١-٣١٢ مثل «وَكَيْفَ يَنْ قَرِيبَهُ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَوَسِيلِهِ».

والتشبيه، والنفي، والتمنى، والاستثناء، والتأكيد، والاستفهام. وكلها أفعال عقلية وراء استعمال الحروف. فأفعال اللغة أفعال عقلية تتطلب التفكير والحكم.

تفيد «إذا» السببية والشرط، الفعل والجواب، المقدمة والنتيجة. وتُضاف النون في التدوين العربي المعاصر. وتفيد الزمن الماضي. فالزمن حاو للشرط والسببية^(١). كما تفيد «إما» الشرط والتفصيل والتوكيد^(٢). وتستلزم الشرط الفاء في الجواب. وقد تكون في الأصل مركبة من «أم» المتقطعة و«ما» الاستفهامية. و«إن» أيضا شرطية. وأحيانا تفيد التعليل^(٣). وتكون بمنزلة لا. وتدخل على الجملة الاسمية وتكون مخففة من الثقيلة فتعمل في اسمها. ويلزم حيثئذ اللام. وتكون بمعنى «قد».

و«فاء» للعطف والربط والترتيب والتعقيب والاستئناف والسببية^(٤). وجزاء وزائدة. وتأتي للمهلة مثل «ثم» و«كى» للتعليل^(٥). و«كيف» للشرط والاستفهام هو الغالب^(٦). والنون للتأكيد، خفيفة لتأكيد الفعل مرتين أو شديدة لتأكيد ثلاثا.

ب- الغاية والنهاية:

و«إلى» حرف جر تفيد الغاية والنهاية في الزمان أو لدى الشخص. وقد تكون مجازا حقيقة أو مشتركة بين الحقيقة والمجاز^(٧). و«حتى» مثل «إلى»، تعنى التوجه نحو الغاية تدريجيا بعد ابتدائها. وقد تعنى التعليل أيضا مثل «كى»، والاستثناء مثل «إلا»^(٨).

ج- حروف الجر:

ويعنى حرف الجر الإلصاق مثل «الباء»، والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية

(١) الإتيان جـ ٢/ ١٥٢-١٥٥، البرهان جـ ٤/ ١٨٧-١٨٩.

(٢) السابق ص ١٦٥-١٦٦، البرهان جـ ٤/ ٢٤٢-٢٤٤.

(٣) السابق ص ١٦٧-١٧٠، البرهان جـ ٤/ ٢١٥-٢٢٢.

(٤) الإتيان ص ٢٠٩-٢١١، البرهان جـ ٤/ ٢٩٤-٣٠١.

(٥) السابق ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٦) السابق ص ٤٣٠.

(٧) الإتيان جـ ٢/ ١٦١-١٦٣، البرهان جـ ٤/ ٢٣٢-٢٣٤.

(٨) السابق ص ١٩٢-١٩٤، البرهان جـ ٤/ ٢٧٢-٣٧٣.

والمجاورة والتبغيض والغاية والمقابلة والتوكيد. وقد تأتي زائدة^(١). وقد تكون للتعديّة مقام الهمزة. وقد تستعمل للاستعانة وللمصاحبة وللظرفية وللمجاورة وللاستعلاء وللتبغيض. و«مع» تفيد الصحبة والاشتراك والاجتماع في الزمان والمكان. و«على» حرف جر تعني الاستعلاء الحسي أو المعنوي للمصاحبة والتعليل والظرفية والفوقية. و«عن» حرف جر آخر يفيد المجاوزة، والبدل، والاستعلاء، والتعليل، والفوقية مثل «على»، والجهة مثل «نحو» أو البعدية مثل «بعد»^(٢). و«في» حرف جر تفيد ظرف المكان أو الزمان. كما تفيد المصاحبة والتعليل والاستعلاء. وتفيد معاني حروف الجر الأخرى كالباء وإلى ومن ونحو. كما تعني المقايسة والتوكيد^(٣). والكاف حرف جر للتشبيه. وتدخل على «ذا» في «ذاك» كاسم إشارة^(٤). وللظرفية وللمجازاة وللاستعلاء وللتبغيض. و«مع» تفيد الصحبة والاشتراك والاجتماع في الزمان والمكان. و«مع» للمصاحبة بين أمرين، ليس بينهما صحبة ولا اشتراك إلا في حكم يجمعهما. والمعية تكون في أفعال الجوارح أو في الأفعال المعنوية^(٥). و«من» حرف جر يفيد ابتداء الغاية مكانا وزمانا، والتبغيض والتبيين والتعليل وتخصيص العموم والتأكيد^(٦). و«من» لا تكون إلا اسما، شرطية واستفهامية ونكرة موصوفة^(٧). وتأتي لعدة معاني منها: ابتداء الغاية، والغاية، والتبغيض، وبيان الجنس، والتعليل، والبدل، معنى «عن» و«الباء» و«في» و«عند»، وبمعنى الفصل، والزائدة والملابسة.

د- التشبيه:

تفيد «كأن» التشبيه المؤكد، مثل الكاف. وقد تفيد الظن، ومثل «كأين» وهو اسم مركب من كاف التشبيه و«أى» للتكثير في العدد، و«كذا» للإشارة^(٨). و«كلا» مركبة من كاف التشبيه و«لا» النافية لتقوية المعنى للردع والزجر^(٩).

(١) الإتيان جـ ٢/ ١٨٢-١٨٥، البرهان جـ ٤/ ٢٥٢-٢٥٧ مثل (وامسحوا براء وسكم).

(٢) السابق ص ٢٠١-٢٠٣، البرهان جـ ٤/ ٢٨٤-٢٨٧.

(٣) السابق ص ٢١١-٢١٢.

(٤) السابق ص ٢١٤-٢١٥، البرهان جـ ٤/ ٣١٠.

(٥) البرهان جـ ٤/ ٤٢٧-٤٢٩.

(٦) الإتيان جـ ٢/ ٢٤٧-٢٥٠، البرهان جـ ٤/ ٤١٥-٤٢٦.

(٧) السابق ص ٢٥٥-٢٥٨، البرهان جـ ٤/ ٤٣٥-٢٤٢.

(٨) الإتيان جـ ٢/ ٢١٧-٢١٨.

(٩) السابق ص ٢٢١-٢٢٢.

هـ- النفي:

و«لا» النافية. وتكون للجنس. تعمل عمل «إن» أو «ليس». وتكون لطلب الشك وهى الناهية. وقد تكون للتأكيد. وقد ترد اسما بمعنى غير. وقد تحذف ألفها^(١). و«لولا» حرف امتناع. يدخل على الجملة الاسمية. وجوابها مقرون بلام. وتكون بمعنى «هلا» للتخصيص والعرض وللتوبيخ والتنديد في المضارع. وتكون للاستفهام والنفي^(٢). ومثلها «لو ما» للتخصيص^(٣). و«ليس» فعل لنفى الحال أو للنفي العام^(٤). و«بلى» جواب على نفي قبلها، وجواب لاستفهام منفي للتصديق والإثبات. وقد تأتي بعد النفي المعنوي أو إجابة لسؤال مقدر. ولا يجوز الحذف أو الإثبات بعدها. و«لا» النافية على ستة أوجه. الأولى للنفي. وتدخل على الأسماء والأفعال. والداخلية على الأسماء عاملة وغير عاملة، تارة عمل «أن» وهى النافية للجنس، وتارة عمل ليس. وغير العاملة يُرفع الاسم بعدها ابتداء. وتارة تكون نكرة وتارة معرفة. والثانية للنهي الحاضر والغائب. وترد للدعاء. والثالثة جوابية أى رد الجواب. والرابعة بمعنى لم دخولا على الماضي. والخامسة عاطفة. والسادسة زائدة بعد العطف وأن المصدرية وقبل القسم، وأن تكون اسما^(٥). و«لا جرم» مثل لا النافية. وجرم أى حق. وقد تكون زائدة. وتعنى «لا بد»^(٦). و«لات» مثل ليس^(٧).

و- الاستثناء:

وتفيد «إلا» الاستثناء^(٨). وهو إحدى المبادئ اللغوية أيضا في علم الأصول، وقد يكون متصلا أو متقطعا. ويدل على التفرد عن القاعدة. ويأتى بمعنى «بل» وحرف

(١) الإتيان ج٢/ ٢٢٧-٢٣٠، البرهان ج٤/ ٣١١.

(٢) الإتيان ج٢/ ٢٣٩-٢٤٢، البرهان ج٤/ ٣٩٦-٣٩٧.

(٣) الإتيان ج٢/ ٢٤-٢٤٧.

(٤) البرهان ج٤/ ٢٦١-٢٦٥.

(٥) السابق ج٤/ ٣٥١-٣٦١.

(٦) السابق ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٧) السابق ص ٣٦٢.

(٨) الإتيان ج٢/ ١٥٩-١٦١، البرهان ج٤/ ٢٣٦-٢٤١.

العطف «واو» وبمعنى «غير» و«بدل»، وللحصر، ومن «أن» الشرطية. وتفيد «إما» أيضا الاختيار بين بدلين، الإبهام والتفصيل^(١). و«لكن» للاستدراك أو التوكيد^(٢). و«لكن» تفيد الاستدراك أيضا أو تكون عاطفة إذا تلاها مفرد. و«غير» تعنى «لا». وتكون حالا. وتعنى «إلا» إذا كانت استثناء^(٣).

ز- اللام:

و«اللام» جارة وناصبة وجازمة ومهمله. الجارة تفيد الاستحقاق والاختصاص والملك والتعليل، والتبليغ، والصيرورة. والناصبة للتعليل. والجازمة للطلب أو التهديد. والجازمة فعل للغائب. والمهمله غير العاملة للابتداء في المبتدأ والخبر، والجواب للقسم، والشرطية^(٤). واللام قسمان: عاملة وغير عاملة. وغير العاملة تدل على عشرة معان: معرفة، دالة على البعد، مخففة، موجبة، مؤكدة، متممة، موجهة، مسبقة، مؤذنة، مواطئة. والمعرفة معها ألف الوصل. والدالة على البعد الداخلة على أسماء الإشارة. والمخففة التي يجوز معها تخفيف إنّ وهي لام الابتداء والمفارقة وتحقق الخبر مع المبتدأ. والموجبة بمعنى «إلا». والمؤكدة الزائدة أو الكلام في المبتدأ أو مع إن في الخبر. والمتممة لتتميم الكلام. والموجهة جواب «لولا». والمسبقة جواب «لو». والمؤذنة الداخلة على أداة الشرط. والمواطئة التي وطأت الجواب للقسم. والعاملة إما جارة أو ناصبة أو جازمة. والجارة تفيد الملك المتبقى والتملك، والاختصاص، والتخصيص، والاستحقاق والولاية والتعليل والتعديّة، والتبيين، وبمعانى «إلى» و«بعد» و«على» و«في» و«عن» و«إن». وتسمى لام التبليغ. والناصبة مثل لام «كى»، ولام العاقبة بالجازمة الموضوعية للطلب. وتسمى لام الأمر. وتدخل على المضارع. وشرطها أن يكون الفعل لغير المخاطب. وتسكن بعد الواو والفاء. وتعنى التكليف، والابتهاال، والدعاء، والتهديد، والخبر. ويجوز حذفها ورفع الفعل.

(١) السابق ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) السابق ص ٢٣١-٢٣٢، البرهان ج٤/ ٣٨٩-٣٩١.

(٣) البرهان ج٤/ ٢٩٣.

(٤) السابق ج٤/ ٣٣٤-٣٥٠.

ح- الاختيار:

ويفيد «أم» الاختيار. وهو حرف عطف. يحتمل الاتصال والانقطاع^(١). و«أو» حرف عطف يفيد الشك والتردد بين حالتين، والإيهام على السامع، وإباحة عدم امتناع الجمع، والتفضيل بين الإجمال، والتقريب^(٢). وتقع «أو» في الخبر والطلب. وفي الخبر لها عدة معان: الشك والإيهام، والتنويع، والتفصيل، والإضراب، ومعنى الواو^(٣). والطلب يعنى الإباحة والتخير. و«إما» تفيد التكرار أو الشرطية مركبة من «أن» و«ما». وقد تلحق بها نون التوكيد. وقد تفيد التخير.

والسؤال هو: هل تفيد كل هذه التحليلات للحروف العقلية في التفسير؟ هل يتم فهم النص بهذا التطبيق الأولى لوظائف الحروف؟ هل تؤدي معرفة الجزء إلى اقتناص الكل؟ لا يكون التفسير إلا حدسيا إدراكا مباشرا لقصد الوحي وتوجهه وحركته في الوعي وفي العالم. غلبت هذه التحليلات اللغوية لأن الثقافة القديمة كانت ثقافة لغة. أما الآن فمعظم الناطقين بالعربية لا يتحدثون الفصحى. وإن تحدثوها فكثير منهم يلحنون. إنها ثقافة العصر العلوم الإنسانية التي تساعد على فهم وضع الإنسان في العالم^(٤).

٥- الحروف النفسية:

وتعنى الحروف النفسية الحروف التي تتضمن أفعال الشعور وليس أفعال العقل. تعبر عن بعض الانفعالات الإنسانية في علاقتها بالآخرين وبالعالم. فاللغة موقف انفعالي كما هي موقف عقلي، اتجاه سلوكي كما هي حكم منطقي. وأهم الانفعالات المذكورة في علوم القرآن: الحُص، والإبطال، والضجر، والتهديد والوعيد والذم والردع، والزجر، والندم والتعجب والتقييح، والتمنى، والتصديق، والنداء، والاستخبار، والاستفهام.

(١) الإتيان ج ٢/ ١٦٣-١٦٥.

(٢) السابق ص ١٧٥-١٧٨.

(٣) البرهان ج ٤/ ٢٠٩-٢١٤ / ٣٦٣-٣٧٥.

(٤) السابق ج ٢/ ٢٤٥-٢٤٦. مثل «إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا».

ويمكن إضافة أخرى. فالوحي يصف انفعالات الناس بالرسالة والتبليغ، بين التصديق والتكذيب، اليأس الأمل، الخوف والرجاء إلى آخر ما وصف الصوفية في المقامات والأحوال^(١).

أ- الحض:

تدل «ألا» بالفتح والتخفيف على الحض والعرض والدعوة إلى الفعل والاستفتاح. وقد تكون للاستفهام المنفى. ومثلها «ألا» بالفتح والتشديد مركبة من أن الناصبة و«لا» النافية^(٢).

ب- الإبطال:

يفيد حرف «بل» الإضراب والإبطال والتعارض بين ما قبلها وما بعدها^(٣). الإضراب عن الأول والإثبات للثاني يتلوه جملة ومفردًا.

ج- الضجر:

وتدل «أف» على الضجر والكراهة. وأصلها اسم فعل مثل كف وترك أو اسم لفعل ماضى، كرهت وتضجرت. فالفعل في الزمان أو مضارع بمعنى «أتضجر»^(٤).

د- التهديد، والوعيد، والندم، والردع، الزجر:

وتفيد «أولى» التهديد والوعيد^(٥). و«بنس» و«ساء» فعلان للذم^(٦). و«كلا» حرف ردع وزجر^(٧). وقد تعنى «حقًا». و«نعم» فعل للمدح^(٨).

(١) الإتيان جـ ٢/ ١٥٨-١٥٩، البرهان جـ ٤/ ٢٣٥-٢٣٦ مثل (ألا تعلوا على).

(٢) من الفناء إلى البقاء جـ ٢ الرعى الذاتي.

(٣) الإتيان جـ ٢/ ١٨٥، البرهان جـ ٤/ ٢٥٨-٢٦٠. مثل «أمر يقولون يوحى جنة بل جنة لهم بالعق».

(٤) الإتيان جـ ٢/ ١٥٥-١٥٦، البرهان جـ ٤/ ٢٤٨. مثل «فلا تقل لسا أني».

(٥) الإتيان جـ ٢/ ١٧٩.

(٦) السابق ص ١٨٧-١٩٩.

(٧) السابق ص ٢٥٢.

(٨) البرهان جـ ٤/ ٣١٣-٣١٦.

هـ- الندم، والتعجب، والتقييح:

«وى» «وكأن» للندم والتعجب. وأصلها «ويلك». و«ويل» للتقييح^(١).

و- التمنى:

و«لو» على خمسة أوجه: الامتناعية أو امتناعية شرطية، ومصدرية، وللتمنى^(٢). و«لولا» مركبة من «لو» «ولا». وهى على أربعة أضرب: حرف امتناع لوجوب، والتحضيض، والاستفهام، والنفى. «ولو ما» مثل «لولا»^(٣). «ولعل» للتوقع والترجى فى المحبوب، والإشفاق فى المكروه والتعليل والاستفهام^(٤). «ليت» حرف ينصب الاسم، ويرفع الخبر، ويفيد التمنى^(٥). وعسى يعبر عن التمنى «عسى». وهو فعل جامد أو حرف. فإن كان فعلا فهو ماضى اللفظ مستقبل المعنى لأنه إخبار عن طمع^(٦).

ز- النداء:

«يا» لنداء البعيد والقريب إذا كان ساهيا أو غافلا. فالخطاب نداء. والوحي توجه مباشر نحو المتلقى. والرسالة إيقاظ وتنبيه^(٧).

ح- الاستخبار:

الاستخبار هو طلب الخبر بمعنى الاستفهام أى طلب الفهم. وفوائده السؤال وطلب المعرفة والبحث عن اليقين. والسؤال قبل الواجب كما هو الحال فى «أسباب النزول». وقد استطع السائل أن يجيب بنفسه دون حاجة إلى مسئول. وهو قسمان: الخبر والإنشاء. الخبر نفى وإثبات. وفى حالة الإثبات يسمى استفهام تقرير، وفى النفى يسمى استفهام إنكار.

(١) الإتيان جـ ٢/ ٢٥٨-٢٥٩، البرهان جـ ٤/ ٤٤٣-٤٤٤.

(٢) البرهان جـ ٤/ ٣٦٣-٣٧٥.

(٣) السابق ص ٣٧٦-٣٨٠.

(٤) الإتيان جـ ٢/ ٢٣٢-٢٣٣، البرهان جـ ٤/ ٣٩٢-٣٩٥.

(٥) السابق ص ٢٤١.

(٦) الإتيان جـ ٢/ ٢٠٣-٢٠٦، البرهان جـ ٤/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٧) البرهان جـ ٤/ ٤٤٥-٤٤٦.

وقد يتضمن الإثبات الافتخار أو التوبيخ أو العقاب أو التبكيت أو التسوية أو التعظيم أو التهويل أو التسهيل والتخفيف أو التكثير أو الاسترشاد. وقد يكون الجحد بين الكلامين إخباراً^(١). وقد يكون هدف الإنكار تعريف المخاطب أن الادعاء ممتنع عليه وليس من قدرته.

ط - الاستفهام:

والخطاب سؤال وجواب، استفهام ورد. وتقوم الهمزة بهذا الدور. الاستفهام طلب الإلهام، والتصور والتصديق أى المعرفة بالحدود. كما تعبر عن هواجس النفس وخواطرها تسأل من الإثبات والنفى، وعن العاطف والمعطوف، وعن الشرط والمنادى. فالهمزة توحى بمعان عديدة، وتسمح بتعدد التأويلات، وليست معنى واحداً، يوحى باتجاه واحد. فلا يوجد سؤال له إجابة واحدة^(٢). وتجمع «أى» بين الاستفهام والشرط^(٣). «وأيان» اسم استفهام مثل «متى». تستعمل في التفتيح، «وأيان» استفهام عن المكان. «وبلى» جواب على استفهام بالإثبات عن طريق نفى النفى^(٤). «وكم» للاستفهام. وتستعمل خبرية بمعنى كثير^(٥). وهى نكرة لا تعرف، مبهمة فى العدد. وتعنى «أين» فى الأمكنة، «ومتى» فى الأزمنة، «وكيف» فى الأحوال، مفردة اللفظ وتعنى الجمع.

«وما» اسم موصول واستفهامية وشرطية وتعجبية، ونكرة موصوفة وغير موصوفة، ومصدرية، ونافية عاملة أو غير عاملة، وزائدة للتوكيد، «وماذا» استفهام وإشارة^(٦). وهل حرف استفهام يطلب به التصديق لا التصور^(٧). وتدخل الهمزة على «الواو» «والفاء» «وثم» «وهل». وتدخل على «رأيت». وتدخل على «لم». «وأم» حرف عطف واستفهام^(٨).

(١) البرهان ج٢/ ٣٢٦-٣٥١.

(٢) الإتيان ج٢/ ١٤١-١٤٣، البرهان ج٤/ ١٧٨.

(٣) السابق ص ١٨٠-١٨٢.

(٤) السابق ص ١٨٦-١٨٧.

(٥) السابق ص ٢٢٢-٢٢٣، البرهان ج٤/ ٣٢٨-٣٢٩.

(٦) الإتيان ج٢/ ٢٤٢-٢٤٦.

(٧) السابق ص ٢٥٣.

(٨) البرهان ج٤/ ١٧٨-١٨٦.

وقد يجمع الاستفهام الإنكار والتقرير^(١). واستفهام التقرير هو حمل المخاطب على الإقرار، وهو استفهام إنكار، وقد يأتي الاستفهام بمعنى الإنشاء. وينقسم إلى طلب، ونهى، وتحذير، وتذكير، وتنبيه، وترغيب، وتمن، ودعاء، وعرض، وتحضيض، واستبكاء، وإياس، وإيناس، وتهكم، واستهزاء، وتحقير وتعجب، واستبعاد، وتوبيخ^(٢).

واستفهام الإنكار لا يكون إلا على ماض^(٣). وحروف الاستفهام ثلاثة الهمزة، وهل، وأم. وغيرها أسماء استفهام مثل «من»، «متى»، «أين»، «أنى»، «كيف»، «كم»، «أيان». ولكل حرف خصائصه ووظيفته^(٤). «وكيف» استفهام عن حال الشيء لا عن ذاته كما أن «ما» سؤال عن حقيقة، «ومن» عن شخصاته. لذلك لا يستعمل في السؤال عن «الله». ومنزلتها كالظرف. وقد تدل على ثلاثة أحوال: السؤال عن الحال، والحال دون السؤال، والتعجب. وقد يأتي للنفي والإنكار والتوبيخ، والتحذير، والتنبيه والاعتبار، وللتأكيد وتحقيق ما قبلها، وللتعظيم والتهويل. ونظرا لأنها تفيد الجحد شاع بعدها «ألا» وقد تحىء مصدرا وظرفا. وقد يثبت لها شرط. وقد يحذف الفعل بعدها^(٥). «وهل» للاستفهام. وتأتى بمعنى «ما» «وألا» والأمر، والسؤال، والتمنى، وأدعوك^(٦). وقد يعنى الاستفهام النفي^(٧). وقد تكون الإجابة على السؤال لتخصيص الموضع أو النسبة.

ى- التصديق:

وتفيد «إى» تصديق المخبر وإعلام المستخبر. وتقع بعد القسم أو الاستفهام^(٨). «ونعم» حرف جواب، تصديق للمخبر، ووعد للطالب، وإعلام للمستخبر^(٩).

(١) السابق ج٢/ ٣٤٤-٣٤٦.

(٢) مثل (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام).

(٣) السابق ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) السابق ص ٣٤٧.

(٥) السابق ج٤/ ٣٣٠-٣٣٣.

(٦) السابق ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٧) السابق ج٤/ ٧٤-٧٧. مثل (فمن أظلم من افترى على الله كذبا).

(٨) الإتيان ج٢/ ١٨٠، البرهان ج٤/ ٢٥١.

(٩) الإتيان ج٢/ ص ٢٥٢.

والتصديق أحد حروف الانفعال مع الضجر والإبطال والحض والتهديد والوعيد والروع والزجر. وليس هو الفعل الأول كما هو حادث في الحياة المعاصرة.

ك- التنوين:

وهو بالصوت لا بالخط. مجرد موسيقى للتأثير دون تمييز بين أفعال الشعور وحروف الانفعالات. فاللغة صوت. والصوت موسيقى. والموسيقى نغم. والنغم يؤثر في النفس، وأفضل حامل للمعنى. لذلك تم الحديث عن موسيقى القرآن وموسيقى الشعر^(١).

٦- الضمائر:

في القرآن خمسة وعشرون ضميرا متصلا ومنفصلا^(٢). ويرجع الضمير إلى مرجع يعود إليه. ويعود إلى أقرب مذكور. فالأصل أن يقدم ما يدل عليه الضمير. إذ يعود ضمير الغيبة إلى شيء سبق ذكره في اللفظ بالمطابقة أو أن يعود على مذكور في سياق الكلام، مؤخر في الكلام مقدم في النية أو أن يدل اللفظ على صاحب الضمير بالتضمن أو بالالتزام أو السياق^(٣).

والأصل توافق الضمائر حذرا من التشيت. وجمع العلاقات لا يعود عليه الضمير إلا بصيغة الجمع^(٤). ويدل بالجزء على الكل^(٥). والضمير لا يعود إلا على مشاهد محسوس^(٦).

والعدول إلى الضمائر له أسبابه منها: الاختصار، والفخامة، والتحقيق^(٧). وضمير الشأن أو القصة هو ضمير المجهول. قد يعود إلى ما بعده ولا يكون مفسره إلا جملة.

(١) السابق ص ٢٥١-٢٥٢.

(٢) الإتيان ج ٢/ ٢٨١-٣٢٣. وألف ابن الانباري «الضمائر في القرآن» في مجلدين، السابق ص ٢٨١. البرهان ج ٤/ ٢٤-٤٢.

(٣) البرهان ج ٤/ ٢٥-٢٩/ ٣٩-٤٠.

(٤) الإتيان ص ٢٨٧.

(٥) البرهان ج ٤/ ٤٠-٤١ مثل «لَا عِشَّةَ أَوْضَحَهَا».

(٦) السابق ص ٤٢ مثل «وَإِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَاسْتَأْذِنُوا لَكُمْ لَكُنْ فَيَكُونُ».

(٧) البرهان ج ٤/ ٢٤-٢٥.

ولا يتبع بتابع. ولا يعمل فيه إلا الابتداء أو النسخ، وهو ملازم للأفراد، ولا يُحمل كلية^(١). والفرق بينه وبين ضمير الفصل أن الفصل يكون على ضمير الغائب والمتكلم والمخاطب. فقد يأتي الضمير متصلاً بشيء وهو كغيره^(٢). وإذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ أو المعنى يبدأ باللفظ ثم بالمعنى^(٣). والضمير لا يكون إلا بعد الظاهر لفظاً أو مرتبة أو لفظاً ومرتبة. ولا يكون قبله إلا في أبواب ضمير الشأن والقصة.

وقد يعود الضمير على شيء والمراد به جنسه^(٤). وقد يذكر شيان ويعود الضمير إلى أحدهما^(٥). وقد يذكر شيان ويعود الضمير إليهما جمعاً لأن الاثنين جمع في المعنى^(٦). وقد يشئ الضمير ويعود إلى أحد المذكورين^(٧). وإذا اجتمعت ضمائر فإن عودها لواحد أولى من عودها لمختلف^(٨). وإذا عطف «أو» يُفرد الضمير^(٩). وقد تسد مسد الضمير أمور منها: الإشارة، والألف واللام، والاسم الظاهر^(١٠). ويجوز حذف الضمير للعلم به^(١١).

و «أياً» ضمير^(١٢) والضمير هو الشخص، المتكلم أو المخاطب أو الغائب. «ومهما» اسم يعود الضمير عليه للتأكيد. «النون» اسم ضمير النسوة لتفرد النساء. وهى غير نون التوكيد^(١٣). «والهاء» اسم ضمير الغائب. «وها» اسم فعل بمعنى «خذ»، واسم ضمير

(١) الإتيان جـ ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، البرهان جـ ٤/ ٢٩-٣٠.

(٢) البرهان جـ ٤/ ٣٣-٣٥ مثل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٥) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُفُفًا ﴿١٦﴾.

(٣) الإتيان جـ ٢/ ٢٨٨-٢٨٩. مثل ﴿فَنِيصًا مِّنْ﴾.

(٤) البرهان جـ ٤/ ٣٠ مثل ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَتَيْنَ بِهِمَا﴾.

(٥) السابق ص ٣٠-٣٢ مثل ﴿وَأَسْمِعُوا بِالْحَبْرِ وَالصَّلَاةِ وَأَتَائِهَا الْكِبَرَةَ﴾.

(٦) السابق ص ٣٢ مثل ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾.

(٧) السابق ص ٣٢ مثل ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثْقُ وَالْعِزَّةُ﴾.

(٨) السابق ص ٣٥-٣٨ مثل ﴿أَنْ تَقِيَهُ فِي النَّارِ﴾.

(٩) السابق ص ٤٠. مثل ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَتَيْنَ بِهِمَا﴾.

(١٠) السابق جـ ٤/ ٣٨-٣٩.

(١١) السابق ص ٤١. مثل ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾.

(١٢) الإتيان جـ ٢/ ١٨١.

(١٣) السابق ص ٢٥٠.

للمؤنث، وحرف تنبيه للإشارة^(١).

٧- قواعد التفسير:

ويحتاج المفسر إلى عدة قواعد مثل^(٢):

أ- قاعدة الضمائر:

فالضمير له مرجع يعود إليه يكون الأقرب إليه مع توافق الضمائر، والمطابقة لما قبله. وضمير المجهول هو ضمير الشأن والقصة، ولا يعود الضمير على جمع العاقلات. ويراعى اللفظ قبل المعنى، وليس المعنى قبل اللفظ.

ب- قاعدة التذكير والتأنيث:

التأنيث نوعان: الأول حقيقي لا تحذف فيه تاء التأنيث إلا إذا وقع فيه فصل. والثاني غير حقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن^(٣). ومن قواعد التذكير والتأنيث، أن التأنيث ضربان: حقيقي لا تحذف تاؤه إلا إن وقع فصل، وغير الحقيقي الحذف فيه مع الفصل أفضل^(٤). ويذكر المؤنث ويذكر المذكر مما يدل على أن الفصل بينهما فصل إجرائي. والتذكير أجود طبقاً للثقافة الذكورية القديمة. وضابط التأنيث حقيقي وغير حقيقي. فالحقيقي لا يحذف. وغير الحقيقي يحذف^(٥).

ج- قاعدة التعريف والتكثير:

وأسباب التكثير إرادة الوحدة، وإرادة النوع، والتعظيم، والتكثير، والتحقيق، والتقليل. وإذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال: أما أن يكونا معرفتين أو نكرتين أو

(١) السابق ص ٢٥٢-٢٥٣، البرهان ج٤/ ٤٣١-٤٣٢.

(٢) في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها، الإتيان ج٢/ ٢٨١-٣٢٣.

(٣) السابق ص ٢٨٩-٢٩١.

(٤) الإتيان ج١/ ٢٨٩-٢٩١.

(٥) البرهان ج٣/ ٣٥٩-٣٧١.

الأول نكرة والثاني معرفة أو العكس^(١). وفي القرآن تعريف وتنكير^(٢). يدل التنكير على الأعلى والأولى. وللتعريف أيضا دلالة على الإضمار، والعلمية، والتعظيم، أو الإهانة، والإشارة، والتعريض، والتحقير، والتنبيه، والموصولية، والاختصار، والإضافة، ولقصد العموم. وقد يذكر الاسم مرتين، معرفتين أو نكرتين أو نكرة ومعرفة أو معرفة ونكرة^(٣). وللتعريف أسباب منها الإشارة إلى معهود خارجي أو ذهني أو الجنس أو الحقيقة.

د- قاعدة الإفراد والجمع^(٤):

ومن ألفاظ الجمع ما لا واحد له^(٥). ومن ألفاظ المفرد ما لا جمع له. وتتقضى مقابلة الجمع بالجمع مقابلة الفرد بالفرد.

هـ- قاعدة الألفاظ:

يظن بها الترادف وليست منه مثل الخوف والخشية. الخشية أشد من الخوف. والشح والبخل والشح أشد. والبخل والظن، البخل بالشئ والظن بالعلم. والسبيل والطريق والأول أغلب. وجاء وأتى، الأول حسي والثاني معنوي. ومد وأمد، الأول في المكروه والثاني في المحبوب. وسقى وأسقى، الأول ما لا كلفة فيه، والثاني ما به كلفة. وعمل وفعل، الأول إمتداد في الزمان. والعود والجلوس، الأول به لبث. والتمام والكمال، الأول لإزالة النقص في الأصل، والثاني في العوارض. والإعطاء والإيتاء، والإيتاء أقوى. والسنة والعام، السنة الحول الذي فيه الشدة والجذب، والعام ما فيه الرخاء والخصب^(٦).

(١) الإتيان ج ٢/ ٢٩١-٢٩٩.

(٢) السابق ص ٢٩١-٢٩٩، البرهان ج ٤/ ٨٧-٩٣.

(٣) البرهان ج ٤/ ٩٣-١٠١.

(٤) الإتيان ج ٢/ ٢٩٩-٣٠٦.

(٥) مثل: المن، السلوى، الهدى، أبييل.

(٦) الإتيان ج ٢/ ٣٠٦-٣١٠.

و- قاعدة السؤال والجواب:

وهي مطابقة الجواب للسؤال وإلا فالإجابة بعيدة عن السؤال. توحى بكيفية وضع السؤال مثل السؤال عن النظر والجواب بالعمل، والزيادة في الجواب. وقد يُعدل عن الجواب. وقد يعاد نفس السؤال. والأصل مشاكلة الجواب للسؤال في الصياغة. والأسئلة القليلة أفضل من الكثيرة^(١).

ز- الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل:

يدل الاسم على الثبوت والاستمرار، ويدل الفعل على التجدد والحدوث. والتجدد في الماضي، وفي المضارع^(٢). وقد يكون الخطاب بالاسم وقد يكون بالفعل^(٣). يدل الاسم على الثبوت والاستقرار، ويدل الفعل على التجدد والحدوث. والتجدد في الماضي يعنى الحصول، وفي المضارع التكرار. ومضمرة الفعل كمظهره. قد يجيء الاسم والفعل على التبادل. والجملة الاسمية أثبت من الفعلية. ومضمرة الفعل كمظهره في إفادة الحدوث^(٤).

ح- قاعدة المصدر:

الواجبات تأتي بالمصدر مرفوعاً^(٥). وحرفها «أن» حرفاً مصدرياً ناصباً للفعل المضارع وتقع مبتدأً وفاعلاً ومفعولاً ومضافاً إليه. وتقع بعد عسى. وقد تكون مخففة من الثقيلة فتقع بعد فعل اليقين، وتسمى ضمير الشأن. وتكون مفسرة بمعنى «أى» لتفسير ما قبلها بشرط تمام الجملة. وقد تكون زائدة بعد «لما» التوقيتية. وقد تكون شرطية، ونافية بمعنى لا. وقد تكون للتعليل، وبمعنى «إذ» مع الماضي.

(١) السابق ص ٣١٠-٣١٦، انظر مقالنا: «فلسفة السؤال»، هموم الفكر والوطن ج٢ الفكر العربى المعاصر ط ١ ص ٧-٢٩.

(٢) الإتيان ج٢/ ٣١٦-٣١٩.

(٣) السابق ص ٣١٦-٣١٩، البرهان ج٤/ ٦-٧٢.

(٤) البرهان ج٤ ص ٣٧١.

(٥) الإتيان ج٢ ص ٣١٩، البرهان ج٤/ ٢٢٣-٢٢٨.

ط - قاعدة العطف:

العطف عطف على اللفظ، وعطف المحل، وعطف التوهم. ولا يُعطف الخبر على الإنشاء أو الاسمية على الفعلية، أو معمولى عاملين أو الضمير المجرور من غير إعادة الجار^(١). «وأم» حرف عطف نائب عن تكرير الاسم والفعل مثل «أو». يتقدمها استفهام^(٢). الإتيان بالمصدر مرفوعا على سبيل الواجبات^(٣).

٨ - شروط المفسر:

يُفسر القرآن بالقرآن^(٤). فالتفسير لفهم كما هو الحال في أى نص من العلوم الرياضية أو الطبيعية^(٥). ميزته الالتزام بالنص. وخطورته الوقوع في التفسير الحرفي. وهو التفسير بالسياق الكلى أو تفسير الجزء بالكل. وعند القدماء هو التفسير بالمنقول وليس بالمعقول، بالرواية وليس بالدراية^(٦). التفسير مضطر إلى النقل وهو الأكثر. والثاني يعتمد على العقل وهو الأقل. وقد ترد تفاسير عن الصحابة بقراءة مخصوصة^(٧). فالمنقول اختيار. ولا يخلو من معقول. ولا يمكن في تفسير المتشابه الاعتماد على المنقول وحده لأن اللفظ يتردد بين معنيين^(٨). وكيف يتم التفسير بالنقل وحده حتى نقل مباحث الألفاظ؟ لذلك يحدث رد الفعل على ضرورة التفسير بالرأى. وكيف يتم النقل عن المفسرين السابقين والمحدثون مثلهم، رأيا برأى واجتهادا باجتهاد؟^(٩). وقد يحتاج كل تفسير منقول إلى تفسير، وكل تفسير إلى تفسير إلى ما لا نهاية. ومن ثم لزم العودة إلى التفسير بالرأى، التفسير بالمعقول، والتفسير بالواقع، والتفسير بالتجربة الذاتية.

(١) السابق ص ٣١٩-٣٢٣.

(٢) البرهان ج٤/ ١٨٠-١٨٦.

(٣) الإتيان ج٢/ ٣١٩.

(٤) الإتيان ج٤/ ١٧٤-٢٠١، البرهان ج٢/ ١٧٥-١٧٦، وقد ألف فيها ابن الجوزى.

(٥) السابق ص ١٧٤-١٧٦.

(٦) السابق ص ١٩٢-١٩٣، وقد ألف السيوطى في التفسير بالمنقول «ترجمان القرآن».

(٧) وألف فيه السيوطى «أسرار التنزيل»، السابق ص ١٩٣-١٩٤.

(٨) السابق ص ١٩٤.

(٩) البرهان ج٢/ ١٧١-١٧٢/ ١٨٠.

ومأخذ أى مصادر أو مناهج للتفسير أربعة:

أ- النقل عن النبی مع خطورة تدخل الضعیف والموضوع خاصة فی المغازی والملاحم والتفسیر.

ب- الأخذ بقول الصحابی المرفوع عن النبی. وهی رواية لا رأیا. به مخاطر النقل. وإذا كان منقولاً عن التابعی تزداد هذه المخاطر. وقد یضاف إلیهم التابعون إلی ما لا نهاية حتی طبقات المفسرین بالرغم من أخطار النقل.

ج- الأخذ بمطلق اللغة. فالقرآن بلسان عربی. ویكون التفسیر طبقاً لألفاظ اللغة العربیة.

د- التفسیر بمقتضى معانى الكلام والمقتضب من قوة الشرع. وهو الذى دعا إلیه الرسول بتفهیم الدین وتعلیم التأویل. فالقرآن ذو وجوه یحمل علی أحسنها^(١). وهو عود إلی المصدر الأول.

طبقاً للمصدر الرابع یمکن التفسیر بالاستنباط والاستدلال إذا تعددت معانى اللفظ مثل «الصراط» بین الحقیقة والمجاز، بین المعنى الحسى والمعنى العقلی. ومیزته حرية الحركة من أجل المحافظة علی المعانى الكلية للقرآن. فاللغة لیست فقط لفظاً بل معنى. وأصل الوقوف علی معانى القرآن التدبر والتفکر. وعیبه تعدد التفسیرات طبقاً للمفسرین. وقد یمسح لبعض أصحاب الأهواء الخلط بین الرأى والهوى وهو تفسیر المتكلمین، لیس المعتزلة وحدهم ولكن الفرق جمیعاً دفاعاً عن عقائدها. وتضرب الأمثلة من تفسیرات فرق المعارضة وحدها وعلی رأسها المعتزلة التى مازالت باقية ضمن فرق أهل السنة^(٢). والتفسیر بالرأى قد یؤدى عند الفقهاء إلی خمسة مخاطر: الأول التفسیر من غیر حصول العلوم. وهو تفسیر صوری فارغ. والثانى تفسیر المتشابه الذى لا یعلمه إلا الله، وهو نفى للمعرفة الإنسانیة وغلق لباب الفهم والاجتهاد. والثالث التفسیر اعتماداً علی المذهب أو الفرقة بحیث یمكن هو الأصل والتفسیر تابع، وبالتالي رد الأصل

(١) الإثنان جـ ٤/ ١٨٠-١٨٥، البرهان جـ ٢/ ١٥٦-١٦٤/ ١٧٢.

(٢) الإثنان جـ ٤/ ١٧٦-١٨٠، البرهان جـ ٢/ ١٨٠-١٨١.

إلى الفرع. والرابع القطع بأن هذا التفسير هو مراد الله دون دليل. والخامس التفسير بالهوى وليس بالرأى والاستحسان طبقاً للمصالح العامة^(١). وهى ليست مخاطر بل هو واقع إنسانى، الحوامل الذاتية للوحى. ولماذا استبعاد التفسير بالرأى؟ لا يعنى الرأى الهوى أو وجهة النظر الخاصة بل التجربة البشرية العامة الفردية والجماعية والمطرودة عبر الزمان^(٢). والقرآن له وجوه عدة طبقاً لتعدد المواقف^(٣). يحتاج إلى اختيار أحدها. وهو ما لا يتم إلا بالعقل والمصلحة أى الرأى. وهذا هو أحد معانى التشابه، ووظيفة الرأى تحويله إلى محكم.

وهناك عدة وسائل لإيضاح المعنى حين الإشكال مثل رد الكلمة إلى ضدها أو إلى نظيرها والتمييز بين الخبر والشرط أو صيغة كلامية أخرى، ودلالة السياق، والنقل عن المعنى الأصلى، ومعرفة أسباب النزول، والسلامة من التدافع^(٤). وعلى المفسر أن يعرف قواعد أصول الفقه فيما يتعلق بمباحث الألفاظ^(٥). فالرأى ليس مجرد هوى شخصى بل له منطق محكم. ويمنع من الوقوع فى غرائب التفسير، وهو التفسير البعيد الشئى التارىخى الحرفى الخاص القائم على الأهواء^(٦).

ولا يمكن استبعاد تفسير الصوفية^(٧). وهو التفسير الإرشادى أو الباطنى أى التأويل اعتماداً على فتاوى بعض الفقهاء. فهناك مستويات لفهم المعنى، الظاهر والباطن، طبقاً

(١) الإتقان ج٤/ ١٩١.

(٢) البرهان ج٢/ ١٦١-١٦٤، وهو معنى قول الرسول «من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ»، «ومن قال فى القرآن برأيه فقد كفر».

(٣) وهناك أحاديث عن الرسول فى هذا المعنى مثل «القرآن ذو وجوه محتملة فاحلوه على أحسن وجوهه».

(٤) السابق ج٢/ ١٩٩-٢٠٥.

(٥) السابق ج٢/ ٦-٩.

(٦) وذلك مثل تفسير (حم عسق) إن الحاء حرب على ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفينانية، والقاف قدوة المهدي. وتفسير (الم) أن ألف الله الذى بعث محمداً، واللام لامة الجاحدون وأنكروه، والميم المنكرون، وتفسر (القصاص) بأنه القصص، وتفسير (ليطمنن قلبى) أن إبراهيم كان له صديق وصفه له قلبه، وتفسير (ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به) أنه الحب والعشق، وتفسير (من شر غاسق إذا وقب) أنه الذكر إذا انتصب، وتفسير (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون) الشجر الأخضر إبراهيم، والنار نور محمد، «وتوقدون» أى تقتبسون الدين، الإتقان ج٢/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٧) الإتقان ج٤/ ١٩٤-١٩٨، البرهان ج٢/ ١٧٠-١٧١.

لدرجة المعرفة لدى المفسر^(١). وإرجاع الباطن إلى الظاهر هو إلغاء الباطن، عودا إلى الظاهر^(٢). والعمل لا يعنى العود إلى الظاهر وإلا تحول القرآن إلى مجموعة من العبادات والشعائر والأحكام الصورية الشرعية مع أن الفقه أخلاق^(٣). فالعمل أيضا نوعان، أعمال الجوارح وأعمال القلوب. الظاهر اللفظ عند الفقهاء، والباطن التأويل عند الصوفية. الظاهر التلاوة، والباطن الفهم. تتعدد وجوه النص مما يحتاج إلى تأويل^(٤). يحتاج فهم القرآن إلى تثوير أى إلى فهم وتأويل^(٥). والتثوير اليوم هو تحريك العقول والأذهان والنفوس والضمائر على التحرك وتغيير الوضع القائم إلى ما هو أفضل. وتفسير الصوفية مواجيد وكشوفات تتجاوز الألفاظ إلى الحدوس المباشرة، «عن قلبي عن ربي أنه قال». التفسير هو المطابقة بين النص وتجربة المفسر الذاتية^(٦). وقد يستنبط الحكم من السكوت عن شيء. تكفى الإشارة بالمنطوق به إلى المسكوت عنه^(٧). وينقسم القرآن إلى ما هو بين نفسه فلا يحتاج إلى تفسير. يكفى الإدراك المباشر وما ليس مبينا بنفسه فيحتاج إلى تفسير. فالتفسير خطوة ثانية وليست أولى. والأمثلة على ذلك كثيرة^(٨). وما يحتاج إلى بيان قد يكون بيانه في آية أخرى مضمرا فيها إما بحذف أو بإجمال. وقد يكون اللفظ مقتضيا لأمر ويحمل غيره. وقد يكون اللفظ محتملا لمعنيين في موضع ويعين في موضع آخر. وقد يكون له ظاهر وباطن^(٩).

والتفسير على أربعة وجوه: الأول وجه تعرفه العرب من كلامها. والثاني تفسير

(١) وذلك مثل ابن الصلاح والواحدى والنسفى والتفتازانى.

(٢) وهو معنى حديث «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع» أو «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع»، أو «القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد»، الإتيان جـ٤/١٩٦.

(٣) من الفناء إلى البقاء جـ٢/ التصوف الذاتى.

(٤) قال بعض القدماء «لكل آية ستون ألف فهم»، الإتيان جـ٤/١٩٧، وروى ابن أبى حمزة عن على «لو شئت أن أقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت»، السابق ص ٢٠٠-٢٠١.

(٥) قال عبد الله بن مسعود «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، السابق ص ١٩٧.

(٦) البرهان جـ٢/١٧٦.

(٧) السابق جـ٢/١٨٢-١٨٣.

(٨) السابق جـ٢/١٨٣-١٩٦.

(٩) السابق ص ١٩٦.

لا يُعذر أحد بجهالته. والثالث تفسير يعرفه العلماء. والرابع تفسير لا يعرفه إلا الله. وهو معنى حديث «أنزل الله القرآن على أربعة أحرف». الأول تعرفه العرب. والثاني الفرائض، الحلال والحرام. والثالث يعرفه العلماء. والرابع هو المتشابه. الأول تعرفه العرب من لسانهم، لفظاً ومعنى. الثاني الشرائع والأحكام. والثالث اجتهاد العلماء وتأويلهم واستنباط المعاني وكل لفظ يحتمل معنيين. والرابع علم الغيب مثل قيام الساعة وتفسير الروح والحروف في أوائل السور والمتشابه حيث يتوقف المفسر فيها وهي الموضوعات المتعالية التي تخرج عن نطاق الحس^(١). وكل لفظ يحتمل معنيين، موضوع الاجتهاد والعلماء. إما أن يكون أحدهما أظهر من الآخر، أو أن يكون الاثنان جليين سواء اختلف أصل الحقيقة فيها أم لا، وإذا اختلفا يمكن اجتماعهما أم لا؟ والقول بالرأى على قسمين: تفسير اللفظ لاحتياج المفسر له أو حمل اللفظ المحتمل على أحد معنيين^(٢).

ولا يوجد تكرار في القرآن بل التعبير عن أوجه المعنى^(٣). وهو أحد أسباب ضرورة التفسير الموضوعي للقرآن^(٤). كما لا توجد ألفاظ مترادفة. فكل لفظ مترادف له أحد جوانب خصوصية المعنى.

يبدأ المفسر بعلم اللغة، مباحث الألفاظ، ثم علاقة الألفاظ بالمعاني، وعلم التصريف وهو الصيغ الدالة على المعاني، وعلم الاشتقاق ورد الأصول إلى الفروع. ثم تأتي علوم التركيب مثل الإعراب، وأساليب البلاغة، وعلم البيان وما يتعلق بالحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وعلم البديع وما يتعلق بالفصاحة اللفظية والمعنوية^(٥). وعلى المفسر أن يتحرى مطابقة تفسيره للغة دون زيادة أو نقصان، والفرقة بين الحقيقة والمجاز وباقي مباحث الألفاظ مع أساليب البيان وفنون البلاغة. وعليه أن يعرف كل الحوامل الموضوعية للوحي مثل المكان والزمان وأسباب النزول، والحوامل

(١) الإتيان جـ٤/ ١٨٨-١٩١، البرهان جـ٢/ ١٦٤-١٦٨.

(٢) البرهان جـ٢/ ١٦٨-١٦٩.

(٣) الإتيان جـ٤/ ١٩٩.

(٤) Method of the thematic interpretation: Islam in the modern world. I:pp 484509.

(٥) البرهان جـ٢/ ١٧٣-١٧٤.

الموضوعية الذاتية مثل الرواية، شفاها وتدوينا وقراءة، والحوامل الذاتية اللغوية مثل اللفظ والمعنى وفنون البلاغة ومناهج التفسير^(١). ومن أوجه الزيادة عندما يحكى المفسر عن الله ويقول «حكى الله تعالى» ويصنع تفسيره وكأنه هو المتحدث باسم الله وليس رأيه وتفسيره وفهمه^(٢).

ويحتاج المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم^(٣). وأولها علوم اللغة. فالعبادات للعموم وهي للسمع، والإشارات للخصوص وهي للعقل، واللطائف للأولياء وهي المشاهد، والحقائق للأنبياء وهي للاستسلام. ولكل علم ظاهر وباطن، حد ومطلع. الظاهر للتلاوة، والباطن للفهم. والحد لأحكام الحلال والحرام أى الفعل والسلوك. والمطلع أى الإشراف، الوعد والوعيد، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين. ويكون على قدر الاستطاعة. وتثوير القرآن هو تحويله إلى تجربة ذاتية، ونقله من مستوى النص إلى مستوى التجربة^(٤). وعند الصوفية العلوم لا حدود لها. فلكل آية ستون ألف فهم، ويحتوى القرآن على سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم. إذ لكل كلمة علم، ثم يتضاعف إلى أربعة. وهي ليست علوما داخلية فى الذات والصفات والأفعال بل هى علوم إنسانية خالصة، يسميها الصوفية علوم المكاشفات.

ويحتاج المفسر إلى عدة علوم مثل اللغة لشرح مفردات الألفاظ، والنحو لتغير المعنى بتغير الإعراب، والتصريف لمعرفة الأبنية والصيغ، والاشتقاق للفصل بين المعنيين المتضادين، والمعانى والبيان والبديع لمعرفة خواص تركيب الكلام من حيث إفادة المعنى ووضوحه وخفائه وتحسين وجوه الكلام وهي علوم البلاغة لمعرفة أوجه الإعجاز، وعلم القراءات لمعرفة كيفية النطق بالقرآن، وعلم أصول الدين للحفاظ على قواعد العقائد، وعلم أصول الفقه لمعرفة أوجه الاستدلال على الأحكام واستنباط عللها، وأسباب النزول والقصص لمعرفة صلة الآية بالواقع، والجواب بالسؤال، والناسخ

(١) الإتيان ج٤/ ١٩٨-١٩٩، البرهان ج٢/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) البرهان ج٢/ ١٧٧-١٧٨.

(٣) البرهان ج٢/ ١٥٣-٢٥٦.

(٤) وهو معنى قول ابن مسعود «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، السابق ص ١٥٤.

والمُنسوخ لمعرفة عامل الزمان وأثره في تطور الأحكام، والفقه لمعرفة أحكام الشرع، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وأخيراً علم الموهبة الذي يورثه الله لمن عمل بما علم، وهو ما يركز عليه الصوفية^(١). وهى علوم تجمع بين العلوم النقلية العقلية كعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم التصوف ودون علوم الحكمة، والعلوم النقلية الخالصة كالحديث والفقه ودون علوم السيرة ودون العلوم العقلية الخالصة كالحساب أو الطبيعة الخالصة كالطب، والعلوم اللغوية التى تستحوذ على نصف العلوم^(٢). لذلك لا يفرق المفسر في علوم اللغة والفقه والعقائد حتى لا يرد التفسير إليها^(٣).

وقد تقسم علوم القرآن إلى ثلاثة علوم. الأول علم لم يُطلع الله عليه أحدا من خلقه واستأثر به. وهو خارج أقسام العلوم الإنسانية. فما فائدة علم لا يعرفه البشر؟ وهل الله يستأثر بعلم وهو يبلغ رسالته، ويرسل رسلا؟ الثانى ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختص به مثل أوائل السور. وهو أقرب إلى القسم الأول. وما فائدة علم لا يستأثر به الرسول ولا يبلغه للناس ﴿يَتَأْتِيَا الرَّسُولُ بِلَغٍّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. والثالث علوم علمها الله للنبي من المعاني الكلية والخفية لتعليمها وهو قسمان: الأول لا يجوز الكلام فيه إلا عن طريق السمع مثل أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات والقصص وأُمور المعاد. والثانى ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، إما تأويل الآيات المتشابهة فى الصفات، وهو ما عليه خلاف، وإما استنباط الأحكام الشرعية قياساً أو بلاغة^(٤). ولا يعنى احتواء القرآن علوم الأولين والآخرين احتواءه على العلوم الرياضية والطبيعية، فهذه علوم برهانية تجريبية، بل يعنى قدرته على إعطاء بعض الفروض العلمية للتحقق من صدقها بالبرهان الرياضى أو التجريبى. وقد يشعر العالم الرياضى أو الطبيعى عند قراءته للقرآن بصدى بعض نتائج العلمين فيه. فيتفق الحدس والبرهان^(٥).

(١) هى خمسة عشر علماً، الإتيان ج٤/ ١٨٥-١٨٨.

(٢) وهى الثمانية علوم الأولى.

(٣) الإتيان ج٤/ ٢٠٠.

(٤) السابق ص ١٩١-١٩٢.

(٥) البرهان ج٢/ ١٨١-١٨٢.

٩- طبقات المفسرين:

الرسول هو الطبقة الأولى^(١). والصحابة عشرة من الطبقة الثانية^(٢). وكل صحابي يعتبر نفسه هو العالم الأول. يجيب على كل سؤال. يعلم كل آية نزلت بليل أم بنهار، في سهل أم في جبل. وهي معلومات تاريخية لا أهمية لها في التفسير المتجدد وبمصالح الناس المتغيرة. وآخر يقول أنه ما نزلت من آية إلا وعلم فيم نزلت وأين نزلت، وأن الله وهب له قلبا عقولا ولسانا مسئولا. وقال ثالث ما نزلت آية إلا وهو أعلم فيم نزلت وأين، وأنه لا يوجد أعلم منه وإلا كان قد ذهب إليه. وهو علم يقارب الغرور وإن لم يصل إلى حد الادعاء. ويتأكد ذلك بمباركة الرسول وأخباره وأحكامه وثنائه على صحابته. فهذا خبر هذه الأمة، حكم جبريل يكرره محمد. ويمتد نفس الثناء على التابعين. ويدخل معهم بعض الزهاد مثل الحسن البصري. وهم نقلة عن الصحابة دون إبداع ذاتي من أنفسهم. وهنا تتحول علوم القرآن إلى علم التفسير قبل أن يستقل في علم مستقل.

وفي الجزء الأخير من باب «طبقات المفسرين» وهو آخر باب في «الإتقان» يظهر الرسول مفسرا أولا^(٣). وهو استعراض لما جمع من أقوال الرسول في شرح بعض الآيات إجابة على أسئلة له من الصحابة على نحو طولي، من الفاتحة حتى الناس^(٤). لا يجمعها هدف واحد ولا رؤية واحدة، مجرد معلومات إضافية لمزيد من المعرفة بالآية وبعض ألفاظها المجهولة. فما مصدر هذه المعلومات؟ هل هي الوحي عن طريق جبريل أو الوحي المباشر أو الحدس أو المعلومات التي استقاها الرسول من خلال رحلاته عن الأمكنة والأزمنة من اليهود والنصارى وأمثال العرب وقصصهم قبل الإسلام أم آراء

(١) الإتقان ج٤/ ٢٠٤-٢٥٩.

(٢) هم الخلفاء الأربعة، ابن مسعود، ابن عباس، أبي بن كعب، زيد بن ثابت، أبو موسى الأشعري، عبد الله ابن الزبير، السابق ص٢٠٤.

(٣) الإتقان ج٤/ ٢١٤-٢٥٩ «وإذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب فلنختمه بما ورد عن النبي من التفاسير المصرح بها برفعها إليه غير ما ورد من أسباب النزول لتستفاد فإنها من المهمات»، السابق ص٢١٤.

(٤) ومجموعها ست وسبعون سورة.

شخصية في موضوعات لا أهمية لها تخطئ وتصيب. وهناك معلومات خاطئة مثل اعتبار سام أبا العرب، وحام أبا الحبش، ويافث أبا الروم، هذه الشعوب المعروفة وقتها. وماذا عن الشعوب الهندية والأوروبية والآسيوية والأمريكية اللاتينية؟ وأحيانا يكون رأيا يحتمل الرأي الآخر. وأحيانا يكون التفسير حقيقة والأقرب المجاز.

وكثير منها موضوعات متعالية لا يُسأل ولا يجاب عليها خاصة بأمور المعاد والخلق والعرش^(١). يسهل تدخل الخيال فيها وتحويلها إلى خرافات.

وكثير من الروايات ضعيفة أو غير مرفوعة أو غريبة. ويحتاج التفسير إلى ابن خلدون جديد يحول منهج الرواية السبب الرئيسى في أخطار المؤرخين إلى منهج المشاهدة والعيان المباشر ثم إلى منهج تحليل الخبرات الإنسانية الرصيد الأول للتفسير كما هو الحال في علوم الذوق عند الصوفية. فليست مهمة الحديث إعطاء معلومات نظرية ظنية بل توجيهات أخلاقية وتفصيلات عملية^(٢). وبنية معظم هذه الأحاديث ضعيفة إذ يكون الرسول هو السائل والإجابة من آخر عن تصور نظرى يخشى من وضعه على لسان الرسول^(٣). ويكون السائل أحيانا يهوديا كى يوقع الإسلام في روح اليهودية وتاريخها كما فعل بولص مع الإنجيل وتعاليم المسيح عند ما هوّد المسيحية^(٤). وتكرر عبارة «إسناده ضعيف» عدة مرات^(٥).

والتفسير في غالبية حدثى تاريخى شئى، وهو ليس المقصود من التفسير الأخلاقى العملى. وهو ليس قصد الآية المتجهة إلى الدلالة وليس إلى الواقعة، إلى المعنى وليس إلى الحدث. فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى. وهو تقييد للمعنى، وعناية بالمثل دون المثلول.

(١) مثل ضرثان وطارق والذبال وذى الكيعان وذى الفرع ووثاب وعمودان وقابس والضروح والمصيح والفيلق. الإتيان ج٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) «وهذه التفسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ورواها مجاهيل»، الإتيان ج٤/ ٢٠٧-٢٠٨ «فمقاتل في نفسه ضعفه»، «إن هذا الإسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة»، السابق ص ٢٠٨.

(٣) وهو ما حدث في الإنجيل أيضا عندما سأل المسيح بطرس «أتعرف من أنا؟ فأجاب: «أنت ابن الله الحي» حتى يخرج التثليث الموضوع على لسان غير لسان المسيح»، أنظر ظاهريات التأويل ص ٢١٠-٢١٨.

(٤) الإتيان ج٤/ ٢٢٩-٢٣٢.

(٥) «إسناده ضعيف» ج٤/ ٢٤٠، «غريب جدا»، السابق ص ٢٥١، «لا يصح رفعه»، السابق ص ٢٥٧.

وصورة الرسول جديدة غير معروفة، الزهو بالنفس وتحديد المسجد الذى أسس على التقوى بأنه مسجده وليس مسجد قباء، وتحول الرسول إلى شخصية مركزية محمدية كما حدث فى الإنجيل. وتحول محرروه من الأخلاق العلمية فى «المواظ على الجبل» إلى شخص المسيح عند يوحنا وبولس^(١).

ومعاضدة السنة للقرآن فى التفسير أحد العوامل الخارجية للتيقن من التفسير الداخلى الذى يعتمد على طبيعة النص ذاته وآليات التفسير^(٢). فكل حديث إنما هو تفسير لآية. القرآن أصل، والحديث فرع. والقرآن أصول كلية والحديث فروع جزئية. القرآن أصول نظرية، والحديث تطبيقات عملية. القرآن عام، والحديث خاص. القرآن شامل لكل العصور، والحديث فى بعض تطبيقاته العملية أول تحقق فى التاريخ، فى الزمان والمكان والمجتمع^(٣). الحديث وصف وتعيين وتصريح وبيان وتعريض وتفسير وتأويل وفهم وتصديق وتعير وتحقيق وضرب أمثلة للقرآن.

وطبقة التابعين مجرد سرد لأسماء رجال دون وضع منهج أو وصف طريقة أو بيان مظاهر جديدة^(٤). يتلوهم الطبرى. وتفسيره أجل التفاسير مع أنه مجرد امتداد لمنهج المؤرخين، لا فرق بين تاريخ الطبرى وتفسير الطبرى فى المنهج والغاية والأسلوب^(٥).

وتتعدد مناهج التاريخ عند القدماء مثل الإخبارى الذى ليس له شغل إلا القصص واستيفاءها والإخبار عما سلف سواء كانت صحيحة أم باطلة مثل تفسير الثعالبي. وهو المنهج التاريخي، والفقيه يسرد الفقه من الطهارة حتى أمهات الأولاد مع أدلة الفروع والرد على المخالفين كتفسير القرطبي وهو المنهج الفقهي. والفيلسوف صاحب العلوم العقلية يملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة لدرجة البعد عن الآية مع التطويل فيها لدرجة الابتعاد عن التفسير مثل تفسير الرازي، وهو المنهج الفلسفي. والمبتدع يحرف

(١) ظاهريات التأويل ص ١٦٠-١٧٤، ٢٥٠-٢٦٩.

(٢) البرهان ج٢/ ١٢٩-١٤٥.

(٣) من النص إلى الواقع ج٢ بنية النص ص ١٣٩-١٩٠، ويعطى السيوطي حوالى خمسين مثلاً على ذلك.

(٤) الإنشقاق ج٤/ ٢١٠-٢١٤.

(٥) السابق ص ٢١٢-٢١٤.

الآيات ويطبقها على مذهبه كما فعل الزمخشري في «الكشاف» في تطبيقه التفسير على منهج الاعتزال. والمُلحد يكفر ويُلحد في آيات الله، ويقول الآية ما لم تقله وهو ما تفعله بعض فرق المتكلمين مثل الرافضة. وهو ما سيتحول إلى علم التفسير كعلم مستقل من العلوم العقلية الخمسة مع القرآن والحديث والسيرة والفقه^(١).

(١) السابق ص ٢١٢-٢١٣.

الخاتمة

من الأسطورة والخيال إلى السحر والخرافة

وصف القدماء فضائل القرآن بناء على الرواية. فتحولت إلى بركات وأحجية تعلق في الأعناق وعلى المنازل وفي العربات وتطبع على الحلى. وتحولت إلى تعاويذ وخرافات ووثنية صماء^(١). وقد تتحول الحروف إلى فضائل تحرس من الشر وتجلب الخير بأحاديث ضعيفة. فقراءة الحرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها^(٢).

وتعتمد كل الفضائل على روايات الأحاديث^(٣). والقرآن لا يثبت بالحديث لأن الأدنى لا يثبت الأعلى. والمصدر الثاني لا يثبت المصدر الأول طبقا لترتيب القدماء للمصادر الشرعية الأربعة^(٤). وهى روايات يغلب على متونها النقل بالمعنى والزيادة والنقصان مما يضعف صحتها التاريخية. والمقصود من هذه الأحاديث كلها وإن صحت العمل بمضمون القرآن وليس التبرك بالآيات المدونة على الورق والقטיפعة والذهب والفضة والنحاس والمعادن والأحجار الكريمة والعاج. وقد وُضعت هذه الأحاديث

(١) الإتيان ج٤/ ١٠٢-١١٧. وصنف فيها أبو بكر بن أبى شيبة، النسائي، أبو عبيد القاسم بن سلام، ابن الضريس، وقد صنف السيوطى كتابا مستقلا باسم «خاتل الزهر فى فضائل السور»، السابق ص ١٠٢.

(٢) مثل أحاديث «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، «القرآن ألف حرف، فمن قرأه صابرا اعتسبا كان له بكل حرف زوجة من الخور العين»، الإتيان ج١/ ١٩٧-١٩٨.

(٣) وهى حوالى مائة حديث.

(٤) من النص إلى الواقع ج٢، بنية النص ص ٩٩-٢٤٣.

لترغيب الناس فيها. القصد حسن ولكن النتيجة تحويل القرآن إلى خرافة وسحر وشعوذة. وقد جرت في أوساط المتصوفة^(١).

فضائل القرآن ليست في المدونات الحسية المادية بل في الكلام النفسى المسموع أثره في السلوك، وهى نظرة تجسيمية تشبيهية للوحى^(٢). وأى قرآن مدون لا تأكله النار وكأنه يند عن قوانين الاحتراق؟ وهو في الجوف يحفظ من المرض، ويحمى من مخاطر الطريق.

وقد انتشرت الظاهرة في أوقات العجز وعدم القدرة على فعل شيء أو تحويل القرآن إلى دوافع للسلوك والحركة والفعل والمقاومة. وهى العصور المتأخرة في العصر العثمانى. فالقرآن يظهر كمخلص من كل شيء، مطعم للجائع، ومروى للعاطش، وكاسى للعارى، ومسكن لمن على قارعة الطريق، ومغنى للفقير، ومساعد للمحتاج. وما يطلب من الله غير الرثى، ويطلب من القرآن الملموس. وهو الحافظ من الفتن، والحامى من الغزو، والحافظ من المخاطر، والمانع من الأذى، والجالب للخير، والدارئ من الشر. وهو الشفيع يوم الحساب.

ثم تتحول خواص القرآن إلى وسائل للعلاج كما هو الحال في الطب النبوى. فالشفاء بالعسل وبالقرآن. وخير الدواء القرآن، وإذا قرئ القرآن، سورة الأنعام أو آيتان من آخر سورة البقرة، عند المريض شفى أو خف. ودواء شكاية الصدر القرآن. وخاتمة الكتاب شفاء من كل شيء إلا الموت، وشفاء للسسم. وتحمى من لدغ العقرب. ويكتب القرآن في إناء ثم يغسل ويسقى به المريض يشفى. «وتبارك» هى المنجية من عذاب القبر^(٣). تحول القرآن إلى رقيات^(٤). ولا يرقى إلا بالمعوذتين. والتعوذ من الجن وعين الإنسان. وفيها سر إلهى. والرقى بكتاب الله وبالفاتحة وبكلام الله وأسمائه. وهو نوع من

(١) «وضعها لأرغب الناس فيها»، «لم يحدث أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن»، الإتيان ج٤/ ١١٨-١١٩.

(٢) «من قرأ القرآن فأكملة وعمل به...»، السابق ص ١٠٤.

(٣) السابق ص ١٣٧-١٤٤، صنف فيه التميمى والغزالي، ومن المتأخرين الياضى اعتمادا على تجارب الصالحين.

(٤) السابق ج٤/ ١٣٨-١٤٣.

الطب الروحاني إذا كانت الرقية على لسان الأبرار. ولما انقضى أتى الطب الجسماني^(١).
ويقرأ القرآن لقضاء الديون في حالة العجز عن السداد وكما يظهر ذلك في دعاء خطبة
الجمعة «واقض الدين عن المدينين»^(٢). ويقرأ لتسهيل الولادة. ويقرأ في أذن الدابة إذا
استصبت^(٣). ويقرأ أماناً من الغرق دعاء ذى النون وهو في بطن الحوت. ويقرأ للحفاظ
على نعمة الأهل والمال والولد. ويقرأ في أذن المبتلى ليفيق. ويهون على الميت سكرة الموت.
ويحجن القلب، ويقضى على قسوته لما في القرآن من قدرة على التأثير في النفس. ويبقى
القلب في فرح لما فيه من تفاؤل. ويدفع الفاقة. ويذهب الوسوسة. وبعض الآيات فيها
شفاء من السحر. فالسحر يشفى السحر. وقراءة بعض الآيات أمان من السرقة.

وإذا كان التفضيل يعني أن العمل بآية أولى من العمل بأخرى فهذا ليس تفضيلاً
بل منطقاً للأولويات طبقاً لعلوم البلوى. فالجهاد ضد الأعداء والدفاع من أراضي
السلمين له الأولوية المطلقة كما كان يفعل المجاهدون، فريق يجاهد وفريق يصلى على
التبادل. وموضوعات أصول الدين مثل الإلهيات والمعاد والنبوات والقضاء والقدر
ليست بأولى من موضوعات علم أصول الفقه، ولا العقيدة أولى من الشريعة.

وإذا كانت العلوم أربعة، علم الأصول، أصول الدين، وعلم الفروع، وهى العبادات،
وعلم ما يحصل به الكمال، علم الأخلاق أو التصوف، وعلم القصص والإخبار عن
الأمم السابقة فلكل علم أهميته ووظيفته. فتصنيف العلوم لا يعنى أفضلية بعضها على
بعض^(٤). ولا يعنى التفضيل أن تكون بعض الموضوعات أولى من أخرى مثل ذات
الله وصفاته وأفعاله وأسمائه. ولا يعنى التفضيل أن تكون بعض الموضوعات أولى من
أخرى مثل ذات الله وصفاته وأفعاله وأسمائه أولى من موضوع الزواج والتجارة^(٥).

(١) «الرقى بالمعوذات وغيرها من أساء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق
حصل الشفاء بإذن الله فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني»، السابق ص ١٤٣.

(٢) السابق ص ١٣٩-١٤٢.

(٣) السابق ص ١٤٠.

(٤) السابق ص ١١٩-١٢١.

(٥) السابق ص ١١٩.

أفضل القرآن وفضائله قضية إشكالية بين الإثبات والنفي^(١). فالكل من مصدر واحد. والمفضلون يوهم بالنقص. ولا يعنى التفضيل في الثواب، فالثواب واحد^(٢). وهى نظرة تجارية في تفاوت الأثمان، وأخذ أكبر قدر من المكسب بأقل قدر من الخسارة، وأكبر قدر ممكن من الربح بأقل قدر ممكن من المصاريف. ولا يوجد للقرآن قلب وأطراف، مركز ومحيط. فهذا تصور مركزى. القرآن كله قلب لا أطراف له، ومركز لا محيط حوله.

وفصل في فضل سورة سورة وآية آية وكأنه كله ليس من عند الله، وحى منزل، لا تفضيل فيه. ولماذا تكون سور أفضل من غيرها؟^(٣). ولماذا تكون آيات في سور أفضل من غيرها؟^(٤). ولماذا تكون آيات أفضل من غيرها؟^(٥). ولماذا تكون فواتح سور أو خواتيمها أفضل من وسطها؟^(٦). وما مقياس الاختيار في التفضيل لسورة على سورة أو آية على آية؟ ولماذا آية (هو الأول والآخر، والظاهر والباطن) خير من ألف آية؟ ولماذا «التكاثر» تعادل قراءة ألف آية؟، ولماذا تعادل سورة أو آية كل القرآن أو نصفه أو ربعه؟ وهل القرآن كم أم كيف؟ لماذا تعدل الفاتحة ثلث القرآن؟ ولماذا قراءة «الزلزلة» تعادل نصف القرآن، والإخلاص تعادل ثلث القرآن، وآية الكرسي ربع القرآن؟ والكافرون ربعه كذلك والنصر الربع الثالث وهى ثلاثة أرباع؟ وماذا يبقى للصور الأخرى إلا الربع الأخير قبل أن تعادله سورة أو آية أخرى؟ ولماذا قراءة «يس» تعادل قراءة القرآن كله عشر مرات؟

ولا تعنى مفردات القرآن مباحث الألفاظ بل خصائص الآيات أيها أعظم أو أجمع

(١) الإتيان جـ/ ٤- ١١٧- ١٢٧، ينفى التفضيل الأشعرى والباقلانى وابن حيان ومالك ويحيى بن يحيى. ويثبته إسحق بن راهويه وأبو بكر بن العري والغزالي والقرطبي وجماعة من المتكلمين، السابق ص ١١٧.

(٢) السابق ص ١١٩.

(٣) مثل سورة الفاتحة والسبع الطوال والمعوذتان.

(٤) مثل بعض آيات البقرة وآل عمران، الأنعام، هود، الكهف، ألم، السجدة، يس، الحواميم، الدخان، القصص، الرحمن، السبحات، تبارك، الأعلى، القيامة، الزلزلة، العاديات، الحاكم، الكافرون، النصر، الإخلاص.

(٥) مثل آية الكرسي.

(٦) مثل خواتيم البقرة، آخر آل عمران، آخر الإسراء.

أو أحزن أو أرجى أو أعدل أو تفويضا؟^(١). ولا تهم الإجابة بقدر ما يهم السؤال^(٢). هل السؤال صحيح أم كل آيات القرآن توصل إلى نفس الغاية. وكلها آراء ذاتية تتوقف على إحساسات فردية مثل: أحب، أخير. وتختلف الإجابة من حال إلى حال، ومن فرد إلى فرد، ومن موقف إلى موقف. كما يعتمد السؤال على القدرات الفردية مثل أى الآيات أشد وأيها أرخص، ويعتمد سؤال أى الآيات أخوف على مدى الثقة بالنفس واليقين الذاتى^(٣).

وقد تتحول خصائص الآيات إلى أعاجيب ونوادر أى خصائص فريدة. فسورة واحدة بها المكي والمدنى، والحضرى والسفرى، والليلي والنهارى، والحربى والسلمى، والناسخ والمنسوخ. ومن الآيات الأشكل حكما ومعنى وإعرابا. وآية جمع أصول أحكام الشرعية كلها: الأمر والنهى والإباحة والخير. وآية تجمع بين ذكر حاسد ومحسود، ومالك ومملوك، وشاهد ومشهود، وعاشق ومعشوق، وحبس وإطلاق، وسجن وخلاص، وخصب وحرب. وتوجد آية أعرب ما فى القرآن. وحرف جمع النصب والرفع والجر. جمعت السور بين الأطول مثل البقرة والأقصر مثل الكوثر. وأطول آية الدين، وأقصر آية القسم (والضحى)، (والفجر)، وأطول كلمة حروفا (فأسقيناكموه)^(٤). وآيتان جمعت كل منهما حروف المعجم، ولا يوجد حاء بعد حاء إلا فى موضعين، ولا غين إلا فى موضع واحد ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كاف إلا آية الدين، ولا آيتان بهما ثلاثة وعشر وقفا إلا آيتا المواريث. ولا سورة ثلاث آيات فيها عشر واوات إلا والعصر، ولا سورة إحدى وخمسون آية فيها اثنان وخمسون وقفا إلا سورة الرحمن، ولا آية أولها غين إلا ثلاثة. وبالقرآن أربع شدات متتالية. فهل هذه مصادفة أم قصدية؟

وقراءة سورة البقرة تطرد الشيطان، وكذلك قراءة أربع آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها. وثلاثا من آخرها تذهب العفارىت والجن. وقراءة آية الكرسي تحفظ

(١) الإتيان جـ ٤/ ١٢٨-١٣٦.

(٢) اختلف فى أرجى آية فى القرآن إلى أحد عشر قولاً، السابق ص ١٢٩-١٣٢.

(٣) السابق ص ١٣٢-١٣٤.

(٤) الإتيان جـ ٤/ ١٣٤-١٣٦.

الإنسان وذريته. تحفظ داره، وتعين على الكرب. ومن قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن، أربع من أولها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث من آخرها. ومن أدام على قراءة «يس» كل ليلة ثم مات مات شهيداً^(١). والسكوت أفضل من التفضيل بين السور والآيات. فعدم الدخول في مشكلة زائفة أفضل من اقتراح حلول لها^(٢).

ويمكن تأويل كل سورة بحيث تكون شاملة لكل شيء وهو من دلائل الإعجاز. فإذا كانت مقاصد القرآن ستة، ثلاثة مهمة وثلاثة متممة ووجود ذلك كله في «الفاتحة»، تعريف المدعو إليه، وتعريف الصراط المستقيم، وتعريف الحال عند الرجوع إليه وهو الآخرة، وتعريف أحوال المطيعين المنعم عليهم، وتعريف أقوال الجاحدين المغضوب عليهم وتعريف منازل الطريق بالعبادة والاستعانة فإن ذلك لا يعنى تفضيل سورة على أخرى. ويمكن قول نفس الشيء في سورة «الإخلاص» و«آية الكرسي». وإذا كان القرآن قسماً: خبر وإنشاء، والخبر قسماً: خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق، ووجودهما في سورة الإخلاص فإن ذلك لا يجعلها أفضل من غيرها. فكل سورة شاملة ومركزة لا فضل لأحدهما على الأخرى^(٣).

بل إن التفضيل لا يكون بين مراحل الوحي المختلفة، التوراة والإنجيل والقرآن، وأن القرآن هو الأفضل. فلكل وحي فضله بالنسبة إلى مرحلته التاريخية^(٤). الكل وحي لا تميز بين مراحل. وإذا كانت علوم الأولين والآخرين في الكتب السماوية الأربعة فإنها كلها في القرآن في الفاتحة، وكل الفاتحة في البسملة، وكل البسملة في الباء، وكل الباء في نقطتها، فهذا تصور صوفي يقوم على الدوائر المتداخلة تضيق نحو المركز أو تتسع نحو المحيط^(٥).

ولماذا يفضل القرآن على سائر الكلام وفنونه مثل الشعر والنثر قديماً، والرواية

(١) الإتيقان جـ ٤/ ١٣٨.

(٢) هذا هو موقف القاضي عبد البر، السابق ص ١٢٥-١٢٦.

(٣) هذا هو رأي الغزالي، الإتيقان جـ ٤/ ١٢١-١٢٥.

(٤) السابق ص ١١٧.

(٥) وهو تصور ابن عربي، السابق ص ١٢٧.

والقصة والمسرحية حديثاً؟ أليس «إن من البيان لسحراً» وكل فنون الكلام بيان. وإعجاز القرآن نفسه خاضع لأساليب البلاغة.

وقد جمعت إحدى المؤسسات الدينية فضائل القرآن في «الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم» لتأكيد هذه الوظيفة المتأخرة للقرآن في إحداث الوقائع، شفاء المرضى، وجلب الرزق، والانتصار على العدو، والتوفيق في الحياة كما هو الحال في الممارسات الشعبية للأحجية والتعاويذ المكتوب عليها بعض الآيات للحماية من الحسد والوقاية من الضرر. ويستمر ذلك سورة سورة، وآية آية. وتشمل السنن القولية والفعلية لبيان جانب الممارسة في حياة الرسول. وتقوم المؤسسة بدور المؤلف. ورئيسها الأمير المؤمن الذي يتبرك بالقرآن في الحياة العامة وأمام الناس تقبيلاً ورفعاً إلى الجبهة، تعظيماً وإعلاء. والإمارة منصب سياسي في حاجة إلى تبرير ديني^(١). ويقدمها بعض المداحين من الأمراء وفقهاء السلطان^(٢). وفي مقدمة الكتاب آداب وتلاوة القرآن الباطنة مختصرة من «الإحياء» للغزالي وحكم ثابتة للحافظ السيوطي في فضائل السور مع شرح مصطلحات الحديث وثبت بالكتب المصنفة في فضائل القرآن وآياته على العموم ثم ذكر هذه الفضائل سورة سورة، وآية آية^(٣).

الجمع للأدلة الثقلية وحدها والأحاديث وحدها دون القرآن دون أى تحليل عقلي، تمتلئ بها مقدمات المداحين والكلمات الماثورة مقرونة بالدعوى الدينية كما هو الحال في ممارسات العامة وأقوال الدجالين في تحضير الأرواح والإبراء من الأمراض وإنجاب العاقرات لا يعتمد إلا على القدماء بما لديهم من هالات التقديس. والأحاديث مطبوعة بالمداد الأحمر لمزيد من التقديس والإبراز والإبهار. وهى بقايا وثنية في شبه الجزيرة العربية نقدها محمد بن عبد الوهاب في رفضه لكل مظاهر التبرك والتوسط. وفي آخر الكتاب ثبت المراجع والمصادر التي تم منها الجمع.

(١) مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي: الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم، (الأحاديث التي وردت في فضائل السور والآيات)، عمان ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) تمهيد لصاحب السمو الأمير غازي بن محمد بن طلال، وتقريظ وتقديم للداعية الكبر السيد علي الجعفري، السابق ص ٧-١٣.

(٣) السابق ص ١٥-٢٥.

تكثر المصنفات في فضائل القرآن كلما اشتد العجز وقل الفهم ونذر العلم مثل فضائل الأماكن، مثل القدس أو الأمصار مثل مصر كلما كانت في أزمة. تشارك تقريبا في نفس العنوان. ودون ترتيب زماني^(١). النص سلطة مثل سلطة الأمير، وسلطة القدماء، وسلطة الرسول، وسلطة الحديث دون نقد للسند أو للمتن ودون اعتماد على القرآن أو الشعر. كتابته بالمداد الأحمر، وإبرازه سلطة. لا هدف إلا الطاعة لقريش أو الجيش. وعدم اختلاف الروايات سلطة. بل إن سلطة القرآن من سلطة الحديث. وكلاهما من سلطة الأمير. ويخلو الجمع من فهارس تحليلية من أى نوع لأن الهدف ليس البحث العلمى.

إن علوم القرآن بالرغم من أهميتها، بيان الحوامل الموضوعية للمحمول وهو الوحي في التاريخ، المكان والبيئة الاجتماعية والزمان، وإظهار الحوامل الموضوعية الذاتية. وهو الرواية، الخبر والقراءة والتدوين، والكشف عن الحوامل الذاتية وهى اللغة، اللفظ والمعنى، وأساليب البلاغة والتفسير إلا أنها لا تعفى من أن الهدف من الوحي هو العمل (وقل أعملوا)، (يا قوم أعملوا على مكانتكم إني عامل). فالوحي محمول. تدرس علوم القرآن حوامله، ولكنه يصب في النهاية في السلوك البشرى والأوضاع الاجتماعية والسياسية، ويدفع حركة التاريخ^(٢).

(١) الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم ص ٢٣-٢٨.

(٢) النظر والعمل، حوار مع أبى يعرب المرزوقي، دار فكر، دمشق ٢٠٠٣.

المصادر والمراجع

١. قتادة (١١٧هـ): الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢. الزهري (١٢٤هـ): الناسخ والمنسوخ المصنفي بألف أهل الرسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣. أبي عمرو البصري (١٥٤هـ) (الإمام زبّان بن العلاء بن عمار): الإدغام الكبير، تحقيق أنس بن محمد حسن مهدة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٤. الكسائي (١٨٩هـ) (علي بن حمزة): معاني القرآن، أعاد بناءه وقدم له د. عيسى شحاته عيسى، در قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
٥. الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) (أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري): معاني القرآن، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٦. ابن سلام (٢٢٤هـ) (أبي عبد القاسم): الناسخ والمنسوخ في الكتاب والسنة، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧. الدينوري (٢٧٦هـ) (أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة): تأويل مُشكل القرآن، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨. ابن قتيبة (٢٧٦هـ) (الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم): تأويل مشككة القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٩. المبرّد (٢٨٥هـ) (الإمام العلامة أبي العباس محمد بن يزيد): ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن العظيم، علق عليها أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٠. السجستاني (٣٣٠هـ) (أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث): كتاب المصاحف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١١.: غريب القرآن على حروف المعجم، دراسة وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٣م.

١٢. النحاس (٣٣٨هـ) (أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل): القطع والانتاف أو الوقف والابتداء، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٣. ابن خالويه (٣٧٠هـ) (أبي عبد الله الحسين بن أحمد): الحجة في القراءات السبع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، قدم له د. فتحي حجازي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٤. عبد الغفار الفارسي (٣٧٧هـ) (أبي علي الحسن بن أحمد): الحجة للقراء السبعة، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، في أربعة مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٥. الأصبهاني (٣٨١هـ) (الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران): الغاية في القراءات العشر، علّق عليها أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٦.: المبسوط في القراءات العشر، تحقيق وتعليق جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٧. ابن جنّي (٣٩٢هـ) (أبي الفتح عثمان): المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، في مجلدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٨. ابن غليون (٣٩٩هـ) (الشيخ أبي الحسن طاهر بن عبد المنعم): التذكرة في القراءات، حققه وراجعه وعلّق عليه د. سعيد صالح زعيمة، طبعة كاملة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٩. الباقلاني (٤٠٣هـ) (الإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب): إعجاز القرآن، شرح وتعلّق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة صبيح، مصر، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.

٢٠. ابن سلامة (٤١٠هـ) (أبي القاسم هبة الله): الناسخ والمنسوخ، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

٢١. ابن أحمد (٤١٥هـ) (إملاء قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبد الجبار): تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت، (د. ت.).

٢٢. الإسكافي (٤٢٠هـ) (الخطيب): درّة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، طبعة مصحّحة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ متعددة، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٣. القرطبي (٤٣٧هـ) (الإمام أبي محمد مكّي بن أبي طالب حموش بن محمد

ابن مختار القيسي القيرواني): التبصرة في القراءات السبع، اعتنى بتصحيحه ومراجعته جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، (د. ت).

٢٤. المالكي (٤٣٨هـ) (أبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي): الروضة في القراءات الإحدى عشرة، دراسة وتحقيق د. مصطفى عدنان محمد سلمان، في جزأين، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٥. المهدي (٤٤٠هـ): بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٦. الداني (٤٤٤هـ) (الإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان)، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، تحقيق الحافظ المقرئ محمد صدوق الجزائري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٧.: المُحكم في نقط المصاحف، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٨.: التيسير في القراءات السبع، عنى بتصحيحه أوتويرتزل، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٩.: مُفَرَدَة نافع بن عبد الرحمن المدني، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٣٠.: مُفَرَدَة عبد الله بن كثير المكي، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٣١.: مُفَرَدَة أبي عمرو بن العلاء البصري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، دار البشائر، دمشق، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٣٢. عبد الوهاب القرطبي (٤٦١هـ) (الشيخ أبي القاسم عبد الوهاب): المفتح في القراءات السبع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٣. النيسابوري (٤٦٨هـ) (أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي): أسباب النزول، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
٣٤. الجرجاني (٤٧١هـ) (الإمام عبد القاهر): دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله علامتنا الشيخ محمد عبده، والأستاذ الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١هـ.
٣٥.: أسرار البلاغة في علم البيان، صححه على نسخة الأستاذ محمد عبده ووضع حواشيه السيد محمد رشيد رضا، الطبعة السادسة، مطبعة صبيح، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
٣٦. الرعيني الأندلسي (٤٧٦هـ) (أبي عبد الله محمد بن شريح): الكافي في القراءات السبع، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣٧.: الكافي في القراءات السبع، تحقيق جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٤م.
٣٨. الدامغاني (٤٧٨هـ) (الإمام الشيخ أبي عبد الله الحسين بن محمد): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تقديم وتحقيق عربي عبد الحميد علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٩. بن سوار (٤٩٦هـ) (الإمام أبي طاهر): المستنير في القراءات العشر، اعتنى به وعلق عليه جمال الدين محمد شرف، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ٢٠٠٢م.

٤٠. الأصفهاني (٥٠٣هـ) (العلامة أبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل): مُعجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبط وتحقيق وتصحيح إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤١. الواسطي القلانسي (٥٢١هـ) (الإمام الحافظ أبي العز محمد بن حسين بن بندار): إرشاد المبتدئ وتذكرة المنتهى في القراءات العشر، تحقيق د. عثمان محمود غزال، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٢. ابن خلف الأنصاري (٥٤٠هـ) (الإمام أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد): الإقناع في القراءات السبع، حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي، قدم له وقرظه د. فتحي عبد الرحمن حجازي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤٣. المالكي (٥٤٣هـ) (القاضي أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري): الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٤. ابن الطحان الأشبيلي (٥٦١هـ) (الإمام الشيخ أبي الأصبغ عبد العزيز بن علي): المقدمة في أصول القراءات، علق عليها أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٥. السهيلي (٥٨١هـ) (عبد الرحمن): التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، دراسة وتحقيق عبد الله محمد علي النقراط، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، ١٤٠١هـ - ١٩٩٢م.

٤٦. ابن برّي (٥٨٢هـ): مسائل مثورة في التفسير والعربية والمعاني، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤٧. الشاطبي (٥٩٠هـ) (أبي محمد القاسم بن فيرة بن أبي القاسم): حرز الأمانى ووجه التهاني، ضبطه وخرّج أحاديثه محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٨. ابن الجوزى (٥٩٧هـ) (الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن القرشى): نواسخ القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٤٩.: من علم الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥٠.: تذكرة الأريب فى تفسير الغريب، تحقيق طارق فتحى السيد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥١. الشافعى (٦٦٠هـ) (الإمام أبى محمد عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام السليمى): مجاز القرآن ويسمى الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز، القسم الأول، حققه وقدم له د. محمد مصطفى بن الحاج، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، طرابلس، ١٤١٠هـ - ١٩٩٢م.

٥٢. أبى شامة المقدسى (٦٦٥هـ) (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم): المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، حققه طيار آتى قولا، در صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٥٣.: إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع، تحقيق وضبط إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٥٤. الغرناطى (٧٠٨هـ) (الإمام أبى جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفى): مَلَاك التَّأْوِيل، فى جزأين، وضع حواشيه عبد الغنى محمد على الفاسى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٥. الموصلى (٧١٣هـ) (أبى موسى جعفر بن مكى): مُفْرَدَة ابن كثير المكى، تحقيق وتعليق د. خالد أحمد المشهدانى، الطبعة الأولى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧.

٥٦. ابن البارزى (٧٣٨هـ): ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٥٧. الواسطى (٧٤٠هـ) (الإمام العلامة عبد الله بن عبد المؤمن): الكَنَنُ في القراءات العشر، تحقيق هناء الحمصى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٥٨. الكلبي (٧٤١هـ) (الشيخ الإمام أبى القاسم محمد بن أحمد بن جُرى): التسهيل لعلوم التنزيل، في جزأين، ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٥٩. الصفاقسى (٧٤٢هـ) (إبراهيم محمد): المجيد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق موسى محمد زين، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامى، طرابلس، ١٤١٠هـ - ١٩٩٢م.
٦٠.: المجيد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٦١. اليماني (٧٤٣هـ) (العلامة تاج الدين أبى المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد القرشى): الترجمان عن غريب القرآن، قرأه وعلق عليه د. يحيى مراد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٦٢. ابن التركمانى (٧٥٠هـ) (على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الماردنى): بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦٣. ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) (الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى الدمشقى): الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت.).

٦٤. الزركشى (٧٩٤هـ) (الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، في أربعة أجزاء، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٧٢م.

٦٥. ابن القاصح البغدادى (٨٠١هـ) (الإمام أبى القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن): سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهى، ضبطه وصححه وخرّج أحاديثه محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦٦. ابن الجزرى (٨٣٣هـ) (الإمام الحافظ أبى الخير محمد بن محمد الدمشقى): النشر في القراءات العشر، خرّج آياته الشيخ زكريا عميرات، في جزأين، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦٧. ابن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) (الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد): العجائب في بيان الأسباب "أسباب نزول القرآن"، تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٦٨. الجزرى (٨٨٣هـ) (الإمام ابن محمد بن محمد بن محمد على بن يوسف): تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٦٩. ابن العماد (٨٨٧هـ): كشف السرائر في معنى الوجوه الأشباه والنظائر، تحقيق ودراسة د. فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم ومراجعة د. محمد سليمان داود، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧م.

٧٠. النشار (القرن التاسع الهجرى) (الإمام أبى حفص عمر بن قاسم بن محمد المصرى الأنصارى): المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعى الحفيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧١. السيوطي (٩١١هـ) (الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر): الإتيان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، في أربعة مجلدات، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٦٧م.
٧٢.: طبقات الحافظ، تحقيق على محمد عمر، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٧٣.: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه وكتب فهارسه أحمد شمس الدين، في ثلاث مجلدات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧٤.: الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٧٥.: لباب المنقول في أسباب النزول، ضبطه وصححه أحمد عبد الشافي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
٧٦.: أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٧٧.: المختار من كتاب الإتيان في علوم القرآن، اختيار عامر محمد بحيري، مراجعة عبد الوهاب حموده، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (د. ت).
٧٨. الأنصاري (٩٢٦هـ) (شيخ الإسلام زكريا بن محمد): المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، علق عليه شريف أبو العلا العدوي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
٧٩. الأشموني (القرن الحادي عشر الهجري) (أحمد بن محمد بن عبد الكريم): منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، علق عليه شريف أبو العلا العدوي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
٨٠. الهروي (١٠١٤هـ) (الملا علي بن سلطان): المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية،

تحقيق أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨١. البناء (١١١٧هـ) (العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني): إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٨٢. الجمزوري (١١٩٨هـ) (العلامة الشيخ سليمان بن حسين بن محمد): الفتح الرحمانى شرح كنز المعاني بتحرير حرز الأمانى في القراءات، تحقيق ودراسة شريف أبو العلا العدوى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٣. يوسف أفندى زاده (القرن الثاني عشر الهجري) (أبى محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الأمامى الإسلامبولى الحنفى): رسالة في حكم القراءة بالقراءات الشواذ، تصدير وتقديم وتحقيق تغريد محمد عبد الرحمن حمدان وعمر يوسف عبد الغنى حمدان، الطبعة الأولى، مطبعة الطيرة، الطيرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٨٤. الجبوري (ق ١٢هـ) (الشيخ القارئ سلطان بن ناصر): شرح قواعد البقرى في أصول القراء السبعة، تحقيق هناء الحمصى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨٥. الرافعى (١٣٥٦هـ) (مصطفى صادق): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨٦. الزرقانى (الشيخ محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، خرّج أحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، في جزأين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٨٧. ابن طلال (الأمير غازى بن محمد): الكتاب الجامع لفصائل القرآن الكريم، تقديم وتقريرظ الداعية السيد على زين العابدين الجفرى، الطبعة الأولى، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٨٨. الصفاقسى (على النورى): غيث النفع فى القراءات السبع، ضبطه وصححه وخرّج آياته محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨٩. الصباغ (الشيخ على محمد): مختصر بلوغ الأمنية على نظم تحرير مسائل الشاطبية، ضبطه وصححه وخرّج آياته محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٩٠. قمحاوى (محمد الصادق): البرهان فى تجويد القرآن ورسالة فى فضائل القرآن، الطبعة الأولى، دار النجم، ١٩٩٤م.

٩١. الشيخ إسماعيل مخدوم: تاريخ المصحف العثمانى، الإدارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى، طشقند وقازاقستان، طشقند، ١٩٧١.

٩٢. الكيش (عبد الله محمد): أثر القرآن فى أصول مدرسة البصرة النحوية حتى أواخر القرن الثانى الهجرى، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٢.

٩٣. أبو ريذة (محمد عبد الهادى): مضمون القرآن الكريم فى قضايا الإيمان والنبوة والأخلاق والكون، الطبعة الأولى، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٩٤. رسلان (صلاح الدين بسيونى): القرآن الحكيم «رؤية منهجية جديدة»، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.

٩٥. المنجد (محمد نور الدين): التضاد فى القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٩م.

٩٦.: الاشتراك اللفظى فى القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، تقديم د. مسعود بوبو، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٨م.

٩٧. المدرس (العلامة عبد الكريم): الأصول فى تجويد القرآن الكريم، جمع

وترتيب الحاج علاء الدين القيسي، الطبعة الخامسة، مطبعة الأشبال، العراق، ١٩٩٠م.

٩٨. شامة (محمد): الحسد في القرآن الكريم بين الحقيقة والأسطورة، الطبعة الأولى، مكتبة شامة، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٩٩. السنهوتى (محمد الأنور): الكون في ضوء التصور القرآنى، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء، العدد الثالث، (د. ت.).

١٠٠. الجيين (إبراهيم): لغة محمد، الطبعة الأولى، دار الينابيع، دمشق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣.

١٠١. إبراهيم محمود: الجنس في القرآن، الطبعة الأولى، دار رياض الريس، بيروت، ١٩٩٤.

١٠٢. النعيمى (هشام سعيد محمود): حجة القراءات لأبى زُرعة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٠٣. عياد (شكرى محمد): يوم الدين والحساب، الطبعة الأولى، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٤. الشرقاوى (عفت محمد): الفكر الدينى فى مواجهة العصر، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩م.

١٠٥. بن مصطفى (الشيخ محمد كامل): تعليقات على أنوار التنزيل، تحقيق عبد الدائم محمد الباجقنى، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٩١م.

١٠٦. رضوان (أحمد حسن): من الكهف إلى الكون، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، ١٩٩٠م.

١٠٧. مؤلف مجهول: شرح أبيات الدانى الأربعة فى أصول ظاءات القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٠٨. مجلة البلاغة المقارنة «ألف»، المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، العدد الثاني عشر، ١٩٩٢م.

١٠٩. مجمع البحوث الإسلامية: الرد على كتاب أخطاء إلهية في القرآن الكريم، دار السعادة للطباعة، ٢٠٠٣م.

صدر للمؤلف

أولا - تحقيق وتقديم وتعليق:

- ١- أبو الحسين البصري: المعتمد في أصول الفقه، جزءان: المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٦٣-١٩٦٥.
- ٢- الحكومة الإسلامية للإمام الخميني، القاهرة ١٩٧٩.
- ٣- جهاد النفس أو الجهاد الأكبر للإمام الخميني، القاهرة ١٩٨٠.

ثانيا - إعداد وإشراف ونشر:

- ١- اليسار الإسلامي، كتابات في النهضة الإسلامية، العدد الأول، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨١.

ثالثا - ترجمة وتقديم وتعليق:

١. نماذج من الفلسفة المسيحية (المعلم لأوغسطين، الإيوان باحثًا عن العقل لانسلیم، الوجود والماهية لتوما الاكويني)، الطبعة الأولى، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية ١٩٦٨، الطبعة الثانية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨، الطبعة الثالثة، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.
٢. اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، الطبعة الأولى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣، الطبعة الثانية الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٣،

الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت ١٩٨١.

٣. لسنج: تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى، الطبعة الأولى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١.

٤. جان بول سارتر: تعالى الأنا موجود، الطبعة الأولى، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢.

رابعاً - مؤلفات بالعربية:

١- قضايا معاصرة، الجزء الأول، في فكرنا المعاصر، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١، الطبعة الثالثة، مجد، بيروت ١٩٨٧.

٢- قضايا معاصرة، الجزء الثاني، في الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٧، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢، الطبعة الثالثة، مجد، بيروت ١٩٨٨.

٣- التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم، الطبعة الأولى المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨٠، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨١، الطبعة الثالثة، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٧، مجد، بيروت ٢٠٠٠، ٢٠٠٢.

٤- دراسات إسلامية، الطبعة الأولى، الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢.

٥- من العقيدة إلى الثورة، محاولة لإعادة بناء علم أصول الدين، (خمسة مجلدات)، الطبعة الأولى، مدبولي، القاهرة ١٩٨٧، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٨٨.

٦- دراسات فلسفية، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٨، دار التنوير (قرطبة)، بيروت ١٩٩٠.

- ٧- الدين والثورة في مصر (١٩٥٢-١٩٨١)، (ثمانية أجزاء)، مذبولى، القاهرة ١٩٨٩.
- ٨- حوار المشرق والمغرب، توبقال، الدار البيضاء ١٩٩٠ (بالاشتراك مع محمد عابد الجابري)، مذبولى، القاهرة ١٩٩١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥.
- ٩- مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة ١٩٩١، مجد، بيروت ١٩٩٤، ٢٠٠٠، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٩.
- ١٠- هموم الفكر والوطن (جزءان)، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، ج١ التراث والعصر والحداثة، ج٢ الفكر العربي المعاصر.
- ١١- الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨.
- ١٢- جمال الدين الأفغانى، المائوية الأولى (١٨٩٧-١٩٩٧)، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠.
- ١٣- حوار الأجيال، دار قباء، القاهرة ١٩٩٨.
- ١٤- من النقل إلى الإبداع (تسعة أجزاء)، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠-٢٠٠٢.
- ١٥- ما العولة؟ دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٢.
- ١٦- النظر والعمل والمآزق الحضارى العربى والإسلامى الراهن، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٣.
- ١٧- فشته، فيلسوف المقاومة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٣، الجمعية الفلسفية المصرية، القاهرة ٢٠٠٣.
- ١٨- من النص إلى الواقع، محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه، ج١ تكوين النص، ج٢ بنية النص، دار المدار الإسلامى، بيروت ٢٠٠٥.
- ١٩- حصار الزمن، الحاضر (إشكالات)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٤.

- ٢٠- حصار الزمن، الحاضر (مفكرون)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٤.
- ٢١- من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٤.
- ٢٢- جذور التسلسل وآفاق الحرية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٥.
- ٢٣- حصار الزمن، الماضي والمستقبل (علوم)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ٢٠٠٥.
- ٢٤- برجسون، فيلسوف الحياة، المركز المصري للمطبوعات، القاهرة ٢٠٠٨.
- ٢٥- نظرية الدوائر الثلاث، قراءة معاصرة بعد نصف قرن (جزءان)، دار العين للنشر ٢٠٠٨.
- ٢٦- عرب هذا الزمان، وطن بلا صاحب، دمشق ٢٠٠٨.
- ٢٧- من الفناء إلى البقاء، محاولة لإعادة بناء علوم التصوف، ج١ الوعي الموضوعي، ج٢ الوعي الذاتي، دار المدار الإسلامي، بيروت ٢٠٠٩.
- ٢٨- محمد إقبال، فيلسوف الذاتية، دار المدار الإسلامي، بيروت ٢٠٠٩.

خامسا - مؤلفات بالفرنسية والإنجليزية:

29. Les Méthodes d'Exégèse, essai sur La science des Fondements de la Compréhension, 'ilm usul al-Fiqh, le Caire, 1965.
30. L'Exégèse de la Phénoménologie, l'état actuel de la méthode phénoménologique, et son application au phénomène religieux (Paris, 1965). Le Caire, 1980. (Arabic Translation, Dar Al Madar Al Islami, Lebanon, 2009).
31. La Phénoménologie de L'Exégèse, essai d'une herméneutique existentielle à partir du Nouveau Testament, (Paris, 1966). Le Caire,

1988. (Arabic Translation, Dar Al Madar Al Islami, Lebanon, 2009).
32. Religious Dialogue and Revolution, essays on Judaism, Christianity and Islam, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo 1977.
 33. Islam in the Modern World, 2 vols, I- Religion, Ideology and Development, II- Tradition, Revolution and Culture, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo 1995, Dar Keba>, Cairo 2000.
 34. Cultures and Civilizations, conflict or Dialogue? 2 vols, I- The Meridian Thought, II- Cultural Creativity & Religious Dialogue Cairo, Book Center for Publishing, 2006. *

د. حسن حنفى - الأعمال الكاملة

من النقل إلى العقل الجزء الأول - علوم القرآن

٦ الإهداء
٧ تصدير
٩ المقدمة
٩	١ - من «الفناء والبقاء» إلى «العقل والنقل»
١٥	٢ - العلوم النقلية
١٨	٣ - علوم القرآن
٢٢	٤ - تطور علوم القرآن

الباب الأول الحوامل الموضوعية (التاريخ)

الفصل الأول المكان

٥١	١ - المكان كحامل موضوعى
٥٣	٢ - التمييز بين المكى والمدنى
٥٥	٣ - التداخل بين المكى والمدنى
٥٧	٤ - من الحامل إلى المقدس

الفصل الثانى البيئة الاجتماعية

٦١	أولا - كيفية النزول
٦١	١- أدبيات الموضوع
٦٦	٢- أول وآخر وزمان النزول
٦٨	٣- التنجيم
٧٠	٤- القصص والتوجيه السياسى
٧٢	٥- النزول بالمعنى والحرف
٧٣	٦- تكرار النزول وتأخر الحكم
٧٥	٧- على من ينزل الوحي؟
٨٣	ثانيا - الوحي والواقع
٨٣	١- السؤال والجواب
٨٧	٢- كلام الله وكلام البشر
٨٨	٣- العبادات الفطرية
٩٠	٤- المعاملات الطبيعية
٩٨	٥- المجموعات الخارجية
٩٩	٦- المجموعات الخارجية الداخلية
١١٠	٧- المجموعات الداخلية

الفصل الثالث الزمان

١١٣	أولا - النسخ والمنسوخ
١١٤	١- أدبيات الموضوع
١٢٢	٢- النسخ لغة واصطلاحا
١٢٣	٣- وقوع النسخ شرعا وجوازه عقلا
١٢٦	٤- النسخ فى الأحكام

١٢٩	٥- الفرق بين النسخ والتخصيص والاستثناء
١٣٢	٦- شروط النسخ وأحكامه
١٣٥	٧- مستويات النسخ
١٣٦	ثانيا - دلالات النسخ
١٣٧	١- العام والخاص
١٣٩	٢- الرحمة والعدل
١٤٠	٣- التخفيف والإثقال
١٤٥	٤- عدم تكليف ما لا يطاق
١٤٦	٥- الإنفاق والزكاة
١٤٧	٦- حرية الإيمان
١٤٩	٧- التعددية الفكرية

الباب الثاني

الحوامل الموضوعية الذاتية

(الرواية)

الفصل الأول

الخبر

١٥٧	١- الرواية والخبر
١٥٨	٢- من الأسانيد إلى المتن
١٥٩	٣- أنواع الأسانيد والمتن
١٦٠	٤- أنواع المنقول
١٦٠	٥- القرآن متواتر بالسند
١٦١	٦- الصدق الذاتي للمتن

الفصل الثاني

القراءة

١٦٥	١- منطق النقل الشفاهي
-----	-----------------------------

١٦٨	٢- التأليف في علم القراءات
١٧٦	٣- ماذا يعنى نزول القرآن على سبعة أحرف؟
١٨٩	٤- التاريخ والرمز
١٩٦	٥- المشهور والشاذ
٢٠٥	٦- علم الأصوات
٢١٤	٧- فن القراءة

الفصل الثالث

التدوين

٢١٧	١- التأليف في الموضوع
٢٢٢	٢- تسمية القرآن
٢٢٥	٣- تسمية السور
٢٢٨	٤- جمعه وحفظه
٢٢٩	٥- قسمته وترقيمه
٢٣٤	٦- فواصله وفوائمه
٢٣٦	٧- رسمه وخطه

الباب الثالث

الحوامل الذاتية

(اللفظة)

الفصل الأول

اللفظ والمعنى

٢٤٢	١- التأليف في الموضوع
٢٥٦	٢- العربى والغريب
٢٦٠	٣- ألفاظ يكثر دورانها
٢٦٢	٤- الإعراب
٢٦٤	٥- الأشباه والنظائر

- ٢٦٦ ٦- منطق الاشتباه
- ٢٧٤ ٧- وهم الاختلاف

الفصل الثاني أساليب البلاغة

- ٢٧٧ ١- فنون القول ووجوه الخطاب
- ٢٨١ ٢- طرق التوكيد
- ٢٨٨ ٣- الحذف والإيجاز والإطناب
- ٢٩٢ ٤- التقديم والتأخير
- ٢٩٤ ٥- التورية والإيهام، والكناية والتعريض، والتشبيه والاستعارة
- ٢٩٩ ٦- الشرط والنفي
- ٣٠١ ٧- الالتفات والتضمين والتجريد والمقابلة
- ٣٠٤ ٨- الإبدال، والنحت، والمحاذاة، والتجنيس، والمدرج، والاقتصاص، والترديد، ومشاكلة اللفظ باللفظ، والطباق، والترادف، والعدد
- ٣٠٧ ٩- منطق العواطف
- ٣٠٩ ١٠- المشتبهات والمبهمات والأمثال والجدل والعلوم المستنبطة، والتأديب في الخطاب
- ٣١٢ ١١- إعجاز القرآن

الفصل الثالث التفسير

- ٣٢٧ ١- التفسير وعلوم القرآن
- ٣٣٣ ٢- التفسير والتأويل
- ٣٣٥ ٣- الأدوات والأسماء والأفعال والأزمان
- ٣٤٠ ٤- الحروف العقلية
- ٣٤٥ ٥- الحروف النفسية
- ٣٥٠ ٦- الضمائر

٣٥٢	٧- قواعد التفسير.....
٣٥٥	٨- شروط المفسر.....
٣٦٢	٩- طبقات المفسرين.....
٣٦٧	- الخاتمة: من الأسطورة والخيال إلى السحر والخرافة.....
٣٧٥	- المصادر والمراجع.....
٣٨٩	- صدر للمؤلف.....